مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسرة

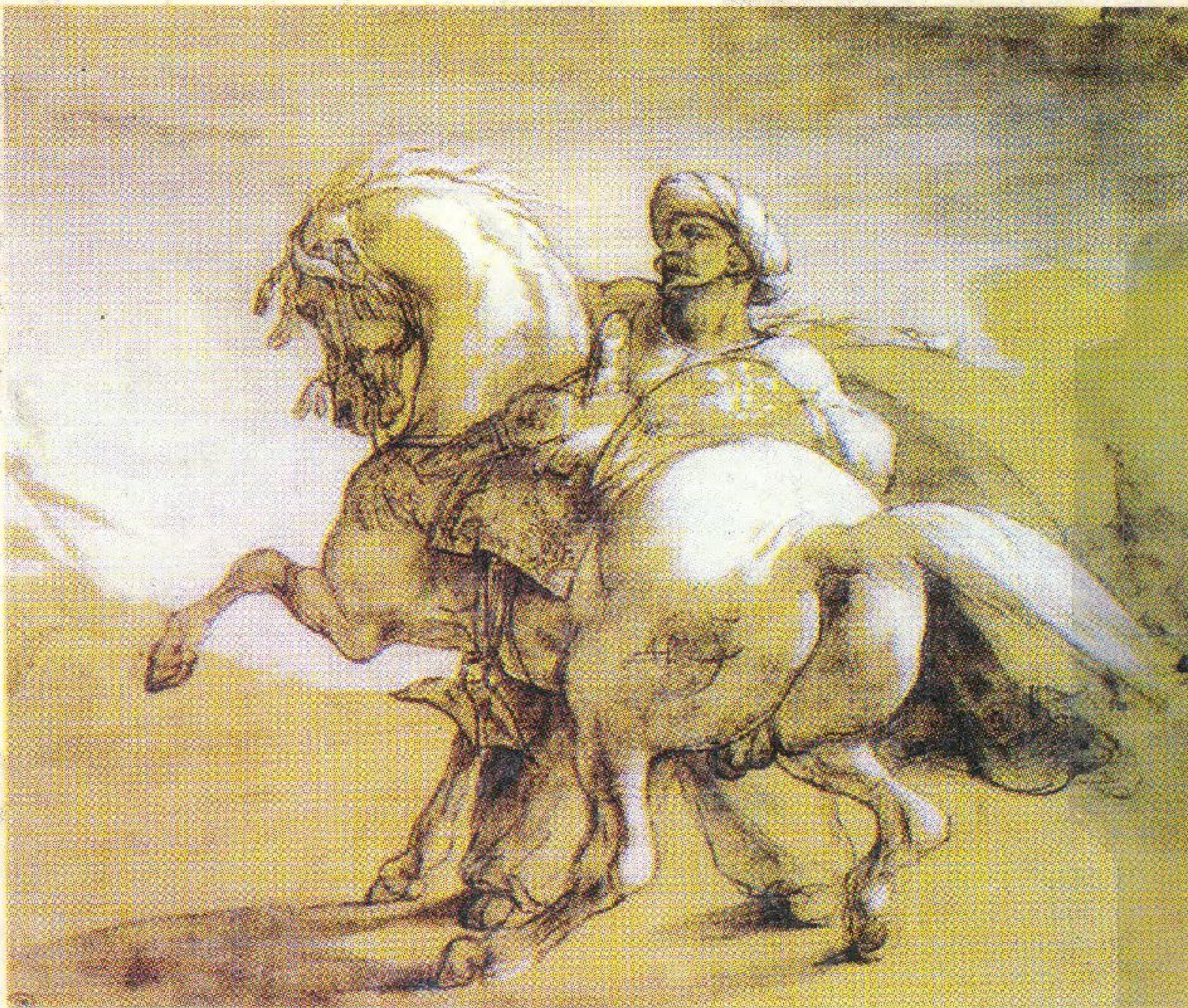
٥

الجزء الخامس

عبد الرحمن الجبرتي



عجائب الآثار في التراجم والأخبار





عجائب الآثار
في
التراجم والأخبار

٥

الجزء الخامس

عجائب الآثار

فى

التراجـــم والأخبـــار

تأليف

عبدالرحمن بن حسن الجبرتى

تحقيق

أ.د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم



مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٣

مكتبة الأسـرة

برعاية السيدة سوزان مبارك

بالاشتراك مع الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

عجائب الآثار
في التراجم والأخبار (الجزء الخامس)
تأليف: عبدالرحمن بن حسن الجبرتى
تحقيق: أ. د. عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم

الغلاف والإشراف الفنى:
الفنان : محمود الهندى
الإخراج الفنى والتنفيذ :
صبرى عبدالواحد
الإشراف الطباعى:
محمود عبدالمجيد
المشرف العام :
د. سمير سرحان

الجهات المشاركة :

جمعية الرعاية المتكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة التنمية المحلية
وزارة الشباب
التنفيذ : هيئة الكتاب

على سبيل التقديم:

لا سبيل أمامنا للتقدم والرقى وملاحقة العصر إلاّ بالمزيد من المعرفة الإنسانية.. نور يهدينا إلى الطريق الصحيح، ولأن مكتبة الأسرة أصبحت أهم زهور حدائق المعرفة نتنسم عطرها ربيعًا للثقافة المصرية الأصيلة.. فإننا قطعنا على أنفسنا عهدًا ووعدًا ليس لنا إلا الوفاء به لتثمر شجرة المعرفة عطاءً للأسرة المصرية.

د. سمير سرحان

المقدمة

الأستاذ الدكتور / عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم

يستمر عبد الرحمن الجبرتى على منهجه الذى سار عليه فى الجزأين الأول والثانى فى هذا الجزء الثالث من كتابه « **عجائب الآثار فى التراجم والأخبار** » ، فى تسجيل الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية وتراجمه لمشاهير العلماء والأمراء والأعيان .

يسجل الجبرتى فى الجزء الثالث هذا أحداث فترتين من فترات تاريخ مصر الحديث ، والفترتان قصيرتان زمنيا ، ولكنهما مليتان بالأحداث المتلاحقة .

الفترة الأولى : **فترة الحملة الفرنسية على مصر (١ محرم ١٢١٣ هـ - ٥ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ١٣ سبتمبر ١٨٠١ م)** [(١)] .

والفترة الثانية : **فترة الاضطراب السياسى فى مصر التى أعقبت خروج الحملة الفرنسية من مصر ، وحتى اختيار محمد على واليا على مصر (٥ جمادى الأولى ٢١٦ - ١٣ صفر ١٢٢٠ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠١ - ١٣ مايو ١٨٠٥ م)** .

والفترة الأولى : **مثلت أول غزو أجنبى لمصر فى تاريخها الحديث** ، وقد ارتبط هذا الغزو بالصراع الذى كان دائراً فى أوروبا بين المملكة المتحدة وبين فرنسا ، حيث رغبت فرنسا فى قطع طريق التجارة بين بريطانيا ومستعمراتها فى الشرق من ناحية ، والرغبة الفرنسية فى تكوين إمبراطورية شرقية فرنسية تكون مصر قاعدتها ، وقد شغل هذا المشروع تفكير ساسة فرنسا وقادتها منذ عند لويس الرابع عشر ، وظل يشغل تفكير الساسة والقادة حتى بعد الثورة الفرنسية ١٧٨٩ م ، حتى خرج إلى حيز التنفيذ حين أسند أمر تنفيذ هذا المشروع الاستعمارى إلى القائد بونابرت ١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م .

أولاً : سجَّل الجبرتى أحداث فترة الاستعمار الفرنسى (١٢١٣ - ١٢١٦ هـ / ١٧٩٨ - ١٨٠١ م) ، بكل دقة ، وفى بداية تسجيله لأحداث (١٢١٣ هـ / ١٧٩٨ م) ، كتب فقرة لخَّص فيها هَوْلَ هذا الحدث ، وما ترتب عليه فى تاريخ مصر ، قائلاً : « وهى أولى سِنِى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ،

---

(١) سوف نقدم دراسة مقارنة بين تسجيل الجبرتى لأحداث هذه الفترة فى الجزء الثالث ، وبين تسجيله لها فى كتابه « مظهر التقديس بذهاب الفرنسيس » ، وذلك كمدخل للكتاب الثانى الذى ستدفع إن شاء الله به إلى المطبعة ، فور الانتهاء من طبع « عجائب الآثار » .

والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع ، وانقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، ﴿ وما كان ربُّك مُهلِكَ القُرى بِظُلمٍ ، وأهلُها مُصلِحُون ﴾ [(١)] .

وهكذا رأى الجبرتى فى مجئ الحملة الفرنسية أنه بداية اختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وبعد هذه الفترة يبدأ فى رصده للأحداث يومًا بيوم ، فيسجل أنَّ الأسطول البريطانى سبق أسطول الحملة فى المجيئ إلى الإسكندرية بقصد التفتيش عن الأسطول الفرنسى ، وطلب قائد الأسطول البريطانى السماح له بالبقاء فى مياه الإسكندرية ، فرفض أهل الإسكندرية بزعامة السيد محمد كُرَيِّم هذا الطلب قائلين : « هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ، ولا لغيرهم عليها سبيل ، فاذهبوا عنَّا » [(٢)] ، وهكذا سجل أول رفض للتواجد الأجنبى من جانب الشعب المصرى على لسان أبناء الإسكندرية ، فذهب الإنكليز ، وبدأ أهل الثغر يعملون استعدادهم مستعينين بكاشف البحيرة والعربان المتواجدين بهذا الإقليم من أقاليم مصر ، لِصَدِّ أى خطر يدهم بلدهم ، بينما لم يهتم الأمراء المماليك بشىء ، زاعمين أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لايقفون فى مقابلتهم ، وسيدوسونهم بخيولهم [(٣)] ، ثم يسجل بعد ذلك وصول الأسطول الفرنسى إلى الإسكندرية ، وكيف دخل الفرنسيون المدينة رغم مدافعة أهلها عنها ، واستمرارهم فى القتال حتى كانت الغلبة للفرنسيين ، وإعطائهم لأهل الإسكندرية الأمان [(٤)] ، ووصلت هذه الأنباء للقاهرة ، فحصل لسكانها انزعاج « وَعَوَّلَ أكثرهم على الفرار » [(٥)] ، وحصل فيها ارتباك ، وكيف أنَّ الأمراء المماليك والعلماء والقاضى ، كتبوا مكاتبة إلى الدولة العثمانية ، صاحبة السيادة على مصر ، يخبرونها بوقوع حادث الغزو الفرنسى ، وكيف أَعَدَّ مراد بك عدته لملاقاة الفرنسيين الذين وصلوا إلى دمنهور ورشيد ، ووزعوا منشورًا على أهالى البلاد التى وصلوا إليها تطمينا لهم ، وتأكيدًا للشعب المصرى أنهم ما جاءوا إلاَّ لتخليص المصريين من ظلم الأمراء المماليك ، وإشراك المصريين فى حكم بلادهم ، وتوعدوا من يقف فى وجه الفرنسيين [(٦)] ، ويسجل هزيمة مراد عند أول لقاء له بالفرنسيين عند الرحمانية واحتراق

---

(١) الجبرتى ، عبد الرحمن بن حسن ، « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ، جـ ٣ ، ص ١ ، من هذه الطبعة .

(٢) نفسه ، ص ٢ . (٣) نفسه ، ص ٢ . (٤) نفسه ، ص ٢ .

(٥) نفسه ، ص ٣ . (٦) نفسه ، ص ٤ - ٦ .

مراكبه ، وعاد راجعا إلى إنبابة ، فانزعج الناس ، وعملت القاهرة استعدادها لملاقاة الفرنسيين ، فخرج سكانها بمختلف طوائفهم ، وتولى مراد بك عمل المتاريس من إنبابة إلى بشتيل : « فصار البر الغربي والشرقي مملوءين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة » ، ولاينسى أن يسجل الهلع والخوف الذى أصاب الأمراء المماليك ، فيذكر أنهم رغم كل ذلك ، شرعوا في نقل أمتعتهم إلى البيوت الصغيرة التى لايعرفها أحد [1] ، ومع كل الاستعداد الذى حدث لحماية القاهرة ، فإن الهزيمة حلت بالأمراء المماليك عند لقائهم الفرنسيين ، وأصيب السكان بالذعر : « فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر (القاهرة) ، البعض لبلاد الصعيد ، والبعض الآخر لجهة الشرق وهم الأكثر ، وأقام بمصر (القاهرة) كل مخاطر بنفسه لايقدر على الحركة ممتثلا للقضاء ، متوقعا للمكروه ، وذلك لعدم قدرته ، وقلة ذات يده ، وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ويصرفه عليهم في الغربة ، فاستسلم للمقدور ، ولله عاقبة الأمور » [2] ، ويستمر بعد ذلك في تسجيله لأحداث التواجد الفرنسى فى القاهرة والأقاليم ، والمقاومة المصرية لهذا الغزو الأجنبى الذى يطلق عليه دائما اسم « الحادثة » أو « الحادث » [3] ، كما يسجل الانعكاسات الاقتصادية السيئة على الشعب المصرى ، بعد تحطيم الأسطول الفرنسى فى أبى قير ، وكذلك الانعكاسات الاجتماعية الضارة لخروج الفرنسيين على عادات وتقاليد الشعب المصرى ، وكيف أدت كل هذه الأمور مجتمعة إلى ثورة القاهرة الأولى ، بعد دخول الفرنسيين القاهرة بأمد ليس بطويل ، ومما يسترعى الانتباه أنَّ الجبرتى يطلق على ثورة القاهرة الأولى ، وثورة القاهرة الثانية اسم « الفتنة » ، فيذكر الفتنة الأولى [4] ، الفتنة الثانية ويسجل أحداث حملة بونابرت على بلاد الشام طبقا للأخبار الواصلة والمكاتبات التى كان يرسلها بونابرت إلى القاهرة ، ويدلل على فشل الحملة بوصفه للجند الفرنسيين ساعة عودتهم بقوله : « وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرّت ألوانهم ، وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم » [5] ، ثم يبدى دهشته فى كيفية خروج بونابرت من مصر « مع وجود مراكب الإنكليز ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار

---

(١) نفسه ، ص ٧ . (٢) نفسه ، ص ١٢ . (٣) نفسه ، ص ٨١ .
(٤) نفسه ، ص ٤١ - ٤٩ . (٥) نفسه ، ص ١١٧ .

المصرية صيفا وشتاءً » ، ثم يذكر « ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها »[1] .

والجبرتي لاينسى أبدا أن يسجل الضيق المادى الذى حلّ بالشعب المصرى ، لكثرة الغرامات والضرائب التى فرضها الفرنسيون ، فيسجل « وفرغت الدراهم من عند الناس ، واحتاج كل إلى القرض ، فلم يجد الدائن مَنْ يُدينه ، لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته ، فلزمهم بيع المتاع ، فلم يوجد المشترى ، فضاق خناق الناس ، وترجوا فى قبول المصاغات والفضيات التى قُوِّمت بأبخس الأثمان »[2] .

وقد كان الجبرتى مؤرخا منصفا . فلم يعمل فكره وقلمه ضد الفرنسيين كمحتلين لأرض الوطن ، وإنما سجل لهم فضلهم الحضارى فى الأمور العلمية ، وفتح أبواب المجمع العلمى أمام طلاب العلم ، وتشجيعهم على الاطلاع والبحث ، وكذلك ضبطهم للأحكام ، وكاد أن يحجم عن تسجيل التحقيق فى قضية مقتل كليبر كما حدث ، ولكنه تراجع عن إحجامه وسجل التحقيق كاملا ، معللا ذلك بقوله : « لما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكِّمُون العقل ، ولايتدينون بدين »[3] .

ويسجل الجبرتى فرحة سكان القاهرة بخروج الفرنسيين من القاهرة ، ودخول الوزير يوسف باشا فى ٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٦ يوليه ١٨٠١ م ، بقوله :
« فكان ذلك اليوم يوما مشهودا ، وموسما وبهجة وعيدا ، عمَّت المسلمين فيه المسرات ، ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات ، ودقت البشائر ، وقرت النواظر ، وأمروا بوقود المنارات سبع ليال متواليات فلله الحمد والمنة على هذه النعمة ، ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب ، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب ، ويلهمهم سلوك السبيل القويم ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين »[4] .

. وتسجيل الجبرتى لأحداث هذه الفترة تسجيل علمى دقيق كشاهد على الأحداث، وقد حفظ لنا الجبرتى خلال تسجيله لأحداث الفترة كل الوثائق التى صدرت من قادة الحملة وعن الديوان والعلماء ، وهى وثائق فى غاية الأهمية للتأريخ للحملة الفرنسية أثناء فترة وجودها بمصر ، وهذا فضل يذكر للجبرتى .

---

(١) نفسه ، ص ١٣٤ . (٢) نفسه ، ص ١٧٩ . (٣) نفسه ، ص ١٩١
(٤) نفسه ، ص ٣٠٢ .

ثانيًا : رصد الجبرتى تفصيلات أحداث الفترة الثانية ، « فترة الاضطراب السياسى » فى تاريخ مصر ، عقب خروج الحملة الفرنسية مباشرة ، وكيف أن الصراع كان يدور حول من يستولى على السلطة فى مصر ، ويكون له الأمر فيها ، فاشتعل الصراع بين ممثلى الدولة العثمانية فى مصر ، وبين الأمراء المماليك الذين كانوا يرون أنهم أحق بسلطة مصر من الدولة العثمانية ، وبهذا الزعم سيطروا على صعيد مصر ، وأحدثوا الاضطراب فى بقية أجزائها ، ونتيجة لهذا الاضطراب ، تسلط العسكر بعضهم على بعض ، فالأرنؤد تسلطوا على الإنكشارية ، وتسلط الإنكشارية على الأرنؤد ، فزادوا الأمر اضطرابا ، ويسجل أنه فى أواخر عام ١٢١٧ هـ / أواخر ١٨٠٢ م « تسلط العسكر على خطف الناس وسلبهم وقتلهم ، وخصوصا فى أواخر هذه السنة، حتى امتنعت الناس من المرور فى جهات سكنهم »، ثم يذكر : « فإنَّ فعلهم هذه الفعائل من عوائدهم الخبيثة ، إذا تأخرت نفقاتهم ، فعلوا ذلك مع العامة على حد قول القائل : خلِّص ثأرك من جارك »[1] ، وهكذا كانت نتائج الاضطراب تقع على عاتق الشعب المصرى .

ويذكر الجبرتى أن سوء الأحوال ، وجهل الحكام فى فترة الاضطراب هذه ، أديا إلى ازدياد الفوضى فى البلاد ، « وانقطاع الطرق برا وبحرا ، وتسلط العربان ، واستغنامهم تفاشل الحكام ، وانفكاك الأحكام ، وكذلك تسلط الفلاحين المقاومين من سعد وحرام على بعضهم البعض بحسب المقدرة ، والقوة والضعف ، وجهل القائمين المتأمِّرين بطرائق سياسة الإقليم ، ولايعرفون من الأحكام إلاَّ أخذهم الدراهم بأى وجه كان ، وتمادى قبائح العسكر بما لاتحيط به الأوراق والدفاتر »[2] ، تصوير دقيق واضح المعالم للحال التى أصبح يعيشها المجتمع المصرى ، وكان لابد من قوة تضع حداً لهذه الفوضى وذاك الاضطراب ، وقد برزت هذه القوة من بين أحضان الشعب المصرى الذى عانى أشد المعاناة من هذه الحال .

أراد الشعب المصرى أن يضع حدا لحالة الفوضى التى يعانى منها عن طريق اختياره للحاكم الذى يلى ولاية مصر ، ويضبط أمورها ، وكانوا يرون أن الحاكم الذى يرنون إليه يتمثل لديهم فى محمد على باشا الذى صدر الأمر السلطانى بتوليه ولاية جدة ، ويصور ذلك بقوله : « فلما أصبحوا يوم الإثنين (١٣ صفر ١٢٢٠ هـ / ١٣ مايو ١٨٠٥ م) ، اجتمعوا ببيت القاضى ، وكذلك اجتمع الكثير من العامة ،

---

(١) نفسه ، ص ٣٧٧ .   (٢) نفسه ، ص ٤٦٩ .

فمنعوهم من الدخول إلى بيت القاضى ، وقفلوا بَابَيْه ، وحضر إليهم أيضًا سعيد آغا الجماعة ، وركب الجميع ، وذهبوا إلى محمد على ، وقالوا له : « إنَّا لانريد هذا الباشا حاكما علينا ، ولابدَّ من عزله من الولاية » ، فقال : « ومن تريدونه يكون واليا ؟ » قالوا له : « لانرضى إلاَّ بك ، وتكون واليا علينا بشروطنا لما نتوسَّمه فيك من العدالة والخير » ، فامتنع أولا ، ثم رضى ، وأحضروا له كركا ، وعليه قفطان ، وقام إليه السيد عمر والشيخ الشرقاوى ، فألبساه له ، وذلك وقت العصر ، ونادوا بذلك فى تلك الليلة فى المدينة »[1] ، وهكذا وضع الشعب المصرى حداً لحالة الفوضى والاضطراب بعزله أحمد خورشيد باشا ، وتولية محمد على باشا ، وكتبوا للدولة العثمانية باختيارهم فأقرته ، وبتولية محمد على باشا أمور مصر ، تبدأ فترة جديدة من تاريخ مصر ، سنرى تفصيلات أحداثها فى الجزء الرابع .

(١) نفسه ، ص ٥٢١ .

سنة ثلاثة عشرة ومائتين وألف[1]

وهى أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، وتضاعف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأهوال ، واختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب ﴿ ومَا كان ربُّك مُهلكَ القُرى بِظُلْمٍ وأهلُها مُصْلِحُون ﴾ .

وفى يوم الأحد العاشر من شهر محرم الحرام من هذه السنة[2] ، وردت مكاتبات على يد السعاة من ثغر الإسكندرية ، ومضمونها : أن فى يوم الخميس ثامنه[3] . حضر إلى الثغر عشوة مراكب من مراكب الإنكليز ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر ، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركباً أيضاً ، فانتظر أهل الثغر ما يريدون، وإذا بقايق[4] صغير واصل من عندهم ، وفيه عشرة أنفار فوصلوا البر ، واجتمعوا بكبار البلد ، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار إليه بالإبرام والنقض ، السيد محمد كُرَيِّم الآتى ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فأخبروا : « أنهم إنكليز حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة يريدون جهة من الجهات ولا ندرى أين قصدهم فربما دهموكم فلا تقدرون على دفعهم، ولا تتمكنون من منعهم »، فلم يقبل السيد محمد كريِّم منهم هذا القول ، وظن أنها مكيدة وجاوبوهم بكلام خشن ، فقالت رسل الإنكليز : «نحن نقف بمراكبنا فى البحر محافظين على الثغر لا نحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا : «هذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا لغيرهم عليها سبيل ، فاذهبوا عنا» . فعندها عادت رسل الإنكليز وأقلعوا فى البحر ، ليمتاروا من غير الإسكندرية ، وليقضى الله أمراً كان مفعولاً ، ثم إنَّ أهل الثغر أرسلوا إلى كاشف البحيرة ، ليجمع العربان ويأتى معهم للمحافظة بالثغر ، فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر ، حصل بها اللغط الكثير من الناس ، وتحدثوا بذلك فيما بينهم ، وكثرت المقالات والأراجيف .

---

(١) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٢) ١٠ محرم ١٢١٣ هـ / ٢٤ يونيه ١٧٩٨ م .

(٣) ٨ محرم ١٢١٣ هـ / ٢٢ يونيه ١٧٩٨ م .

(٤) قايق : وجمعها قوايق ، وقياق ، تركى معرب ، وهو المركب الصغير ، بمعنى القارب أو الزورق Caique الذى يسير بالمجاديف ، ويستخدمه الفلاحون فى النيل ، ويطلق على القارب الصغير .
النخيلى ، درويش : السفن الإسلامية على حروف المعجم ، طبع جامعة الإسكندرية ١٩٧٤ م ، ص١١٨-١١٩ .

ثم ورد فى ثالث يوم[1] ، بعد ورود المكاتيب الأول ، مكاتبات مضمونها : «أن المراكب التى وردت الثغر عادت راجعة فاطمأن الناس ، وسكن القيل والقال ، وأما الأمراء فلم يهتموا بشئ من ذلك ، ولم يكترثوا به اعتماداً على قوتهم وزعمهم أنه إذا جاءت جميع الإفرنج لا يقفون فى مقابلتهم ، وأنهم يدوسونهم بخيولهم .

فلما كان يوم الأربعاء العشرون من الشهر المذكور[2] ، وردت مكاتبات من الثغر، ومن رشيد ، ودمنهور ، بأن فى يوم الإثنين ثامن عشره[3] ، وردت مراكب وعمارات للفرنسيس كثيرة ، فأرسوا فى البحر ، وأرسلوا جماعة يطلبون القنصل وبعض أهل البلد ، فلما نزلوا إليهم عوقوهم عندهم ، فلما دخل الليل تحولت منهم مراكب إلى جهة العجمى[4] ، وطلعوا إلى البر ومعهم آلات الحرب والعساكر ، فلم يشعر أهل الثغر وقت الصباح إلا وهم كالجراد المنتشر حول البلد فعندها خرج أهل الثغر ، وما انضم إليهم من العربان المجتمعة ، وكاشف البحيرة ، فلم يستطيعوا مدافعتهم ولا أمكنهم ممانعتهم ، ولم يثبتوا لحربهم ، وانهزم الكاشف ومن معه من العربان ، ورجع أهل الثغر إلى التترس فى البيوت والحيطان ، ودخلت الافرنج البلد . وانبث فيها الكثير من ذلك العدد ، كل ذلك وأهل البلد لهم بالرمى يدافعون ، وعن أنفسهم وأهليهم يقاتلون ويمانعون ، فلما أعياهم الحال ، وعلموا أنهم مأخوذون بكل حال ، وليس ثَم عندهم للقتال استعداد لخلو الأبراج من آلات الحرب والبارود ، وكثرة العدو وغلبته ، طلب أهل الثغر الأمان فأمنوهم ورفعوا عنهم القتال ، ومن حصونهم أنزلوهم ، ونادى الفرنسيس بالأمان فى البلد ، ورفع بنديراته[5] عليها ، وطلب أعيان الثغر ، فحضروا بين يديه ، فألزمهم بجمع السلاح وإحضاره إليه ، وأن يضعوا الجوكار فى[6] صدورهم فوق ملبوسهم ، والجوكار ثلاث قطع من جوخ أو حرير أو غير ذلك مستديرة فى قدر الريال ، سوداء وحمراء وبيضاء ، توضع بعضها فوق بعض ، بحيث تكون كل دائرة أقل من التى تحتها حتى تظهر الألوان الثلاثة ، كالدوائر المحيط بعضها ببعض .

---

(١) ١٢ محرم ١٢١٣ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٠ محرم ١٢١٣ هـ / ٤ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) ١٨ محرم ١٢١٣ هـ / ٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) العجمى : منطقة تقع فى أقصى شاطئ الميناء الغربى بالإسكندرية ، حيث يوجد اللسان المعروف بجهة العجمى ، وكان يوجد تجاه هذا اللسان جزيرة معروفة «بجزيرة العجمى» ، كان بها برج اسمه «برج العجمى» ، وبها مسجد ، يعرف بـ «مسجد العجمى» ، والآن مصيف مزدحم ، وقسم شرطة وحَى تابع لمحافظة الإسكندرية . الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية ، جـ ١ ص .

(٥) بنديراته : أى أعلامه .

(٦) الجوكار : هى شارة الشوزة الفرنسية المثلثة الألوان ، والجبرتى وصفها فى النص بوضوح . انظر : الوصف بالنص .

ولما وردت هذه الأخبار مصر ، حصل للناس انزعاج ، وعول أكثرهم على الفرار والهياج .

وأما ما كان من حال الأمراء بمصر ، فإن إبراهيم بيك ركب إلى قصر العينى وحضر عنده مراد بيك من الجيزة، لأنه كان مقيماً بها ، واجتمع باقى الأمراء والعلماء والقاضى ، وتكلموا فى شأن هذا الأمر الحادث ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مكاتبة بخبر هذا الحادث إلى إسلامبول ، وأن مراد بيك يجهز العساكر ويخرج لملاقاتهم وحربهم ، وانفض المجلس على ذلك ، وكتبوا المكاتبة وأرسلها بكر باشا مع رسوله على طريق البر ليأتيه بالترياق من العراق ، وأخذوا فى الاستعداد للثغر ، وقضاء اللوازم والمهمات فى مدة خمسة أيام ، فصاروا يصادرون الناس ويأخذون أغلب ما يحتاجون إليه بدون ثمن ، ثم ارتحل مراد بيك بعد صلاة الجمعة ، وبرز خيامه ووطاقه إلى الجسر الأسود[1] ، مكث به يومين حتى تكامل العسكر وصناجقه ، وعلى باشا الطرابلسى وناصف باشا ، فإنهم كانوا من أخصائه ومقيمين معه بالجيزة ، وأخذ معه عدّة كثيرة من المدافع والبارود وسار من البر مع العساكر الخيالة ، وأما الرجالة وهم الألدشات القلينجيبة[2] والأروام والمغاربة ، فإنهم ساروا فى البحر مع الغلايين[3] الصغار التى أنشأها الأمير المذكور ، ولما ارتحل من الجسر الأسود ، أرسل إلى مصر يأمر بعمل سلسلة من الحديد فى غاية الثخن والمتانة طولها مائة ذراع وثلاثون ذراعاً ، لتنصب على البغاز عند برج مغيزل من البر إلى البر ، لتمنع مراكب الفرنسيس من العبور لبحر النيل ، وذلك بإشارة على باشا ، وأن يعمل عندها جسر من المراكب ، وينصب عليها متاريس ومدافع ، ظناً منهم أن الإفرنج لا يقدرون على محاربتهم فى البر ، وأنهم يعبرون فى المراكب ويقاتلونهم وهم فى المراكب ، وأنهم يصابرونهم ويطاولونهم فى القتال حتى تأتيهم النجدة ، وكان الأمر بخلاف ذلك ، فإن الفرنسيس عندما ملكوا الإسكندرية ساروا على طريق البر الغربى من غير ممانع ،

---

(١) الجسر الأسود : جسر ممتد من الهضبة الغربية بالجيزة إلى النيل ، ويعتبر مَرَدُّ المياه بالجيزة ، وكانت به قنطرتان، معدتان لصرف المياه إلى النيل ، إحداهما قنطرة الرهاوى ، والأخرى تعرف بقنطرة أم دينار ، أنشأها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وكان الرجال الذين يقومون بصيانة الجسر يعرفون بـ (رجال العونة) ، يطلبون من الأشمونين .

رمزى ، محمد : القاموس الجغرافى للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥ م ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٧ .

(٢) القلينجية : نسبة إلى القليونى ، أى البحارة الذين يعملون على الغلايين ، و «الألداشات» التى تسبقها تعنى «أتباعهم» أى أتباع القليونجية .

(٣) الغلايين : مفردها غليون ، وأصلها أسبانى Galeon ، وبالفرنسية Galion ، والإنجليزية Galleon ، وبالإيطالية Galeone ، وقد برز هذا النوع كمركب حربى كبير فى أواخر القرن الخامس عشر إلى أوائل القرن السابع عشر ، واستمر معروفاً بعد ذلك ، وأصبح يشكل إحدى قطع الأساطيل العثمانية والأوربية فى البحر الأبيض المتوسط . النخيلى ، درويش : المرجع السابق : ص ١١٢-١١٤ .

وفى أثناء خروج مراد بيك والحركة بدت الوحشة فى الأسواق ، وكثر الهرج بين الناس والإرجاف ، وانقطعت الطرق وأخذت الحرامية فى كل ليلة تطرق أطراف البلد ، وانقطع مشى الناس من المرور فى الطرق والأسواق من المغرب ، فنادى الأغا والوالى بفتح الأسواق والقهاوى ليلاً ، وتعليق القناديل على البيوت والدكاكين وذلك لأمرين ، الأول : ذهاب الوحشة من القلوب وحصول الاستئناس ، والثانى : الخوف من الدخيل فى البلد .

وفى يوم الإثنين[1] ، وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى دمنهور ورشيد وخرج معظم أهل تلك البلاد على وجوههم فذهبوا إلى فوة ونواحيها[2] ، والبعض طلب الأمان وأقام ببلده ، وهم العقلاء ، وقد كانت الفرنسيس حين حلولهم بالإسكندرية كتبوا مرسوماً وطبعوه وأرسلوا منه نسخاً إلى البلاد التى يقدمون عليها تطميناً لهم ، ووصل هذا المكتوب مع جملة من الأسارى[3] الذين وجدوهم بمالطة وحضروا صحبتهم ، وحضر منهم جملة إلى بولاق ، وذلك قبل وصول الفرنسيس بيوم أو بيومين ومعهم منه عدة نسخ ، ومنهم مغاربة ، وفيهم جواسيس ، وهم على شكلهم من كفار مالطة ، ويعرفون باللغات.

وصورة ذلك المكتوب[4]

« بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له فى ملكه ، من طرف الفرنساوية المبنى على أساس الحرية والتسوية ، السر عسكر الكبير[5] أمير الجيوش الفرنساوية بونابارته ، يعرف أهالى مصر جميعهم ، أن من زمان مديد الصناجق الذين يتسلطون فى البلاد المصرية ، يتعاملون بالذل والاحتقار فى حق الملة الفرنساوية ، ويظلمون تجارها بأنواع الإيذاء والتعدى ، فحضر الآن ساعة عقوبتهم وأخرنا من مدة عصور طويلة هذه الزمرة المماليك المجلوبين من بلاد الأبازة ، والجراكسة[6] يفسدون فى الإقليم الحسن الأحسن الذى لا يوجد فى كرة الأرض كلها، فأما رب العالمين القادر على كل شئ فإنه قد حكم على انقضاء دولتهم ، يا أيها

---

(١) ٢٥ محرم ١٢١٣ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) فوة ونواحيها : انظر ، الجزء الأول ، ص ٥٣٢ ، حاشية رقم (١) .

(٣) الأسارى : الأسرى ، مفردها أسير .

(٤) كتب على هامش ص ٤ ، من طبعة بولاق : «صورة المكتوب الصادر من الفرنساوية إلى البلاد التى يقدمون عليها» .

(٥) السرعسكر الكبير : القائد العام للعساكر الفرنسية .

(٦) بلاد الأبازة والجراكسة : الأبازة هم المماليك المجلوبون من بلاد القوقاز ، وهى المنطقة الممتدة من البحر الأسود إلى بحر قزوين ، والجراكسة هم المماليك المجلوبون من بلاد جركس ، على الشاطئ الشرقى للبحر الأسود ، وتقع غربى القوقاز .

انظر : البستانى ، بطرس : دائرة المعارف .

المصريون قد قيل لكم ، إننى ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم ، فذلك كذب صريح ، فلا تصدقوه وقولوا للمفترين إننى ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين ، وأننى أكثر من المماليك أعبد الله سبحانه وتعالى ، وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وقولوا أيضاً لهم ، « إن جميع الناس متساوون عند الله ، وأنَّ الشئ الذى يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط ، وبين المماليك والعقل والفضائل تضارب، ماذا يميزهم عن غيرهم حتى يستوجبوا أن يتملكوا مصر وحدهم، ويختصوا بكل شئ أحسن فيها من الجوارى الحسان والخيل العتاق ، والمساكن المفرحة، فإن كانت الأرض المصرية التزاماً للمماليك فليرونا الحجة التى كتبها الله لهم، ولكن رب العالمين رءوف وعادل وحليم » ، ولكن بعونه تعالى من الآن فصاعداً لا ييأس أحد من أهالى مصر عن الدخول فى المناصب السامية ، وعن اكتساب المراتب العالية ، فالعلماء والفضلاء والعقلاء بينهم سيدبرون الأمور ، وبذلك يصلح حال الأمة كلها ، وسابقاً كان فى الأراضى المصرية المدن العظيمة والخلجان الواسعة والمتجر المتكاثر ، وما أزال ذلك كله إلا الظلم والطمع من المماليك ، أيها المشايخ والقضاة والأئمة ، والجربجية[1] وأعيان البلد ، قولوا لأمتكم : «إنَّ الفرنساوية هم أيضاً مسلمون مخلصون ، وإثبات ذلك أنهم قد نزلوا فى رومية الكبرى وخربوا فيها كرسى البابا الذى كان دائماً يحث النصارى على محاربة الإسلام ، ثم قصدوا جزيرة مالطة وطردوا منها الكواللرية[2] ، الذين كانوا يزعمون أن الله تعالى يطلب منهم مقاتلة المسلمين ، ومع ذلك الفرنساوية فى كل وقت من الأوقات صاروا محبين مخلصين لحضرة السلطان العثمانى ، وأعداء أعدائه أدام الله ملكه ، ومع ذلك إنَّ المماليك امتنعوا من إطاعة السلطان غير ممتثلين لأمره ، فما أطاعوا أصلاً إلا لطمع أنفسهم ، طوبى ثم طوبى لأهالى مصر الذين يتفقون معنا بلا تأخير فيصلح حالهم وتعلى مراتبهم ، طوبى أيضاً للذين يقعدون فى مساكنهم غير مائلين لأحد من الفريقين المتحاربين ، فإذا عرفوا بالأكثر تسارعوا إلينا بكل قلب ، لكن الويل ثم الويل للذين يعتمدون على المماليك فى محاربتنا ، فلا يجدون بعد ذلك طريقاً إلى الخلاص ، ولا يبقى منهم أثر .

(١) الجربجية : مفردها «جوربجى» فارسية ، وتعنى ضابط إنكشارية ، وهم رؤساء المشاة ، وكان الجربجى ، يركب حصاناً ، ويلبس جبة حمراء من الجوخ ، وخفًا أصفر ، والجربجى ، يشرف على أمور الكتيبة ، وله حق تأديب الجند فى الجرائم الصغيرة .
سليمان ، أحمد السعيد : تأصيل ما ورد فى الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ١٩٧٩ م ، ص ٦٦-٦٧ .

(٢) الكواللرية : Chévaliers ، تعنى الفرسان ، وهم طائفة دينية ، تعرف باسم فرسان القديس يوحنا الأورشليمى ، كانوا يقطنون أولاً جزيرة رودس ، ثم انتقلوا إلى جزيرة مالطة ، وقد أصبح حكمها بيدهم ، حتى استولى عليها بونابرتة وقضى على حكمهم .

المادة الأولى : جميع القرى الواقعة فى دائرة قريبة بثلاث ساعات عن المواضع التى يمر بها عسكر الفرنساوية ، فواجب عليها أن ترسل للسر عسكر من عندها وكلاء ، كيما يعرف المشار إليه أنهم أطاعوا وأنهم نصبوا علم الفرنساوية الذى هو أبيض وكحلى وأحمر .

المادة الثانية : كل قرية تقوم على العسكر الفرنساوى تحرق بالنار .

المادة الثالثة : كل قرية تطيع العسكر الفرنساوى أيضاً تنصب صنجاق السلطان العثمانى محبنا دام بقاؤه .

المادة الرابعة : المشايخ فى كل بلد يختمون حالاً جميع الأرزاق والبيوت والأملاك التى تتبع المماليك ، وعليهم الاجتهاد التام لئلا يضيع أدنى شئ منها .

المادة الخامسة : الواجب على المشايخ ، والعلماء والقضاة والأئمة أنهم يلازمون وظائفهم ، وعلى كل أحد من أهالى البلدان أن يبقى فى مسكنه مطمئناً ، وكذلك تكون الصلاة قائمة فى الجوامع على العادة ، والمصريون بأجمعهم ينبغى أن يشكروا الله سبحانه وتعالى لانقضاء دولة المماليك قائلين بصوت عال : «أدام الله إجلال السلطان العثمانى ، أدام الله إجلال العسكر الفرنساوى . لعن الله المماليك ، وأصلح حال الأمة المصرية» ، تحريراً بمعسكر إسكندرية ١٢ شهر سيدور سنة ست[1] من إقامة الجمهور الفرنساوى ، يعنى فى آخر شهر محرم سنة ١٢١٣ هجرية أهـ بحروفه[2] .

وفى يوم الخميس الثانى والعشرين[2] ، من الشهر ، وردت الأخبار بأن الفرنسيس وصلوا إلى نواحى فوة ثم إلى الرحمانية[3] .

واستهل شهر صفر سنة ١٢١٣[4]

وفى يوم الأحد غرة شهر صفر[5] ، وردت الأخبار بأن فى يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر محرم[6] ، التقى العسكر المصرى مع الفرنسيس ، فلم تكن إلا

---

(١) ١٢ شهر سيدور = آخر محرم ١٢١٣ هـ / ١٤ يوليه ١٧٩٨ م.

(٢) ٢٢ محرم ١٢١٣ هـ / ٦ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) الرحمانية : قرية قديمة ، اسمها الأصلى «محلة عبد الرحمن» ، وعرفت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣م ، باسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز شبراخيت - محافظة البحيرة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ١ ، ص ٥-٣٠ .

(٤) صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه - ١٢ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٥) ١ صفر ١٢١٣ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٨ م .

(٦) ٢٩ محرم ١٢١٣ هـ / ١٣ يونيه ١٧٩٨ م .

ساعة وانهزم مراد بيك ومن معه ، ولم يقع قتال صحيح ، وإنما هى مناوشة من طلائع العسكرين ، بحيث لم يقتل إلا القليل من الفريقين ، واحترقت مراكب مراد بيك بما فيها من الجبخانة والآلات الحربية ، واحترق بها رئيس الطبجية خليل الكردلى ، وكان قد قاتل فى البحر قتالاً عجيباً ، فقدر الله أنْ علقت نار بالقلع وسقط منها نار إلى البارود فاشتعلت جميعها بالنار ، واحترقت المركب بما فيها من المحاربين وكبيرهم وتطايروا فى الهواء ، فلما عاين ذلك مراد بيك داخله الرعب وولى منهزماً وترك الأثقال والمدافع وتبعته عساكره ، ونزلت المشاة فى المراكب ، ورجعوا طالبين مصر ، ووصلت الأخبار بذلك إلى مصر ، فاشتد انزعاج الناس وركب إبراهيم بيك إلى ساحل بولاق ، وحضر الباشا والعلماء ورؤوس الناس ، وأعملوا رأيهم فى هذا الحادث العظيم ، فاتفق رأيهم على عمل متاريس من بولاق إلى شبرا ، ويتولى الإقامة ببولاق إبراهيم بيك وكشافه ومماليكه ، وقد كانت العلماء عند توجه مراد بيك تجتمع بالأزهر كل يوم ويقرءون البخارى وغيره من الدعوات ، وكذلك مشايخ فقراء[1] الأحمدية[2] والرفاعية[3] والبراهمة[4] والقادرية[5] والسعدية[6] وغيرهم من الطوائف وأرباب الأشاير[7] ، ويعملون لهم مجالس بالأزهر ، وكذلك أطفال المكاتب ، ويذكرون الاسم اللطيف وغيره من الأسماء .

وفى يوم الإثنين[8] حضر مراد بيك إلى بر إنبابة ، وشرع فى عمل متاريس هناك ممتدة إلى بشتيل ، وتولى ذلك هو وصناجقه وأمراؤه وجماعة من خشداشينه ، واحتفل فى ترتيب ذلك وتنظيمه بنفسه هو وعلى باشا الطرابلسى ونصوح باشا ، وأحضروا المراكب الكبار والغلايين التى أنشأها بالجيزة ، وأوقفها على ساحل إنبابة وشحنها بالعساكر والمدافع ، فصار البر الغربى والشرقى مملوءين بالمدافع والعساكر والمتاريس والخيالة والمشاة، ومع ذلك فقلوب الأمراء لم تطمئن بذلك، فإنهم من حين وصول الخبر لهم من الإسكندرية، شرعوا فى نقل أمتعتهم من البيوت الكبار المشهورة المعروفة ، إلى البيوت الصغار التى لا يعرفها أحد ، واستمروا طول الليالى ينقلون

(١) فقراء : مصطلح صوفى ، عادة كان يطلق على الصوفية ، والمقصود به هنا هذا المعنى .
(٢) الأحمدية : طريقة صوفية نسبة إلى السيد أحمد البدوى .
(٣) الرفاعية : طريقة صوفية نسبة إلى السيد أحمد الرفاعى .
(٤) البراهمة : طريقة صوفية كانت قائمة فى مصر فى العصر العثمانى .
(٥) القادرية : نسبة إلى عبد القادر الجيلانى .
(٦) السعدية : طريقة صوفية كانت قائمة آنذاك .
(٧) أرباب الأشاير : مصطلح كان يطلق على رجال الطرق الصوفية .
(٨) ٢ صفر ١٢١٣ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٨ م .

الأمتعة ويوزعونها عند معارفهم وثقاتهم ، وأرسلوا البعض منها لبلاد الأرياف ، وأخذوا أيضاً فى تشهيل الأحمال واستحضار دواب للشيل وأدوات الارتحال ، فلما رأى أهل البلدة منهم ذلك داخلهم الخوف الكثير ، والفزع ، واستعد الأغنياء وأولو المقدرة للهروب ، ولولا أنّ الأمراء منعوهم من ذلك وزجروهم وهددوا من أراد النقلة لما بقى بمصر منهم أحد .

وفى يوم الثلاثاء[1] ، نادوا بالنفير العام ، وخروج الناس للمتاريس ، وكرروا المناداة بذلك كل يوم ، فأغلق الناس الدكاكين والأسواق ، وخرج الجميع لبر بولاق ، فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصّناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياماً أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ، ويرتبون لهم فيما يصرف عليهم ما يحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم ، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ، ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك ، بحيث أنّ جميع الناس بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم ، وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم ، فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشئ يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر ، وخرجت الفقراء وأرباب الأشاير بالطبول والزمور والأعلام والكاسات ، وهم يضجون ويصيحون ويذكّرون بأذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر أفندى نقيب الأشراف إلى القلعة ، فأنزل منها بيرقاً كبيراً سمته العامة البيرق النبوى ، فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله ألوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك ، وأما مصر فإنها باقية خالية الطرق لا تجد بها أحداً سوى النساء فى البيوت والصغار وضعفاء الرجال الذين لا يقدرون على الحركة ، فإنهم مستترون مع النساء فى بيوتهم ، والأسواق مصفرة ، والطرق مجفرة من عدم الكنس والرش ، وغلا سعر البارود والرصاص بحيث بيع الرطل البارود بستين نصفاً ، والرصاص بتسعين ، وغلا جنس أنواع السلاح وقل وجوده ، وخرج معظم الرعايا بالنبابيت والعصى والمساوق ، وجلس مشايخ العلماء بزاوية على بيك ببولاق[2] يدعون ويبتهلون إلى الله بالنصر ، وأقام غيرهم من الرعايا البعض بالبيوت والبعض بالزوايا والبعض فى الخيام .

ومحصل الأمر أن جميع من بمصر من الرجال تحول إلى بولاق ، وأقام بها من حين نصب إبراهيم بيك العرضى هناك إلى وقت الهزيمة ، سوى القليل من الناس

---

(١) ٣ صفر ١٢١٣ هـ / ١٧ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) زاوية على بيك ببولاق ، أنشأها على بيك ببولاق القاهرة ، وعرفت باسمه .

الذين لا يجدون لهم مكاناً ولا مأوى فيرجعون إلى بيوتهم يبيتون بها ثم يصبحون إلى بولاق ، وأرسل إبراهيم بيك إلى العربان المجاورة لمصر[1] ، ورسم لهم أن يكونوا في المقدمة بنواحي شبرا وما والاها ، وكذلك اجتمع عند مراد بيك الكثير من عرب البحيرة[2] والجيزة[3] والصعيد[4] والخبيرية[5] والقيعان[6] وأولاد علي[7] والهنادي[8] وغيرهم ، وفي كل يوم يتزايد الجمع ويعظم الهول ويضيق الحال بالفقراء الذين يحصلون أقواتهم يوماً فيوماً ، لتعطل الأسباب واجتماع الناس كلهم في صعيد واحد ، وانقطعت الطرق وتعدى الناس بعضهم على بعض ، لعدم التفات الحكام واشتغالهم بمادهمهم .

وأما بلاد الأرياف فإنها قامت على ساق يقتل بعضهم بعضاً وينهب بعضهم بعضاً، وكذلك العرب غارت على الأطراف والنواحي ، وصار قطر مصر من أوله إلى آخره في قتل ونهب وإخافة طريق ، وقيام شر وإغارة على الأموال وإفساد المزارع وغير ذلك من أنواع الفساد الذي لا يحصى ، وطلب أمراء مصر التجار من الإفرنج بمصر ، فحبسوا بعضهم بالقلعة ، وبعضهم بأماكن الأمراء ، وصاروا يفتشون في محلات الإفرنج على الأسلحة وغيرها ، وكذلك يفتشون بيوت النصارى الشوام والأقباط والأروام والكنائس والأديره على الأسلحة ، والعامة لا ترضى إلا أن يقتلوا النصارى واليهود ، فيمنعهم الحكام عنهم ، ولولا ذلك المنع لقتلتهم العامة وقت الفتنة ، ثم في كل يوم تكثر الإشاعة بقرب الفرنسيس إلى مصر ، وتختلف الناس في

---

(١) العربان المجاورة للقاهرة : عربان النجمة ، الخبيرية .

(٢) عرب البحيرة . قبائل عديدة أشهرها . غزالة ، السوالم ، أولاد علي وغيرهم .

(٣) عرب الجيزة : الخبيرية والزيدية .

(٤) عرب الصعيد : يقصد بهم عربان : عبد الله بن وافي المغاربة ، والسحالو ، وترهونة والقبائل المجاورة لهم مثل أبو كريم والسحارات والمحاز ، وعشائر مطير والهوارة ، العطايات ، والهداهيد و بخواج وغيرهم .

(٥) الخبيرية . ديرتهم منطقة المعادي والمناطق المقابلة لها بالضفة الغربية ، بجوار الأهرام وضواحي الجيزة

(٦) القعيان : ونسبتها قعيي ، فرع من فروع الكواملة وهم بطن ضمن العبابدة في بر الجيزة الشرقي ، تسكن عشائرهم من حلوان حتى اطفيح .

الطيب ، محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية بحوث ميدانية ، وتاريخية ، ط ١ جـ ١ ، دار الفكر العربي ١٩٩٣م ، ص ٧٣-٧٣١ .

(٧) أولاد علي : قبيلة كبيرة ، ديرتها في الساحل الشمالي الغربي بمحافظات البحيرة ، ومطروح والإسكندرية ولا تزال هذه القبيلة لها شهرتها حتى الآن .

الطيب ، محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، جـ ١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٩٣ م ص٦١٣ .

(٨) عرب الهنادي : ينتسبون إلى جدهم الأعلى هند بن سلام بن الذئب من أبي الليل ، ونزل بطن الهنادي ضمن السلالة أقدم فروع السعادي من برقة بليبيا إلى البحيرة بمصر ، وتنقسم هذه القبيلة إلى فصائل أشهرها السلاطنة من المناصرة ، والشافعية من العيلوات ، والطحاوية من الشافعية .

الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٠٥ - ٤١٥ .

الجهة التي يقصدون المجئ منها ، فمنهم من يقول «إنّهم واصلون من البر الغربي» ، ومنهم من يقول : «بل يأتون من الشرق» ، ومنهم من يقول : «بل يأتون من الجهتين» ، هذا وليس لأحد من أمراء العساكر همة أن يبعث جاسوساً أو طليعة تناوشهم القتال قبل دخولهم وقربهم ووصولهم إلى فناء المصر ، بل كل من إبراهيم بيك ومراد بيك جمع عسكره ومكث مكانه لا ينتقل عنه ينتظر ما يفعل بهم ، وليس ثم قلعة ولا حصن ولا معقل ، وهذا من سوء التدبير وإهمال أمر العدوّ .

ولما كان يوم الجمعة سادس من الشهر[1] ، وصل الفرنسيس إلى الجسر الأسود ، وأصبح يوم السبت[2] ، فوصلوا إلى أم دينار[3] ، فعندها اجتمع العالم العظيم من الجند والرعايا والفلاحين المجاورة بلادهم لمصر ، ولكن الأجناد متنافرة قلوبهم منحلة عزائمهم ، مختلفة آراؤهم ، حريصون على حياتهم ، وتنعمهم ورفاهيتهم ، مختالون في ريشهم ، مغترون بجمعهم ، محتقرون شأن عدوّهم مرتبكون في رؤيتهم ، مغمورون في غفلتهم ، وهذا كله من أسباب ما وقع من خذلانهم وهزيمتهم ، وقد كان الظن بالفرنسيس أنْ يأتوا من البرين ، بل أشيع في عرضي إبراهيم بيك أنّهم قادمون من الجهتين ، فلم يأتوا إلا من البر الغربي .

ولما كان وقت القائلة ، ركب جماعة من العساكر التي بالبر الغربي وتقدموا إلى ناحية بشتيل[4] بلد مجاورة لإنبابة ، تلاقوا مع مقدمة الفرنسيس ، فكروا عليهم بالخيول فضربهم الفرنسيس ببنادقهم المتابعة الرمي ، وأبلى الفريقان ، وقتل أيوب بيك الدفتردار ، وعبد الله كاشف الجرف ، وعدة كثيرة من كشاف محمد بيك الألفي ومماليكهم ، وتبعهم طابور من الإفرنج في نحو الستة آلاف ، وكبيره ديزه[5] الذي ولي على الصعيد بعد تملكهم .

وأما بونابارته الكبير ، فإنه لم يشاهد الواقعة ، بل حضر بعد الهزيمة ، وكان بعيداً عن هؤلاء بكثير ، ولما قرب طابور الفرنسيس من متاريس مراد بيك ، ترامى الفريقان بالمدافع وكذلك العساكر المحاربون البحرية ، وحضر عدة وافرة من عساكر

---

(١) ٦ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) ٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليه ١٧٩٨ م .

(٣) أم دينار : قرية قديمة من قرى مركز إمبابة . محافظة الجيزة ، وبها القناطر التي عمّرها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون .

رمزي ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ٣ ، ص ٥٧ .

(٤) بشتيل : قرية قديمة من قرى مركز إمبابة ، محافظة الجيزة ، واسمها القبطي Bischteh بشتة ، وحصل التعديل في الاسم العربي لتحسين شكله ليحسن النطق به .

رمزي ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٣ ، ص ٥٩ .

(٥) ديزيه : Desaix هو قائد الجيش الفرنسي الذي تولى أمر إخضاع الصعيد للفرنسيين ، وأصبح مسئولاً عنه .

الأرنود من دمـياط[1] ، وطلعـوا إلى إنبابـة وانضموا إلـى المشاة وقاتـلوا معهـم فى المتاريس، فلما عاين وسمع عسكر البر الشرقى القتال ضج العامة والغوغاء من الرعية وأخلاط الناس بالصياح ورفع الأصوات بقولهم : «يارب ويا لطيف ويا رجال الله» ، ونحو ذلك وكأنهم يقـاتلون ويحاربون بصياحهم وجلبتهم ، فـكان العقلاء من الناس يصرخـون عليهم ويـأمرونهم بتـرك ذلك ، ويقولون لـهم : «إن الرسول والصـحابة والمجاهدين ، إنما كانوا يقاتلون بالسيف والحراب وضرب الرقاب ، لا برفع الأصوات والصراخ والنباح ، .فلا يستمعون ولا يرجعون عما هم فيه» ، ومن يقرأ ومن يسمع ، وركب طائفة كبيـرة من الأمراء والأجناد من العرضى الشرقى ، ومنـهم إبراهيم بيك الوالى ، وشرعوا فـى التعدية إلى البر الغـربى فى المراكب ، فتزاحمـوا على المعادى لتكون التعدية من محل واحد والمراكب قلـيلة جداً ، فلم يصلوا إلى البر الآخر حتى وقعت الهزيمة به على المحاربين ، هذا والريح الـنبكاء اشتد هبوبها ، وأمواج البحر[1] فى قوة اضطرابـها ، والرمال يعلوا غبارهـا وتنسفها الريح فى وجـوه المصريين ، فلا يقدر أحد أنْ يفتح عينيه من شدة الغـبار ، وكون الريح من ناحية العدو ، وذلك من أعظم أسباب الهزيمة كما هو منصوص عليه .

ثم إنَّ الطابور الذى تـقدم لقتال مراد بيك انقســم على كيفية معلومـة عندهم فى الحرب وتقارب مـن المتاريس ، بحيـث صار محيطاً بالـعسكر من خلـفه وأمامه ودق طبولـه، وأرسل بنادقـه المتتالـية والمدافع ، واشتـد هبوب الريـح ، وانعقد الـغبار ، واظلمت الدنيا من دخان البارود وغبار الرياح ، وصُمت الأسماع من توالى الضرب، بحيث خُيل للناس أنَّ الأرض تزلزلت والسماء عليها سقطت ، واستمر الحرب والقتال نحو ثلاثة أرباع ساعة ، ثـم كانت هذه الهزيمة على العسكر الغربى فغرق الكثير من الخيالة فـى البحر لإحاطة الـعدو بهم ، وظلام الدنـيا والبعض وقع أسيراً فى أيدى الفرنسيس، وملكوا المتاريس ، وفر مراد بيك ومن معه إلى الجيزة ، فصعد إلى قصره وقضى بعض أشغالـه فى نحو ربع ساعة ، ثم ركب وذهب إلى الجهة القـبلية وبقيت القتـلى والثياب والأمتعة والأسلحة والـفرش ، ملقاة عـلى الأرض ببر إنبـابة تحت الأرجل ، وكان مـن جملة مَنْ ألقـى نفسه فى الـبحر سليـمان بيك المعـروف بالأغا وأخوه إبراهيم بـيك الوالى ، فأما سليمان بـيك فنجا وغرق إبراهيم بيـك الصغير ، وهو صهر إبراهيم بيك الكبير .

(١) دمياط : ثغر من ثغور مصر ، تقع على الشاطئ الشرقى لفرع النيل الشرقى ، المعروف بفرع دمياط ، واسمها المصرى القديم (Tameht) ، واسمها الرومـى تمياتيس (Tamiathis) والقبطى (Temiat) ، ومنه اسـمها العربى «دمياط» ، وهى الآن قاعدة لمحافظة دمياط .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ١ ، ص ٨ .

ولما انهزم العسكر الغربي حوّل الفرنسيس المدافع والبنادق على البر الشرقي وضربوها ، وتحقق أهل البر الآخر الهزيمة ، فقامت فيهم ضجة عظيمة ، وركب في الحال إبراهيم بيك والباشا والأمراء والعسكر والرعايا ، وتركوا جميع الأثقال والخيام كما هي ، لم يأخذوا منها شيئاً .

فأما إبراهيم بيك والباشا والأمراء فاروا إلى جهة العادلية[1] ، وأما الرعايا فهاجوا وماجوا ذاهبين إلى جهة المدينة ودخلوها أفواجاً وهم جميعاً في غاية الخوف والفزع وترقب الهلاك ، وهم يضجون بالعويل والنحيب ، ويبتهلون إلى الله من شر هذا اليوم العصيب ، والنساء يصرخن بأعلى أصواتهن من البيوت ، وقد كان ذلك قبل الغروب .

فلما استقر إبراهيم بيك بالعادلية ، أرسل يأخذ حريمه ، وكذلك من كان معه من الأمراء ؛ فأركبوا النساء ، بعضهن على الخيول ، وبعضهن على البغال ، والبعض على الحمير والجمال ، والبعض ماش كالجواري والخدم ، واستمر معظم الناس طول الليل خارجين من مصر : البعض بحريمه ، والبعض ينجو بنفسه ولا يسأل أحد عن أحد بل كل واحد مشغول بنفسه عن أبيه وابنه ، فخرج تلك الليلة معظم أهل مصر : البعض لبلاد الصعيد ، والبعض لجهة الشرق وهم الأكثر ، وأقام بمصر كل مخاطر بنفسه لا يقدر على الحركة ممتثلاً للقضاء متوقعاً للمكروه ، وذلك لعدم قدرته وقلة ذات يده وما ينفقه على حمل عياله وأطفاله ، ويصرفه عليهم في الغربة ، فاستسلم للمقدور ولله عاقبة الأمور ، والذي أزعج قلوب الناس بالأكثر أن في عشاء تلك الليلة شاع في الناس : أن الإفرنج عدوا إلى بولاق وأحرقوها ، وكذلك الجيزة ، وأنّ أوّلهم وصل إلى باب الحديد[2] ، يحرقون ويقتلون ويفجرون بالنساء ، وكان السبب في هذه الإشاعة أن بعض القلينجية من عسكر مراد بيك الذي كان في

---

(١) العادلية : المقصود بها القبة التي بناها الملك العادل طومان باي فوق تربته التي عرفت بالعادلية ، وهذه القبة لا تزال باقية إلى الآن ، على يسار المار في شارع صلاح سالم إلى مصر الجديدة ، وعليها تاريخ تأسيسها ٩٠٦ هـ / ١٥٠١ م.

انظر : الحداد ، محمد حمزة إسماعيل : قرافة القاهرة في عصر سلاطين المماليك ، دراسة حضارية ، رسالة ماجستير ، كلية الآثار ، جامعة القاهرة ، ص ١٥٠-١٥٢ ، ٢١٢-٢٤٤ .

(٢) باب الحديد : كان يعرف بباب البحر لأنه كان يشرف على النيل أو باب المقس ، لوقوعه في قرية المقس ، ثم عرف بباب الحديد ، لأنه كان له بوابة من الحديد ، ونسب إليه ميدان باب الحديد .

زكي ، عبد الرحمن : القاهرة تاريخها وآثارها من جوهر القائد إلى الجبرتي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ١٩٦٦ م ، ص ١٩ .

الغليون بمرسى إنبابة لما تحقق الكسر[1] ، أضرم النار فى الغليون الذى هو فيه ، وكذلك مراد بيك لما رحل من الجيزة أمر بانجرار الغليون الكبير قبالة قصره ليصحبه معه إلى جهة قبلى فمشوا به قليلاً ووقف لقلة الماء فى الطين ، وكان به عدة وافرة من آلات الحرب والجبخانة[2] ، فأمر بحرقه أيضاً ، فصعد لهيب النار من جهة الجيزة وبولاق ، ظنوا بل أيقنوا أنَّهم أحرقوا البلدين ، فماجوا واضطربوا زيادة عمَّا هم فيه من الفزع والروع والجزع ، وخرج أعيان الناس وأفندية الوجاقات وأكابرهم ونقيب الأشراف ، وبعض المشايخ القادرين ، فلما عاين العامة والرعية ذلك اشتد ضجرهم وخوفهم ، وتحركت عزائمهم للهروب واللحاق بهم ، والحال أنَّ الجميع لا يدرون أى جهة يسلكون ، وأى طريق يذهبون ، وأى محل يستقرون ، فتلاحقوا وتسابقوا وخرجوا من كل حدب ينسلون ، وبيع الحمار الأعرج أو البغل الضعيف بأضعاف ثمنه ، وخرج أكثرهم ماشياً أو حاملاً متاعه على رأسه وزوجته حاملة طفلها ، ومن قدر على مركوب أركب زوجته أو ابنته ومشى هو على أقدامه ، وخرج غالب النساء ماشيات حاسرات وأطفالهن على أكتافهن يبكين فى ظلمة الليل ، واستمروا على ذلك بطول ليلة الأحد[3] وصبحها وأخذ كل إنسان ما قدر على حمله من مال ومتاع ، فلما خرجوا من أبواب البلد ، وتوسطوا الفلاة[4] تلقتهم العربان والفلاحون ، فأخذوا متاعهم ولباسهم وأحمالهم ، بحيث لم يتركوا لمن صادفوه ما يستر به عورته أو يسد جوعته، فكان ما أخذه العرب شيئاً كثيراً يفوق الحصر ، بحيث أنَّ الأموال والذخائر التى خرجت من مصر فى تلك الليلة أضعاف ما بقى فيها بلا شك ، لأنَّ معظم الأموال عند الأمراء والأعيان وحريمهم وقد أخذوه صحبتهم ، وغالب مساتير[5] الناس وأصحاب المقدرة أخرجوا أيضاً ما عندهم ، والذى أقعده العجز وكان عنده ما يعز عليه من مال أو مصاغ أعطاه لجاره أو صديقه الراحل ، ومثل ذلك : أمانات وودائع الحجاج من المغاربة والمسافرين ، فذهب ذلك جميعه ، وربما قتلوا من قدروا عليه أو دافع عن نفسه ومتاعه ، وسلبوا ثياب النساء وفضحوهن وهتكوهن ، وفيهم

---

(١) الكسرة : أى الهزيمة .

(٢) الجبجانة : تركية «جبه» تعنى الدرع ، خانة ، تعنى المكان ، أى المكان الذى تودع به الأسلحة والذخائر ولكن الجبرتى يستعملها بمعنى الذخائر نفسها .

سليمان : أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص.٦٥-٦٦

(٣) ٨ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) الفلاة : الفلاة الأراضى الخالية ، أو الصحراء .

(٥) مساتير الناس : أى الأثرياء القادرين على أعباء الحياة .

الخوندات[1] والأعيان ، فمنهم من رجع من قريب ، وهم الذين تأخروا فى الخروج وبلغهم ما حصل للسابقين ، ومنهم من جازف متكلاً على كثرته وعزوته وخفارته فسلم أو عطب ، وكانت ليلة وصباحها فى غاية الشناعة ، جرى فيها ما لم يتفق مثله فى مصر ، ولا سمعنا بما شابه بعضه فى تواريخ المتقدمين ، فما رأء كمن سمعا .

ولما أصبح يوم الأحد المذكور[2] ، والمقيمون لا يدرون ما يفعل بهم ومتوقعون حلول الفرنسيس ووقوع المكروه ، ورجع الكثير من الفارين وهم فى أسوأ حال من العرى والفزع ، فتبين أنَّ الإفرنج لم يحدوا إلى البر الشرقى ، وأنَّ الحريق كان فى المراكب المتقدم ذكرها ، فاجتمع فى الأزهر بعض العلماء والمشايخ وتشاوروا ، فاتفق رأيهم على أن يرسلوا مراسلة إلى الإفرنج وينتظروا ما يكون من جوابهم ففعلوا ذلك وأرسلوها صحبة شخص مغربى يعرف لغتهم ، وآخر صحبته ، فغابا وعادا ، فأخبرا أنهما قابلا كبير القوم وأعطياه الرسالة ، فقرأها عليه ترجمانه ، ومضمونها : «الاستفهام عن قصدهم ، فقال على لسان الترجمان : «وأين عظماؤكم ومشايخكم لِمَ تأخروا عن الحضور إلينا لنرتب لهم ما يكون فيه الراحة » ، وطمنهم وبش فى وجوههم ، فقالوا: «نريد أماناً منكم» ، فقال : «أرسلنا لكم سابقاً يعنون الكتاب المذكور» ، فقالوا : «وأيضاً لأجل اطمئنان الناس» فكتبوا لم ورقة أخرى مضمونها : «من معسكر الجيزة خطاباً لأهل مصر إننا أرسلنا لكم فى السابق كتاباً فيه الكفاية ، وذكرنا لكم أننا ما حضرنا إلا بقصد إزالة المماليك الذين يستعملون الفرنساوية بالذل والاحتقار ، وأخذ مال التجار ومال السلطان ، ولما حضرنا إلى البر الغربى ، خرجوا إلينا فقابلناهم بما يستحقونه وقتلنا بعضهم ، وأسرنا بعضهم ، ونحن فى طلبهم حتى لم يبق أحد منهم بالقطر المصرى . وأما المشايخ والعلماء وأصحاب المرتبات والرعية فيكونون مطمئنين ، وفى مساكنهم مرتاحين إلى آخر ما ذكرته» ، ثم قال لهم : «لابد أنَّ المشايخ والشربجية يأتون إلينا ، لنرتب له ديواناً ننتخبه من سبعة أشخاص عقلاء يدبرون الأمور .

ولما رجع الجواب بذلك ، اطمأن الناس وركب الشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، وآخرون إلى الجيزة ، فتلقاهم وضحك لهم ، وقال :

---

(١) الخوندات : فارسية الأصل ، ومفردها «خوند» ، واستعملت فى العربية لقبا بمعنى . السيد أو السيدة ، وتعنى هنا السيدات .

دهمان ، محمد أحمد : معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى ، دار الفكر ، دمشق ١٩٩٠ م ، ص ٧٠ .

(٢) ٨ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٨ م .

«أنتم المشايخ الكبار» ، فأعلموه أن المشايخ الكبار خافوا وهربوا ، فقال : «لأى شئ يهربون اكتبوا لهم بالحضور ، ونعمل لكم ديواناً ، لأجل راحتكم وراحة الرعية ، وإجراء الشريعة» ، فكتبوا منه عدة مكاتبات بالحضور والأمان ، ثم انفصلوا من معسكرهم بعد العشاء ، وحضروا إلى مصر ، واطمأن برجوعهم الناس ، وكانوا فى وجل وخوف على غيابهم ، وأصبحوا فأرسلوا الأمان إلى المشايخ ، فحضر الشيخ السادات ، والشيخ الشروقاى ، والمشايخ ومن انضم إليهم من الناس الفارين من ناحية المطرية[1] ، وأما عمر أفندى نقيب الأشراف ، فإنه لم يطمئن ولم يحضر ، وكذلك الروزنامجى[2] والأفندية[3] ، وفى ذلك اليوم اجتمعت الجعيدية ، وأوباش الناس[4] ، ونهبوا بيت إبراهيم بيك ومراد بيك الذين بخطة قوصون[5] ، وأحرقوهما ، ونهبوا أيضاً عدة بيوت من بيوت الأمراء وأخذوا ما فيها من فرش ونحاس وأمتعة وغير ذلك ، وباعوه بأبخس الأثمان .

وفى يوم الثلاثاء [6] ، عدت الفرنساوية إلى بر مصر ، وسكن بونابارته ببيت محمد بيك الألفى بالازبكية بخط الساكت ، الذى أنشأه الأمير المذكور فى السنة الماضية [7] ، وزخرفه وصرف عليه أموالا عظيمة ، وفرشه بالفرش الفاخرة ، وعند تمامه وسكناه فيه حصلت هذه الحادثة ، فأخلوه وتركوه بما فيه ، فكأنه إنما كان يبنيه لأمير الفرنسيس ، وكذلك حصل فى بيت حسن كاشف جركس بالناصرية ، ولما عدى كبيرهم وسكن بالازبكية كما ذكر ، استمر غالبهم بالبر الآخر ، ولم يدخل المدينة إلا القليل منهم ، ومشوا فى الأسواق من غير سلاح ، ولا تعد ، بل صاروا يضاحكون الناس ويشترون ما يحتاجون إليه بأغلى ثمن ، فيأخذ أحدهم الدجاجة ،

---

(١) المطرية : كانت قرية من ضواحى القاهرة ، وهي الآن حىٌ من أحياء مدينة القاهرة بمحافظة القاهرة .
رمزى : محمد : المرجع السابق ، ق٢ ، جـ ٩ ، ص ١١ .

(٢) الروزنامجى : من كبار الأفندية ، وهو بمنزلة نصف بك ، أو نصف سنجق ، وكان يرأس ديوان الروزنامة و«جى» فى أخر الكلمة تدل على النسب إلى الصناعة .
سليمان : أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(٣) الأفندية : يونانية الأصل Efendis ، دخلت التركية الأناضولية ، بمعنى السيد ، ثم أصبحت لقباً للرجل الذى يقرأ ويكتب ، ولقباً لبعض كبار الموظفين ، ثم لقباً للكتاب ، وتعنى هنا الكتاب .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٢٠ - ٢١ .

(٤) أوباش الناس : عامة الناس أو رعاع الناس .

(٥) خطة قوصون ، انظر : الجزء الأول ، ص ٧٩ ، حاشية رقم (٦)

(٦) ١٠ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٨ م .

(٧) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونية ١٧٩٩ م .

ويعطى صاحبها فى ثمنها ريال فرانسة [1] ، ويأخذ البيضة بنصف فضة [2] ، قياسا على أسعار بلادهم وأثمان بضائعهم ، فلما رأى منهم العامة ذلك أنسوا بهم واطمأنوا لهم ، وخرجوا إليهم بالكعك وأنواع الفطير والخبز والبيض والدجاج ، وأنواع المأكولات وغير ذلك مثل : السكر والصابون والدخان والبن ، وصاروا يبيعون عليهم بما أحبوا من الأسعار ، وفتح غالب السوقة الحوانيت والقهاوى .

وفى يوم الخميس ثالث عشر صفر [3] ، أرسلوا بطلب المشايخ والوجاقلية عند قائمقام صارى عسكر [4] ، فلما استقر بهم الجلوس خاطبوهم وتشاوروا معهم فى تعيين عشرة أنفار من المشايخ للديوان ، وفصل الحكومات .

فوقع الاتفاق على : الشيخ عبدالله الشرقاوى ، والشيخ خليل البكرى ، والشيخ مصطفى الصاوى ، والشيخ سليمان الفيومى ، والشيخ محمد المهدى ، والشيخ موسى السرسى ، والشيخ مصطفى الدمنهورى ، والشيخ أحمد العريشى ، والشيخ يوسف الشبرخيتى ، والشيخ محمد الدواخلى ، وحضر ذلك المجلس أيضًا مصطفى كتخدا بكر باشا ، والقاضى ، وقلدوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان ، وعلى أغا الشعراوى ، والى الشرطة ، وحسن أغا محرم أمين احتساب ، وذلك بإشارة أرباب الديوان ، فإنهم كانوا ممتنعين من تقليد المناصب لجنس المماليك ، فعرّفوهم أن سوقة مصر لايخافون إلا من الأتراك ، ولايحكمهم سواهم ، وهؤلاء المذكورون من بقايا البيوت القديمة الذين لايتجاسرون على الظلم كغيرهم ، وقلدوا ذا الفقار كتخدا محمد بيك ، كتخدا بونابارته ، ومن أرباب المشورة الخواجا موسى كانوا وكلاء الفرنساوى ، ووكيل الديوان حنا بينو .

وفيه ، اجتمع أرباب الديوان عند رئيسه ، فذكر لهم ما وقع من نهب البيوت ، فقالوا له : « هذا فعل الجعيدية وأوباش الناس » ، فقال : « لأى شيء يفعلون ذلك ، وقد أوصيناكم بحفظ البيوت والختم عليها » ، فقالوا : « هذا أمر لا قدرة لنا

---

(١) ريال فرانسة : عملة كانت سائدة فى القرن الثامن عشر ، وقد كان الريال الفرانسة ، موضوعا لمضاربة نقدية خطيرة ، وكان سعره فى ارتفاع دائم ، فقد كان سعر صرفه ١٢٠٣ هـ/ ١٧٨٩ م ، مائة نصف فضة ، ووصل ١٢٧١ هـ/ ١٨١٦ ، ٣٦٠ نصفة فضة .

فهمى ، عبد الرحمن : النقود المتداولة أيام الجبرتى ، فى كتاب « عبد الرحمن الجبرتى دراسات وبحوث » الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٦ م ، ص ٥٧٨ .

(٢) نصف فضة : عملة فضية ، سُكّت فى العصر العثمانى ، وكانت تعرف كذلك باسم « البارة » ، وكان القرش ٤٠ نصف فضة .

(٣) ١٣ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٧ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) صارى عسكر : تعنى القائد العام للعسكر ، والمقصود هنا هو : بونابرت ، قائد عام الجيوش الفرنسية فى مصر .

على منعه ، وإنما ذلك من وظيفة الحكام » ، فأمروا الأغا والوالى أن ينادوا بالأمان ، وفتح الدكاكين والأسواق ، والمنع من النهب ، فلم يسمعوا ولم ينتهوا ، واستمر غالب الدكاكين والأسواق معطلة ، والناس غير مطمئنين ، وفتح الفرنسيس بعض البيوت المغلوقة التى للأمراء ودخلوها ، وأخذوا منها أشياء ، وخرجوا وتركوها مفتوحة ، فعندما يخرجون منها يدخلها طائفة الجعيدية ، ويستأصلون ما فيها ، واستمروا على ذلك عدّة أيام ، ثم إنهم تتبعوا بيوت الأمراء وأتباعهم وختموا على بعضها وسكنوا بعضها ، فكان الذى يخاف على داره من جماعة الوجاقلية أو من أهل البلد يعلق له بنديرة على باب داره ، أو يأخذ له ورقة من الفرنسيس بخطهم يلصقها على داره .

وفيه ، قلدوا برطلمين النصرانى الرومى [1] ، وهو الذى تسميه العامة فرط الرمان ، كتخدا مستحفظان ، وركب بموكب من بيت صارى عسكر ، وأمامه علة من طوائف الأجناد والبطالين [2] مشاة بين يديه ، وعلى رأسه حشيشة من الحرير الملوّن [3] ، وهو لابس فروة بز [4] عادة ، وبين يديه الخدم بالحراب المفضضة ، ورتب له بيوك باشى [5] ، وقلقات [6] ، عينوا لهم مراكز بأخطاط البلد يجلسون بها ، وسكن المذكور ببيت يحيى كاشف الكبير بحارة عابدين ، أخذه بما فيه من فرش ومتاع وجوارى وغير ذلك ، والمذكور من أسافل نصارى الأروام العسكرية القاطنين بمصر ، وكان من الطبجية عند محمد بيك الألفى ، وله حانوت بخط الموسكى ، يبيع فيه القوارير الزجاج أيام البطالة ، وقلدوا أيضًا شخصا إفرنجيا وجعلوه أمين البحرين [7] ، وآخر جعلوه أغات الرسالة [8] ، وجعلوا الديوان ببيت قائد أغا

---

(١) الرومى : أى الذى ينتسب إلى الدولة العثمانية ، كتب بهامش ص ١١ من طبعة بولاق « تقليد برطلمين النصرانى الرومى الذى تسميه العامة فرط الرمان ، كتخدا مستحفظان » .

(٢) البطالين : أى الذين لا عمل لهم .

(٣) حشيشة من الحرير الملون : تعنى شريط من الحرير الملون .

(٤) فروة بز : أى فروة حرير .

(٥) بيوك باشى : فارسية ، وتعنى رئيس السعاة .

حسنين ، عبد النعيم محمد : قاموس الفارسية ، فارسى - عربى ، دار الكتاب اللبنانى ، مكتبة المدرسة ، بيروت ١٩٨٢ م ، ١٤٧ .

(٦) قلقات : مفردها « قلق » ، وتعنى فى التركية : دار الحراسة أو مكان إقامة الحرس ، والجبرتى يستعملها بمعنى « الحارس » و « الحراس » ، وهو المعنى المقصود هنا .

سليمان ، أحمد السعيد : تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل ، دار المعارف ١٩٧٩ م ، ص ١٧٠ - ١٧١ .

(٧) أمين البحرين : هو الشخص المسئول عن إدارة جمركى بولاق ومصر القديمة ، وجباية الجمارك المقررة على الغلال الواردة إلى هذين الميناءين ، وكذلك رسوم السفن .

(٨) أغات الرسالة : هو الأغا أى الرئيس المسئول عن المجموعة المكلفة بإبلاغ رسائل الإدارة فى الداخل والخارج .

بالأزبكية قرب الرويعى ، وسكن به رئيس الديوان ، وسكن روتوى [1] قائمقام مصر ببيت إبراهيم بيك الوالى المطل على بركة الفيل [2] ، وسكن شيخ البلد ببيت إبراهيم. بيك الكبير ، وسكن مجلون [3] ببيت مراد بيك على رصيف الخشاب ، وسكن بوسليك [4] مدير الحدود ببيت الشيخ البكرى القديم ، ويجتمع عنده النصارى القبط كل يوم ، وطلبوا الدفاتر من الكتبة ، ثم إنَّ عساكرهم صارت تدخل المدينة شيئًا فشيئًا حتى امتلأت منها الطرقات ، وسكنوا فى البيوت ، ولكن لم يشوشوا على أحد ، ويأخذون المشتروات بزيادة عن ثمنها ففجر السوقة ، وصغَّروا أقراص الخبز وطحنوه بترابه ، وفتح الناس عدة دكاكين بجوار مساكنهم ، يبيعون فيها أصناف المأكولات مثل الفطير والكعك والسمك المقلى ، واللحوم والفراخ المحمرة وغير ذلك ، وفتح نصارى الأروام عدة دكاكين ، لبيع أنواع الأشربة وخمامير وقهاوى ، وفتح بعض الإفرنج البلديين بيوتا يصنع فيها أنواع الأطعمة والأشربة على طرائقهم فى بلادهم ، فيشترى الأغنام والدجاج والخضارات والأسماك والعسل والسكر وجميع اللوازم ،ويطبخه الطباخون ، ويصنعون أنواع الأطعمة والحلاوات ، ويعمل على بابه علامة لذلك يعرفونها بينهم ، فإذا مرت طائفة بذلك المكان تريد الأكل دخلوا إلى ذلك المكان ، وهو يشتمل على عدة مجالس : دون ، وأعلى ، وعلى كل مجلس علامته ، ومقدار الدراهم التى يدفعها الداخل فيه ، فيدخلون إلى ما يريدون من المجالس ، وفى وسطه دكة من الخشب ، وهى الخوان التى يوضع عليها الطعام ، وحولها كراسى فيجلسون عليها ، ويأتيهم الفراشون بالطعام على قوانينهم ، فيأكلون ويشربون على نسق لايتعدونه ، وبعد فراغ حاجتهم يدفعون ما وجب عليهم من غير نقص ولازيادة ، ويذهبون لحالهم .

وفيه ، تشفع أرباب الديوان فى أسرى المماليك فقبلوا شفاعتهم وأطلقوهم ، فدخل الكثير منهم إلى الجامع الأزهر ، وهم فى أسوأ حال ، وعليهم الثياب الزرق

---

(١) روتوى : وصحة الاسم « روتى » Ruty . وكان قومندان المدفعية .

(٢) بركة الفيل : انظر : الجزء الأول ، ص ٥٩ ، حاشية رقم (١٥٢) .

(٣) مجلون : Magallon

(٤) بوسليك : Poussielgue . جاء مع الحملة مراقبا لنفقات الجيش ، وعهد إليه بونابرت بإدارة الشئون المالية.
الرافعى : عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية وتطور نظام الحكم فى مصر ، الجزء الأول ، النهضة المصرية ١٩٤٨ م ، ص ١١٢ .

المقطعة ، فمكثوا به يأكلون من صدقات الفقراء المجاورين به ، ويتكففون المارين وفى. ذلك عبرة للمعتبرين .

وفى يوم السبت [1] ، اجتمعوا بالديوان وطلبوا دراهم سلفة ، وهى مقدار خمسمائة ألف ريال ، من التجار المسلمين والنصارى والقبط والشوام وتجار الإفرنج أيضًا ، فسألوا التخفيف فلم يجابوا فأخذوا فى تحصيلها .

وفيه ، نادوا من أخذ شيئًا من نهب البيوت يحضر به إلى بيت قائمقام ، وإنْ لم يفعل وظهر بعد ذلك حصل له مزيد الضرر، ونادوا أيضًا على نساء الأمراء بالأمان ، وأنهن يسكن بيوتهن ، وإنْ كان عندهن شيء من متاع أزواجهن يظهرنه ، فإن لم يكن عندهن شيء من متاع أزواجهن يصالحن على أنفسهن ، ويأمنّ فى دورهن ، فظهرت الست نفيسة زوجة مراد بيك ، وصالحت عن نفسها وأتباعها من نساء الأمراء والكشاف بمبلغ قدره مائة وعشرون ألف ريال فرانسا ، وأخذت فى تحصيل ذلك من نفسها وغيرها ، ووجهوا عليها الطلب ، وكذلك بقية النساء بالوسايط المتداخلين فى ذلك ، كنصارى الشوام ، والإفرنج البلديين وغيرهم ، فصاروا يعملون عليهم إرهاصات وتخويفات ، وكذلك مصالحات على الغز [2] والأجناد المختفين والغائبين والفارين ، فجمعوا بذلك أموالا كثيرة ، وكتبوا للغائبين أوراقا بالأمان بعد المصالحة ، ويختم على تلك الأوراق المتقيدون بالديوان .

وفى يوم الأحد [3] ، طلبوا الخيول والجمال والسلاح ، فكان شيئًا كثيرًا ، وكذلك الأبقار والأثوار ، فحصل فيها أيضًا مصالحات ، وأشاعوا التفتيش على ذلك ، وكسروا عدّة دكاكين بسوق السلاح [4] وغيره ، وأخذوا ما وجدوه فيها من الأسلحة ، هذا وفى كل يوم ينقلون على الجمال والحمير من الأمتعة والفرش والصناديق والسروج وغير ذلك مما لايحصى ، ويستخرجون الخبايا والودائع ،

---

(١) ١٣ صفر ١٢١٣ هـ / ١٧ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) الغز : أى المماليك .

(٣) ١٤ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٨ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) سوق السلاح : سوق قديم ،كانت تباع فيه الأسلحة وكان به متخصصون فى إصلاح الأسلحة ، وكان يقع فى المنطقة الممتدة من سويقة العزى إلى شارع محمد على .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ١ ص ٢٨٩ - ٢٩١ .

ويطلبون البنائين والمهندسين والخدام الذين يعرفون بيوت أسيادهم ، بل يذهبون بأنفسهم ويدلونهم على أماكن الخبايا ومواضع الدفائن ليصير لهم بذلك قربة ووجاهة ووسيلة ينالون بها أغراضهم .

وفيه[1] ، قبضوا على شيخ الجعيدية[2] ومعه آخر ، وبندقوا عليهما بالرصاص ببركة الازبكية ، ثم على آخرين أيضًا بالرميلة ، وأحضر النهابون أشياء كثيرة من الأمتعة التي نهبوها عندما داخلهم الخوف ، ودل على بعضهم البعض .

وفي يوم الثلاثاء [3] ، طلبوا أهل الحرف من التجار بالأسواق ، وقرروا عليهم دراهم على سبيل القرض والسلفية مبلغا يعجزون عنه ، وأجلوا لها أجلا مقداره ستون يوما ، فضجوا واستغاثوا ، وذهبوا إلى الجامع الأزهر والمشهد الحسيني ، وتشفعوا بالمشايخ فتكلموا لهم ولطفوها إلى نصف المطلوب ، ووسعوا لهم في أيام المهلة .

وفيه[4] ، شرعوا في تكسير أبواب الدروب والبوابات النافذة ، وخرج عدة من عساكرهم يخلعون ويقلعون أبواب الدروب والعطف والحارات ، فاستمروا على ذلك عدة أيام ، وداخل الناس من ذلك وهم وخوف شديد ، وظنوا ظنونا ، وحصل عندهم فساد مخيلة ، ووسوسة تجسمت في نفوسهم بألفاظ نطقوا بها وتصوروا حقيقتها وتناقلوها فيما بينهم ، كقولهم : « إن عساكر الفرنسيس عازمون على قتل المسلمين وهم في صلاة الجمعة » ، ومنهم من يقول غير ذلك ، وذلك بعد أن كان حصل عندهم بعض اطمئنان ، وفتحوا بعض الدكاكين ، فلما حصلت هاتان النكتتان انكمش الناس ثانيا ، وارتجفت قلوبهم .

وفي عشرينه [5] ، حضرت مكاتيب الحجاج من العقبة ، فذهب أرباب الديوان إلى باش العسكر وأعلموه بذلك ، وطلبوا منه أمانا لأمير الحاج فامتنع ، وقال : « لا أعطيه ذلك إلا بشرط أن يأتي في قلة ، ولايدخل معه مماليك كثيرة ولا عسكر » ،

---

(١) ١٤ صفر ١٢١٣ هـ/ ٢٨ يوليه ١٧٩٨ م .

(٢) الجعيدية : انظر الجزء الأول ، ص ٦٥١ ، حاشية رقم (٤)

(٣) ١٦ صفر ١٢١٣ هـ / ٣٠ يوليه ١٧٩٨ م .

(٤) ١٦ صفر ١٢١٣ هـ/ ٣٠ يوليه ١٧٩٨ م .

(٥) ٢٠ صفر ١٢١٣ هـ / ٣ اغسطس ١٧٩٨ م .

فقالوا : « له ومن يوصل الحجاج » ، فقال لهم : « أنا أرسل لهم أربعة آلاف من العسكر يوصلونهم إلى مصر » ، فكتبوا لأمير الحاج مكاتبة بالملاطفة ، وأنه يحضر بالحجاج إلى الدار الحمراء ، وبعد ذلك يحصل الخير ، فلم تصل إليهم الجوابات حتى كاتبهم إبراهيم بيك يطلبهم للحضور إلى جهة بلبيس [1] ، فتوجهوا على بلبيس ، وأقاموا هناك أياما ، كان إبراهيم بيك ومن معه ارتحل من بلبيس إلى المنصورة [2] ، وأرسلوا الحريم إلى القرين .

وفى ثالث عشرينه [3] ، خرجت طائفة من العسكر الفرنساوى إلى جهة العادلية ، وصار فى كل يوم تذهب طائفة بعد أخرى ، ويذهبون إلى جهة الشرق ، فلما كان ليلة الأربعاء ، خرج كبيرهم بونابارته ، وكانت أوائلهم وصلت إلى الخانكة [4] ، وأبى زعبل [5] ، وطلبوا كلفة [6] من أبى زعبل ، فامتنعوا فقاتلوهم وضربوهم وكسروهم ونهبوا البلدة وأحرقوها ، وارتحلوا إلى بلبيس .

وأما الحجاج فإنهم نزلوا ببلبيس ، واكترت [7] حجاج الفلاحين مع العرب فأوصلوهم إلى بلادهم بالغربية والمنوفية والقليوبية وغيرها ، وكذلك فعل الكثير من

---

(١) بلبيس : من المدن القديمة ، إسمها القبطى (Becok) ، وإسمها الرومى (Biblos) ، ووردت فى المصادر العربية باسم « بلبيس » ، وكانت قاعدة الحوف الشرقى أيام العرب ، ثم قاعدة الأعمال الشرقية ، وهى الآن قاعدة مركز بلبيس ، محافظة الشرقية .
رمزى : محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٠٠ - ١٠١ .

(٢) المنصورة : قاعدة محافظة الدقهلية ، انشأها الملك الكامل محمد ٦١٦ هـ / ١٢١٩ م ، وصارت بعد ذلك مدينة كبيرة بها المساجد والحمامات والفنادق والأسواق ، وهى الآن من أشهر وأكبر المدن المصرية ، وبها جامعة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص٢١٥ - ٢١٦ .

(٣) ٢٣ صفر ١٢١٣ هـ / ٦ اغسطس ١٧٩٨ م .

(٤) الخانكة : انشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون ، خانقاه أى دارا للصوفية فى موضعها ، وبنى بجوارها مسجدا وحماما ، وعمّر قصورا وبيوتاً ، وأقبل الناس على البناء ، والسكنى حول هذه الخانقاه ، وصارت بلدة كبيرة تعرف بخانقاة سرياقوس ، وهى الآن قاعدة مركز الخانكة ، محافظة القليوبية .
رمزى : محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٢ .

(٥) أبو زعبل : قرية قديمة ، اسمها الأصلى « القصير » ، وعرفت منذ أواخر أيام دولة المماليك باسم « أبو زعبل » ، والآن هى قاعدة لمركز أبو زعبل ، محافظة القليوبية .
رمزى : محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣١ .

(٦) كلفة : ضريبة إضافية أوبرانية أو مظلمة ، كانت تفرضها الإدارة أو العسكر أو البكوات المماليك على القرى والبلدان ، دون موعد محدد ، وأحيانا تتكرر كل فترة وأخرى .

(٧) اكترت : أى استأجر الحجاج الفلاحون أو اتفقوا مع العرب على حمايتهم وتوصيلهم إلى بلادهم .

الحجاج ، فتفرقوا فى البلاد بحريمهم ، ومنهم من أقام ببلبيس ، وأما أمير الحاج صالح بيك فإنه لحق بإبراهيم بيك وصحبته جماعة من التجار وغيرهم .

وفى ثامن عشرينه [1] ، ملك الفرنساوية مدينة بلبيس من غير قتال ، وبها من بقى من الحجاج ، فلم يشوشوا عليهم وأرسلوهم إلى مصر وصحبتهم طائفة من عساكرهم ومعهم طبل ، فلما كان ليلة الأحد غايته [2] ، جاء الرائد إلى الأمراء بالمنصورة وأخبرهم بوصول الإفرنج وقربهم منهم ، فركبوا نصف الليل وترفعوا إلى جهة القرين ، وتركوا التجار وأصحاب الأثقال ، فلما طلع النهار حضر إليهم جماعة من العربان ، واتفقوا معهم على أنهم يحملونهم إلى القرين ، وحلفوا لهم وعاهدوهم على أنهم لايخونونهم ، فلما توسطوا بهم الطريق نقضوا عهدهم وخانوهم ، ونهبوا حمولهم وتقاسموا متاعهم وعروهم من ثيابهم ، وفيهم كبير التجار السيد أحمد المحروقى ، وكان ما يخصه نحو ثلثمائة ألف ريال فرانسه نقودا ، ومتجرا من جميع الأصناف الحجازية ، وصنعت العرب معهم ما لا خير فيه ، ولحقهم عسكر الفرنساوية ، فذهب السيد أحمد المحروقى إلى صارى عسكر وواجهه وصحبته جماعة من العرب المنافقين فشكا له ما حل به وبإخوانه ، فلامهم على تنقلهم وركونهم إلى المماليك والعرب ، ثم قبض على أبى خشبة شيخ بلد القرين ، وقال له : « عرفنى عن مكان المنهوبات » ، فقال : « أرسل معى جماعة إلى القرين » ، فأرسل معه جماعة دلهم على بعض الأحمال فأخذها الإفرنج ورفعوها ، ثم تبعوه إلى محل آخر ، فأوهمهم أنه يدخل ويخرج إليهم أحمالا كذلك ، فدخل وخرج من مكان آخر ، وذهب هاربا ، فرجع أولئك العسكر بجمل ونصف جمل لاغير ، وقالوا : « هذا الذى وجدناه ، والرجل فر من أيدينا » ، فقال صارى عسكر : « لابد من تحصيل ذلك » ، فطلبوا منه الأذن فى التوجه إلى مصر ، فأصحب معهم عدّة من عسكره أوصلوهم إلى مصر ، وأمامهم طبل وهم فى أسوأ حال ، وصحبتهم أيضًا جماعة من النساء اللاتى كن خرجن ليلة الحادثة ، وهن أيضًا فى أسوأ حالة ، تُسْكَب عند مشاهدتهن العبرات .

---

(١) ٢٨ صفر ١٢١٣ هـ / ١١ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٢) غاية صفر ١٢١٣ هـ / ١٢ أغسطس ١٧٩٨ م .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الإثنين [illegible]

في ثانيه (٢) ، وصل الفرنساوية إلى نواحي القرين ، و[illegible] بيك ومن معه وصلوا إلى الصالحية وأودعوا مالهم وحريمهم هناك [illegible] ، وبعض الجند ، فأخبر بعض العرب الفرنساوية بمكان الحملة [illegible] عسكر وأخذ معه الخيالة ، وقصد الإغارة علـى الحملة ، وعلم إبراهيم بيك [illegible] ، فركب هو وصالح بيك وعدة من الأمـراء والمماليك وتحاربوا معهم ساعة [illegible] فيها الفرنسيس على الهزيمة لكونهم على الخيول ، و[illegible] بالخبر وصل إلى إبراهيم [illegible] العرب مالوا على الحـملة يقصدون نـهبها ، فعند ذلك فر [illegible] معه [illegible] وتركوا قتال الفرنسيس ، ولحقوا بالعرب وجلوهم عن متاعهم وقتلوا منهم [illegible] وارتحلوا إلى قطيا(٣) ورجع صاري عسكر إلى مصر ، وترك عدة من عسكره [illegible] في البلاد ، فدخل مصر ليلا ، وذلك ليلة الخميس رابعه (٤)

وفي يوم الجمعة خامسه (٥) ، الموافق لثالث عشر مسرى [illegible] كان وفاء النيل المبارك ، فأمر صـاري عسكر بالاستعداد وتزيين [illegible] كالعادة [illegible] زينوا عدة مراكب وغلايين ، ونادوا على الناس بالخروج إلى النزهة [illegible] والروضة على عادتهم ، وأرسل صـاري عسكر أوراقا لكتخدا الباشا و[illegible] أرباب الديوان وأصحاب المـشورة والمتولين لـلمناصب وغيرهم بالحضور [illegible] ، وركب صحبتهم بموكبه وزينته وعساكـره وطبوله وزموره إلى قصر [illegible] (٦) ، وكسروا الجسر بحضـرتهم ، وعملوا شنك مـدافع ونفوطا (٧) [illegible] ، وركب وهـم صحبته حتى رجع إلى داره ، وأما أهل البلد [illegible] لحد تلك

---

(١) ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٣ أغسطس - ١١ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٤ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٣) قطيا : وصحة الاسم « قطية » ، قرية من نواحي الجفار ، من القرى [illegible] ، [illegible] تقع في الطريق بين مصر وبلاد الشام ، وفي وسط الرمل ، قرب الفرما ، ولا [illegible] ، وكانت قديما مكان أخذ المكس من القادمين إلى مصر ، [illegible] محطة الرمانة .

رمزي ، محمد : المرجع السابق ، ق ١ ، ص [illegible]

(٤) ٤ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٦ أغسطس ١٧٩٨ [illegible]

(٥) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٦) قنطرة السد : قنطرة عند فم الخليج ، كان يسد منها النيل عن الخليج [illegible] سعيد الآن) وكان هناك قصر ينزل فيه الباشا ، لكسر السد عند [illegible]

(٧) نفوط : أي المشاعل الموقدة بالزيت أو النفط

الليلة للتنزه فى المراكب على العادة سوى النصارى الشوام والقبط والأروام والإفرنج البلديين ونسائهم ، وقليل من الناس البطالين ، حضروا فى صبحها .

وفيه[1] ، تواترت الأخبار بحضور عدة مراكب من الإنكليز إلى ثغر سكندرية ، وأنَّهم حاربوا مراكب الفرنساوية الراسية بالمينا ، وكانت أشيعت هذه الأخبار قبل ، وتحدث الناس بها ، فصعب ذلك على الفرنساوية .

واتفق أنَّ بعض النصارى الشوام نقل عن رجل شريف يسمى السيد أحمد الزرو ، من أعيان التجار بوكالة الصابون ، أنه تحدث بذلك فأمروا بإحضاره ، وذكروا له ذلك ، فقال : « أنا حكيت ما سمعته من فلان النصرانى » ، فأحضروه أيضًا ، وأمروا بقطع لسانيهما ، أو يدفع كل واحد منهما مائة ريال فرانسة نكالا لهما ، وزجرا عن الفضول فيما لايعنيهما ، فتشفع المشايخ ، فلم يقبلوا ، فقال بعضهم : « أطلقوهما ونحن تأتيكم بالدراهم » ، فلم يرضوا فأرسل الشيخ مصطفى الصاوى ، وأحضر مائتى ريال ودفعها فى الحضرة ، فلما قبضها الوكيل ردها ثانيا إليه ، وقال : « فرقها على الفقراء » فأظهر أنه فرقها كما أشار ، وردها إلى صاحبها ، فانكف الناس عن التكلم فى شأن ذلك ، والواقع أن الإنكليز حضروا فى أثرهم إلى الثغر وحاربوا مراكبهم فنالوا منهم ، وأحرقوا القايق الكبير ، المسمى بنصف الدنيا ، وكان به أموالهم وذخائرهم ، وكان مصفحا بالنحاس الأصفر ، واستمر الإنكليز بمراكبهم بمينا الإسكندرية يغدون ويروحون يرصدون الفرنسيس ، وفى ذلك اليوم سافر عدة من عساكرهم إلى بحرى وإلى الشرقية ، ولما جرى الماء فى الخليج منعوا دخول الماء إلى بركة الأزبكية ، وسدوا قنطرة الدكة [2] بسبب وطاقهم ومدافعهم وآلتهم التى فيها .

وفيه[3] ، سأل صارى عسكر عن المولد النبوى ، ولماذا لم يعملوه كعادتهم ؟ فاعتذر الشيخ البكرى بتعطيل الأمور وتوقف الأحوال ، فلم يقبل وقال : « لابد من ذلك » ، وأعطى له ثلثمائة ريال فرانسا معاونة ، وأمر بتعليق تعاليق وأحبال وقناديل ، واجتمع الفرنساوية يوم المولد ، ولعبوا ميادينهم ، وضربوا طبولهم ودبادبهم ، وأرسل الطبلخانة الكبيرة إلى بيت الشيخ البكرى ، واستمروا يضربونها بطول النهار والليل بالبركة تحت داره ، وهى عبارة عن طبلات كبار مثل طبلات النوبة

---

(١) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ١٧ اغسطس ١٧٩٨ م .

(٢) قنطرة الدكة : كانت تقع على خليج الذكر ، ثم عرفت بقنطرة التركمانى ، لأن بدر الدين التركمانى عمرها، ثم انطم ما تحتها وصارت معقودة على التراب ، لتلاف خليج الذكر .
المقريزى، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على. الخطط المقريزية ، جـ ٢ ، دار صادر بيروت ، ص ١٥١ .

(٣) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ١٧ اغسطس ١٧٩٨ م .

التركيـة ، وعدة آلات ومزامير مخـتلفة الأصوات مطربـة ، وعملوا فى اللـيل حراقة نفوط مختلفة ، وسواريخ تصعد فى الهواء .

وفى ذلك اليوم[1] ، ألبس الشـيخ خليل البـكرى فروة وتقلد نـقابة الأشراف ، ونودى فى المدينة ، بأنَّ كل من كان له دعوى على شريف فليرفعها إلى النقيب .

وفيه[2] ، ورد الخبر بأن إبراهيم بيك والأمراء المصرية استقروا بغزة .

وفى خامس عشره [3] ، سافر عدة كبيرة من عسكر الفـرنساوية إلى جهة الصعيد وكبيرهم ديزه [4] ، وصحبتـهـم يعقـوب الـقبطـى ليعرفـهـم الأمور ويطلعـهم على المخبآت .

وفيه[5] ، حضر القاصـد الذى كان أرسله كبير الـفرنساوية بمكاتبـات وهدية إلى أحمد باشا الجزار بعـكا ، وذلك عند استقرارهم بمصر ، وصحبتـه أنفار من النصارى الشوام فى صـفة تجار ، ومعهم جـانب أرز ، ونزلوا من ثغـر دمياط فى سفيـنة من سفائـن أحمد باشا ، فـلما وصلوا إلى عـكا ، وعلم بهـم أحمد باشا ، أمـر بذلك الفرنساوى ، فنقلوه إلى بعض النقاير [6] ، ولم يواجهه ولم يأخـذ منه شيئًا ، وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وعوّق عنده نصارى الشوام الذين كانوا بصحبته .

وفيه ، حـضر جماعـة من عسكر الـفرنساوية إلـى بيت رضوان كاشـف بباب الشعرية [7] ، وصحبتهم تـرجمان ومهندس ، فانزعجت زوجتـه ، وكانت قبل ذلك بأيام صالحت على نفسها وبيتها بألف ريال وثلثمائة ريال. وأخذت منهم ورقة ألصقتها على باب دارهـا ، وردت ما كانت وزعته من المال والمـتاع عند معارفهـا واطمأنت ، فلمـا حضر إليها الجـماعة المذكورون ، قـالوا لهـا : « بلغ صارى عسكـر أنَّ عندك أسلحة وملابس للمماليك » ، فأنكرت ذلـك ، فقالـوا : « لازم مـن التفتيش » ،

---

(١) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ١٧ اغسطس ١٧٩٨ م ، كتب بهامش ص ١٥ من طبعة بولاق « ذكر تقـليد الشيخ خليل البكرى نقابة الأشراف » .

(٢) ٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٣) ١٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٢٧ اغسطس ١٧٩٨ م .

(٤) ديزه : وصحة الاسم ديزيه Desaix .

(٥) ١٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ٢٧ أغسطس ١٧٩٨ م .

(٦) النقاير : مفردها « نقيرة » ، نوع من السفن الحربيـة الصغيرة ، وكانت تستعمل وقت الحرب فى نقل الأزواد والذخائر .

النخيلى ، درويش ، المرجع السابق ، ص ١٥٠ - ١٥١ .

(٧) باب الشعرية : المقصود حى بـاب الشعرية ، وهى المنطقة الممتدة من منطقة الـظاهر إلى حى الجمالية ، وهى مقر لقسم شـرطة يعرف بهذا الاسم ، وهى الآن احد أحياء الـقاهرة العتيقة ، وعرف بهـذا الاسم نسبة إلى طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية .

المقريزى : تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

فقالت : «دونكم» ، فطلعوا إلى مكان ، وفتحوا مخبأة ، فوجدوا بها أربعة وعشرين شروالا [1] ويلكات[2] وأمتعة وغير ذلك ، ووجدوا فى أسفلها مخبأة أخرى بها عدة كثيرة من الأسلحة والبنادق والطبنجات وصناديق بارود وغير ذلك ، فاستخرجوا جميع ذلك ، ثم نزلوا إلى تحت السلالم وفجروا الأرض ، وأخرجوا منها دراهم كثيرة وحجاب ذهب فى داخله دنانير ، ثم أنزلوا صاحبة الدار ومعها جارية بيضاء وأخذوهما مع الجوارى السود وذهبوا بهن ، فأقمن عندهم ثلاثة أيام ، ونهبوا ما وجدوه بالدار من فرش وأمتعة ، ثم قرروا عليها أربعة آلاف ريال أخرى ، قامت بدفعها وأطلقوها ورجعت إلى دارها ، وبسبب هذه الحادثة شددوا فى طلب الأسلحة ونادوا بذلك ، وأنهم بعد ثلاثة أيام يفتشون البيوت ، وقال الناس : « إن هذه حيلة على نهب البيوت » ، ثم بطل وحصل بينها وبين مباشرها القبطى منافسة ، فذهب وأغرى بها ودل على ذلك ..

وفى عشرينه [3] ، قلدوا مصطفى بيك كتخدا الباشا على إمارة الحاج ، فحضروا إلى المحكمة عند القاضى ، ولبس هناك الخلعة بحضرة مشايخ الديوان ، والتزم بونابارته بتشهيل مهمات الحج ، وعمل محلا جديدا .

وفيه[4]، سأل أصحاب الحصص الالتزام فى التصرف فى حصصهم، فطلبوا منهم حلوانا ، فلم يرتضوا بذلك ، فواعدهم لتمام التحرير والاملاء ، وقالوا : « كل من كان له التزام وتقسيط ناطق باسمه يحضره ويمليه » ، ففعلوا ذلك فى عدة أيام .

وفيه[5] ، قدروا فرضة من المال على القرى والبلاد ، ونشروا بذلك أوراقا ، وذكروا فيها أنها تحسب من المال ، وقيدوا بذلك الصيارف من القبط ، ونزلوا فى البلاد مثل الحكام ، يحبسون ويضربون ويشددون فى الطلب .

وفيه[6] ، طلب صارى عسكر بونابارته المشايخ ، فلما استقروا عنده ، نهض بونابارته من المجلس ، ورجع وبيده طيلسانات ملونة بثلاثة ألوان كل طيلسان ثلاثة عروض أبيض وأحمر وكحلى [7] ، فوضع منها واحدا على كتف الشيخ الشرقاوى ،

(١) شروالا : سروال

(٢) يلكات : تركية من « يل » بمعنى الريح ، واليلك ، لباس بلا أكمام يلبس على الصدر ، فيدفع عنه الهواء ، فهو الصدار أو الصديرى .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ .

(٣) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١ سبتمبر ١٧٩٨ م ، كتب بهامش ص ١٦ من طبعة بولاق « تقليد مصطفى بيك كتخدا الباشا إمارة الحاج » .

(٤) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ١ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٥) ٢٠ ربيع الاول ١٢١٣ هـ/ ١ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٦) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٣ هـ/ ١ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٧) طيلسان : فارسية (تالسان أو تالشان) ، وهو نوع من الأوسمة ، يلبس على الكتف ، أو يحيط بالبدن ، خال من الخياطة والتفصيل ، ويعرف فى العامية المصرية بالشال .
مجمع اللغة العربية بالقاهرة : المعجم الوسيط ، ط ٣ ، جـ ٢ ، ص ٥٨٢ .

فرمى بـه إلى الأرض ، واستعـفى وتغيـر مزاجه وانتـقع لونه واحـتد طبعـه ، فقال الترجمـان : « يا مشايخ أنتم صـرتم أحبابا لصارى عسكـر ، وهو يقصد تعظـيمكم وتشريفكم بزيه وعـلامته ، فإن تميزتم بذلك عظمتكم العـساكر والناس ، وصار لكم منزلـة فى قلوبـهم » ، فقالوا لـه : « لكن قدرنـا يضيع عنـد الله وعند إخوانـنا من المسلمين » ، فاغتاظ لذلك ، وتكلم بلسـانه ، وبلغ عنه بعض المترجمين أنه قال عن الشيخ الـشرقاوى : « إنه لايصلـح للرياسة ونحو ذلـك » ، فلاطفه بقيـة الجماعة ، واستعـفوه من ذلك ، فـقال : « إن لم يكـن ذلك فلازم من وضـعكم الجوكـار فى صدوركم ، وهى العلامة التى يقال لها الوردة » ، فقالوا : « أمهلونا حتى نتروى فى ذلك » ، واتفقوا على اثنى عشر يوما .

وفى ذلك الوقت ، حضر الـشيخ السادات باستدعاء فصادفهم منصرفين ، فلما استقر به الجلـوس ، بش له وضاحكه صارى عسكر ، ولاطفه فـى القول الذى يُعرِّبه الترجـمان ، وأهدى له خاتم المـاس ، وكلفه الحضور فـى الغد عنده ، وأحـضر له جوكار [1] أوثقه بفراجته [2] ، فسكت وسايره ، وقام وانصرف ، فلما خرج من عنده رفعه على أنَّ ذلك لايخل بالدين .

وفى ذلك اليـوم ، نادى جماعة القلقـات على الناس بوضع العـلامات المذكورة المعروفـة بالوردة ، وهى إشارة الطـاعة والمحبة ، فأنـف غالب الناس من وضـعها ، وبعضهم رأى أنَّ ذلك لايخل بالدين ، إذ هو مـكره ، وربما ترتب على عدم الامتثال الضرر فوضعها ، ثـم فى عصر ذلك اليوم نادوا بإبطالها من الـعامة ، وألزموا بعض الأعيان ، ومن يريد الدخول عندهم لحاجة من الحـاجات بوضعها ، فكانوا يضعونها إذا حضروا عندهـم ، ويرفعونها إذا انفصلـوا عنهم ، وذلك أيام قليـلة ، وحصل ما يأتى ذكره فتركت .

وفى أواخره [3] ، كان انتـقال الشمس لبـرج الميزان ، وهو الاعتدال الخـريفى ، فشرع الـفرنساويـة فى عمل عيـدهم ببركـة الأزبكية ، وذلك الـيوم كان ابتـداء قيام الجمهور ببلادهم ، فجعلوا ذلك اليوم عيدا وتاريخا ، فنقلوا أخشابا وحفروا حفرا ، وأقاموا بوسط بركة الأزبكـية صاريا عظيما بآلة وبناء ، وردموا حوله تـرابا كثيرا عاليا بمقدار قامـة ، وعملوا فى أعلاه قالبـا من الخشب محدد ، الأعلـى مربع الأركان ،

---

(١) جوكار : شارة الثورة الفرنسية المثلثة الألوان .

(٢) فراجة : العباءة .

(٣) اخر ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ١٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

ولبسوا باقيه على سمت القالب قماشا ثخينا طلوه بالحمرة الجزعة ، وعملوا أسفله قاعدة نقشوا عليها تصاوير سواد في بياض ، ووضعوا قبالة باب الهواء بالبركة [1] شبه بوابة كبيرة عالية من خشب مقفص ، وكسوها بالقماش المدهون مثل لون الصارى ، وفى أعلى القوصرة طلاء أبيض ، وبه تصاوير بالأسود ، مصور فيه مثل حرب المماليك المصريه معهم ، وهم فى سبه المنهزمين بعضهم واقع على بعض وبعضهم ملتفت إلى خلف ، وعلى موازاة ذلك من الجهة الأخرى ، بناحية قنطرة الدكة التى يدخل منها الماء إلى البركة مثال بوابة أخرى على غير شكلها ، لأجل حراقة البارود ، وأقاموا أخشابا كثيرة منتصبة مصطفة ، منها إلى البوّابة الأخرى شبه الدائرة متسعة محيطة بمعظم فضاء البركة ، بحيث صار عامود الصارى الكبير المنتصف المذكور فى المركز وربطوا بين تلك الأخشاب حبالا ممتدة ، وعلقوا بها صفين من القناديل ، وبين ذلك تماثيل لحراقة البارود أيضًا ، وأقاموا فى عمل ذلك عدة أيام .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأربعاء سنة ١٢١٣ [2]

فيه[3] ، وردت الأخبار بأن مراد بيك ومن معه لما بلغهم ورود الفرنسيس عليهم رجعوا إلى جهة الفيوم ، وأن عثمان بيك الأشقر عدى إلى البر الشرقى وذهب من خلف الجبل إلى استاذه إبراهيم بيك بغزة ، وخرج جماعة من الفرنساوية إلى جهة الشرق ومعهم عدة جمال وأحمال ، فخرج عليهم الغز والعرب الذين يصحبونهم فأخذوا منهم عدة جمال بأحمالها ولم يلحقوهم .

وفى ثالثه [4] ، حضرت مكاتبة من إبراهيم بيك خطابا للمشايخ وغيرهم مضمونها : أنكم تكونون مطمئنين ومحافظين على أنفسكم والرعية ، وأنَّ حضرة مولانا السلطان وَجَّه لنا عساكر ، وإن شاء الله تعالى عن قريب نحضر عندكم ، فلما وردت تلك المكاتبة ، وقد كان سأل عنها بونابرته فأرسلوها له ، وقرئت عليه فقال : « المماليك كذابون » ، ووافق أيضًا أنّه حضر أغا رومى وكان معوقا بالإسكندرية ، فمر بالشارع وذهب لزيارة المشهد الحسينى ، فشاهده الناس فاستغربوا هيئته وفرحوا برؤيته ، وقالوا : « هذا رسول الجى ، حضر من عند السلطان بجواب للفرنسيس يأمرهم بالخروج من مصر » ، واختلفت رواياتهم وآراؤهم وأخبارهم ، وتجمعوا

---

(١) باب الهواء : باب كان موقعه قريبا من بركة الأزبكية ، وهو الباب الذى وضع الفرنسيون قباله بوابة كبيرة عالية من الخشب .

(٢) ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٢ سبتمبر - ١٠ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٣) ٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١٤ سبتمبر ١٧٩٨ م .

بالمشهد الحسينى ، وتبع بعضهم بعضا ، وصادف ذلك أنّ بونـابارته فى ذلك الوقت بلغه مما نقل وتناقل بين الناس، أنّه ورد مكتوب إلى المشايخ أيضًا وأخفوه، فركب من فوره وحضر إلى بيت الشيخ السادات بالمشهد الحسينى، وكان الوقت بعد الظهر فدخل على حين غفلة، ولم يكن تقدم له مجئ وهو فى كبكبة وخيول كثيرة وعساكر فانزعج الشيخ وكان منحرف المزاج ، ونزل إليه وهو لايعرف السبب فى مجيئه فى مثل هذا الوقت على هذه الصورة ، فعندما شاهده سأله عن ذلك المكتوب ، فقال : « لا علم لى بذلك » ، ولم يكن بلغه الخبر ، ثم جلس مقدار ساعة وركب ومر بعسكره وطوافيه من باب المشهد ، والناس قد كثر ازدحامهم بالجامع والخطة وهم يلغطون ويخلطون ، فلما نظروه وشاهد هو جمعيتهم داخله أمر من ذلك ، فصاحوا بأجمعهم ، وقالوا بصوت عال : « الفاتحة » ، فشخص إليهم وصار يسأل من معه عن ازدحامهم فلطفوا له القول ، وقالوا له : « إنهم يدعون لك » ، وذهب إلي داره ، وكانت نكتة غريبة وساعة اتفاقية عجيبة كاد ينشأ منها فتنة .

وفيه[1] ، شرعوا فى خلع البوابات والدروب الغير النافذة [2] أيضًا ، ونقلوا الجميع إلى بركة الأزبكية عند رصيف الخشاب ، والبوابة الكبيرة يقطعونها نصفين ويرفعونها بالعتالين إلى هناك ، فاجتمع من ذلك شيء كثير جدا ، وامتلأ من رصيف الخشاب إلى قريب وسط البركة .

وفى يوم السبت حادى عشره [3] ، كان يوم عيدهم الموعود به ، فضربوا فى صبيحته مدافع كثيرة ، ووضعوا على كل قائم من الخشب بنديرة من بنديراتهم الملونة ، وضربوا طبولهم ، واجتمعت عساكرهم بالبركة الخيالة والرجالة ، واصطفوا صفوفا على طرائقهم المعروفة بينهم ، ودعوا المشايخ وأعيان المسلمين والقبطة والشوام ، فاجتمعوا ببيت صارى عسكر بونابارته وجلسوا حصة من النهار ، ولبسوا فى ذلك اليوم ملابس الافتخار ، ولبس المعلم جرجس الجوهرى كركه [4] بطرز قصب على أكتافها إلى أكمامها وعلى صدرها شمسات قصب بأزرار ، وكذلك فلتيوس وتعمموا بالعمائم الكشميرى ، وركبوا البغال الفارهة ، وأظهروا البشر والسرور فى ذلك اليوم إلى الغاية ، ثم نزل عظماؤهم وصحبتهم المشايخ والقاضى وكتخدا الباشا ، فركبوا وذهبوا عند الصارى الكبير الموضوع بوسط البركة ، وقد كانوا فرشوا

(١) ٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ/ ١٤ سبتمبر ١٧٩٨م .

(٢) الدروب غير النافذة : أى الدروب التى لاتنفذ على الشارع الرئيسى إلا من بدايتها فقط .

(٣) ١١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٢ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٤) كرك : القفطان أو الجبة .

أسفله بسطا كثيرة ، ثم إنّ العساكر لعبوا ميدانهم ، وعملوا هيئة حربهم ، وضربوا البنادق والمدافع ، فلما انقضى ذلك اصطفت العساكر صفوفا حول ذلك الصارى ، وقرأ عليهم كبير قسوسهم ورقة بلغتهم لايدرى معناها إلا هم ، وكأنها كالوصية أو النصيحة أو الوعظ، ثم قاموا وانفض الجمع ، ورجع صارى عسكر إلى داره فمد سماطا عظيما [1] للحاضرين ، فلما كان عند الغروب أوقدوا جميع القناديل التى على الحبال والتماثيل والأحمال التى على البيوت ، وعند العشاء عملوا حراقة بارود وسواريخ ونفوط وشبه سواقى ودواليب من قار ومدافع كثيرة نحو ساعتين من الليل ، واستمرت القناديل موقدة حتى طلوع النهار ، ثم فكوا الحبال والتعاليق والتماثيل المصنوعة ، وبقيت البوّابة المقابلة لباب الهواء والصارى الكبير ، وتحته جماعة ملازمون الإقامة عنده ليلا ونهارا من عساكرهم لأنه شعارهم ، وإشارة إلى قيام دولتهم فى زعمهم .

وفى ثانى ليلة منه[2] ، ركب كبيرهم إلى بر الجيزة ، وسفر عساكر إلى الجهة التى بها مراد بيك ، وكذلك إلى جهة الشرقية ، ومعهم مدافع على عجل ، وفيه أرسل ديوى[3] قائمقام إلى الست نفيسة ، وطلب منها إحضار زوجة عثمان بيك الطنبرجى ، فأرسلت إلى المشايخ تستغيث بهم فحضر إليها الشيخ محمد المهدى ، والشيخ موسى السرسى ، وقصدوا منعها ، فلم يمكنهم ، فذهبوا صحبتها ونظروا فى قصتها ، والسبب فى طلبها أنهم وجدوا رجلا فراشا معه جانب دخان وبعض ثياب فقبضوا عليه وقرروه فأخبر أنه تابعها ، وأنها أعطته ذلك ووعدته بالرجوع إليها لتسلمه شبكى دخان [4] وفروة وخمسمائة محبوب ، ليوصل ذلك إلى سيده ، فهذا هو السبب فى طلبها ، فقالوا : « وأين الفراش » ، فبعثوا لإحضاره ، وسألوها فأنكرت ذلك بالمرة ، فانتظروا حضور الفراش إلى بعد الغروب فلم يحضر ، فقال لهم المشايخ : « دعوها تذهب إلى بيتها وفى غد نأتى ونحقق هذه القضية » ، فقال ديوى : «نونو» ، ومعناه بلغتهم النفى أى لاتذهب ، فقالوا له : « دعها تذهب هى ونحن نبيت عوضا عنها » ، فلم يرض أيضًا ، وعالجوا فى ذلك بقدر طاقتهم ، فلما أيسوا تركوها ومضوا فباتت عندهم فى ناحية من البيت ، وصحبتها جماعة من النساء المسلمات والنساء الإفرنجيات ، فلما أصبح النهار ، ركب المشايخ إلى كتخدا الباشا

---

(١) مدّ سماطا عظيما : أى أعدّ وليمة بها طعام كثير . (٢) ١٣ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٧٩٨ م .
(٣) ديوى : Dupuy عين حاكما وقائدا للقاهرة برتبة قائمقام بونابرته .
(٤) شبكى دخان : أى حزمة من الدخان .

والقاضي فركبا معا وذهبا إلى بيت صارى عسكر الكبير ، فأحضرها وسلمها إلى القاضى، ولم يثبت عليها شيء من هذه الدعوة، وقرروا عليها ثلاثة آلاف ريال فرانسة، وذهبت إلى بيت لها مجاور لبيت القاضى وأقامت فيه، لتكون فى حمايته .

وفى يوم الخميس [1] ، نادوا فى الأسواق بأن كل من كان عنده بغلة يذهب بها إلى بيت قائمقام ببركة الفيل ، ويأخذ ثمنها وإذا لم يحضرها بنفسه تؤخذ منه قهرا ، ويدفع ثلثمائة ريال فرانسة ، وإنْ أحضرها باختياره يأخذ فى ثمنها خمسين ريالا قلت قيمتها أو كثرت ، فغنم صاحب الخسيس وخسر صاحب النفيس ، ثم ترك ذلك ، وفيه نادوا بوقود قناديل سهارى بالطرق والأسواق ، وأن يكون على كل دار قنديل ، وعلى كل ثلاثة دكاكين قنديل ، وأن يلازموا الكنس والرش وتنظيف الطرق من العفوشات والقاذورات .

وفيه[2] ، نادوا على الأغراب من المغاربة وغيرهم والخدامين البطالين ليسافروا إلى بلادهم ، وكل من وجد بعد ثلاثة أيام يستاهل الذى يجرى عليه ، وكرروا المناداة بذلك ، وأجَّلُوهم بعدها أربعة وعشرين ساعة ، فذهبت جماعة من المغاربة إلى صارى عسكر ، وقالوا له : « أرنا طريقا للذهاب ، فإن طريق البر غير مسلوكة ، والإنكليز واقفون بطريق البحر يمنعون المسافرين ، ولانقدر على المقام فى الإسكندرية من الغلاء وعدم الماء بها فتركهم » .

وفيه[3] ، جعلوا إبراهيم أغات المتفرقة المعمار قبطان السويس ، وسافر معه أنفار ببيرق فرنساوى [4] ، فخرج عليهم العربان فى الطريق فنهبوهم وقتلوا إبراهيم أغا المذكور ومن بصحبته ، ولم يسلم منهم إلا القليل ، وفيه أهمل أمر الديوان الذى يحضره المشايخ ببيت قائد أغا ، فاستمروا أياما يذهبون ، فلم يأتهم أحد ، فتركوا الذهاب فلم يطلبوا .

وفيه[5] ، شرعوا فى ترتيب ديوان آخر وسموه محكمة القضايا ، وكتبوا فى شأن ذلك طومارا [6] ، وشرطوا فيه شروطا ، ورتبوا فيه ستة أنفار من النصارى القبط ، وستة أنفار من تجار المسلمين ، وجعلوا قاضيه الكبير ملطى القبطى الذى كان كاتبا

---

(١) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٣) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م . (٤) بيرق فرنساوى : أى علم فرنساوى .

(٥) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٦) طومار : أى كتبوا فى شأن ذلك ورقة أو وثيقة وشرطوا فيها شروطهم .

كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٩ ، طبعة بولاق « ذكر ترتيب ديوان آخر مُرَكَّب من ستة أنفار من النصارى القبط ، وستة من تجار المسلمين للنظر فى قضايا التجار والعامة » .

عند أيوب بيك الدفتردار ، وفوضوا إليهم القضايا فى أمور التجار والعامة والمواريث والدعاوى . وجعلوا لذلك الديوان قواعد وأركانا من البدع السيئة ، وكتبوا نسخا من ذلك كثيرة ، أرسلوا منها إلى الأعيان ، ولصقوا منها نسخا فى مفارق الطرق ورؤوس العطف وأبواب المساجد ، وشرطوا فى ضمنه شروطا ، وفى ضمن تلك الشروط شروطا أخرى ، بتعبيرات سخيفة ، يفهم منها المراد بعد التأمل الكثير ، لعدم معرفتهم بقوانين التراكيب العربية ، ومحصله التحيل على أخذ الأموال ، كقولهم : « بأن أصحاب الأملاك يأتون بحججهم وتمسكاتهم[1] الشاهدة لهم بالتمليك » ، فإذا أحضروها وبينوا وجه تملكهم لها ، إما بالبيع أو الانتقال لهم بالإرث لايكتفى بذلك ، بل يؤمر بالكشف عليها فى السجلات ، ويدفع على ذلك الكشف دراهم بقدر عينوه فى ذلك الطومار ، فإن وجد تمسكه مقيدا بالسجل طلب منه بعد ذلك الثبوت ، ويدفع على ذلك الإشهاد بعد ثبوته وقبوله قدرا آخر ، ويأخذ بذلك تصحيحا ، ويكتب له بعد ذلك تمكين ، وينظر بعد ذلك فى قيمته ، ويدفع على كل مائة اثنين ، فإن لم يكن له حجة أو كانت ولم تكن مقيدة بالسجل ، أو مقيدة ولم يثبت ذلك التقييد ، فإنها تضبط لديوان الجمهور وتصير من حقوقهم ، وهذا شيء متعذر ، وذلك أنَّ الناس إنما وضعوا أيديهم على أملاكهم إما بالشراء أو بأيلولتها لهم من مورثهم أو نحو ذلك ، بحجة قريبة أو بعيدة العهد ، أو بحجج أسلافهم ومورثيهم ، فإذا طولبوا بإثبات مضمونها تعسر أو تعذر لحادث الموت أو الأسفار ، أو ربما حضرت الشهود ، فلم تقبل فإن قبلت فعل به ما ذكر ، ومن جملة الشروط مقررات على المواريث والموتى ، ومقادير متنوعة فى القلة والكثرة ، كقولهم : « إذا مات الميت يشاورون عليه ، ويدفعون معلوما لذلك » ، ويفتحون تركته بعد أربع وعشرين ساعة ، فإذا بقيت أكثر من ذلك ، ضبطت للديوان أيضًا ، ولاحق فيها للورثة ، وإن فتحت على السرسم بإذن الديوان يدفع على ذلك الإذن مقررا ، وكذلك على ثبوت الورثة ، ثم عليهم بعد قبض ما يخصهم مقرر ، وكذلك من يدعى دينا على الميت يثبته بديوان الحشريات[2] ، ويدفع على إثباته مقررا ، ويأخذ له ورقة يستلم بها دينه ، فإذا استلمه دفع مقررا أيضًا ، ومثل ذلك فى الرزق والأطيان بشروط وأنواع وكيفية أخرى غير ذلك ، والهبات والمبايعات والدعاوى والمنازعات والمشاجرات والإشهادات الجزئيات والكليات ، والمسافر كذلك لايسافر إلا بورقة ، ويدفع عليها قدرا ، وكذلك المولود إذا ولد ، ويقال له : « إثبات الحياة » ، وكذلك المؤجرات وقبض أجر الأملاك ، وغير ذلك .

---

(١) تمسكات : أى المستندات التى تثبت ملكيتهم .

(٢) ديوان الحشريات : الديوان الذى تسجل فيه تركات المتوفين ، الذين لا وارث لهم .

وفيه[1] ، نادى أصحاب الدرك [2] على العامة بترك الفضول والكلام فى أمور الدولة ، فإذا مر عليهم جماعة من العسكر مجروحون أو منهزمون لايسخرون بهم ، ولايصفقون عليهم كما هى عادتهم .

وفيه[3] ، نهبوا أمتعة العسكر القلينجية الذين كانوا عسكرا عند الأمراء ، فأخذوا مكانا بوكالة على بيك[4] بساحل بولاق ، وبالجمالية [5] ، وأخذوا متاعهم ومتاع شركائهم محتجين بأنهم قاتلوا مع المماليك وهربوا معهم .

وفيه[6] ، أحضروا محمد كتخدا أبا سيف الذى كان سردارا بدمياط [7] من طرف الأمراء المصريين ، وكان سابقا كتخدا حسن بيك الجداوى ، فلما حضر حبسوه فى القلعة ، وحبسوا معه فراشا لإبراهيم بيك .

وفيه[8]، أمروا سكان القلعة بالخروج من منازلهم والنزول إلى المدينة ليسكنوا بها، فنزلوا ، وأصعدوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع ، وهدموا بها أبنية كثيرة ، وشرعوا فى بناء حيطان وكرانك وأسوار، وهدموا أبنية عالية وأعلوا مواضع منخفضة، وبنوا على بدنات باب العزب بالرميلة ، وغيروا معالمها وأبدلوا محاسنها ومحوا ما كان بها من معالم السلاطين ، وآثار الحكماء والعظماء ، وما كان فى الأبواب العظام من الأسلحة والدرق والبلط والحوادث والحرب الهندية [9] ، وأكر الفداوية[10] ، وهدموا قصر يوسف صلاح الدين [11] ، ومحاسن الملوك والسلاطين ذوات الأركان الشاهقة والأعمدة الباسقة .

---

(١) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٢) الدرك : أى مقر رجال الأمن المنوط بهم حماية المنطقة .

(٣) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٤) وكالة على بيك : وكالة أنشأها على بيك ببولاق

(٥) الجمالية : حى قديم من أحياء وسط القاهرة ، فيه كثير من الآثار الإسلامية ، وينسب إلى أمير الجيوش بدر الدين الجمالى .

زكى عبد الرحمن: موسوعة مدينة القاهرة فى ألف عام، ط ٨، مكتبة الأنجلو، القاهرة ١٩٨٧ م، ص ٦٨ .

(٦) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٧) سردار دمياط : أى قائد جند منطقة دمياط .

(٨) ١٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٩) الحُرب الهندية : أى الحراب المصنوعة فى الهند .

(١٠) أكر الفداوية : أى الأكر المعلقة على أبواب المساجد

(١١) قصر يوسف صلاح الدين : القصر الذى بناه يوسف صلاح الدين بالقلعة ، وظل قائما حتى هدمه الفرنسيون.

وفيه[1] ، [illegible] إلى مراد بيك ، وذهبوا إليه ببحر يوسف [2] جهة الفيوم .

وفى يوم [illegible] عشره[3] ، نودى بأن كل من تشاجر مع نصرانى أو يهودى ، أو [illegible] معه نصرانى أو يهودى ، يشهد أحد الخصمين على الآخر ويطلبه لبيت صارى [illegible] .

وفيه[4] ، [illegible] وطافوا برؤوسهما ، وهم ينادون عليهما ويقولون : « هذا جزاء [illegible] من عند المماليك أو يذهب إليهم بمكاتيب » .

وفيه[5] ، [illegible] على الناس بالمنع من دفن الموتى بالترب القريبة من المساكن ، كتربة الأزبكية [illegible] ، ولا يدفنون الموتى إلا فى القرافات البعيدة ، والذى ليس له تربة بالقرافة [illegible] فى ترب المماليك ، وإذا دفنوا يبالغون فى تسفيل الحفر ، ونادوا أيضاً [illegible] والأمتعة والفرش بالأسطحة عدة أيام ، وتبخير البيوت بالبخور [illegible] ، كل ذلك للتخوف من حصول الطاعون ، وعدوه [6] ويقولون [illegible] [7] بأغوار الأرض ، فإذا دخل الشتاء ، وبردت الأغوار [illegible] الأمطار والرطوبات ، خرج من كان منحبسا بالأرض من الأبخرة [illegible] الهواء فيحصل الوباء والطاعون » ، ومن قولهم أيضاً : « إن مرض [illegible] من الاحتراز عنه » فيرسلون من جهتهم حكيما للكشف عليه ، إن [illegible] الطاعون أو بغيره ، ثم يرون رأيهم فيه .

وفى يوم [illegible] عشره[8] ، ذهبت جماعة من القواسة [9] الذين يخدمون الفرنساوية ، [illegible] هدم التراكيب المبنية على المقابر بتربة الأزبكية ، وتمهيدها بالأرض ، [illegible] ذلك ، وتسامع أصحاب الترب بتلك البقعة فخرجوا من كل حدب ينسلون [illegible] بحارات المدابغ[10] ، وباب اللوق[11] ، وكوم

---

(١) ١٥ ربيع الثانى [illegible] ٢٦ سبتمبر [illegible] م .

(٢) بحر يوسف [illegible] النيل ، [illegible] منه عند ديروط ، ويسير مع الحافة الغربية للوادى ، حتى يدخل منخفض [illegible] اللاهون [illegible] إلى ترعة صناعية ، وأصبح يأخذ مياهه من ترعة الإبراهيمية منذ ١٨٦٩ م ، وهو [illegible] المياه الوحيد لمحافظة الفيوم ، ويتفرع إلى عدد من الترع .

دار الشعب [illegible] للطباعة والنشر ، الموسوعة العربية الميسرة : إشراف : محمد شفيق غبريال ، القاهرة ١٩٦٥ [illegible]

(٣) ١٦ ربيع الثانى [illegible] (٤) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٧ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٥) ١٦ ربيع الثانى [illegible] (٦) عدوه : أى انتشار عدوى هذا الوباء

(٧) تنحبس : أى [illegible] باطن الأرض (٨) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٩) القواسة : الحراس أو الحجاب .

(١٠) حارة المدابغ : حارة غير نافذة على اليسار بدرب المروق الذى يبتدئ من آخر سكة بئر المش من الجهة البحرية لجامع [illegible] ، ويسلك منه إلى عطفة الشرارية بحارة الباطنية .

مبارك [illegible] ٧٦

(١١) [illegible] على العادة فى أبواب القاهرة ، وأبواب القلعة ، وأبواب [illegible] ، [illegible] أنشأ القاضى صلاح الدين بن المغربى ، قيساريته التى بباب اللوق ، وجعلها =

الشيخ سلامـة ، والفوّالة [١] ، والمنـاصرة [٢] ، وقنـطرة الأمير حـسين [٣] ، وقلعة الكلاب ، إلى أنْ صاروا كالجراد المنتشر ولهم صـياح وضجيج ، واجتمعوا بالأزبكية ووقفـوا تحت بيت صـارى عسكر ، فنزل لـهم المترجمون واعتذروا بأن صارى عسكر لا علم لـه بذلك الهدم ، ولم يـأمر به ، وإنما أمر بمـنع الدفْن فقط ، فرجـعوا إلى أماكنهم ، ورفع الهدم عنهم .

وفيه[٤] ، كتبوا من المشايخ كتابا ليرسلوه إلى السلطان ، وآخر إلى شريف مكة ، ثم إنَّهم بصموا منـه عدة نسخ ، ولصقوها بالطرق والمفارق ، وصورتـه ملخصا بعد الصدور ذكر : ورودهـم وقتالهم مع المـماليك وهروبهـم ، وأن جماعة من العـلماء ذهبت إليهم بالبر الغربى فأمنوهـم ، وكذلك الرعية دون المماليك ، وذكروا فيه أنهم من أخصاء الـسلطان العثمـانى وأعداء أعدائه ، وأنَّ السـكة والخطبة باسمـه وشعائر الإسلام مقامة عـلى ما هى عليه ، وباقيـة بمعنى الكلام السابق مـن قولهم : « أنَّهم مسلمون وأنَّهم محتـرمون القرآن والنبى ، وأنهم أوصلوا الحجاج المتـشتتين وأكرموهم وأركبوا الماشــى وأطعــموا الجيـعان وسقوا العطشـان ، واعتنوا بيوم الزينـة يوم جبر البحـر ، وعملوا له شـأنا ورونقا استجـلابا لسرور المؤمـنين ، وأنفقوا أمـوالا برسم الصدقة على الفقراء ، وكذلك اعتنوا بالمـولد النبوى ، وأنفقوا أموالا فى شأن انتظامه واتفق رأينا ورأيهم علـى لبس حضرة الجناب المحترم مصطفى أغا كـتخدا بكر باشا ، والى مصر حالا ، فاستحسنا ذلك لبقاء علقة الدولة العلية ، وهم أيضًا مجتهدون فى إتمام مهمات الحرمين ، وأمرونا أن نعلمكم بذلك والسلام » .

وفيه[٥] ، وقعت حادثة جزئية من جملة الجزئيات ، وهو أنّ رجلا صيرفيا بجوار حارة الجوانية [٦] ، وقع من لفظه أنـه ، قال : « السيد أحمد البدوى بالـشرق والسيد

= ليبيع غزل الكتان ، هدم هذا الباب وجعله فى الركن القبلى من جدار القيسرية .

المقريزى ، تقى الدين أبـى العباس أحمد بن على : المواعظ والاعتبار بذكر الخـطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية : ط ٢ ، جـ ٢ ص ١١٨ .

(١) الفوالة : حارة داخل شارع البكرى ، الذى يبدأ من آخر شارع العتبة الخضراء ، وآخره شارع مشتهر .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ص ٣٨٧ .

(٢) المناصرة : شارع المناصرة ، أوله قنطرة الأمير حسين ، بقرب جامع المرصفى ، وآخره شارع السويقة ، وطوله ٤٦٠ مترا .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ص ٣١٣ .

(٣) قنطرة الأمير حسين : قنطرة تقع أول شارع المناصرة على الخليج المصرى .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ص ٣١٣ .

(٤) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م ، كتب بهامش ص ٢١ ، طبعة بولاق « صورة مكاتبة كتبوها من المشايخ ليرسلوها إلى السلطان وشريف مكة » .

(٥) ١٨ ربيع ١٢١٣ هـ/ ٢٩ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٦) حارة الجوانية : من الحارات القديمـة التى اختطها جوهر لعـساكر مولاه ، منسوبـة للأشراف الجوانيين ، منهم =

إبراهيم الدسوقى بالغرب ، يقتلان كل من يمر عليهما من النصارى ، وكان هذا الكلام بمحضر من النصارى الشوام فجاوبه بعضهم وأسمعه قبيح القول ، ووقع بينهما التشاجر ، فقام النصرانى ، وذهب إلى دبوى ، وأخبره بالقصة فأرسل وقبض على ذلك الصيرفى وحبسه وسمر حانوته وختم على داره ، وتشفع فيه المشايخ عدة مرار فأطلقوه بعد يومين ، وأرسلوه إلى بيت الشيخ البكرى ليؤدب هناك بالضرب أو يدفع خمسمائة ريال فرانسة ، فضرب مائة سوط ، وأطلق سبيله ، وكذلك أفرجوا عن بقية المسجونين .

وفى يوم الإثنين [1] ، طاف أصحاب الدرك على الأخطاط والوكائل ، فكتبوا أسماءها وأسماء البوّابين ، وأمروهم أن لايسكنوا أحدا من الأغراب ، ولايطلقوا أحدا يسافر بلا إذن من أغات مستحفظان .

وفى يوم الثلاثاء [2] ، عمل المولد الحسينى ، وكان من العزم تركه فى هذا العام ، فدس بعض المنافقين دسيسة عند الفرنسيس ، وذلك أنه وقعت المذاكرة بأن من المعتاد أن يعمل المولد الحسينى بعد مولد النبى ، فقال بونابارته : «ولم لَمْ يعملوه» ، فقال ذلك المنافق : « غرض الشيخ السادات عدم عمله ، إلا إذا حضر المسلمون » ، فبلغ شيخ السادات ذلك ، فشرع فى عمله على سبيل الاختصار ، وحضر صارى عسكر وشاهد الوقدة [3] ورجع إلى داره بعد العشاء .

وفيه[4]، حضر علماء الإسكندرية وأعيانها، وكذلك رشيد ودمياط وبقية البنادر ، باستدعاء صارى عسكر ليحضروا الديوان الشارعين فيه ، لترتيب النظام الذى سبقت الإشارة إليه .

وفيه[5] ، سافر أيضًا جماعة من الفرنسيس إلى جهة مراد بيك ومن معه ، التقوا معهم وتراموا ساعة ، ثم انهزموا عنهم وأطمعوهم فى أنفسهم ، فتتبعوهم إلى أسفل جبل اللاهون [6] ، ثم خرجوا عليهم على مثل حالهم رجالا ، وتراموا معهم وأكمنوا لهم ، وثبتوا معهم وظهر عليهم المصريون ، وقتل من الفرنساوية مقتلة كبيرة .

= الشريف النسابة الجوأنى ، نسبة إلى قرية جوان من عمل مدينة طيبة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ص ٢٠٣ .

(١) ٢٠ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ١ أكتوبر ١٧٩٨ م . (٢) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٣) الوقدة : أشد الحر ، والمقصود هنا إشعال النار ، دلالة على بدء الاحتفال بالمولد النبوى .
انظر : المعجم الوسيط ، ط ٣ ، جـ ٢ ص ١٠٩١ .

(٤) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٥) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٢ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٦) جبل اللاهون : المرتفع أو التل الذى يشرف على بحر يوسف .

وفيه[1] ، سقطت البوّابة المصنوعة ببركة الأزبكية المقابلة لباب الهواء التى كانوا وضعوها فى يوم عيدهم ، وقد تقدم شرحها ووصفها ، وسبب سقوطها أنهم لما منعوا الماء من دخوله للبركة ، وسدوا القنطرة كما تقدم ، علا الماء فى أرض البركة ، وتخلخلت الأرض فسقطت تلك البّوابة .

وفى يوم الجمعة رابع عشرينه [2] ، نبهوا على المشايخ والأعيان والتجار ومن حضر من الأقطار بالحضور إلى الديوان العام ، ومحكمة النظام ، بكرة تاريخه ، وذلك ببيت مرزوق بيك بحارة عابدين ، فلما أصبح يوم السبت [2] ، أعادوا التنبيه بحضورهم بالديوان القديم ببيت قائد أغا بالأزبكية ، فتوجه المشايخ المصرية والذين حضروا من الثغور والبلاد ، وحضر الوجاقات وأعيان التجار ، ونصارى القبط والشوام ومدبرو الديوان من الفرنسيس ، وغيرهم جمعا موفورا ، فلما استقر بهم الجلوس على شرع ملطى القبطى الذى عملوه قاضى فى قراءة فرمان الشروط ، وفى المناقشة، فابتدر كبير المدبرين فى إخراج طومار آخر ، وناوله للترجمان فنشره وقرأه ، وملخصه ومضمونه : الإخبار بأن قطر مصر هو المركز الوحيد ، وأنه أخصب البلاد ، وكان يجلب إليه المتاجر من البلاد البعيدة ، وأن العلوم والصنائع والقراءة والكتابة التى يعرفها الناس فى الدنيا أخذت عن أجداد أهل مصر الأول ، ولكون قطر مصر بهذه الصفات طمعت الأمم فى تملكه ، فملكه أهل بابل ، وملكه اليونانيون والعرب والترك الآن ، إلا أنّ دولة الترك شددت فى خرابه : لأنها إذا حصلت الثمرة قطعت عروقها ، فلذلك لم يبقوا بأيدى الناس إلا القدر اليسير ، وصار الناس لأجل ذلك مختفين تحت حجاب الفقر ، وقاية لأنفسهم من سوء ظلمهم .

ثم إن طائفة الفرنساوية بعْدما تمهد أمرهم ، وبعد صيتهم بقيامهم بأمور الحروب ، اشتاقت أنفسهم لاستخلاص مصر مما هى فيه ، وإراحة أهلها من تغلب هذه الدولة المفعمة جهلا وغباوة ، فقدموا وحصل لهم النصرة ، ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد من الناس ، ولم يعاملوا الناس بقسوة ، وأنّ غرضهم تنظيم أمور مصر ، وإجراء خلجانها التى دثرت ، ويصير لها طريقان : طريق إلى البحر الأسود ، وطريق إلى البحر الأحمر ، فيزداد خصبها وريعها ، ومنع القوى من ظلم الضعيف وغير ذلك استجلابا لخواطر أهلها ، وإبقاء للذكر الحسن ، فالمناسب من أهلها ترك الشغب وإخلاص المودة ، وأنّ هذه الطوائف المحضرة من الأقاليم يترتب

---

(١) ٢٤ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٥ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٧٩٨ م .

على حضورها أمور جليلة ، لأنهم أهل خبرة وعقل ، فيسألون عن أمور ضرورية ويجيبون عنها ، فينتج لصارى عسكر من ذلك ما يليق صنعه إلى آخر ما سطروه من الكلام ، قلت : « ولم يعجبنى فى هذا التركيب إلا قوله المفعمة جهلا وغباوة بعد قوله اشتاقت أنفسهم » ، ومنها قوله بعد ذلك : « ومع ذلك لم يتعرضوا لأحد إلى آخر العبارة » ثم قال الترجمان : « نريد منكم يا مشايخ أن تختاروا شخصا منكم يكون كبيرا ورئيسا عليكم، ممتثلين أمره وإشارته» ، فقال بعض الحاضرين : « الشيخ الشرقاوى ، فقال : «نونو ، وإنما ذلك يكون بالقرعة » ، فعملوا قرعة بأوراق فطلع الأكثر على الشيخ الشرقاوى ، فقال حينئذ : « يكون الشيخ عبدالله الشرقاوى هو الرئيس » ، فما تم هذا الأمر حتى زالت الشمس فأذنوا لهم فى الذهاب وألزموهم بالحضور فى كل يوم .

وفيه[1] ، وقعت كائنة الحاج محمد بن قيمو المغربى التاجر الطرابلسى ، وهو أنه كان بينه وبين بعض نصارى الشوام المترجمين منافسة ، فأنهى إلى عظماء الفرنسيس أنَّه ذو مال ، وأنَّه شريك عبدالله المغربى تابع مراد بيك ، فأرسلوا بطلبه فذهب إلى بيت الشيخ عبدالله الشرقاوى لنسابة بينهما ، فقال الشيخ للقوّاسة المرسلين بعد سؤالهم عن سبب طلبهم له ، فقالوا : « لدعوة ليست شرعية » ، فقال لهم : « فى غد أحضروا خصمه ويتداعى معه ، فإن توجه الحق عليه ألزمناه بدفعه » ، فرجعت الرسل وتغيب الرجل لخوفه ، فبعد مضى مقدار نحو ساعة ، حضر نحو الخمسين عسكرى من الفرنسيس إلى بيت الشيخ وطالبوه به ، فأخبرهم أنَّه هرب فلم يقبلوا عذره ، وألحوا فى طلبه ، ووقفوا ببنادقهم وأرهبوا ، فركب المهدى والدواخلى إلى صارى عسكر وأخبروه بالقضية ، وبهروب الرجل ، فقال : « ولأى شىء يهرب » ، فقالوا : « من خوفه » ، فقال : « لولا أنَّ جرمه كبير لما هرب وأنتم غيبتموه » ، وأظهر الحنق والغيظ فلاطفاه واستعطفا خاطر الترجمان ، فكلمه وسكن غيظه ، ثم سأل عن منزله ومخزنه فأخبراه عنهما ، فقال : « يذهب معكما من يختم عليهما حتى يظهر فى غد » ، فاطمأنوا لذلك ، ورجعوا عند الغروب ، وختموا على مخزنه ومنزله ، فلما أصبح النهار فلم يظهر الرجل ، فأخذوا ما وجدوه فيهما من البضائع والأمانات .

وفى يوم الأحد [2] ، ذهبوا إلى الديوان ، وعملوا مثل عملهم الأول حتى تمموا

(١) ٢٥ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٦ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٢) ٢٦ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٩٨ م .

أسماء المنتخبين بديوان مصر من الثغور والمشايخ والوجاقلية ، والقبط والشوام وتجار المسلمين ، وذلك الترتيب غير ترتيب الديوان السابق .

وفى يوم الإثنين [1] ، اجتمعوا بالديوان ، ونادى المنادى فى ذلك اليوم بالأسواق على الناس ، بإحضارهم حجج أملاكهم إلى الديوان ، والمهلة ثلاثون يوما ، فإن تأخر عن الثلاثين يضاعف المقرر ، ومهلة البلاد ستون يوما ، ولما تكامل الجميع شرع ملطى فى قراءة المنشور ، وتعداد ما به من الشروط مسطور ، وذكر من ذلك أشياء منها : أمر المحاكم والقضايا الشرعية ، وحجج العقارات ، وأمر المواريث ، وتناقشوا فى ذلك حصة من الزمن ، وكتبوا هذه الأربعة أشياء أرباب ديوان الخاصة ، يدبرون رأيهم فى ذلك ، وينظرون المناسب والأحسن ، وما فيه الراحة لهم وللرعية ، ثم يعرضون ما دبروه يوم الخميس [2] ، وما بين ذلك له مهلة ، وانفض المجلس .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الخميس الموعود سنة ١٢١٣ [3]

واجتمعوا بالديوان ومعهم ما لخصوه واستأصلوه فى الجملة ، فأما أمر المحاكم والقضايا ، فالأولى إبقاؤها على ترتيبها ونظامها ، وعرفوهم عن كيفية ذلك ، ومثل ذلك ما عليه أمر محاكم البلاد ، فاستحسنوا ذلك ، إلا أنهم قالوا : « يحتاج إلى ضبط المحاصيل وتقريرها على أمر لايتعداه القضاة ولا نوابهم » ، فقرروا ذلك ، وهو أنه إذا كان عشرة آلاف فما دونها ، يكون على كل ألف ثلاثون نصفا ، وإذا كان المبلغ مائة يكون على الألف خمسة عشر ، فإن زاد على ذلك فعشرة ، واتفقوا على تقرير القضاة ونوابهم على ذلك ، وأما حجج العقارات فإنه أمر شاق طويل الذيل ، فالمناسب فيه والأولى أن يجعلوا عليها دراهم من بادى الرأى ، ليسهل تحصيلها ، ويحسن عليها السكوت ، ويكون المحصول : أعلى ، وأدنى ، وأوسط ، وبينوا القدر المناسب بتفصيل الأماكن ، وكتبوه وأبقوه حتى يرى الآخرون رأيهم فيه ، وانفض الديوان ، وفى ذلك اليوم نودى فى الأسواق بنشر الثياب والامتعة خمسة عشر يوما ، وقيدوا على مشايخ الأخطاط والحارات والقلقات بالفحص والتفتيش ، فعينوا لكل حارة امرأة ورجلين يدخلون البيوت للكشف عن ذلك ، فتصعد المرأة إلى أعلى الدار ، وتخبرهم عن صحة نشرهم الثياب ، ثم يذهبون بعد التأكد على أهل

(١) ٢٧ ربيع الثانى ١٢١٣ هـ / ٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٢) ٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .
(٣) جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر - ٩ نوفمبر ١٧٩٨ م .

المنزل ، والتحذير من ترك الفعل ، وكل ذلك لذهاب العفونة الموجبة للطاعون ، وكتبوا بذلك أوراقا فالصقوها بحيطان الأسواق على عادتهم فى ذلك .

وفيه[1] ، حضر إلى بيت البكرى جم غفير من أولاد الكتاتيب والفقهاء والعميان والمؤذنين وأرباب الوظائف ، والمستحقين من الزَّمْنَى والمرضى بالمارستان المنصورى ، وأوقاف عبد الرحمن كتخدا ، وشكوا من قطع رواتبهم وخبزهم ، لأن الأوقاف تعطل إيرادها ،واستولى على نظارتها النصارى القبط والشوام ، وجعلوا ذلك مغنما لهم ، فواعدهم على حضورهم الديوان ، وينهوا شكواهم ، ويتشفع لهم ، فذهبوا راجعين.

وفيه [2]، قدمت مراكب من جهة الصعيد وفيها عدة من العسكر مجروحون .

وفيه[3] ، وضعوا على التلال المحيطة بمصر بيارق بيضا ، فأكثر الناس من اللغط ، ولم يعلموا سبب ذلك .

وفى يوم الأحد [4] ، اجتمعوا بالديوان وأخذوا فيما هم فيه ، فذكروا أمر المواريث ، فقال ملطى : « يا مشايخ أخبرونا عما تصنعونه فى قسمة المواريث » ، فأخبروه بفروض المواريث الشرعية ، فقال : « ومن أين لكم ذلك » ، فقالوا : « من القرآن » ، وتلوا عليهم بعض آيات المواريث ، فقال الإفرنج : « نحن عندنا لا نورث الولد ونورث البنت ، ونفعل كذا وكذا » ، بحسب تحسين عقولهم لأن الولد أقدر على التكسب من البنت ، فقال ميخائيل كحيل الشامى ، وهو من أهل الديوان أيضًا : « نحن والقبط يقسم لنا مواريثنا المسلمون » ، ثم التمسوا من المشايخ أن يكتبوا لهم كيفية القسمة ودليلها فسايروهم ، ووعدوهم بذلك وانفضوا ، وفى ذلك اليوم عزلوا محمد أغا المسلمانى أغات مستحفظان وجعلوه كتخدا أمير الحاج ، واستقروا بمصطفى أغا تابع عبد الرحمن أغا مستحفظان سابقا عوضا عنه ، ونودى بذلك .

وفى يوم الإثنين [5] ، عملوا لهم ديوانا وكتبوا لهم كيفية قسمة المواريث، وفروض القسمة الشرعية، وحصص الورثة، والآيات المتعلقة بذلك، فاستحسنوا ذلك .

---

(١) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٢) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٣) ١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٤) ٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .
كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢٤ من طبعة بولاق ، « تقليد محمد أغا المسلمانى كتخدا أمير الحاج »

(٥) ٥ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١٥ أكتوبر ١٧٩٨ م .

وفي يوم السبت عاشر جمادى الأولى [1] ، عملوا الديوان وأحضروا قائمة مقررات الأملاك والعقار ، فجعلوا على : الأعلى ثمانية فرانسة ، والأوسط ستة ، والأدنى ثلاثة ، وما كان أجرته أقل من ريال في الشهر فهو معافى ، وأما الوكائل والخانات والحمامات والمعاصر والسيارج والحوانيت ، فمنها ما جعلوا عليه ثلاثين وأربعين بحسب الخسة والرواج والاتساع ، وكتبوا بذلك مناشير [2] على عادتهم وألصقوها بالمفارق والطرق ، وأرسلوا منها نسخا للأعيان ، وعينوا المهندسين ، ومعهم أشخاص لتمييز الأعلى من الأدنى ، وشرعوا في الضبط والإحصاء ، وطافوا ببعض الجهات لتحرير القوائم ، وضبط أسماء أربابها ، ولما أشيع ذلك في الناس كثر لغطهم واستعظموا ذلك ، والبعض استسلم للقضاء ، فانتبذ جماعة من العامة وتناجوا في ذلك ، ووافقهم على ذلك بعض المتعممين الذى لم ينظر في عواقب الأمور ، ولم يتفكر أنه في القبضة مأسور ، فتجمع الكثير من الغوغاء من غير رئيس يسوسهم ، ولا قائد يقودهم ، وأصبحوا يوم الأحد [3] متحزبين وعلى الجهاد عازمين، وأبرزوا ما كانوا أخفوه من السلاح وآلات الحرب والكفاح ، وحضر السيد بدر وصحبته حشرات الحسينية [4] ، وزعر الحارات البرانية [5] ، ولهم صياح عظيم ، وهول جسيم ، ويقولون بصياح في الكلام : « نصر الله دين الإسلام » ، فذهبوا إلى بيت قاضي العسكر وتجمعوا وتبعهم ممن على شاكلتهم نحو الألف والأكثر ، فخاف القاضي العاقبة ، وأغلق أبوابه ، وأوقف حجابه ، فرجموه بالحجارة والطوب ، وطلب الهرب ، فلم يمكنه الهروب ، وكذلك اجتمع بالأزهر العالم الأكبر ، وفي ذلك الوقت حضر دبوى بطائفة من فرسانه وعساكره وشجعانه ، فمر بشارع الغورية [6] ، وعطف على خط الصنادقية [7] ، وذهب إلى بيت القاضي ، فوجد ذلك

---

(١) ١٠ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٠ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(٢) مناشير : مفردها منشور ، وهو أمر مكتوب يوزع على السكان .

(٣) ١١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢١ أكتوبر ١٧٩٨ م ، كتب بهامش ، ص ٢٥ ، طبعة بولاق « ذكر ما وقع لأهل مصر من الترس ومحاربة الفرنسيس وإثارة الفتنة » .

(٤) حشرات الحسينية : أي عامة أبناء الحسينية .

(٥) زعر الحارات البرانية : فتوات الحارات التي خارج الحسينية .

(٦) شارع الغورية : يبتدئ من قراقول الأشرفية ، وينتهي إلى باب شارع الكحكيين ، وفي وسط هذا الشارع ، جامع الغوري المشهور .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٧) خط الصنادقية : ابتداؤه من نهاية شارع الأشرفية ، وأول شارع الغورية ، ويمتد شرقا إلى الجامع الأزهر وطوله مائتان وثمانون مترا ، وهذا الشارع سماه المقريزي بسوق القشاشين ، وفي القرن التاسع عشر ، عرف بسوق الخراطين ، وبه عدة عطف ودروب .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٤٤ - ٢٤٦ .

الزحام ، فخاف وخرج من بين القصرين ، وباب الزهومة [1] ، وتلك الأخطاط بالخلائق مزحومة ، فبادروا إليه وضربوه وأثخنوا جراحاته ، وقتل الكثير من فرسانه وأبطاله وشجعانه ، فعند ذلك أخذ المسلمون حذرهم وخرجوا يهرعون ومن كل حدب ينسلون ، ومسكوا الأطراف الدائرة بمعظم أخطاط القاهرة ، كباب الفتوح [2] ، وباب النصر [3] ، والبرقية [4] إلى باب زويلة [5] ، وباب الشعرية[6] ، وجهة البندقانيين [7] ، وما حاذاها ولم يتعدّوا جهة سواها ، وهدموا مساطب الحوانيت ، وجعلوا أحجارها متاريس للكرنكة [8] ، لتعوّق هجوم العدوّ في وقت المعركة ، ووقف دون كل متراس جمع عظيم من الناس .

وأما الجهات البرانية والنواحي الفوقانية ، فلم يفزع منهم فازع ، ولم يتحرك منهم أحد ولم يسارع ، وكذلك شذ عن الوفاق : مصر العتيقة وبولاق ، وعذرهم الأكبر قربهم من مساكن العسكر ، ولم تزل طائفة المحاربين في الأزقة مترسين ، فوصل جماعة من الفرنساوية ، وظهروا من ناحية المناخلية [9] ، وبندقوا على متراس الشوائين ، وبه جماعة من مغاربة الفحامين فقاتلوهم حتى أجلوهم ، وعن المناخلية أزالوهم ، وعند ذلك زاد الحال ، وكثر الرجف والزلزال ، وخرجت العامة عن الحد وبالغوا في القضية بالعكس والطرد ، وامتدت أيديهم إلى النهب والخطف والسلب ، فهجموا على حارة الجوّانيه ، ونهبوا دور النصارى الشوام والأروام وما جاورهم من

---

(١) باب الزهومة : كان في آخر ركن القصر ، مقابل خزانة الدرق التي هي خان مسرور ، وعرف بهذا الاسم لأن اللحوم وحوائج الطعام ، كانت تدخل منه ، وباب الزهومة ، يعني باب الزفر .
المقريزي ، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي : المواعظ والاعتبار ، جـ ١ ، ص ٤٣٥ .

(٢) باب الفتوح : في موضعه الذي وضعه عليه بدر الدين الجمال ، لما عمّر سور القاهرة .
المصدر نفسه : جـ ١ ص ٣٨١ - ٣٨٢ .

(٣) باب النصر : أحد أبواب سور القاهرة ، وموضعه الآن هو الموضع الذي وضعه عليه بدر الجمالي ، لما عمّر سور القاهرة .
المصدر نفسه : جـ ١ ، ص ٣٨١ .

(٤) باب البرقية : أحد أبواب القاهرة القديمة .

(٥) باب زويلة : أحد أبواب سور القاهرة ، بناه بدر الجمالي في موضعه الحالي ، ويعرف بباب المتولي ، لكن والي القاهرة بالقرب منه
المصدر نفسه : جـ ١ ، ص ٣٨٠ .

(٦) باب الشعرية : أنظر : ص ٢٥ : حاشية رقم (٧) .

(٧) جهة البندقانيين : شارع البندقانيين يبتدئ من آخر شارع الوراقين ، وينتهي لشارع الحمزاوي ، وطوله ٦٤ مترا وبه سوق وعدة حوانيت .
مبارك ، علي : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٩ .

(٨) الكرنكة : أي محتمين خلف المتاريس .

(٩) المناخلية : عطفة غير نافذة ، بداخل حارة القوطي ، بشارع درب الطواب .
مبارك ، علي : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣١٧ .

بيوت المسلمين على التمام ، وأخذوا الودائع والأمانات ، وسبوا النساء والبنات ، وكذلك نهبوا خان الملايات [1] ، وما به من الأمتعة والموجودات ، وأكثروا من المعايب ، ولم يفكروا فى العواقب ، وباتوا تلك الليلة سهرانين وعلى هذا الحال مستمرين ، وأما الأفرنج فإنهم أصبحوا مستعدين ، وعلى تلال البرقية [2] ، والقلعة واقفين ، وأحضروا جميع الآلات من المدافع والقنابر والبنبات ، ووقفوا مستحضرين ، ولأمر كبيرهم منتظرين ، وكان كبير الفرنسيس أرسل إلى المشايخ مراسلة ، فلم يجيبوه عنها ومل من المطاولة ، هذا والرمى متتابع من الجهتين ، وتضاعف الحال ضعفين حتى مضى وقت العصر ، وزاد القهر والحصر ، فعند ذلك ضربوا بالمدافع والبنبات على البيوت والحارات ، وتعمدوا بالخصوص الجامع الأزهر ، وجرروا عليه المدافع والقنبر ، وكذلك ما جاوره من أماكن المحاربين ، كسوق الغورية ، والفحامين [3] ، فلما سقط عليهم ذلك ورأوه ، ولم يكونوا فى عمرهم عاينوه ، نادوا : « يا سلام من هذه الآلام ، يا خفى الألطاف نجنا مما نخاف » ، وهربوا من كل سوق ، ودخلوا فى الشقوق ، وتتابع الرمى من القلعة والكيمان [4] ، حتى تزعزعت الأركان ، وهدمت فى مرورها حيطان الدور ، وسقطت فى بعض القصور ، ونزلت فى البيوت والوكائل ، وأصمت الآذان بصوتها الهائل ، فلما عظم هذا الخطب ، وزاد الحال والكرب ، ركب المشايخ إلى كبير الفرنسيس ليرفع عنهم هذا النازل ، ويمنع عسكره من الرمى المتراسل ، ويكفهم كما انكف المسلمون عن القتال ، والحرب خدعة وسجال ، فلما ذهبوا إليه واجتمعوا عليه عاتبهم فى التأخير ، واتهمهم فى التقصير ، فاعتذروا إليه فقبل عذرهم ، وأمر برفع الرمى عنهم وقاموا من عنده ، وهم ينادون بالأمان فى المسالك ، وتسامع الناس بذلك ، فردّت فيهم الحرارة ، وتسابقوا لبعضهم بالبشارة ، واطمأنت منهم القلوب ، وكان الوقت قبل الغروب ، وانقضى النهار وأقبل الليل ، وغلب على الظن أن القضية لها ذيل ، وأما أهل الحسينية والعطوف البرانية ، فإنهم لم يزالوا مستمرين وعلى الرمى والقتال ملازمين ،

---

(١) خان الملايات : أى الخان أو الفندق الذى كان يعرف بهذا الاسم لبيع الملايات به وكان يقع عند باب حارة الروم .

(٢) تلال البرقية : أى التلال التى كانت قريبة من باب البرقية .

(٣) الفحامين : يبتدئ من نهاية شارع التربيعة ، بجوار باب جامع الغورى الصغير ، وانتهاؤه أول شارع المؤيد ، وطوله ٢١٤ مترا ، ويعرف كذلك بشارع العطارين ، ومحله كان يعرف قديما زمن المقريزى بـ « سوق الكفتيين » وكان يسكنه كثير من العطارين ، وتجار المغاربة الذين يبيعون الطرابيش والبطانيات والأحرمة وغير ذلك .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٤) الكيمان : أى الأتربة والرمال المرتفعة التى يطلق على مفردها كوم ، وجمعها كيمان .

ولكن خانهم المقصود ، وفرغ منهم البارود ، والإفرنج أثخنوهم بالرمى المتتابع بالقنابر والمدافع إلى أن مضى من الليل نحو ثلاث ساعات ، وفرغت من عندهم الأدوات ، فعجزوا عن ذلك وانصرفوا ، وكف عنهم القوم وانحرفوا ، وبعد هجعة من الليل ؛ دخل الافرنج المدينة كالسيل ، ومروا فى الأزقة والشوارع لايجدون لهم ممانع ، كأنهم الشياطين أو جند إبليس ، وهدموا ما وجدوه من المتاريس ، ودخل طائفة من باب البرقية ، ومشوا إلى الغورية ، وكروا ورجعوا وترددوا وما هجعوا ، وعلموا باليقين ، أن لا دافع لهم ولا كمين ، وتراسلوا أرسالا ركبانا ورجالا ، ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول ، وبينهم المشاة كالوعول ، وتفرقوا بصحنه ومقصورته ، وربطوا خيولهم بقبلته ، وعاثوا بالأروقة والحارات ، وكسروا القناديل والسهارات ، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة ، ونهبوا ما وجدوه من المتاع والأوانى والقصاع ، والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات ، ودشتوا الكتب والمصاحف على الأرض طرحوها ، وبأرجلهم ونعالهم داسوها ، وأحدثوا فيه ، وتغوطوا وبالوا وتمخطوا ، وشربوا الشراب ، وكسروا أوانيه وألقوها بصحنه ونواحيه ، وكل من صادفوه به عروه ومن ثيابه أخرجوه .

وأصبح يوم الثلاثاء [1] ، فاصطف منهم حزب بباب الجامع ، فكل من حضر للصلاة يراهم فيكر راجعا ويسارع ، وتفرقت طوائفهم بتلك النواحى أفواجا ، واتخذوا السعى والطواف بها منهاجا ، وأحاطوا بها إحاطة السوار ، ونهبوا بعض الديار بحجة التفتيش على النهب ، وآلة السلاح والضرب ، وخرجت سكان تلك الجهة يهرعون وللنجاة بأنفسهم طالبون ، وانتهكت حرمة تلك البقعة بعد أن كانت أشرف البقاع ، ويرغب الناس فى سكناها ، ويودعون عند أهلها ما يخافون عليه الضياع ، والفرنساوية لايمرون بها إلا فى النادر ، ويحترمونها عن غيرها فى الباطن والظاهر ، فانقلب بهذه الحركة منها الموضوع وانخفض على غير القياس المرفوع ، ثم تردّدوا فى الأسواق ووقفوا صفوفا مثنا وألوفا ، فإن مر بهم أحد فتشوه وأخذوا ما معه وربما قتلوه ، ورفعوا القتلى والمطروحين من الإفرنج والمسلمين ، ووقف جماعة من الفرنسيس ، ونظفوا مراكز المتاريس ، وأزالوا ما بها من الأتربة والأحجار المتراكمة، ووضعوها فى ناحية، لتصير طرق المرور خالية ، وتحزبت نصارى الشوام ، وجماعة أيضًا من الأروام الذين انتهبت دورهم بالحارة الجوانية ، ليشكوا لكبير الفرنسيس ما لحقهم من الرزية ، واغتنموا الفرصة فى المسلمين ، وأظهروا ما هو

---

(١) ١٣ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٣ أكتوبر ١٧٩٨م .

بقلوبهم كمين وضربوا فيهم المضارب ، وكأنهم شاركوا الإفرنج في النوائب ، وما قصدهم المسلمون ونهبوا ما لديهم إلا لكونهم منسوبين إليهم ، مع أن المسلمين الذين جاوروهم نهبهم الزعر أيضًا ، وسلبوهم ، وكذلك خان الملايات المعلوم الذى عند باب حارة الروم ، وفيه بضائع المسلمين وودائع الغائبين ، فسكت المصاب على غصته ، واستعوض الله فى قضيته ، لأنه إنْ تكلم لاتسمع دعواه ، ولايلتفت إلى شكواه ، وانتدب برطلمين للعسس [١] ، على من حمل السلاح أو اختلس ، وبث أعوانه فى الجهات ، يتجسسون فى الطرقات ، فيقبضون على الناس بحسب أغراضهم ، وما ينهيه النصارى من أبغاضهم ، فيحكم فيهم بمراده ، ويعمل برأيه واجتهاده ، ويأخذ منهم الكثير ويركب فى موكب ويسير وهم موثوقون بين يديه بالحبال ، ويسحبهم الأعوان بالقهر والنكال فيودعونهم السجونات ، ويطالبونهم بالمنهوبات ، ويقررونهم بالعقاب والضرب ، ويسألونهم عن السلاح وآلات الحرب ، ويدل بعضهم على بعض، فيضعون على المدلول عليهم أيضًا القبض، وكذلك فعل مثل ما فعله اللعين الأغا ، وتجبر فى أفعاله وطغى ، وكثير من الناس ذبحوهم ، وفى بحر النيل قذفوهم، ومات فى هذين اليومين وما بعدهما أمم كثيرة لايحصى عددها إلا الله ، وطال بالكفرة بغيهم وعنادهم ، ونالوا من المسلمين قصدهم ومرادهم .

وأصبح يوم الأربع [٢] ، فركب فيه المشايخ أجمع ، وذهبوا لبيت صارى عسكر وقابلوه وخاطبوه فى العفو ولاطفوه ، والتمسوا منه أمانا كافيا ، وعفوا ينادون به باللغتين شافيا ، لتطمئن بذلك قلوب الرعية ، ويسكن روعهم من هذه الرزية ، فوعدهم وعدا مشوبا بالتسويف ، وطالبهم بالتبيين والتعريف عمن تسبب من المتعممين فى إثارة العوام وحرضهم على الخلاف والقيام، فغالطوه عن تلك المقاصد ، فقال على لسان الترجمان « نحن نعرفهم بالواحد » ، فترجوا عنده فى إخراج العسكر من الجامع الأزهر ، فأجابهم لذلك السؤال ، وإمر بإخراجهم فى الحال ، وأبقوا منهم السبعين ، أسكنوهم فى الخطة كالضابطين ، ليكونوا للأمور كالراصدين وبالأحكام متقيدين ، ثم إنَّهم فحصوا على المتهمين فى إثارة الفتنة ، فطلبوا الشيخ سليمان الجوسقى ، شيخ طائفة العميان ، والشيخ أحمد الشرقاوى ، والشيخ عبد الوهاب الشبراوى ، والشيخ يوسف المصيلحى ، والشيخ إسماعيل البراوى ، وحبسوهم ببيت البكرى ، وأما السيد بدر المقدسى ، فإنه تغيب وسافر إلى جهة الشام ، وفحصوا عليه فلم يجدوه ، وتردد المشايخ لتخليص الجماعة المعوّقين ، فغولطوا ، واتهم أيضًا

(١) العسس : أى التجسس أو تفقد أحوال الرعايا ليلا .

(٢) ١٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .

إبراهيم أفندى كاتب البهار [1] ، بأنه جمع له جمعا من الشطار ، وأعطاهم الأسلحة والمساوق ، وكان عنده عدّة من المماليك المخفيين ، والرجال المعدودين ، فقبضوا عليه وحبسوه ببيت الأغا .

وفى يوم الأحد ثامن عشره [2] ، توجه شيخ السادات وباقى المشايخ إلى بيت صارى عسكر الفرنسيس ، وتشفعوا عنده فى الجماعة المسجونين ببيت الأغا وقائمقام والقلعة ، فقيل لهم وسعوا بالكم ، ولاتستعجلوا فقاموا وانصرفوا .

وفيه[3] ، نادوا فى الأسواق بالأمان ، ولا أحد يشوش على أحد ، مع استمرار القبض على الناس ، وكبس البيوت بأدنى شبهة ، وردّ بعضهم الأمتعة التى نهبت للنصارى .

وفيه[4] ، توسط عمر القلقجى لمغاربة الفحامين ، وجمع منهم ومن غيرهم عدة وافرة ، وعرضهم على صارى عسكر فاختار منهم الشباب وأولى القوة ، وأعطاهم سلاحا وآلات حرب ، ورتبهم عسكرا ورئيسهم عمر المذكور ، وخرجوا وأمامهم الطبل الشامى على عادة عسكر المغاربة ، وسافروا إلى جهة بحرى ، بسبب أن بعض البلاد قام على عسكر الفرنساوية وقت الفتنة وقاتلوهم ، وضربوا أيضًا مركبين بها عدة من عساكرهم فحاربوهم وقاتلوهم ، فلما ذهب أولئك المغاربة سكنوا الفتنة وضربوا عشما [5] وقتلوا كبيرها المسمى بابن شعير ، ونهبوا داره ومتاعه وماله وبهائمه ، وكان شيئًا كثيرًا جدًا ، وأحضروا إخوته وأولاده وقتلوهم ، ولم يتركوا منهم سوى ولد صغير جعلوه شيخا عوضا عن أبيهم ، وسكن العسكر المغربى بدار عند باب سعادة [6] ، ورتبوا له من الفرنسيس جماعة يأتون إليهم فى كل يوم ، ويدربونهم على كيفية حربهم وقانونهم ، ومعنى إشاراتهم فى مصافاتهم ، فيقف المعلم والمتعلمون مقابلون له صفا ، وبأيديهم بنادقهم ، فيشير إليهم بألفاظ بلغتهم

(1) كاتب البهار : أى كاتب جمرك البهار الذى كان مقره السويس .

(2) ١٨ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(3) ١٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(4) ١٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(5) عشما : قرية قديمة ، كانت ترسم « عشمة » ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وردت برسمها الحالى ، وهى إحدى قرى مركز شبين الكوم ، محافظة المنوفية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ١٩٢

(6) باب سعادة : بعد بناء القاهرة ، قدم من بلاد المغرب سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله ، ونزل بالجيزة وخرج جوهر إلى لقائه ، فلما عاين سعادة جوهرا ، ترجل وسار إلى القاهرة فى رجب ٣٦٠ هـ / ٩٧٠ - ٩٧١م ، فدخل إليها من هذا الباب ، فعرف به ، وقيل له باب سعادة .
المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ١ ، ص ٣٨٣ .

كان يقول : « مردبوش » [1] ، فيرفعونها قابضين بأكفهم على أسافلها ، ثم يقول : « مرش » فيمشون صفوف إلى غير ذلك .

وفيه[2] ، سافر برطلمين إلى ناحية سرياقوس [3] ، ومعه جملة من العسكر بسبب الناس الفارين إلى جهة الشرق ، فلم يدركهم ، وأخذ من فى البلاد وعسف فى تحصيلها ، ورجع بعد أيام .

وفى يوم الأربعاء [4] ، خاطب الشيخ محمد المهدى صارى عسكر فى أمر إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وتلطف به بمعونة بوسليك [5] المعروف بمدير الحدود ، وهو عبارة عن الروزنامجى ، ونقله من بيت الأغا إلى داره ، وطلبوا منه قائمة كشف عما يتعلق بالمماليك بدفتر البهار .

وفى يوم الخميس [6] ، سافر عدد من المراكب نحو الأربعين بها عسكر الفرنسيس إلى جهة بحرى .

وفى ليلة السبت رابع عشرينه [7] ، حضر هجان من ناحية الشام ، وعلى يده مكاتبات ، وهى صورة فرمان وعليه طرة ، ومكتوب من أحمد باشا الجزار ، وآخر من بكر باشا إلى كتخدا مصطفى بيك ، ومكتوب من إبراهيم بيك خطابا للمشايخ ، وذلك كله بالعربى ، ومضمون ذلك بعد براعة الاستهلال والآيات القرآنية ، والأحاديث ، والآثار المتعلقة بالجهاد ، ولعن طائفة الإفرنج ، والحط عليهم ، وذكر عقيدتهم الفاسدة ، وكذبهم وتحيلهم ، وكذلك بقية المكاتبات بمعنى ذلك ، فأخذها مصطفى بيك كتخدا ، وذهب بها إلى صارى عسكر ، فلما اطلع عليها قال : « هذا تزوير من إبراهيم بيك ليوقع بيننا وبينكم العداوة والمشاحنة ، وأما أحمد باشا فهو رجل فضولى لم يكن واليا بالشام ولا مصر ، لأن والى الشام إبراهيم باشا ، وأما

---

(1) مرد بوش : ارفعوا سلاحكم فى حالة استعداد ، وهى ما تعرف بالعربية « كتفن سلاح » لأن البندقية تكون مسنودة على الكتف .

(2) ١٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(3) سرياقوس : قرية قديمة ، إسمها القبطى Siriaqous ، وكانت فى بدء تكوينها عزبة أنشأها Ciryaqous الذى كان واليا على قسم أترتيب ، فسميت باسمه ، وهى إحدى قرى مركز شبين القناطر ، محافظة القليوبية.

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٣٥ .

(4) ٢١ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٣١ أكتوبر ١٧٩٨ م .

(5) بوسليك : وصحة الاسم « بوسيلج Pousielgue » ، ويكتبه الجبرتى بأشكال مختلفة مثل : « بوسيلغ ، بوسليغ ، ويوسليك » ، كما هو مكتوب هنا ، وصحة الاسم ما ذكرناه .

(6) ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ١ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(7) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٣ نوفمبر ١٧٩٨ م .

والى مصر فهو عبدالله باشا ابن العظم الذى هو الآن والى الشام ، فأنا أعلم بذلك ، وسيأتى بعد أيام والى ويقيم معه ، كما كانت المماليك مع الولاة ، وورد خبر أيضًا بانفصال محمد باشا عزت عن الصدارة ، وعزل كذلك أنفار من رجال الدولة » ، وفى مدة هذه الأيام بطل الاجتماع بالديوان المعتاد ، وأخذوا فى الاهتمام فى تحصين النواحى والجهات ، وبنوا أبنية على التلول المحيطة بالبلد ، ووضعوا بها عدة مدافع وقنابر ، وهدموا أماكن بالجيزة ، وحصنوها تحصينا زائدا ، وكذلك مصر العتيقة ، ونواحى شبرا ، وهدموا عدة مساجد منها المساجد المجاورة لقنطرة إنبابة الرمة [1] ، ومسجد المقس المعروف الآن بأولاد عنان [2] على الخليج الناصرى بباب البحر ، وقطعوا نخيلا كثيرة وأشجارا لعمل الحصون والمتاريس ، وهدموا جامع الكازرونى [3] بالروضة ، وأشجار الجيزة التى عند أبى هريرة قطعوها ، وحفروا هناك خنادق كثيرة ، وغير ذلك ، وقطعوا نخيل جهة الحلى [4] وبولاق ، وخربوا دورا كثيرة ، وكسروا شبابيكها وأبوابها وأخذوا أخشابها لاحتياج العمل والوقود وغير ذلك .

وفى ليلة الأحد [5] ، حضر جماعة من عسكر الفرنسيس إلى بيت البكرى نصف الليل ، وطلبوا المشايخ المحبوسين عند صارى عسكر ليتحدث معهم ، فلما صاروا خارج الدار ، وجدوا عدّة كبيرة فى انتظارهم فقبضوا عليهم وذهبوا بهم إلى بيت قائمقام بدرب الجماميز ، وهو الذى كان به دبوى قائمقام المقتول وسكنه بعده الذى تولى مكانه ، فلما وصلوا بهم هناك عروهم من ثيابهم وصعدوا بهم إلى القلعة فسجنوهم إلى الصباح ، فأخرجوهم وقتلوهم بالبنادق وألقوهم من السور خلف القلعة ، وتغيب حالهم عن أكثر الناس أياما ، وفى ذلك اليوم ركب بعض المشايخ إلى مصطفى بيك كتخدا الباشا ، وكلموه فى أن يذهب معهم إلى صارى عسكر ويشفع معهم فى الجماعة المذكورين ، ظنا منهم أنهم فى قيد الحياة ، فركب معهم إليه وكلموه فى ذلك ، فقال لهم الترجمان : « اصبروا ما هذا وقته » ، وتركهم وقام ليذهب فى بعض أشغاله فنهض الجماعة أيضًا ، وركبوا إلى دورهم .

---

(١) إنبابة الرمة : هى إنبابة أو إمبابة ، قاعدة قسم إمبابة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٦ .

(٢) مسجد المقس أو أولاد عنان : كان موقعه قديما يقع خارج باب البحر ، بقرب قنطرة الخليج ، وموقعه الآن بين شارعى رمسيس والجمهورية ويطل على ميدان باب الحديد .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٦٨ .

(٣) جامع الكازرونى : لم نعثر على تعريف به ، سوى ما ورد بالنص من أنه كان قائما بالروضة .

(٤) الحلى : هى المنطقة التى تعرف برملة بولاق ، وكان بهذه المنطقة قصر ، يسمى قصر الحلى ، كان ينزل به الباشوات ، قبل طلوعهم إلى القلعة حتى نهاية القرن الثامن عشر .

(٥) ٢٥ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .

وفى يوم الثلاثاء [1] ، حضر عدة من عسكر الفرنسيس ووقفوا بحارة الأزهر ، فتخيل الناس منهم المكروه ، ووقعت فيهم كرشة ، وأغلقوا الدكاكين وتسابقوا إلى الهروب ، وذهبوا إلى البيوت والمساجد ، واختلفت آراؤهم ورأوا فى ذلك أقضية بحسب تخمينهم وظنهم وفساد مخيلهم ، فذهب بعض المشايخ إلى صارى عسكر ، وأخبروه بذلك ، وتخوف الناس فأرسل إليهم وأمرهم بالذهاب فذهبوا وتراجع الناس ، وفتحوا الدكاكين ، ومر الأغا والوالى وبرطلمين ينادون بالأمان ، وسكن الحال ، وقيل إن بعض كبرائهم حضر عند القلق الساكن بالمشهد ، وجلس عنده حصة ، وهؤلاء كانوا أتباعه ووقفوا ينتظرونه ، ولعل ذلك قصدا للتخويف والإرهاب خشية من قيام فتنة ، لما أشيع قتل المشايخ المذكورين وهو الأرجح .

وفيه[2] ، كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق ، تتضمن العفو والتحذير من إثارة الفتنة ، وأن من قتل من المسلمين فى نظير من قتل من الفرنسيس .

وفيه[3] ، شرعوا فى إحصاء الأملاك ، والمطالبة بالمقرر ، فلم يعارض فى ذلك معارض ، ولم يتفوه بكلمة والذى لم يرض بالتوت يرضى بحطبه .

وفيه[4] ، أيضًا قلعوا أبواب الدروب والحارات الصغيرة الغير النافذة[5] ، وهى التى كانت تركت وسومح أصحابها وبرطلوا عليها[6] ، وصالحوا عليها قبل الحادثة ، وبرطلوا القلقات والوسايط على إبقائها ، وكذلك دروب الحسينية ، فلما انقضت هذه الحادثة ، ارتجعوا عليها وقلعوها ونقلوها إلى ما جمعوه من البوابات بالأزبكية ، ثم كسروا جميعها ، وفصلوا أخشابها ، ورفعوا بعضها على العربات إلى حيث أعمالهم بالنواحى والجهات ، وباعوا بعضها حطبا للوقود ، وكذلك ما بها من الحديد وغيره .

وفى ليلة الخميس [7] هجم المنسر [8] على بوابة سوق طولون وكسروها ، وعبروا منها إلى السوق ، فكسروا القناديل ، وفتحوا ثلاثة حوانيت ، وأخذوا ما بها من متاع المغاربة التجار ، وقتلوا القلق الذى هناك ، وخرجوا بدون مدافع ولا منازع .

وفى يوم الخميس المذكور[9] ، ذهب المشايخ إلى صارى عسكر ، وتشفعوا فى ابن

---

(١) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٣) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٤) ٢٧ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٦ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٥) هكذا بالأصل والأصوب « غير النافذة » .

(٦) برطلوا : أى قدموا الرشاوى .

(٧) ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٨ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٨) المنسر : أى اللصوص .

(٩) ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٨ نوفمبر ١٧٩٨ م .

الجوسقى ، شيخ العميان الذى قتل أبوه ، وكان معوقا ببيت البكرى ، فشفعهم فيه وأطلقوه .

واستهل شهر جمادى الثانية بيوم السبت سنة ١٢١٣ [١]

فيه[٢] ، كتبوا عدة أوراق على لسان المشايخ ، ، وأرسلوها إلى البلاد ، وألصقوا منها نسخا بالأسواق والشوارع .

وصورتها : « نصيحة من كافة علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، ونبرأ إلى الله من الساعين فى الأرض بالفساد ، نعرّف أهل مصر المحروسة من طرف الجعيدية ، وأشرار الناس ، حركوا الشرور بين الرعية وبين العساكر الفرنساوية ، بعدما كانوا أصحابا وأحبابا بالسوية ، وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ، ونهبت بعض البيوت ، ولكن حصلت ألطاف الله الخفية ، وسكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند أمير الجيوش بونابارته ، وارتفعت هذه البلية ، لأنه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ، ومحبة إلى الفقراء والمساكين ، ولولاه لكانت العساكر أحرقت جميع المدينة ، ونهبت جميع الأموال ، وقتلوا كامل أهل مصر ، فعليكم أن لاتحركوا الفتن ، ولاتطيعوا أمر المفسدين ، ولا تسمعوا كلام المنافقين ، ولاتتبعوا الأشرار ، ولاتكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرءون العواقب ، لأجل أن تحفظوا أوطانكم ، وتطمئنوا على عيالكم وأديانكم ، فإنّ الله سبحانه وتعالى يؤتى ملكه من يشاء ، ويحكم ما يريد ، ونخبركم أن كل من تسبب فى تحريك هذه الفتنة ، قتلوا عن آخرهم وأراح الله منهم العباد والبلاد ، ونصيحتنا لكم أن لاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة ، واشتغلوا بأسباب معايشكم وأمور دينكم ، وادفعوا الخراج الذى عليكم ، والدين النصيحة ، والسلام » .

وفيه[٣] ، امروا بقية السكان على بركة الأزبكية وما حولها بالنقلة من البيوت ، ليسكنوا بها جماعتهم المتباعدين منهم ، ليكون الكل فى حومة واحدة ، وذلك لما داخلهم من المسلمين ، حتى أنّ الشخص منهم صار لايمشى بدون سلاح ، بعد أن كانوا من حين دخولهم البلد لايمشون به أصلا إلا لغرض ، والذى لم يكن معه سلاح يأخذ فى يده عصا أو سوطا أو نحو ذلك ، وتنافرت قلوبهم من المسلمين ، وتحذروا

(١) جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر - ٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م. (٣) ١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٠ نوفمبر ١٧٩٨ م.

منهم ، وانكف المسلمون عن الخروج والمرور بالأسواق من الغروب إلى طلوع النهار ، ومن جملة من انتقل من الدرب الأحمر إلى الأزبكية كفرلي [1] ، المسمى بأبي خشبة ، وهو يمشي بها بدون معين ، ويصعد الدرج ويهبط منها أسرع من الصحيح ، ويركب الفرس ويرمحه وهو على هذه الحالة ، وكان من جملة المشار إليهم فيهم ، والمدبر لأمور القلاع وصفوف الحروب ، ولهم به عناية عظيمة ، واهتمام زائد ، كان يسكن ببيت مصطفى كاشف طرا ، وفي وقت الحادثة هجمت على الدار العامة ، ونهبوها وقتلوا منها بعض الفرنساوية ، وفر الباقون فأخبروا من بالقلعة الكبيرة ، فنزل منهم عدة وافرة ، وقف بعضهم خارج الدار بعد أن طردوا المزدحمين ببابها ، وضربوهم بالبندق ، ودخل الباقون فقتلوا من وجدوه بها من المسلمين ، وكانوا جملة كثيرة ، وكان بتلك الدار شيء كثير من آلات الصنائع والنظارات الغريبة ، والآلات الفلكية والهندسية والعلوم الرياضية ، وغير ذلك مما هو معدوم النظير ، كل آلة لاقيمة لها { إلا }[2] عند من يعرف صنعتها ومنفعتها ، فبدد ذلك كله العامة ، وكسروه قطعا ، وصعب ذلك على الفرنسيس جدا ، وقاموا مدة طويلة يفحصون عن تلك الآلات ، ويجعلون لمن يأتيهم بها عظيم الجعالات [3] ، وممن قتل في وقعة هذه الدار الشيخ محمد الزهار .

وفي خامسه [4] ، أفرجوا عن إبراهيم أفندي كاتب البهار وتوجه إلى بيته .

وفي ثامنه [5] ، قتلوا أربعة أنفار من القبط ، منهم اثنان من النجارين ، قيل إنهم سكروا في الخمارة ، ومروا في سكرهم وفتحوا بعض الدكاكين وسرقوا منها أشياء ، وقد تكرر منهم ذلك عدّة مرار ، فاغتاظ لذلك القبطة .

وفيه[6] ، كتبوا عدة أوراق وأرسلوا منها نسخا للبلاد ، والصقوا منها بالأخطاط والأسواق ، وذلك على لسان المشايخ أيضًا ، ولكن تزيد صورتها عن الأولى .

---

(١) كفرلي : Caffarlli وتكتب « كافاريلي » ، وكان فقد إحدى رجليه في حروب الثورة الفرنسية ، وكان يعتمد في مشيه على خشبة ، فسمي « بأبي خشبة » ، وقد كان رئيسا لفرقة المهندسين في الجيش ، كما كان عضوا في المجمع العلمي في شعبة الإقتصاد ، وقد قتل في حصار عكة ، فنعاه نابليون للديوان .

(٢) لاتوجد في طبعة بولاق ، ولايستقيم النص بدونها .

(٣) الجعالات : أي العطايا .

(٤) ٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٥) ٨ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٦) ٨ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ١٧ نوفمبر ١٧٩٨ م .

كتب بهامش ص ٣٠ ، طبعة بولاق « صورة أوراق أيضًا كتبوها على لسان المشايخ والصقوها بالأسواق تزيد عن الأولى » .

وصورتها : « نصيحة من علماء الإسلام بمصر المحروسة ، نخبركم يا أهل المدائن والأمصار من المؤمنين ، ويا سكان الأرياف من العربان والفلاحين ، أن إبراهيم بيك ومراد بيك وبقية دولة المماليك ، أرسلوا عدة مكاتبات ومخاطبات إلي سائر الأقاليم المصرية لأجل تحريك الفتنة بين المخلوقات ، وادعوا أنها من حضرة مولانا السلطان ، ومن بعض وزرائه بالكذب والبهتان ، وبسبب ذلك حصل لهم شدّة الغم والكرب الزائد ، واغتاظوا غيظا شديدا من علماء مصر ورعاياها ، حيث لم يوافقوهم على الخروج معهم ، ويتركوا عيالهم وأوطانهم ، فأرادوا أن يوقعوا الفتنة والشرّ بين الرعية والعسكر الفرنساوية ، لأجل خراب البلاد وهلاك كامل الرعية ، وذلك لشدة ما حصل لهم من الكرب الزائد بذهاب دولتهم وحرمانهم من مملكة مصر المحمية ، ولو كانوا فى هذه الأوراق صادقين ، بأنها من حضرة سلطان السلاطين ، لأرسلها جهارا مع أغوات معينين ، ونخبركم أن الطائفة الفرنساوية بالخصوص عن بقية الطوائف الإفرنجية دائمًا يحبون المسلمين وملتهم ، ويبغضون المشركين وطبيعتهم ، أحباب لمولانا السلطان قائمين بنصرته ، وأصدقاء له ملازمون لمودته وعشرته ومعونته ،يحبون من والاه ، ويبغضون من عاداه ، ولذلك بين الفرنساوية والموسكوف [1] غاية العداوة الشديدة من أجل عداوة المسكوف القبيحة الرديئة ، والطائفة الفرنساوية يعاونون حضرة السلطان على أخذ بلادهم إن شاء الله تعالى ، ولايبقون منهم بقية ، فننصحكم أيها الأقاليم المصرية ، أنكم لاتحركوا الفتن ولا الشرور بين البرية ، ولاتعارضوا العساكر الفرنساوية بشيء من أنواع الأذية ، فيحصل لكم الضرر والهلاك ، ولاتسمعوا كلام المفسدين ، ولاتطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون فى الأرض ولايصلحون ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين ، وإنما عليكم دفع الخراج المطلوب منكم لكامل الملتزمين ، لتكونوا بأوطانكم سالمين ، وعلى أموالكم وعيالكم آمنين مطمئنين ، لأن حضرة صارى عسكر الكبير أمير الجيوش بونابارته اتفق معنا على أنه لاينازع أحدا فى دين الإسلام ، ولايعارضنا فيما شرعه الله من الأحكام ، ويرفع عن الرعية سائر المظالم ، ويقتصر على أخذ الخراج ، ويزيل ما أحدثه الظلمة من المغارم ، فلا تعلقوا آمالكم بإبراهيم ومراد ، وارجعوا إلى مولاكم مالك الملك وخالق العباد ، فقد قال نبيه ورسوله الأكرم : « الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها بين الأمم » ، عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(١) المسكوف : روسيا .

وفى ثالث عشره [1] ، قتلوا شخصين عند باب زويلة أحدهما يهودى لم يتحقق السبب فى قتلهما .

وفيه[2] ، أخرجوا من بيت نسيب إبراهيم كتخدا ، صناديق ضمنها مصاغ وجواهر وأوانى ذهب وفضة وأمتعة وملابس كثيرة .

وفى خامس عشره [3] ، حضر جماعة من الفرنساوية بباب زويلة ، وفتحوا بعض دكاكين السكرية ، وأخذوا منها سكرا وضاع على أصحابه .

وفيه[4] ، دلوا على إنسان عنده صندوقان وديعة لأيوب بيك الدفتردار ، فطلبوه وأمروه بإحضارهما فأحضرهما بعد الإنكار والجحد عدة مرار ، فوجدوا ضمنها أسلحة وجواهر وسبح لؤلؤ وخناجر مجوهرة وغير ذلك .

وفى عشرينه [5] ، كتبوا عدة أوراق مطبوعة وألصقوها بالأسواق مضمونها : أن فى يوم الجمعة حادى عشرينه [6] ، قصدنا أنْ نطير مركبا ببركة الأزبكية فى الهواء بحيلة فرنساوية ، فكثر لغط الناس فى هذا كعادتهم ، فلما كان ذلك اليوم قبل العصر تجمع الناس والكثير من الإفرنج ، ليروا تلك العجيبة وكنت بجملتهم ، فرأيت قماشا على هيئة الأوية على عمود قائم ، وهو ملوّن أحمر وأبيض وأزرق على مثل دائرة الغربال ، وفى وسطه مسرجة بها فتيلة مغموسة ببعض الأدهان ، وتلك المسرجة مصلوبة بسلوك من حديد منها إلى الدائرة ، وهى مشدودة ببكر وأحبال ، وأطراف الأحبال بأيدى أناس قائمين بأسطحة البيوت القريبة منها ، فلما كان بعد العصر بنحو ساعة أوقدوا تلك الفتيلة ، فصعد دخانها إلى ذلك القماش وملأه فانتفخ وصار مثل الكرة ، وطلب الدخان الصعود إلى مركزه ، فلم يجد منفذا ، فجذبها معه إلى العلوّ فجذبوها بتلك الأحبال مساعدة لها حتى ارتفعت عن الأرض ، فقطعوا تلك الحبال فصعدت إلى الجوّ مع الهواء ، ومشت هنيهة لطيفة ، ثم سقطت طارتها بالفتيلة ، وسقط أيضا ذلك القماش ، وتناثر منها أوراق كثيرة من نسخ الأوراق المبصومة ، فلما حصل لها ذلك انكسف طبعهم لسقوطها ، ولم يتبين صحة ما قالوه : « من

(١) ١٣ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٢) ١٣ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٢ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٣) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٤) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٤ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٨ م .
(٦) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

أنها على هيئة مركب تسير فى الهواء بحكمة مصنوعة، ويجلس فيها أنفار من الناس، ويسافرون فيها إلى البلاد البعيدة لكشف الأخبار ، وإرسال المراسلات » ، بل ظهر أنها مثل الطيارة التى يعملها الفراشون بالمواسم والأفراح .

وفى تلك الليلة[1]، طاف منهم أنفار بالأسواق ومعهم مقاطف بها لحوم مسمومة، فأطعموها للكلاب فمات منها جملة كثيرة ، فلما طلع النهار وجد الناس الكلاب مرمية وطرحى بالأسواق وهى موتى ، فاستأجروا لها من أخرجها إلى الكيمان ، وسبب ذلك أنهم لما كانوا يمرون بالأسواق فى الليل وهم سكوت ، كانت الكلاب تنبحهم وتعدو خلفهم ، ففعلوا بها ذلك وارتاحوا هم والناس منها .

وفى خامس عشرينه [2] ، سافر عدة عساكر إلى جهة مراد بيك ، وكذلك إلى جهة كرداسة [3] ، بسبب العربان ، وكذلك إلى السويس [4] والصالحية [5] ، وأخذوا جمال السقائين بروایاها [6] وحميرهم ، ولكن يعطونهم أجرتهم فشح الماء وغلا ، وبلغت القربة عشرة أنصاف فضة .

وفيه[7] ، ظفروا بعدة ودائع وخبايا بأماكن متعددة بها صناديق وأمتعة وأسلحة وأوانى صينى وأوانى نحاس قناطير وغير ذلك ، وانقضى هذا الشهر وما حصل به من الحوادث الكلية والجزئية التى لايمكن ضبطها لكثرتها .

منها : أنهم أحدثوا بغيط النوبى المجاور للأزبكية أبنية على هيئة مخصوصة

(١) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٣٠ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ / ٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٣) كرداسة : من القرى القديمة ، وهى الآن مدينة ، وقاعدة قسم كرداسة ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٦٢ .

(٤) السويس : لما انسحب البحر الأحمر إلى الجنوب ، وإنفصلت عنه البحيرات المرة ، أصبحت ميناء مصر ، عند النهاية الشمالية لخليج السويس ، هى كليسما التى سماها العرب مدينة القلزم ، ونشأت السويس كقرية صغيرة جنوبى مدينة القلزم ، وأصبحت ميناء مصر على البحر الأحمر .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٧ .

(٥) الصالحية : أنشاها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ٦٤٤ هـ / ١٢٤٦ - ١٢٤٧ م ، بأرض السايح فى أول الرمل بين مصر والشام ، لتكون منزلة للعساكر عند ذهابهم وإيابهم إلى ومن الشام ، وهى الآن تابعة لمركز فاقوس ، محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٢ - ١١٣ .

(٦) الروايا : القِرَبُ .

(٧) ٢٥ جمادى الثانية ١٢١٣ هـ/ ٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

منتزهة ، يجتمع بها النساء والرجال للهو والخلاعة في أوقات مخصوصة ، وجعلوا على كل من يدخل إليه قدرا مخصوصا يدفعه ، أو يكون مأذونا و بيده ورقة .

ومنها : أنهم هدموا وبنوا بالمانياس والروضة ، وهدموا أماكن بالجيزة ، ومهدوا التل المجاور لقنطرة الليمون ، وجعلوا في أعلاه طاحونا تدور في الهواء عجيبة ، وتطحن الأرادب من البر ، وهي بأربعة أحجار ، وطاحونا أخرى بالروضة ، تجاه مساطب النشاب ، وهدموا الجامع المجاور لقنطرة الدكة ، وشرعوا في ردم جهات حوالى بركة الأزبكية ، وهدموا الأماكن المقابلة لبيت سارى عسكر حتى جعلوها رحبة متسعة، وهدموا الدور المقابلة لها من الجهة الأخرى والجنائن التي خلف ذلك ، وقطعوا أشجارها وردموا مكانها بالأتربة الممهدة على خط معتدل من الجهتين مبتدأ من حد بيت سارى عسكر إلى قنطرة المغربي [1] ، وجددوا القنطرة المذكورة ، وكانت آلت إلى السقوط ، وفعلوا بعدها كذلك على الوضع والنسق ، بحيث صار جسرا عظيما ممتدا ممهدا مستويا على خط مستقيم من الأزبكية إلى بولاق ، وينقسم بقرب بولاق قسمين : قسم إلى طريق أبي العلا ، وقسم يذهب إلى جهة التبانة [2] وساحل النيل ، وبطريقة الطريق المسلوكة المواصلة من طريق أبي العلا ، وجامع الخطيري [3] إلى ناحية المدابغ ، وحفروا في جانبي ذلك الجسر من مبدئه إلى منتهاه خندقين ، وغرسوا بجانبه أشجارا وسيسبانا ، وأحدثوا طريقا أخرى فيما بين باب الحديد وباب العدوى [4] عند المكان المعروف بالشيخ شعيب، حيث معمل الفواخير ، وردموا جسرا ممتدا ممهدا مستطيلا يبتدئ من الحد المذكور ، وينتهي إلى جهة المذبح خارج الحسينية ، وأزالوا ما يتخلل بين ذلك من الأبنية والغيطان والأشجار والتلول ، وقطعوا جانبا كبيرا من التل الكبير المجاور لقنطرة الحاجب [5] ، وردموا في طريقهم قطعة من خليج

---

(١) قنطرة المغربي : قنطرة كانت على الخليج المصري في المنطقة الواقعة ما بين الخرق وباب الشعرية .

(٢) التبانة : كانت تعرف بموردة التبن على ساحل النيل ، وهي المكان الذي كان يرد إليه ويشحن منه التبن .

(٣) جامع الخطيري : أنشأه عز الدين أيدمر الخطيري ، وكان مكان هذا الجامع ببولاق مغمورا بماء النيل ، ثم انحسر عنه الماء ، وصار بعد سنة ٧٠٠ هـ / ١٦ سبتمبر ١٣٠٠ - ٥ سبتمبر ١٣٠١م ، منتزها به زروع ، ثم اشترى الأمير عز الدين مكان هذا الجامع وبنى عليه الجامع ، وتأنق في عمارته ورخامه ، وسماه « جامع التوبة » ، ورتب به درسا للشافعية وكمل في سنة ٧٣٧ هـ / ١٠ أغسطس ١٣٣٦ - ٢٩ يوليه ١٣٣٧ م ، وأقيمت فيه الجمعة ، وهدم مرتين بعد الأمير عز الدين .

مبارك ، علي : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٢١ .

(٤) باب العدوى : كان قريبًا من باب الحديد ، وربط الفرنسيون بين البابين بطريق .

(٥) قنطرة الحاجب : قنطرة كانت تقع على الخليج الناصري ، يتوصل إليها من أرض الطبالة ، أنشأها الأمير سيف الدين بكتمر الحاجب سنة ٧٢٦ هـ / ٨ ديسمبر ١٣٢٥ - ٢٦ نوفمبر ١٣٢٦ م ، ومن تحت هذه القنطرة يصب الخليج الناصري في الخليج الكبير .

المقريزي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥١ .

بركة الرطلى [١] ، وقطعوا أشجار بستان كاتب البهار المقابل لجسر بركة الرطلى ، وأشجار الجسر أيضًا ، والأبنية التى بين باب الحديد والرحبة التى بظاهر جامع المقس [٢] ، وساووا على المنخفض بحيث صارت طريقا ممتدة من الأزبكية إلى جهة قبة النصر المعروفة بقبة العزب جهة العادلية على خط مستقيم من الجهتين ، وقيدوا بذلك أنفارا منهم يتعاهدون تلك الطرق ، ويصلحون ما يخرج منها عن قالب الاعتدال بكثرة الدوس وحوافر الخيول والبغال والحمير ، وفعلوا هذا الشغل الكبير والفعل العظيم فى أقرب زمن ، ولم يسخروا أحدا فى العمل بل كانوا يعطون الرجال زيادة عن أجرتهم المعتادة ، ويصرفونهم من بعد الظهيرة ، ويستعينون فى الأشغال وسرعة العمل بالآلات القريبة المأخذ ، السهلة التناول المساعدة فى العمل ، وقلة الكلفة ، كانوا يجعلون بدل الغلقان والقصاع عربات صغيرة ، ويداها ممتدتان من خلف ، يملؤها الفاعل ترابا أو طينا أو أحجارا من مقدمها بسهولة ، بحيث تسع مقدار خمسة غلقان ، ثم يقبض بيديه على خشبتيها المذكورتين ، ويدفعها أمامه فتجرى على عجلتها بأدنى مساعدة إلى محل العمل ، فيميلها بإحدى يديه ويفرغ ما فيها من غير تعب ولا مشقة ، وكذلك لهم فؤس وأنزم محكمة الصنعة متقنة الوضع ، وغالب الصناع من جنسهم ، ولايقطعون الأحجار والأخشاب إلا بالطرق الهندسية على الزوايا القائمة والخطوط المستقيمة ، وجعلوا جامع الظاهر بيبرس [٤] ، خارج الحسينية قلعة ، ومنارته برجا ، ووضعوا على أسواره مدافع وأسكنوا به جماعة من العسكر ، وبنوا فى داخله عدة مساكن تسكنها العسكر المقيمة به ، وكان هذا الجامع معطل الشعائر من مدة طويلة ، وباع نظاره منه أنقاضا وعمدا كثيرة .

---

(١) بركة الرطلى : من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوابين ، لأنه كان يعمل فيها الطوب ، فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاوون الخليج الناصرى ، التمس الأمير بكتمر الحاجب من المهندسين أن يمر بجانب بركة الطوابين ، فلما جرى ماء النيل فى الخليج روى أرض البركة ، فعرفت ببركة الحاجب ، وكان فى شرقى هذه البركة زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الأرطال .

المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٢ - ١٦٣ .

(٢) جامع المقس : أنظر ، ص ٤٨ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) جامع الظاهر بيبرس : أنشأه الملك الظاهر بيبرس البندقدارى العلائى ، خارج القاهرة بالحسينية ، وكان موضعه ميدانا ، يعرف بميدان قراقوش ، وكان منتزه الملك ، فرسم الجامع فى قطعة منه ، وأتى بخشب المقصورة ، ورخام للمحراب من قلعة يافا بعد تسلمها من الفرنج ، وكملت عمارة الجامع سنة ٦٦٧ هـ / ١٠ سبتمبر ١٢٦٨ - ٣٠ أغسطس ١٢٦٩ م .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٥ ، ص ١٠١ .

ومنهـا ، أنهم أحدثوا علـى التل المعروف بتـل العقارب بالنـاصرية [1] ، أبنية وكرانك وأبـراجا ، ووضعوا فـيها عدة مـن آلات الحرب والعسـاكر المرابطـين فيه ، وهدموا عـدة دور من دور الأمراء ، وأخذوا أنقـاضها ورخامـها لأبنيتـهم ، وأفردوا للمدبرين والـفلكيين وأهل المعرفة ، والعلوم الـرياضية كالهندسة والهيـئة والنقوشات والرسومات ، والمصوّريـن والكتبة والحساب ، والمنشئـين حارة الناصرية [2] ، حيث الدرب الجديد [3] ، وما به من البيوت مثل بيت قـاسم بيك وأمير الحاج المعروف بأبى يوسف ، وبـيت حسن كاشـف چركس القديم والجديـد الذى أنشأه وشيـده وزخرفه وصرف عليه أموالا عظـيمة من مظالم العباد ، وعند تمام بيـاضه وفرشه حدثت هذه الحادثة ، ففر مع الفارين وتركه ، وفيه جملة كبيرة من كتبهم وعليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ، ومن يريـد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم ، فتجتمع الطلبة مـنهم كل يوم قبل الظـهر بساعتين ويجلـسون فى فسحة المكان المـقابلة لمخازن الكتب على كراسى منصوبة موازية لتختاة عريضة مستطيلة ، فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها ، فيحـضرها له الخازن ، فيتصفحون ويراجعون ويكتـبون حتى أسافلهم من العساكر ، وإذا حضر إليهم بعض المسلمين ممن يريد الفرجة لايمنعونه الدخول إلى أعز أماكـنهم ، ويتـلقونه بـالبشاشـة والضحك ، وإظـهار السرور بمـجيئه إلـيهم ، وخصوصًا إذا رأوا فيه قـابلية أو معرفة أو تطلعـا للنظر فى المعارف بذلـوا له مودتهم ومحبتهـم ، ويحضرون له أنواع الكتب المـطبوع بها أنواع التصـاوير ، وكرات البلاد والأقالـيم ، والحيوانـات والطيـور والنبـاتات ، وتواريخ الـقدماء ، وسـير الأمم ، وقصص الأنـبياء بتـصاويـرهم وآيـاتهم ومعـجزاتهـم ، وحـوادث أممهم ، مما يـحير الأفكار ، ولقد ذهبت إلـيهم مرارا وأطلعونى على ذلك ، فمن جمـلة ما رأيته كتاب كبير يشتمل عـلى سيرة النبى ﷺ ، ومصوّرون به صورته الشريـفة على قدر مبلغ علمهم واجتهادهم ، وهو قائم على قدميه ناظر إلى السماء كالمرهب للخليقة ، وبيده اليمنى السيف ، وفى اليسرى الكتـاب ، وحوله الصحابة ﷺ ، بأيديهم السيوف ، وفى صفحة أخـرى صورة الخلفاء الراشدين ، وفى الأخرى صـورة المعراج والبراق ،

---

(1) الناصرية : شارع يـبتدئ من أخر شارع سويقة السباعين ، وينتهـى بشارع الكومى ، وطوله ٥٨٠ مترا ، وبه عدة دروب .
مبارك ، على : ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٤٨ .

(2) حارة الناصرية : حارة متفرعة من شارع الناصرية .

(3) الدرب الجديد : يقع فى يسار شارع الدرب الجديد الذى يقـع بجهة اليسار من شارع الموسكى ، وهذا الدرب سلك منه إلى حارة الفرنج ، وبه جامع العجمى .
نفس المرجع : جـ ٣ ،ص ٣١٠ .

وهو ﷺ راكب عليه من صخرة بيت المقدس ، وصورة بيت المقدس ، والحرم المكى والمدنى ، وكذلك صورة الأئمة المجتهدين ، وبقية الخلفاء والسلاطين ، ومثال إسلامبول ، وما بها من المساجد العظام كآيا صوفية (١) ، وجامع السلطان محمد (٢) ، وهيئة المولد النبوى ، وجمعية أصناف الناس لذلك ، وكذلك السلطان سليمان (٣) ، وهيئة صلاة الجمعة فيه ، وأبى أيوب الأنصارى (٤) ، وهيئة صلاة الجنازة فيه ، وصور البلدان والسواحل والبحار والأهرام ، وبرابى الصعيد ، والصور والأشكال والأقلام المرسومة بها ، وما يختص بكل بلد من أجناس الحيوان والطيور والنبات والأعشاب ، وعلوم الطب والتشريح والهندسيات ، وجر الأثقال ، وكثير من الكتب الإسلامية مترجم بلغتهم ، ورأيت عندهم كتاب الشفاء للقاضى عياض (٥) ، ويعبرون عنه بقولهم : « شفاء شريف » ، والبردة للبوصيرى (٦) ، ويحفظون جملة من أبياتها وترجموها بلغتهم ، ورأيت بعضهم يحفظ سورا من القرآن ، ولهم تطلع زائد للعلوم وأكثرها الرياضة ومعرفة اللغات ، واجتهاد كبير فى معرفة اللغة والمنطق ويدأبون فى ذلك الليل والنهار ، وعندهم كتب مفردة لأنواع اللغات وتصاريفها واشتقاقاتها ، بحيث يسهل عليهم نقل ما يريدون من أى لغة كانت إلى لغتهم فى أقرب وقت ، وعند توت الفلكى وتلامذته فى مكانهم المختص بهم الآلات الفلكية الغريبة المتقنة الصنعة ، وآلات الارتفاعات البديعة العجيبة التركيب الغالية الثمن ، المصنوعة من الصفر المموه ، وهى تركب ببراريم مصنوعة محكمة ، كل آلة منها عدة قطع تركب مع بعضها البعض برباطات وبراريم لطيفة ، بحيث إذا ركبت صارت آلة كبيرة أخذت

---

(١) أيا صوفية : كنيسة كبيرة كانت قائمة فى القسطنطينية قبل أن يفتحها محمد الفاتح فى ٢٩ مايو ١٤٥٣ م ، ثم تحولت إلى مسجد .

(٢) جامع السلطان محمد : جامع بناه السلطان محمد بإستانبول .

(٣) جامع السلطان سليمان : جامع بناه السلطان سليمان القانونى بإستانبول .

(٤) جامع أبى أيوب الأنصارى : جامع قائم بإستانبول .

(٥) القاضى عياض : مؤرخ وفقيه وشاعر مغربى ، ولد فى سبته وعاش فى الفترة (١٠٨٣ - ١١٤٩ م) ، ودرس على ابن رشد وغيره من علماء عصره ، وتولى التعليم والقضاء فى سبته وقرطبة ، وألّف « الشفاء بتعريف حقوق المصطفى » و « مشارق الأنوار فى اقتفاء الآثار » .
الموسوعة العربية : ص ١٢٤٦ .

(٦) البوصيرى: ولد بدلاص أو ببهتيم من البهنسا ، ومات بالقاهرة ، حيث عاش فى الفترة (١٢١١ - ١٢٩٦). ودرس اللغة والنحو والأدب والتاريخ والحديث والتصوف ، وأخذ عن أبى العباس المرسى ، عمل مباشرا ببلبيس ، ثم أنشأ كتابا بالقاهرة ، واتخذ من المديح والهجاء وسيلة تكسب ، اشتهر بمدائحه النبوية ، وبخاصة « الهمزية » و « البردة » ، وله ديوان مطبوع .
نفس المرجع : ص ٤٣٦ .

قدرا من الفراغ وبها نظارات وثقوب ينفذ النظر منها إلى المرئى ، وإذا انحل تركيبها وضعت فى ظرف صغير ، وكذلك نظارات للنظر فى الكواكب وأرصادها ، ومعرفة مقاديرها وأجرامها وارتفاعاتها واتصالاتها ومناظراتها ، وأنواع المنكابات والساعات التى تسير بثوانى الدقائق الغريبة الشكل الغالية الثمن ، وغير ذلك .

وأفردوا لجماعة منهم : بيت إبراهيم كتخدا السنارى ، وهم المصورون لكل شيء ومنهم أريجو [1] المصوّر ، وهو يصوّر صور الآدميين تصويرا يظن من يراه أنه بارز فى الفراغ مجسم يكاد ينطبق حتى أنه صور صورة المشايخ كل واحد على حدته فى دائرة ، وكذلك غيرهم من الأعيان ، وعلقوا ذلك فى بعض مجالس سارى عسكر ، وآخر فى مكان آخر يصوّر الحيوانات والحشرات ، وآخر يصوّر الأسماك والحيتان بأنواعها وأسمائها ، ويأخذون الحيوان أو الحوت الغريب الذى لايوجد ببلادهم ، فيضعون جسمه بذاته فى ماء مصنوع حافظ للجسم ، فيبقى على حالته وهيئته لايتغير ولايبلى ولو بقى زمنا طويلا .

وكذلك أفردوا أماكن للمهندسين وصناع الدقائق وسكن الحكيم رويا [2] ، ببيت ذى الفقار كتخدا بجوار ذلك ، ووضع آلاته ومساحقه وأهوانه فى ناحية ، وركب له تنانير وكوانين لتقطير المياه والأدهان ، واستخراج الأملاح وقدورا عظيمة وبرامات ، وجعل له مكانا أسفل وأعلى ، وبهما رفوف عليها القدور المملوءة بالتراكيب والمعاجين والزجاجات المتنوعة ، وبها كذلك عدة من الأطباء والجرايحية .

وأفردوا مكانا فى بيت حسن كاشف چركس ، لصناعة الحكمة والطب الكيماوى ، وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع ، وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه ، وخلاصات المفردات ، وأملاح الأرمدة المستخرجة من الأعشاب والنباتات ، واستخراج المياه الجلاءة والحلالة ، وحول المكان الداخل قوارير وأوان من الزجاج البلورى المختلف الأشكال والهيئات على الرفوف والسدلات [3] ، وبداخلها أنواع المستخرجات .

---

(١) أريجو : Rigo

(٢) رويا : Royer

(٣) السدلات : الفرندات

ومن أغرب ما رأيته فى ذلك المكان ، أنّ بعض المـتقيدين لذلك أخذ زجاجة من الزجاجات الموضـوع فيها بعض المياه المسـتخرجة ، فصب منها شـيئًا فى كأس ، ثم صب عليها شيئًا من زجاجة أخرى ، فعلا المـاءان وصعد منه دخان ملون حتى انقطع وجف ما فى الكأس ، وصار حجرا أصفر فقلبـه على البرجات حجرا يابسا ، أخذناه بأيدينا ونظرنـاه ، ثم فعل كذلك بمياه أخرى ، فجمد حـجر أزرق ، وبأخرى فجمد حجرا أحمر ياقوتيا ، وأخذ مرة شيئًا قليلا جدا من غبار أبيض ووضعه على السندال وضربه بـالمطرقة بلـطف ، فخرج له صوت هـائل كصوت القـرابانة [1] انزعجنا منه فضحكوا منا ، وأخذ مرة زجاجة فارغة مستطيلـة فى مقدار الشبر ضيقة الفم فغمّسها فى ماء قراح موضوع فى صندوق من الخشـب ، مصفح الداخل بالرصاص ، وأدخل معها أخرى على غير هيئتها وأنزلهمـا فى الماء ، وأصعدهما بحركة انحبس بها الهواء فى أحدهما ، وأتى آخر بـفتيلة مشتعلة ، وأبرز ذلك فـم الزجاجة من الماء ، وقرب الآخر الشعلة إليها فى الحال ، فخرج الماء المحبوس وفرقع بصوت هائل أيضًا ، وغير ذلك أمور كثيرة وبراهين حكمية ، تتولد من اجتماع العناصر وملاقاة الطبائع ، ومثل الفلكة المبتديرة التى يديرون بها الزجاجة ، فيتولد من حركتها شرر يطير بملاقاة أدنى شيء كثيف ، ويظهر له صوت وطقطقة وإذا مسك علاقتها شخص ، ولو خيطا لطيفا متصلا بـها ، ولمس آخر الزجاجة الدائـرة أو ما قرب منها بيـده الأخرى ، ارتج بدنه وارتعد جسمه وطقطقت عظام أكتافه وسواعده فى الحال برجة سريعة ، ومن لمس هذا اللامس أو شيئًا مـن ثيابـه أو شيئًا مـتصلا به ، حصل له ذلك ، ولـو كانوا ألفا أو أكثر ، ولهـم فـيه أمـور وأحوال وتراكيب غريبـة ، ينتج منها نتائج لايـسعها عقول أمثالنا .

وأفردوا أيـضًا مكـانا للـنجاريـن وصنـاع الآلات والأخشاب وطـواحين الـهواء والعربات واللوازم ، لهم فى أشغالهم وهندساتهم وأرباب صنائعهم .

ومكان آخر للحدادين وبـنوا فيه كوانين عظاما وعليها منافيـخ كبار ، يخرج منها الهواء مـتصلا كثـيرا ، بحيـث يجذبه النـافخ من أعلـى بحركة لـطيفة ، وصـنعوا السندانات والمطـارق العظام لصناعات الآلات من الحديـد والمخارط ، وركبوا مخارط

(١) القرابانة : فى الفرنـسية والإيطالية (Carabine) ، وتعنى بنـدقية من طراز قديم ، واسعة الـفوهة ، كان يحملها المشاة والفرسان .

سليمان ، أحمد السعيد ، المرجع السابق ، ص ١٦٥ - ١٦٦ .

عظيمة لخرط القلوزات الحديد العظيمة ، ولهم فلكات مثقلة يديرها الرجال للمعلم الخراط للحديد بالأقلام المتينة الجافية ، وعليها حق[1] صغير معلق مثقوب ، وفيه ماء يقطر على محل الخرط لتبريد النارية الحادثة من الاصطكاك ، وبأعلى هذه الأمكنة صناع الأمور الدقيقة مثل : البركارات [2] وآلات الساعات ، والآلات الهندسية المتقنة وغير ذلك .

شهر رجب سنة ١٢١٣ [3]

استهل بيوم الأحد [4] ، فى ثالثه [5] قتلوا شخصا من الأجناد ، يقال له مصطفى كاشف من جماعة حسين بيك المعروف بشفت ، وكان قد فر مع الفارين ثم رجع من غير استئذان ، وأقام أياما مستترا ببيت الشيخ سليمان الفيومى ، فسلمه لمصطفى أغا مستحفظان ، ليأخذ له أمانا فأخبر الفرنسيس بشأنه وأغراهم عليه فأمروه بقتله ، فقطع رأسه وطافوا بها ينادون عليها بقولهم ، : « هذا جزاء من يدخل إلى مصر بغير إذن الفرنسيس » .

وفى يوم الخميس [6] حضر كبير الفرنسيس الذى بناحية قليوب وصحبته سليمان الشواربى شيخ الناحية وكبيرها ، فلما حضر حبسوه بالقلعة قيل : إنهم عثروا له على مكتوب أرسله وقت الفتنة السابقة إلى سرياقوس ، لينهض أهل تلك النواحى فى القيام ، ويأمرهم بالحضور وقت أن يرى الغلبة على الفرنسيس ، ولما حبسوه حبسوا معه أربعة من الأجناد أيضًا .

وفيه[7] ، أحدثوا مزمارا يضربونه فى كل وقت ، وقت الزوال لأن ذلك الوقت عندهم ابتداء اليوم .

وفى يوم الأربعاء عاشره [8] نادوا فى الأسواق بأن من أراد أن يشترى فرسا أو

---

(١) حُق : اى كوكب من الصفيح .

(٢) البركارات : خزائن الملابس .

(٣) رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ - ٧ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) ١ رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٥) ٣ رجب ١٢١٣ هـ / ١١ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٦) ٥ رجب ١٢١٣ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٧) ٥ رجب ١٢١٣ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٨) ١٠ رجب ١٢١٣ هـ / ١٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .

حمارا فليحضر يوم الجمعة ثالث عشره [1] ببولاق ، ويشترى من الفرنساوية ما أحب من ذلك ، وكتبوا بذلك أوراقا وألصقوها بالأسواق والأزقة ، وهى مطبوعة وعليها الصورة ، ونصها : « فليكن معلوما عند كافة الرعاية المصرية أن فى يوم الجمعة ثلاثة عشر من شهر رجب الساعة اثنين ، يباع فى بولاق جملة خيل من المشيخة الفرنساوية ، فلأجل هذا المشترى كل من أراد أن يقتنى خيلا فمنحنا له الإجازة أنه يقتنى كما يريد ويشاء » انتهى .

وفى يوم الإثنين سادس عشره [2] ، سافر سارى عسكر بونابارته إلى السويس ، وأخذ صحبته السيد أحمد المحروقى وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأخذ معه أيضًا بعض المدبرين والمهندسين والمصوّرين ، وجرجس الجوهرى ، وألطون أبو طاقية وغيرهم ، وعدة كثيرة من عساكر الخيالة والمشاة وبعض مدافع وعربات وتختروان[3] ، وعدة جمال لحمل الذخيرة والماء والقومانية [4] .

وفيه[5] ، شرعوا فى ترتيب الديوان على تنظيم آخر ، وعينوا له ستين نفرا منهم أربعة عشر ، يقال لهم خصوص ، وهم الذين يحضرون دائما ، ويقال لهم الديوان الخصوصى [6] والديوان الديمومى [7] ، والباقى بحسب الاقتضاء ، والأربعة عشر هم من المشايخ : الشرقاوى ، والمهدى ، والصاوى ، والبكرى ، والفيومى ، ومن التجار : المحروقى ، وأحمد محرم ، ومن النصارى القبطة : لطف الله المصرى ، ومن الشوام : يوسف فرحات ، ومخاييل كحيل ، ورواحة الإنكليزى ، وبودنى ، وموسى كافر الفرنساوى ، ومعهم وكلاء ومباشرون من الفرنسيس ، ومترجمون ، وأما العمومى : فأكثره مشايخ حرف ، وكتبوا بذلك طومارا كبيرا بصموا منه نسخا كثيرة ، وأرسلوا منها نسخا كثيرة للأعيان ، وألصقوا منها بالأسواق على العادة ،

---

(١) ١٣ رجب ١٢١٣ هـ / ٢١ ديسمبر ١٧٩٨ م . (٢) ١٦ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٣) تختروان : فى الفارسية « تخت » بمعنى السرير و « روان » تعنى السائر والمتحرك ، وهو عبارة عن هودج أو محفة يحملها جملان أو حصانان من أمام ، ومثلهما من الخلف ، ويركبه العلية من الرجال والنساء .
سليمان : أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٣ .

(٤) القومانية : انظر : الجزء الأول : ص ٢١٢ ، حاشية رقم (١) .

(٥) ١٦ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٤ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(٦) الديوان الخصوصى : يتكون من أربعة عشر عضوا من أعضاء الديوان العمومى ، ينتخبهم الأعضاء ، ويصدق على انتخابهم القائد العام ، ويجتمع هذا الديوان كل يوم للنظر فى مصالح الناس ، وكان أعضاؤه خمسة أعضاء من العلماء، اثنان من التجار، اثنان من الأقباط ، اثنان من السوريين ، وثلاثة أعضاء من الأوربيين.

(٧) الديوان الديمومى : كان يتكون من ستين عضوا من أعيان المصريين ومختلف الطبقات على النحو التالى : ١٤ من العلماء ، ٢٦ من التجار والصناع ، ١١ من رجال العسكرية ، ٢ من مشايخ الأخطاط ، ٤ من الأقباط ، ٣ من الأجانب ، وينتخب الأعضاء من بينهم رئيس الديوان ، واثنين من السكرتيريين ، ويجتمع الديوان بناء على دعوة ، ولا يجتمع بعد انفضاضه إلا بدعوة أخرى ، وكان له قوميسير فرنسى هو جلوتيه Gloutier ، وقوميسير مسلم هو الأمير ذو الفقار كتخدا (وكيل) بونابرته .
انظر بشأن الديوانين ، الرافعى ، عبد الرحمن : تاريخ الحركة القومية : جـ ١ ، ص ٩٧ - ١١٦

وأرسلوا للـذين عينوا بالـديوان أوراقا بأسمائهـم شبه التقاريـر ، وصورة صدر ذلك الطـومار المكـتتب فـى شأن ذلك ، وقـد أوردت ذلك ، وإن كان فـيه بعـض طول للاطلاع على ما فيه من التمويهات عـلى العقول ، والتسلق على دعوى الخواص من البشر ، بفـاسد التخيلات التى تـنادى على بطلانها بـديهة العقل ، فضلا عـن النظر وهى مقولة على لسان بونابارته كبير الفرنـسيس ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من أمير الجيوش الفرنساوية خطابا إلى كافة أهالى مصر الخاص والعام ، نعلمكم أن بعض الناس الضالـين العقول الخالين من المعرفة وإدراك العـواقب سابقا ، أوقعوا الفتنة والـشرور بين القاطنين بمصـر ، فأهلكهم الله بسبب فـعلهم ونيتهم الـقبيحة ، والبارى سبحانه وتعـالى أمرنى بالشفقة والرحمة على العبـاد ، فامتثلت أمره وصرت رحيما بكم شفوقا عليكم ، ولكن كـان حصل عندى غيظ وغم شديد بحسب تحريك هذه الفـتنة بينـكم ، ولأجل ذلك أبـطلت الديوان الـذى كنت رتبتـه لنظام الـبلد ، وصلاح أحوالكم من مدة شهرين والآن توجه خـاطرنا إلى ترتيب الديوان كما كان ، لأن حسن أحوالكم ومعاملتكم فى المـدة المذكورة أنسانا ذنوب الأشرار ، وأهل الفتنة التى وقعت سابقًا ، أيـها العلماء والأشراف ، أعلموا أمتكم ومعـاشر رعيتكم ، بأن الذى يعادينى ويخاصـمنى إنما خصامه من ضلال عقله وفساد فـكره ، فلا يجد ملجأ ولا مخلصـا ينجيه فى هـذا العالم ، ولاينجو مـن بين يدى الله لمعارضتـه لمقادير الله سبحانه وتعالى ، والعاقل يعرف أن ما فعلناه بتقدير الله وإرادته وقضائه ، ومن يشك فى ذلك فـهو أحمق وأعمـى البصيرة ، وأعلـموا أيضًا أمتكـم أن الله قدر فى الأزل هلاك أعداء الإسلام ، وتـكسير الصلـبان على يدى ، وقدر فـى الأزل أنى أجئ من المغرب إلى أرض مصر لهلاك الذين ظلموا فيها ، وإجراء الأمر الذى أمرت به ، ولا يشك العاقل أنَّ هذا كله بتقدير الله وإرادتـه وقضائه ، وأعلموا أيضًا أمتكم أن القرآن العظيم صرح فـى آيات كثيرة بوقوع الذى حصل ، وأشـار فى آيات أخرى إلى أمور تقع فى المسـتقبل ، وكلام الله فى كتابه صـدق وحـق لايتخلف إذا تقـرر هذا وثبتت هذه المقالات فى آذانكم ، فـلترجع أمتكم جميعا إلى صفاء الـنية وإخلاص الطوية ، فإن منهم من يمتنع عن الغى وإظهـار عداوتى خوفا من سلاحى وشدة سطوتى ، ولم يعلموا أنَّ الله مطلـع على السرائر ، يعلم خائنة الأعين ومـا تخفى الصدور ، والذى يفعل ذلك يـكون معارضا لأحكام الله ومنافـق ، وعليه اللعنة والنـقمة من الله علام الغيوب ، واعلـموا أيضًا أنى أقدر على إظهار ما فى نفس كل أحد منـكم ، لأننى أعرف أحوال الشـخص ، وما انطوى عليه بمجرد ما أراه ، وإن كنت لا أتكلم ولا

أنطق بالذى عنده ، ولكن يأتى وقت ويوم يظهر لكم بالمعاينة ، أنّ كل ما فعلته وحكمت به فهو حكم إلهى لا يرد ، وإنّ اجتهاد الإنسان غاية جهده ما يمنعه عن قضاء الله الذى قدّره ، وأجراه على يدى فطويبى للذين يسارعون فى اتحادهم وهمتهم مع صفاء النية وإخلاص السريرة والسلام » .

ورتبوا لأرباب الديوان الديمومى شهرية تدفع إليهم نظير تقيدهم بمصالح العامة والدعاوى ، وما يترتب عليه النظام بينهم وبين المسلمين .

وفى ثامن عشره [1] طافوا على الطواحين واختاروا من كل طاحون فرسا أخذوها .

وفى رابع عشرينه [2] ، حضر السيد المحروقى وكاتب البهار من السويس ، وكان سارى عسكر ذهب إلى ناحية بلبيس ، فاستأذنوه فى ذهابهم إلى مصر ، فأذن لهم وأرسل معهم خمسين عسكريا ليوصلوهم إلى مصر ، فلما حضروا حكوا أن أهل السويس لما بلغهم مجئ الفرنساوية هربوا وأخلوا البلدة فذهبوا إلى الطور ، وذهب البعض إلى العرب بالبادية ، فنهب الفرنسيس ما وجدوه بالبندر من البن والمتاجر والامتعة وغير ذلك ، وهدموا الدور وكسروا الأخشاب وخوابى الماء ، فلما حضر كبيرهم وكان متأخرا عنهم ، كلمه التجار الذاهبون معه ، وأعلموه أنّ هذا الفعل غير صالح ، فاسترد من العسكر بعض الذى أخذوه ووعدهم باسترجاع الباقى أو دفع ثمنه بمصر ، وأن يكتبوا قائمة بالمنهوبات ، ثم إنّه وجد مركبين حضرا إلى قريب من السويس بهما بن ومتاجر ، فغرقت إحداهما ، فنزلت طائفة من الفرنسيس فى مراكب صغار ، وذهبوا إليها فى الغاطس ، وأخرجوها بآلات ركبوها واصطنعوها من علم جر الأثقال .

وفى مدة إقامته بالسويس ، صار يركب ويتأمل فى النواحى وجهات ساحل البحر والبر ليلا ونهارا ، وكان معه من الأدم فى هذه السفرة ثلاثة طيور دجاج محمرة ملفوفة فى ورق ، وليس معه طباخ ولا فراش ولا فرش ولاخيمة ، وكل شخص من عسكره معه رغيف كبير مرشوق فى طرف حربته يتزود منه ، ويشرب من سقاء لطيف من صفيح معلق فى عنقه .

---

(1) ١٨ رجب ١٢١٣ هـ / ٢٦ ديسمبر ١٧٩٨ م .

(2) ٢٤ رجب ١٢١٣ هـ / ١ يناير ١٧٩٩ م .

وفى يوم السبت [1] ، حضر عدة من العسكر الفرنساوية من ناحية بلبيس ومعهم عدة من العربان نحو الثلاثين نفرا موثقون بالحبال ، وأسروا أيضًا عدة من أولادهم ذكورا وأناثا ، ودخلوا بهم إلى مصر ، يزفونهم بالطبول أمامهم ، ومعهم أيضًا ثلاثة حمول من حمول التجار ، وبعض جمال مما كان نهب منهم عند رجوعهم من الحج .

وفى ليلة الإثنين غايته [2] ، حضر سارى عسكر من ناحية بلبيس إلى مصر ليلا ، وأحضر معه عدة عربان ، وعبد الرحمن أباظة أخو سليمان أباظة ، شيخ العيايدة ، وخلافه رهائن وضربوا أبو زعبل والمنير [3] ، وأخذوا مواشيهم وحضروا بهم إلى القاهرة وخلفهم أصحابهم رجالا ونساء وصغارا ، وفى ذلك اليوم قتلوا شيخ العرب سليمان الشواربى شيخ قليوب ومعه أيضًا ثلاثة رجال ، يقال لهم : عرب الشرقية ، فأنزلوهم من القلعة إلى الرميلة على يد الأغا وقطعوا رؤوسهم ، وحملوا جثة الشواربى مع رأسه فى تابوت ، وأخذه أتباعه فى بلدة قليوب ، ليدفن هناك عند أسلافه ، وانقضى هذا الشهر وحوادثه الجزئية والكلية .

منها ، أنّ فى ليلة السابع والعشرين منه [5] ، أتت جماعة إلى دار الشيخ محمد ابن الجوهرى ، الكائن بالأزبكية بالقرب من باب الهواء ، فخلعوا الشباك المطل على البركة ، ودخلوا منه وصعدوا إلى أعلى الدار ، وكان بها ثلاثة من النساء الخدامات وإبنة خدامة أيضًا ، وبوّاب الدار ، ولم يكن رب الدار بها ولا الحريم ، بل كانوا قد انتقلوا إلى دار أخرى ، لما سكن معظم العسكر بالأزبكية ، فاستيقظ النساء وصرخن فضربوهن وقتلوا منهن امرأة ، واختفت البنت فى جهة ، وعاثوا فى الدار وأخذوا متاعا ومصاغا ونزلوا ، واستيقظ البواب فاختفى خوفا منهم ، فلما طلع النهار وشاع الخبر ، وكان سارى عسكر غائبا ، فلم يقع كلام فى شأن ذلك ، فلما قدم من سفره ركب مشايخ الديوان وأخبروه ، فاغتم لذلك ، وأظهر الغيظ وذم فاعل ذلك ، لما فيه من العار الذى يلحقه ، واهتم فى الفحص عمن فعل ذلك وقتله .

---

(١) ٢٧ رجب ١٢١٣ هـ / ٤ يناير ١٧٩٩ م .

(٢) غاية رجب ١٢١٣ هـ / ٧ يناير ١٧٩٩ م .

(٣) المنير : أصلها من توابع زفيتة مشتول ، وردت فى خريطة الحملة الفرنسية ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى الآن إحدى قرى مركز بلبيس - محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٠٧ - ١٠٨ .

(٤) ٢٧ رجب ١٢١٣ هـ / ٤ يناير ١٧٩٨ م .

ومنها ، كثرة تعدى القلقات وتشديدهم على رقود القناديل بالأزقة ، وهم من أهل البلد ، وإذا مروا بالليل ووجدوا قنديلا أطفأه الهواء أو فرغ زيته سمروا الحانوت أو الدار التى هو عليها ، ولايقلعون المسمار حتى يصالحهم صاحبها على ما أحبوه من الدراهم ، وربما تعمدوا كسر القناديل لأجل ذلك ، واتفق أنّ المطر أطفأ عدة قناديل بسوق أمير الجيوش [1] بسبب كونها فى ظروف من الورق والجريد فابتل الورق ، وسال الماء فأطفأ القناديل فسمروا حوانيت السوق ، وأصبح أهلها صالحوا عليها ، ووقع مثل ذلك فى طرق عديدة ، فجمعوا فى ذلك اليوم جملة من الدراهم ، وأمثال ذلك حتى فى الأزقة والعطف الغير النافذة ، حتى كان الناس ليس لهم شغل إلا القناديل وتفقد حالها ، وخصوصا فى ليل الشتاء الطويل .

شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٣ [2]

استهل بيوم الثلاثاء [3] ، فيه ، قتلوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس وبندقوا عليهم بالرصاص بالميدان تحت القلعة ، قيل إنهم من المتسلقين على الدور .

وفيه[4] ، أخبر السفار بأن مراد بيك ومن معه ترفعوا إلى قبلي ووصلوا إلى عقبة الهواء ، وكلما قرب منهم عسكر الفرنساوية انتقلوا وقبلوا ، ولقد داخلهم من الفرنساوية خوف شديد ، ولم يقع بينهم ملاقاة ولا قتال .

وفيه[5] ، قدمت رباعة [6] تحمل البن الذى حضر من السويس بالمركب الداو [7] ، وبصحبة جماعة من الفرنساوية لخفارتها من قطاع الطريق .

---

(١) سوق أمير الجيوش : هو السوق الذى برأس حارة برجوان ، ويمتد إلى رأس سويقة أمير الجيوش وبالسوق والسويقة عدة حوانيت فيها الرفاؤون والحباكون ، وعدة حوانيت للرسامين ، وعدة حوانيت للغرابين ، وعدة حوانيت للخياطين ، ويباع فى هذا السوق سائر الثياب المخيطة والأمتعة من الفرش ونحوها ، وهو شاع من شوارع القاهرة يسلك فيه من باب الفتوح وبين القصرين وباب النصر إلى باب القنطرة وشاطئ النيل .

المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٠١ .

(٢) شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير - ٥ فبراير ١٧٩٩ م . (٣) ١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) ١ شعبان ١٢١٣ هـ/ ٨ يناير ١٧٩٩ م . (٥) ١ شعبان ١٢١٣ هـ/ ٨ يناير ١٧٩٩ م .

(٦) رباعة : عربان كان أصلهم بأسيوط ، ثم أصبح لهم قرية بالقرب من الإسماعيلية ، وكانوا يعملون فى نقل السلع من السويس إلى القاهرة ، على ظهور جمالهم .

الطيب ، محمد سليمان : موسوعة القبائل العربية ، ط ١ ، جـ ١ ، ص ٥٢٨ .

(٧) الداو : الجمع داوات ، وفى الإنجليزية (Dhow) ، وهى سفينة بشراع واحد ، حمولتها مائتا طن ، وتستعمل فى البحر العربى ، واستعملت كذلك لحمل البن والبهار وبضائع التجار بين موانئ اليمن وثغور الحجاز ومصر على البحر الأحمر خاصة ينبع والسويس .

النخيلى ، درويش : المرجع السابق ، ص ٤٥ .

وفي يوم الأحد سادسه [1] ، نادى القبطان الفرنساوى الساكن بالمشهد الحسينى على أهل تلك الخطة وما جاورها ، بفتح الحوانيت والأسواق لأجل مولد الحسين ، وشدّد في ذلك ، وأوعد من أغلق حانوته بتسميره وتغريمه عشرة ريال فرانسة مكافأة له على ذلك ، وكان السبب في ذلك والأصل فيه أن هذا المولد ابتدعه السيد بدوى بن فتيح مباشر وقف المشهد ، فكان قد اعتراه مرض الحب الإفرنجى ، فنذر على نفسه هذا المولد إن شفاه الله تعالى ، فحصلت له بعض إفاقة فابتدأ به ، وأوقد في المسجد والقبة قناديل وبعض شموع ، ورتب فقهاء يقرءون القرآن بالنهار مدارسة ، وآخرين بالمسجد يقرءون بالليل دلائل الخيرات للجزولى ، ثم زاد الحال ، وانضم إليهم كثير من أهل البدع كجماعة العفيفى والسمان والعربى والعيسوية ، فمنهم من يتحلق ويذكر الجلالة ويحرفها ، وينشد له المنشدون القصائد والموّالات ، ومنهم من يقول أبياتا من بردة المديح للبوصيرى ، ويجاوبهم آخرون مقابلون لهم بصيغة صلاة على النبى ﷺ ، وأما العيسوية فهم جماعة من المغاربة ، وما دخل فيهم من أهل الأهواء ينسبون إلى شيخ من أهل المغرب يقال له سيدى محمد بن عيسى ، وطريقتهم أنهم يجلسون قبالة بعضهم صفين ويقولون كلاما معوجا بلغتهم بنغم وطريقة مشوا عليها ، وبين أيديهم طبول ودفوف يضربون عليها على قدر النغم ، ضربا شديدا مع ارتفاعه أصواتهم ، وتقف جماعة أخرى قبالة الذين يضربون بالدفوف ، فيضعون أكتافهم في أكتاف بعض ، لايخرج واحد عن الآخر ، ويلتوون وينتصبون ويرتفعون وينخفضون ويضربون الأرض بأرجلهم ، كل ذلك مع الحركة العنيفة والقوة الزائدة ، بحيث لايقوم هذا المقام ، إلا كل من عُرف بالقوة ، وهذه الحركات والإيقاعات على نمط الضرب بالدفوف ، فيقع بالمسجد دوى عظيم وضجات من هؤلاء ومن غيرهم من جماعة الفقراء ، كل أحد له طريقة وكيفية تباين الأخرى ، هذا مع ما ينضم إلى ذلك من جمع العوام ، وتحلقهم بالمسجد للحديث والهذيان وكثرة اللغط والحكايات والأضاحيك والتلفت إلى حسان الغلمان الذين يحضرون للتفرج والسعى خلفهم والإفتتان بهم ، ورمى قشور اللعب والمكسرات والمأكولات في المسجد ، وطواف الباعة بالمأكولات على الناس فيه ، وسقاة الماء ، فيصير المسجد بما اجتمع فيه من هذه القاذورات والعفوش ملتحقا بالأسواق المتهنة ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ثم زاد الحال على ذلك بقدوم جماعة الأشاير من الحارات البعيدة والقريبة ، وبين أيديهم مناور القناديل ، والجوامع العظيمة التي تحملها الرجال ،

---

(١) ٦ رجب ١٢١٣ هـ / ١٣ يناير ١٧٩٩ م .

والشموع والطبول والزمور ، ويتكلمــون بكلام محرف ، يظنون أنه ذكر وتوسلات يثابون عليها ، وينسبون من يلومهم أو يعترضهم إلـى الاعتزال والخروج والزندقة ، وغالبـهم السوقة وأهـل الحرف السافلة ، ومـن لايملك قوت ليـلته ، فتجـد أحدهم يجتهد بقـوّة سعيه ويبيع متاعه أو يـستدين الجملة من الدراهم ، ويـصرفها فى وقود القناديل وأجرة الطبالة والزمارة، وكل يجتمع عليه ما هو من أمثاله من الحرافيش [1]، ثم يقطـع ليلته تلك سهـرانا ، ويصبح دائخا كسـلانا ، ويظن أنه بات يتعـبد ويذكر ويتهجد ، واستمـر هذا المولد أكثر من عشر سنين ، ولم يـزدد الناذر لذلك إلا مرضا ومقتـا ، واستجلب خـدمة الضريح ما لاح لـهم من خساف الـعقول مثل : الـشمع والدراهم ، واتخذوا ذلك حبالة لأكل أموال الناس بالباطل .

فلمـا حصلت هـذه الحادثة بمصر ، تـرك هذا المولد فى جـملة المتـروكات ، ثم حصلت الفتنة التى حصلت ، وسكن هذا الـفرنساوى فى خط المشهد الحسينى لضبط تلك الجهة ، وفيه مسايرة ومداهنة فصار يظـهر المحبة للمسلمين ويلاطفهم ، ويدخل بيوت الجيران ، ويقبل شفاعة المتشفعين ، ويجل الفقهاء ويعظمهم ويكرمهم ، وأبطل وقوف عسكره بالسلاح كـعادتهم فى غير هذه الجهة ، وكذلك منع ما يـفعله القلقات من أنواع التشديد عـلى الناس فى مثل القناديل ، فاطمأن بـه أهل الخطة ، وتراجعوا للبكور إلى الصلاة فى المساجد بعد تخوفـهم من العسكر الذى رتب معهم ، وتركهم التبكير ، فلما أنسوا به وعرفوا أخلاقه رجعوا لعادتهم ، ومشوا بالليل أيضًا بدون فزع وخوف ، وترجمانه على مثل طريقتـه ، وهو رجل شريف من أهل حلب كان أسيرا بمالطة ، فاستـخلصه الفرنسيس فى جـملة من استخلصوه من أسـرى مالطة ، وقدم معهم مصر ، فلما أجلس هذا لضبط الخط كان ترجمانه يهوديا ، فاحتال بعض أعيان الجهة ، ورتب هذا الشريـف المذكور ليكون فيه راحة للناس ، ففتـح له قهوة بالخـط بالقرب مـن دار مخدومه ، وجمع الناس للجـلوس فيها والسهر حصـة من الليل ، وأمرهـم بعدم غلـق الحوانيـت ، مقدارا مـن الليل كـعادتهـم القديمـة ، فاستأنـسوا بالاجتماعات والتسلى والخلاعات ، وعم ذلك جهات تلك الخطة ، ووافق ذلك هوى العامة ، لأن أكثرهم مـطبوع على المجون والخلاعة ، وتلك هى طبيـعة الفرنساوية ، فصاروا يجـتمعون عنده للـسمر والحديث واللعـب والممازحة ، ويحضر مـعهم ذلك الضابط ومعه زوجته وهى من أولاد البلد المخلوعين أيضًا ، فانساق الحديث لذكر هذا المولد الشـهرى ، وما يقع فى ليـاليه من الجمعـيات والمهرجان ، وحسنـوا له إعادته فوافقهم على ذلك ، وأمر بالمناداة وفتح الحوانيت ووقود القناديل وشدد فى ذلك .

---

(١) الحرافيش : جمع حرفوش ، وتعنى الشخص السيئ الخسيس من العامة .

وفي يوم الأربعاء [1] ، كتبوا أوراقا بتطيير طيارة ببركة الأزبكية مثل التي سبق ذكرها وفسدت ، فاجتمعت الناس لذلك وقت الظهر ، وطيروها وصعدت إلى الأعلى ومرت إلى أن وصلت تلال البرقية [2] وسقطت ، ولو ساعدها الريح ، وغابت عن الأعين لتمت الحيلة وقالوا : « إنها سافرت إلى البلاد البعيدة » بزعمهم .

وفيه[3] ، سافر الخواجة مجلون [4] إلى الصعيد واليا على جرجا لتحرير البلاد وقبض الأموال والغلال المتأخرة بالنواحي للغز .

وفيه[5] ، سافرت قافلة بها أحمال كثيرة ومواش ونساء إفرنجيات وصناديق قيل إنَّهم أرسلوها إلى الطور [6] ، وصحبتهم عدة من العسكر .

وفي يوم الخميس عاشره [7] ، حضر طائفة من العسكر الفرنساوية إلى وكالة ذي الفقار بالجمالية ، ففتحوا طبقة كانت لكتخدا علي باشا الطرابلسي ، وأخذوا ما وجدوه بها من الأمتعة ، وختموا عدة حواصل وطباق بذلك الخان [8] ، وبالوكالة الجديدة [9] ، وغيرها للمسافرين والهاربين والقليونجية ، وضبطوا ما بها ، وقبضوا على جماعة من الأتراك والقليونجية التجار وسجنوهم بالقلعة ، وصاروا يفتشون على من بقي منهم بالقاهرة وبولاق ، خصوصا الكرتلية [10] الذين كانوا عسكرا لمراد بيك ، وأخذوا الكثير من نصارى الأروام والقليونجية الذين كانوا مع مراد بيك ، وبعضهم كان بمصر فأدخلوهم في عسكرهم ، وزيوهم بزيهم وأعطوهم أسلحة وانتظموا في سلكهم .

وفيه[11] ، تواترت الأخبار بأنَّ علي باشا ونصوح باشا فارقا مراد بيك وذهبا من

---

(١) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٩٩ م .

(٢) تلال البرقية : المرتفعات التي كانت قريبة من باب البرقية .

(٣) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٩٩ م .

(٤) مجلون : Magallon كان يعمل قنصلا لفرنسا ، وهو إبن أخ مجالون القنصل السابق .

(٥) ٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٦ يناير ١٧٩٩ م .

(٦) الطور : بلدة بمصر ، في شبه جزيرة سيناء ، على خليج السويس ، جنوب غرب جبل موسى ، كان بها محجر للحجاج . الموسوعة العربية : ص ١١٦٦ .

(٧) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م .

(٨) الخان : مبنى كبير يأوي إليه المسافرون والتجار ، وكان للخان فناء تربط فيه دواب المسافرين ، وفي الدور الأرضي غرف مفتوحة تودع فيها السلع المعروضة ، وأخرى على الشارع الخارجي ، تؤجر كحوانيت للتجار ، تعلوها غرف للسكن .
زكي ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٩) الوكالة الجديدة : واضح من النص أنها وكالة كانت قريبة من وكالة ذي الفقار بالجمالية .

(١٠) الكرتلية : أي الأشخاص الذين ينتمون إلى جزيرة كريت ، ونسبتهم كريتلية . .

(١١) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩

خلف الجبل على الهجن إلى جهة الشام ، وصحبتهم جماعة إبراهيم بيك ، وكان ذهابهم في أواخر رجب[1] ، وفيه نادوا بإبطال القناديل التي توقد في الليل على البيوت والدكاكين وأن يوقدوا عوضها في وسط السوق ، مجامع في كل مجمع أربعة قناديل بين كل مجمع ثلاثون ذراعا ، ويقوم بذلك الأغنياء دون الفقراء ، ولا علاقة للقلقات في ذلك ففرح بذلك فقراء الناس ، وانفرجت عنهم هذه الكربة .

وفيه[2] ، نادوا أيضًا أن كل من كان له دعوى شرعية أو ظلامة [3] ، فليذهب إلى العلماء والقاضي .

وفيه[4] ، ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب الكوامل [5] ، ورجعوا بمنهوباتهم من الغنم والمعز والدجاج والأوز والحمير وغير ذلك .

وفيه[6] ، حضر رجل من ناحية غزة يطلب أمانا للست فاطمة زوجة مراد بيك ولابنة المرحوم محمد أفندى البكرى وزوجها الأمير ذى الفقار وخشداشينه ، والخطاب للشيخ خليل البكرى ، فعرض ذلك على سارى عسكر وترجى عنده فكتب له أمانا بحضورهم وأرسل لهم نفقة ، وكان ذلك حيلة منهم لتأتيهم النفقة وبعض الاحتياجات ، وأخبر ذلك الرسول أنَّ عبدالله باشا ابن العظم بغزة وإبراهيم بيك ومن معه خارج البلد ، وهم في ضيق وحصر وحيز عنهم داخل البلد .

وفيه[7] ، ذهب عدة من العسكر الفرنساوية إلى قطيا [8] وشرعوا في بناء أبنية هناك وأشيع سفر سارى عسكر إلى جهة الشام والإغارة عليها .

وفي ليلة الأحد ثالث عشره [9] ، كان انتقال الشمس لبرج الدلو وهو أول شهر من شهورهم ، وعملوا تلك الليلة حراقة بارود وسواريخ كما هى عادتهم عند كل انتقال الشمس من برج إلى برج .

وفي يوم الإثنين رابع عشره [10] ، نادى المحتسب على اللحم الضانى بسبعة

---

(1) آخر رجب ١٢١٣ هـ / ٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(2) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م .
(3) ظلامة : أى مظلمة .
(4) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م .
(5) عرب الكوامل : بطن ضمن بطون قبيلة العبايدة فى بر الجيزة شرقى النيل فى الحاجر تسكن عشائرهم من حلوان حتى أطفيح ، ومن أشهر فروعهم : أولاد أبو ساعد ، الدرعلى ، القعشينى ، أبو عواد ، أبو القلايع، أبو صبح ، أبو مطلق .
الطيب ، محمد سلمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٣٠ - ٧٣٣ .
(6) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م .
(7) ١٠ شعبان ١٢١٣ هـ / ١٧ يناير ١٧٩٩ م .
(8) قطيا : انظر : ص ٢٣ ، حاشية رقم (٦) .
(9) ١٣ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٠ يناير ١٧٩٩ م .
(10) ١٤ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢١ يناير ١٧٩٩ م .

أنصاف الرطل وكان بثمانية ،واللحم الجاموسى بخمسة وكان بستة

وفيه[1] ، ذهب طائفة من العسكر وضربوا عرب العايدة[2] نواحى الخانكة [3] ، وقتلوا منهم طائفة ونهبوهم ، ووجدوا من منهوبات الناس وأمتعة عسكر الفرنساوية وأسلحتهم جملة ، فأخذوا ذلك مع ما أخذوه ، وأحضروا معهم بعض رجال ونساء حبسوهم بالقلعة ، وفيه ذهب عدة من العسكر إلى صنافير [4] ، وأجهور الورد [5] ، وقرنفيل [6] ، وكفر منصور [7] ، وبلاد أخرى لـلتفتيش على العرب ، فـأخذوا ما وجدوه للعرب من بهائم وغيرها والذى عصى عليهم ضربوه ونهبوه أيضًا ، ونهبوا جمالا وبهائم ممن لم يعص أيضًا ، ودخلوا بذلك المدينة ، فصاروا يبيعون البقرة بريالين وثلاثة ، والنعجة وابنها بريال ، فاشترى غالب ذلك نصارى القبط .

وفى يوم السبت [8] ، قتلوا بالقلعة نحو التسعين نفرا ، وغالبهم من المماليك الذين وجدوهم هاربين فى البلاد ، والذين عس [9] عليهم الخبيث الأغا برطلمين والقلقات ووجدوهم مختفين فى البيوت .

وفيه[10] ، قبضوا على خمسة أنفار من اليهود وامرأتين ، فألقوا الجميع فى بحر النيل ، وفيه نادوا بأن كل من اشترى شيئًا من منهوبات العرب التى نهبتها العسكر يحضره لبيت صارى عسكر .

---

(1) ١٤ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢١ يناير ١٧٩٩ م .

(2) عرب العايدة : بدأ نزوح العايدة من مدة أربعة قرون إلى المنطقة المعروفة حاليا بمنطقة غرب القناة ، فى محافظات الشرقية والسويس والقليوبية أو ضواحى القاهرة ، وبعضهم سكن قرب الخانكة بالقليوبية .
الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٢٢ .

(3) الخانكة : أنظر : ص ٢١ ، حاشية رقم (٤) .

(4) صنافير : من القرى القديمة ، وهى الآن إحدى قرى ، مركز قليوب ، محافظة القليوبية .
رمزى ، محمد : ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٧ .

(5) أجهور الورد : من القرى القديمة ، وتعرف بأجهور الكبرى ، وكان بها بساتين وفواكه فقيل لها أجهور الورد لكثرة ما كان يزرع بها من الورد ، ووردت فى دليل ١٢٢٤ هـ / ١٨٠٩ م ، بأجهور الكبرى ، وهى إحدى قرى مركز قليوب - محافظة القليوبية .
نفس المرجع : ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٥٣ .

(6) قرنفيل : من القرى القديمة ، وهى إحدى قرى ، مركز قليوب ، محافظة القليوبية .
نفس المرجع : ق ٢ جـ ١ ، ص ٥٧ .

(7) كفر منصور : من القرى القديمة ، اسمها الأصلى « البويرة » ، وضم إليها كفر آخر هو « كفر محرم » ، إحدى قرى مركز طوخ ، محافظة القليوبية .
نفس المرجع : ق ٢ جـ ١ ، ص ٤٧ .

(8) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

(9) عَسَّ : انظر ، ص ٤٥ ، حاشية رقم (١) .

(10) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ/ ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

وفيه[1] ، كثر الاهتمام والحركة بسفر الفرنسيس إلى جهة الشام ، وطلبوا وهيئوا جملة من الهجن ، وأحضروا جمال عرب الترابين [2] ، ليحملوا عليها الذخيرة والدقيق والعليق والبقسماط ، ثم رسموا على الأهالى عدة كبيرة من الحمير ، وكذلك عدة من البغال ، فطلب شيخ الحمارة ، وأمر بجمع ذلك ، وكذلك الركبدارية [3] ، أمرهم بجمع البغال ، فاختفى غالب أصحاب الحمير ، وخاف الناس على حميرهم، فامتنع خروج السقائين الذين ينقلون الماء بالقرب على الحمير ، وسقائين الجمال [4] ، والبراسمية [5] فحصل للناس ضيق بسبب ذلك .

وفى يوم الإثنين حادى عشرينه [6] ، كتبوا أوراقا ولصقوها بالأسواق على العادة ، ونصها : « الحمد لله وحده ، هذا خطاب إلى جميع أهل مصر من خاص وعام ، من محفل الديوان الخصوصى من عقلاء الأنام ، علماء الإسلام ، والوجاقات ، والتجار الفخام ، نعلمكم معاشر أهل مصر ، أن حضرة سارى عسكر الكبير بوناپارته أمير الجيوش الفرنساوية ، صفح الصفح الكلى على كامل الناس والرعية ، بسبب ما حصل من أراذل أهل البلد ، والجعيدية من الفتنة والشر مع العساكر الفرنساوية ، وعفا عفوا شاملا ، وأعاد الديوان الخصوصى فى بيت قائد أغا بالأزبكية ، ورتبه من أربعة عشر شخصا أصحاب معرفة وإتقان ، خرجوا بالقرعة من ستين رجلا ، كان انتخبهم بموجب فرمان ، وذلك لأجل قضايا حوائج الرعايا ، وحصول الراحة لأهل مصر من خاص وعام ، وتنظيمها على أكمل نظام وإحكام ، كل ذلك من كمال عقله وحسن تدبيره ، ومزيد حبه بمصر وشفقته على سكانها من صغير القوم قبل كبيره ، رتبهم بالمنزل المذكور ، كل يوم لأجل خلاص المظلوم من الظالم ، وقد اقتص من عسكره الذين أساءوا بمنزل الشيخ محمد الجوهرى ، وقتل منهم اثنين بقراميدان [7] ، وأنزل طائفة منهم عن مقامهم العالى إلى أدنى مقام ، لأن

---

(1) ١٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٦ يناير ١٧٩٩ م .

(2) عرب الترابين : عرب الترابين قبيلة يعود أصلها إلى القوم الذين يرجع نسبهم إلى الأزد القحطانية ، وسكنوا جنوب سيناء فى بلاد الطور ، فغلب عليهم اسم الوادى أو البلاد التى انحدروا منها فسموا ترابين ، ووادى تربة ، وأشهر عشائرهم فى سيناء المصرية : الحررة ، والحسابلة ، والشبيتات ، والقصار ، والنبعات .
الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٥٥٤ - ٥٥٩ .

(3) الركبدارية : هم الأشخاص الذين يعملون فى بيت الركائب الذى تحفظ فيه السروج واللجم ونحوها .
دهمان ، محمد أحمد ، معجم الألفاظ التاريخية ، دار الفكر بيروت - دمشق ١٩٩٠ م ، ص ٨٣ .

(4) سقائين الجمال : كان لبعض السقائين جمال ، يحملون عليها روايا الماء من النيل ويوزعونها على المنازل ، وأطلق عليهم سقائين الجمال ، أى السقايين الذين يملكون الجمال لنقل الماء .

(5) البراسمية : أى الذين يحملون البرسيم على ظهور جمالهم .

(6) ٢١ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢٨ يناير ١٧٩٩ م .

(7) قراميدان : يقع بين قلعة الجبل ، ومساجد السلطان حسن والرفاعى والمحمودية ، ويعرف حاليا بميدان صلاح الدين .
زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٣٨٧

الخيانة ليست من عادة الفرنسيس ، خصوصا مع النساء الأرامل ، فإن ذلك قبيح عندهم لايفعله إلا كل خسيس ، ووضع القبض بالقلعة على رجل نصرانى مكاس ، لأنه بلغه أنه زاد المظالم فى الجمرك بمصر القديمة على الناس ، ففعل ذلك بحسن تدبير ، ليمتنع غيره من الظلم ، ومراده رفع الظلم عن كامل الخلق ، ويفتح الخليج الموصل من بحر النيل إلى بحر السويس، لتخف أجرة الحمل من مصر إلى قطر الحجاز الأفخم ، وتحفظ البضائع من اللصوص وقطاع الطريق ، وتكثر عليهم أسباب التجارة من الهند واليمن وكل فج عميق ، فاشتغلوا بأمر دينكم وأسباب دنياكم ، واتركوا الفتنة والشرور ، ولاتطيعوا شيطانكم وهواكم ، وعليكم بالرضا بقضاء الله وحسن الإستقامة ، لأجل خلاصكم من أسباب العطب والوقوع فى الندامة ، رزقنا الله وإياكم التوفيق والتسليم ، ومن كانت له حاجة فليأت إلى الديوان بقلب سليم ، إلا من كان له دعوى شرعية ، فليتوجه إلى قاضى العسكر المتولى بمصر المحمية بخط السكرية ، والسلام على أفضل الرسل على الدوام » .

وفيه[١] ، ارسلوا للوالى لينبه على السقائين ، بنقل الماء وعدم التعرض لهم ولحميرهم .

وفى ليلة الأربعاء ثالث عشرينه [٢] ، خرج عدة كبيرة من العسكر ، وطلب كبير الفرنساوية بونابارته أن يأخذ معه مصطفى بيك كتخدا الباشا المتولى أمير الحاج ، ويأخذ أيضًا قاضى العسكر بجمقشى زاده ، وأربعة أنفار من المتعممين ، وهم : الفيومى ، والصاوى ، والعريشى ، والدواخلى ، وجماعة أيضًا من التجار ، والوجاقلية ونصارى القبط والشوام .

وفى سادس عشرينه [٣] ، نادوا للناس بالأمان وفتح الأسواق ليلا فى رمضان[٤] حكم المعتاد .

وفيه[٥] ، انتقل قائمقام من بيته المطل على بركة الفيل ، وهو بيت إبراهيم بيك الوالى ، وسكن بيت أيوب بيك الكبير المطل على بركة الفيل ، وانتقلوا جميعهم إلى بركة الأزبكية .

وفيه[٦] ، أعرض حسن أغا محرم المحتسب لسارى عسكر أمر ركوبه المعتاد ، لإثبات هلال رمضان ، فرسم له بذلك على العادة القديمة ، فاحتفل لذلك المحتسب

(١) ٢١ شعبان ١٢١٣ هـ / / ٢٨ يناير ١٧٩٩ م .

(١) ٢٣ شعبان ١٢١٣ هـ / ٣٠ يناير ١٧٩٩ م .

(٣) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م .

(٤) رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير - ٧ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م .

(٦) ٢٦ شعبان ١٢١٣ هـ / ٢ فبراير ١٧٩٩ م .

احتفالا زائدا وعمل وليـمة عظيمة فى بيته أربعة أيام، أولها الـسبت وآخرها الثلاثاء، دعـا فى أوّل يوم : العلماء والفقهاء والمشـايخ والوجاقلية وغيرهم ، وفى ثانى يوم : التـجار والأعـيان، وكـذلك ثالـث يوم ورابـع يوم: دعـا أيضًا أكابـر الفـرنسـاوية وأصاغرهـم، وركب يوم الثلاثاء [1] بالأبهة الكـاملة زيادة عن العادة، وأمامـه مشايخ الحرف بطبـولهم وزمورهم ، وشق الـقاهرة على الرسم المـعتاد ، ومر على قـائمقام وأمير الحاج وسارى عـسكر بونابارته ، ثم رجـع بعد الغروب إلى بيت الـقاضى بين القصرين، فأثبتوا هلال رمضان ليلة الأربعاء [2] ، ثم ركـب من هناك بالموكب وأمامه المشاعل الكثيرة والطبـول والزمـور والنقاقير والمناداة بالصوم، وخلفه عدة خيالة عارية رؤوسهم وشعورهم مرخيـة على أقفيتهم بشكل بشيع مهول ، وانـقضى شهر شعبان وحوادثه .

فمنها ، أنّ أهل مصر جروا على عادتهم فى بدعهم التى كانوا عليها ، وانكمشوا عن بـعضها واحـتشموهـا خوفا من الـفرنسـيس ، فلمـا تدرجوا فيـها وأطلق لـهم الفرنساوية القيد ، ورخصوا لهم وسايروهــم رجعوا إليها ، وانهمكوا فى عمل موالد الأضرحة التى يرون فرضيتها ، وأنها قربة تنجيهم بزعمهم من المهالك ، وتقربهم إلى الله زلفى فى المسالك ، فرمحوا فى غفلاتهم مع ما هم فيه من الأسر ، وكساد غالب البضائـع وغلوها ، وإنقطـاع الأخبار ، ومنع الجالـب ، ووقوف الإنكليز فـى البحر وشدة حجزهم على الصادر والوارد ، حتى غلت أسعار جميع الأصناف المجلوبة من البحـر الرومى ، وإنقطع أثـر كثير من أربـاب الصنائع الـتى كـسدت لعدم طـلابها ، واحتاجوا إلى التـكسب بالحرف الدنيئة ، كبـيع الفطير وقلى السمـك وطبخ الأطعمة والمأكولات والأكل فى الدكاكين ، وإحداث عدة قـهاوى ، وأما أرباب الحرف الدنيئة الكاسدة ، فأكثرهم عـمل حمارا مكاريا [3] ، حتى صارت الأزقة خـصوصا جهات العسكر مزدحمة بـالحمير التى تكرى للتردد فى شوارع مصر ، فإن لـلفرنـسيس بذلك عناية عظـيمة ، ومغالاة فى الأجرة ، بحيث إنّ الـكثير منهم يظل طـول النهار فوق ظهر الحمـار بدون حاجة ، سوى أنْ يجرىَ به مـتسرعا فى الشارع ، وكذلـك تجتمع الجمـاعة منـهم ويركبون الحـمير ، ويـجهدونـها فى المـشى والإسـرع وهم يغـنون ويضحكـون ويصيحونْ ويتـمسخرون ، ويشاركهــم المكارية فى ذلك ، كـما أنّ لهم

---

(١) ٢٩ شعبان ١٢١٣ هـ / ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

(٢) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .

(٣) حمّارٌ مكارى : أى يعمل على حمار بالأجرة لنقل البضاعة أو الناس من مكان لآخر .

العناية وبذل الأموال والتردد إلى حانات [1] الراح ، والتغالى فى شراء الفواكه والبواطى [2] والأقداح ، كما قال فى ذلك صاحبنا الشيخ حسن العطار :

إنَّ الفرنْسيسَ قد ضَاعَتْ دَراهِمهُمْ ... فى مِصرنا بينَ حَمَّارٍ وخَمَّارِ
وعَن قريبٍ لَهُم فى الشامِ مَهْلَكَةٌ ... يضيعُ لهُم فيها آجَالُ أعمَارِ

ومن طبعهم فى الشرب ، أنَّهم يتعاطون لحد النشوة وترويح النفس ، فإن زادوا عن ذلك الحد لايخرجون من منازلهم ، ومن سكِرَ وخرج إلى السوق ، ووقع منه أمر مخل عاقبوه وعزروه .

ومنها ، ترفع أسافل النصارى من القبط والشوام والأروام واليهود ، وركوبهم الخيول وتقلدهم بالسيوف ، بسبب خدمتهم للفرنسيس ، ومشيهم الخيلاء ، وتجاهرهم بفاحش القول ،واستذلالهم المسلمين ، كل ذلك بما كسبت أيديهم ، وما ربك بظلام للعبيد ، والحال الحال والمركوز فى الطبع ما زال ، والبعض استهوته الشياطين ، ومرق والعياذ بالله من الدين ، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلى العظيم .

ومنها ، تواتر الأخبار من ابتداء شهر رجب [3] ، بأنَّ رجلا مغربيا يقال له الشيخ الكيلانى ، كان مجاورا بمكة والمدينة والطائف ، فلما وردت أخبار الفرنسيس إلى الحجاز ، وأنَّهم ملكوا الديار المصرية ، انزعج أهل الحجاز لذلك ، وضجوا بالحرم وجردوا الكعبة ، وأنَّ هذا الشيخ صار يعظ الناس ويدعوهم إلى الجهاد ويحرضهم على نصرة الحق والدين ، وقرأ بالحرم كتابا مؤلفا فى معنى ذلك ، فاتعظ جملة من الناس وبذلوا أموالهم وأنفسهم ، واجتمع نحو الستمائة من المجاهدين ، وركبوا البحر إلى القصير مع ما انضم إليهم من أهل ينبع [4] وخلافه ، فورد الخبر فى أواخره أنه انضم إليهم جملة من أهل الصعيد وبعض أتراك ومغاربة ، ممن كان خرج معهم مع غزو مصر عند وقعة إنبابة وركب الغز معهم أيضًا وحاربوا الفرنسيس ، فلم تثبت الغز

---

(١) حانات : أى أماكن شرب الخمور .

(٢) البواطى : أى المشروبات .

(٣) ١ رجب ١٢١٣ هـ / ٩ ديسمبر ١٧٩٨م .

(٤) ينبع : ميناء سعودى على البحر الأحمر .

كعادتهم ، وانهزموا وتبعهم هوارة الصعيد ، والمتجمعة من القرى ، وثبت الحجازيون ، ثم انكفوا لقلتهم ، وذلك بناحية جرجا ، وهرب الغز والمماليك إلى ناحية إسنا [1] ، وصحبتهم حسن بيك الجداوى وعثمان بيك حسن تابعه ، ووقع بين أهل الحجاز والفرنسيس بعض حروب غير هذه المرة بعدة مواضع ، وينفصل الفريقان بدون طائل .

ومنها ، أنَّ الفرنسيس عملوا كرنتيلة [2] ، بجزيرة بولاق ، وبنوا هناك بناء فيحجزون بها القادمين من السفار أياما معدودة ، كل جهة من الجهات القبلية والبحرية بحسبها ، والله أعلم .

ثم استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأربعاء سنة ١٢١٣ [3]

فيه[4] ، أخذ بونابارته فى الاهتمام بالسفر إلى جهة الشام ، وجهزوا طلبا كثيرا ، وصاروا فى كل يوم يخرج منهم طائفة بعد طائفة .

وفى يوم السبت [5] ، عمل سارى عسكر ديوانا ، وأحضر المشايخ والوجاقات وتكلم معهم فى أمر خروجه للسفر ، وأنهم قتلوا المماليك الفارين بالصعيد ، وأجلوا باقيهم إلى أقصى الصعيد ، وأنَّهم متوجهون إلى الفرقة الأخرى بناحية غزة ، فيقطعونهم ويمهدون البلاد الشامية ، لأجل سلوك الطريق ومشى القوافل والتجارات برا وبحرا لعمار القطر وصلاح الأحوال ، وإننا نغيب عنكم شهرا ثم نعود ، وعند عودنا نرتب النظام فى البلد والشرائع وغير ذلك ، فعليكم ضبط البلد والرعية فى مدة غيابنا ، ونبهوا مشايخ الأخطاط والحارات ، كل كبير يضبط طائفته خوفا من الفتن مع العسكر المقيمين بمصر ، فالتزموا له بذلك وكتبوا له أوراقا مطبوعة على العادة فى معنى ذلك ، وألصقوها بالطرق ، وفى ذلك اليوم خرج القاضى ومصطفى كتخدا الباشا والمشايخ المعينون للسفر إلى جهة العادلية ، وخرج أيضًا عدة كبيرة من عسكرهم ، ومعهم أحمال كثيرة حتى الأسرة والفرش والحصير ، وعدة مواهى

(١) إسنا : انظر ، جـ ١ ، ص ٩١ ، حاشية رقم (٣) .
(٢) كرنتيلة : أى الحجر الصحى .
(٣) رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير - ٧ مارس ١٧٩٩ م .
(٤) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .
(٥) ٤ رمضان ١٢١٣ هـ / ٩ فبراير ١٧٩٩ م .

ومحفات للنساء والجوارى البيض والسود والحبوش اللاتى أخذوها من بيوت الأمراء ، وتزيا أكثرهن بزى نسائهم الإفرنجيات وغير ذلك .

وفى يوم الأحد خامسه [1] ، ركب سارى عسكر الفرنسيس وخرج أيضًا إلى العادلية ، وذلك فى الساعة الرابعة بطالع الحمل ، وفيه القمر فى تربيع زحل ، وأبقى بمصر عدة من العسكر بالقلعة والأبراج التى بنوها على التلول ، وقائمقام وبوسليك [2] وسارى عسكر ديزه بجملة من العسكر فى الصعيد ، وكذلك سوارى عسكر الأقاليم ، كل واحد معه عسكر فى جهة من الجهات ، وأخذ معهُ المدبرين وأصحاب المشورة والمترجمين ، وأرباب الصنائع منهم كالحدادين والنجارين ومهندسى الحروب وكبيرهم أبو خشبة ، وأبقى أيضًا بعض أكابرهم بمصر ، ثم تراسل المتخلفون فى الخروج كل يوم تخرج منهم جماعة .

وفى يوم الثلاثاء فى سابعه [3] ، انتدب للنميمة ثلاث من النصارى الشوام وعرفوهم أن المسلمين قاصدون الوثوب على الفرنسيس فى يوم الخميس تاسعه [4] ، فأرسل قائمقام خلف المهدى والأغا فأحضرهما وذكر لهما ذلك ، فقالا له : « هذا كذب لا أصل له ، وإنما هذه نميمة من النصارى كراهة منهم فى المسلمين » ، ففحص عمن اختلق ذلك ، فوجدوهم ثلاثة من النصارى الشوّام ، فقبضوا عليهم وسجنوهم بالقلعة حتى مضى يوم الخميس ، فلم يظهر صحة ما نقلوه فأبقاهم فى الاعتقال ، ثم إنَّ نصارى الشوام رجعوا إلى عادتهم القديمة فى لبس العمائم السود والزرق ، وتركوا لبس العمائم البيض والشيلان الكشميرى الملونة والمشجرات ، وذلك بمنع الفرنسيس لهم من ذلك ، ونبهوا أيضًا بالمناداة فى أول رمضان [5] بأن نصارى البلد يمشون على عادتهم مع المسلمين أولا ، ولايتجاهرون بالأكل والشرب فى الأسواق ولايشربون الدخان ولا شيئًا من ذلك بمرآى منهم ، كل ذلك للاستجلاب لخواطر الرعية حتى أنَّ بعض الرعية من الفقهاء مر على بعض النصارى وهو يشرب الدخان ، فانتهره فرد عليه ردا شنيعا ، فنزل ذلك المتعمم وضرب النصرانى ، واجتمع الناس وحضر حاكم الخطة فرفعهما إلى قائمقام ، فسأل من النصارى الحاضرين عن عادتهم فى ذلك

---

(١) ٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٠ فبراير ١٧٩٩ م .

(٢) بوسليك : أنظر ، ص ١٨ ، حاشية رقم (٤) .

(٣) ٧ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٢ فبراير ١٧٩٩ م .

(٤) ٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ١٤ فبراير ١٧٩٩ م .

(٥) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .

فأخبروه أن من عادتهم القديمة أنه إذا استهل شهر رمضان لا يأكلون ولايشربون فى الأسواق ولا بمرآى من المسلمين أبدا ، فضرب النصرانى وترك المتعمم لسبيله .

وفى تاسع عشرينه [1] ، احضروا مراد أغا تابع سليمان بيك الأغا ومعه آخر من الأجناد من ناحية قبلى فأصعدوهما القلعة قبل قتلهما .

وفى خامس عشرينه [2] ، ورد الخبر بأن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وطاف رجل من أتباع الشرطة ينادى فى الأسواق أن الفرنساوية ملكوا قلعة العريش ، وأسروا عدة من المماليك ، وفى غد يعملون شنكا ويضربون مدافع ، فإذا سمعتم ذلك فلا تفزعوا ، فلما أصبح يوم الأحد حضر المماليك المذكورة وهم ثمانية عشر مملوكا وأربعة من الكشاف ، وهم راكبون الحمير ، ومتقلدون بأسلحتهم ومعهم نحو المائة من عسكر الفرنسيس وأمامهم طبلهم ، وخرج بعض الناس فشاهدهم ، ولما وصلوا إلى خارج القاهرة حيث الجامع الظاهرى ، خرج الأغا وبرطلمين بطوائفهما ينتظرانهم ومعهم طبول وبيارق وطوائف ، ومشوا معهم إلى الأزبكية من الطريق التى أحدثوها ، ودخلوا بهم إلى بيت قائمقام ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم فذهبوا إلى بيوتهم ، وفيهم أحمد كاشف تابع عثمان بيك الأشقر ، وآخر يقال له حسن كاشف الدويدار وكاشفان آخران وهما : يوسف كاشف الرومى ، وإسماعيل كاشف تابع أحمد كاشف المذكور ، وكان من خبرهم أنهم كانوا مقيمين بقلعة العريش وصحبتهم نحو ألف عسكرى مغاربة وأرنؤد ، فحضر لهم الفرنسيس الذين كانوا فى المقدمة فى أواخر شعبان [3] ، فأحاطوا بالقلعة وحاربوهم من داخلها ونالوا منهم ما نالوه ، ثم حضر إليهم سارى عسكر بمجموعة بعد أيام وألحوا فى حصارهم ، فأرسل من بالعريش إلى غزة ، فطلب نجدة فأرسلوا لهم نحو السبعمائة وعليهم قاسم بيك أمين البحرين ، فلم يتمكنوا من الوصول إلى القلعة لتحلق الفرنساوية بها وإحاطتهم حولها ، فنزلوا قريبا من القلعة ، فكبستهم عسكر الفرنسيس بالليل ، فاستشهد قاسم بيك وغيره ، وانهزم الباقون ، ولم يزل أهل القلعة يحاربون ويقاتلون حتى فرغ ما عندهم من البارود والذخيرة فطلبوا عند ذلك الأمان فأمنوهم ، ومن القلعة أنزلوهم ، وذلك بعد أربعة عشر يوما ، فلما نزلوا على أمانهم أرسلوهم إلى مصر مع الوصية بهم وتخلية سبيلهم ، فحضروا إلى مصر كما ذكر ، وأخذوا سلاحهم وخلوا سبيلهم » .

---

(١) ٢٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .

(٢) ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م .

(٣) آخر شعبان ١٢١٣ هـ / ٥ فبراير ١٧٩٩ م .

وصاروا يترددون عليهم ويعظمونهم ويلاطفونهم ويفرجونهم على صنائعهم وأحوالهم ، وأما العسكر الذين كانوا معهم بقلعة العريش ، فبعضهم انضاف إليهم وأعطوهم جامكية وعلوفة ، وجعلوهم بالقلعة مع عسكر من الفرنسيس والبعض لم يرض بذلك ، فأخذوا سلاحهم وأطلقوهم إلى حال سبيلهم ، وذهب الفرنسيس إلى ناحية غزة ، وفى ذلك اليوم بعد الظهر عملوا الشنك الموعود به وضربوا عدة مدافع بالقلعة والأزبكية ، وأظهر النصارى الفرح والسرور بالأسواق والدور وأولموا فى بيوتهم الولائم ، وغيروا الملابس والعمائم ، وتجمعوا للهو والخلاعة ، وزادوا فى القبح والشناعة .

وفى يوم الأربعاء [1] ، توفى أحمد كاشف المذكور فجأة ، وفى عصر ذلك اليوم حضر جماعة من الفرنسيس نحو الخمسة والعشرين وهم راكبون الهجن وعلى رؤوسهم عمائهم بيض ولابسون برانس بيض على أكتافهم ، فذهبوا إلى بيت قائمقام بالأزبكية ، فلما أصبح يوم الخميس عملوا الديوان وقرءوا المكاتبة التى حضرت مع الهجانة حاصلها أن الفرنسيس أخذوا غزة وخان يونس وأخبار مختلفة .

منها ، أنَّهم وجدوا إبراهيم بيك ومن معه ارتحلوا من هناك ، وكانوا أرسلوا حريمهم وأثقالهم إلى جبل نابلس ، وقيل بل تحاربوا معهم وانهزموا ، وفى ذلك اليوم بعد العصر بنحو عشرين درجة حضر عدة من الفرنسيس ومعهم كبير منهم ، وهم راكبون الخيول وعدة من المشاة ، وفيهم جماعة لابسون عمائم بيض وجماعة أيضًا ببرانيط ومعهم نفير ينفخ فيه وبيدهم بيارق ، وهى التى كانت عند المسلمين على قلعة العريش إلى أن وصلوا إلى الجامع الأزهر ، فاصطفوا رجالا وركبانا بباب الجامع ، وطلبوا الشيخ الشرقاوى فسلموه تلك البيارق وأمروه برفعها ونصبها على منارات الجامع الأزهر ، فنصبوا بيرقين ملونين على المنارة الكبيرة ذات الهلالين ، عند كل هلال بيرقا ، وعلى منارة أخرى بيرقا ثالثا ، وعند رفعهم ذلك ضربوا عدة مدافع من القلعة بهجة وسرورا ، وكان ذلك ليلة عيد الفطر ، فلما كان عند الغروب ضربوا عدة مدافع أيضًا إعلاما بالعيد، وبعد العشاء الأخيرة ، طاف أصحاب الشرطة، ونادوا بالأمان، وبخروج الناس على عادتهم لزيارة القبور بالقرافتين والاجتماع لصلاة العيد ، وأن يلبسوا أحسن ثيابهم ، ولما ملكوا العريش ، كتبوا أوراقا وأرسلوها إلى البلاد ونصها فرمان عام موجه من أمير الجيوش إلى أهالى الشام قاطبة .

---

(١) ٢٨ رمضان ١٢١٣ هـ / ٥ مارس ١٧٩٩ م .

بســـم الله الرحمن الرحيم[1]

« وبه نستعين من طرف بونابارته أمير الجيوش الفرنساوية إلى حضرة المفتين والعلماء ، وكافة أهالى نواحى غزة والرملة ويافا ، حفظهم الله تعالى بعد السلام : نعرفكم أننا حررنا لكم هذه السطور ، نعلمكم : أننا حضرنا فى هذا الطرف ، لقصد طرد المماليك وعسكر الجزار عنكم ، وإلى أى سبب حضور عسكر الجزار وتعديه على بلاد يافا وغزة، التى ما كانت من حكمه وإلى أى سبب أيضًا أرسل عساكره إلى قلعة العريش بذلك هجم على أراضى مصر ، فلا شك كان مراده إجراء الحروب معنا ونحن حضرنا لنحاربه، فأما أنتم يا أهالى الأطراف المشار إليها ، فلم نقصد لكم أذية ولا أدنى ضرر ، فأنتم استمروا فى محلكم ووطنكم مطمئنين ومرتاحين وأخبروا من كان خارجا عن محله ووطنه ، أن يرجع ويقيم فى محله ووطنه ، ومن قبلنا عليكم ثم عليهم الأمان الكافى، والحماية التامة، ولا أحد يتعرض لكم فى مالكم وما تملكه يدكم، وقصدنا أن القضاة يلازمون خدمهم ووظائفهم على ما كانوا عليه ، وعلى الخصوص، أن دين الإسلام لم يزل معتزا ومعتبرا ، والجوامع عامرة بالصلاة وزيارة المؤمنين، إنَّ كل خير يأتى من الله تعالى، وهو يعطى النصر لمن يشاء، ولا يخفاكم أن جميع ما تأمر به الناس ضدنا فيغدو باطلا ولانفع لهم به، لأن كل ما نضع به يدنا لابد عن تمامه بالخير ، والذى يتظاهر لنا بالحب يفلح ، والذى يتظاهر بالغدر يهلك، ومن كل ما حصل تفهمون جيدا، أننا نقمع أعداءنا ونعضد من يحبنا، وعلى الخصوص من كوننا متصفين بالرحمة والشفقة على الفقراء والمساكين » .

ولما أخذوا غزة أرسلوا طومارا بصورة الواقعة ، وبصموه نسخا ، وقرئ بالديوان ، وألصقوا نسخه المطبوعة بالأسواق وصورته .

بســـم الله الرحمن الرحيم[2]

« ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر وأقاليمها ، أنَّه حضر فرمان مكتوب من غزة من حضرة الجنرال إسكندر برتيه[3] خطابا إلى حضرة سارى عسكر دوجا[4] وكيل الجيوش بمصر ، يخبره فيه : بأن العسكر الفرنساوية باتوا ليلة تسعة عشر شهر رمضان[5] ، فى خان يونس ، وفى فجر تلك الليلة توجهوا سائرين إلى

(١) كتب بهامش ص ٤٧ ، طبعة بولاق « صورة كتاب من سارى عسكر إلى أهل الشام » .

(٢) كتب بهامش ص ٤٧ ، طبعة بولاق « صورة جواب من سارى عسكر بكيفية أخذ غزة الشام » .

(٣) برتيه : Berthier ، كان رئيسا لأركان حرب الحملة الفرنسية .

(٤) دوجا : Duga ، كان حاكما للقاهرة والوجه البحرى ، أثناء سفر بونابرت للاستيلاء على الشام .

(٥) ١٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢٤ فبراير ١٧٩٩ م .

ناحية غزة ، فكشفوا قبل الظهر بساعة عسكر المماليك وعسكر الجزار جالسين تجاه غزة ، فتوجه إليهم الجنرال مرارا مع عساكر الفرنساوية من خيالة ومشاة مراده اغتيال عساكر المماليك وعسكر الجزار ، فلما انتبهوا له فروا هاربين ، ووقع بينه وبين أطراف العساكر بعض مضاربة يسيرة ، لم ينجرح فيها إلا شخصان من الفرنساوية ، ومات عسكرى واحد ، ومات من عسكر المماليك والجزار ناس قلائل ، وحين تشاغل سارى عسكر مراد بالمضاربة والمقاتلة ، دخل حضرة سارى عسكر كليبر [1] الذى كان حاكما بالإسكندرية ، وكان ساكنا بالأزبكية إلى بندر غزة وملكها من غير معارض له ، ووجدوا فيها حواصل مشحونة بالذخائر من بقسماط وشعير وأربعمائة قنطار بارود ، وإثنى عشر مدفعا ، وحاصلا كبيرا مملوءاً بالخيام الكثيرة وجللا وبنبات مهيآت محضرات كصنعة الإفرنج ، هذا ما وقع لملكهم لغزة ، وقد أخبرناكم على ما وقع فى كيفية ملك العريش سابقًا ، فاستقيموا عباد الله ، وارضوا بقضاء الله ، وتأدبوا فى أحكام مولاكم الذى خلقكم وسواكم ، والسلام ختام » وانقضى شهر رمضان ، ووقع به قبل ، وورود هذه الأخبار من السكون والطمأنينة وخلو الطرقات من العسكر ، وعدم مرور المتخلفين منهم إلا فى النادر وإختفائهم بالليل جملة كافية ، وإنفتاح الأسواق والدكاكين والذهاب والمجئ ، وزيارة الإخوان ليلا والمشى على العادة بالفوانيس ودونها ، وإجتماع الناس ل لسهر فى الدور والقهاوى ، ووقود المساجد وصلاة التراويح وطواف المسحرين والتسلى بالرواية والنقول ، وترجى المأمول ، وإنحلال الأسعار فيما عدا المجلوبات من الأقطار .

منها ، أن الفرنساوية صاروا يدعون أعيان الناس والمشايخ والتجار للإفطار والسحور ، ويعملون لهم الولائم ، ويقدمون لهم الموائد على نظام المسلمين وعادتهم ، ويتولى أمر ذلك الطباخون والفراشون من المسلمين تطمينا لخواطرهم ، ويذهبون هم أيضًا ويحضرون عندهم الموائد ويأكلون معهم فى وقت الإفطار ، ويشاهدون ترتيبهم ونظامهم ، ويحذون حذوهم ، ووقع منهم من المسايرة للناس ، وخفض الجانب ما يتعجب منه ، والله أعلم .

شهر شوال سنة ١٢١٣ [2]

استهل بيوم الجمعة [3] ، وفى صبح ذلك اليوم ضربوا عدة مدافع لشنك العيد ،

(١) كليبر : Kléber ، خلف نابليون فى قيادة الحملة عندما غادر مصر إلى فرنسا .
(٢) شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس - ٥ أبريل ١٧٩٩ م .
(٣) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

واجتمع الناس لصلاة العيد في المساجد والأزهر ، واتفق أنَّ إمام الجامع الأزهر نسى قراءة الفاتحة في الركعة الثانية ، فلما سَلَّمَ أعاد الصلاة بعدما شنع عليه الجماعة ، وخرج الرجال والنساء لزيارة القبور ، فانتبذ بعض الحرافيش نواحي تربة باب النصر ، وأسرع في مشيه ، وهو يقول : « نزلت عليكم العرب يا ناس » ، فهاجت الناس وانزعجت النساء ، ورمحت الجعيدية والحرافيش ، وخطفوا ثياب النساء وأزرهن ، وما صادفوه من عمائم الرجال وغير ذلك ، واتصل ذلك بتربة المجاورين وباب الوزير والقرافة ، حتى أنَّ بعض النساء مات تحت الأرجل ، ولم يكن لهذا الكلام صحة ، وإنما ذلك من مخترعات الأوباش ، لينالوا أغراضهم من الخطف بذلك .

وفيه[1] ، ركب أكابر الفرنسيس ، وطافوا على أعيان البلد وهنوهم بالعيد ، وجاملهم الناس بالمداراة أيضًا .

وفي أوائله [2] ، وردت الأخبار بأنَّ الأمراء المصرية القبليين تفرقوا من بعضهم ، فذهب مراد بيك وآخرون إلى نواحي إبراهيم بيك ، ومنهم من ذهب إلى ناحية أسوان ، والألفي عدى بجماعته إلى البر الشرقي .

وفي خامسه [3] قدم الشيخ محمد الدواخلي من ناحية القرين متمرضا ، وكان بصحبته الصاوي والفيومي متخلفين بالقرين ، وسبب تخلفهم أن كبير الفرنسيس ، لما ارتحل من الصالحية أرسل إلى كتخدا الباشا والقاضي والجماعة الذين بصحبتهم يأمرهم بالحضور إلى الصالحية ، لأنهم كانوا يباعدون عنه مرحلة ، فلما أرادوا ذلك بلغهم وقوف العرب بالطريق فخافوا من المرور ، فذهبوا إلى العرين [4] ، فأقاموا هناك ، واتخذ عسكر الفرنسيس جمالهم فأقاموا بمكانهم ، فتقلق هؤلاء الثلاثة وخافوا سوء العاقبة ، ففارقوهم وذهبوا للقرين ، وتخلف عنهم الفيومي ، فأقام مع كتخدا الباشا والقاضي ، فحصل للدواخلي توعك فحضر إلى مصر وبقي رفيقاه في حيرة .

---

(1) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(2) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

(3) ٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١٢ مارس ١٧٩٩ م .

(4) العرين : صحة الاسم « العارين » ، وهى من القرى القديمة ، كانت قاعدة لمركز العارين ، ولما أنشئ مركز فاقوس ١٨٩٦ م ، نقلت قاعدة المركز إلى فاقوس ، وهى الآن إحدى قرى مركز فاقوس ، محافظة الشرقية كتب بهامش ص ٤٨ ، طبعة بولاق « قوله فذهبوا للعرين بالعين المهملة كما سيأتي له ضبطها بذلك ، وهى غير القرين بالقاف .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١١٣ .

وفى سابعه [1] ، أحضر الأغا رجلا ورمـى عنقه عند باب زويلـة ، وشنق امرأة على شباك الـسبيل تجاه الباب ، والسبـب فى ذلك أن الفرنـساوى حاكم خـط الخليفة وجهة الركبية ، ويسمى دلوى [2] أحضر باعة الغلال بالرميلة ، وصادرهم ومنعهم من دفع معتاد الوالى ، فاجـتمعوا وذهبوا إلى كبير الفرنسيس الذى يـقال له شيخ البلد ، وشكوا إلـيه ، وكان الأمير ذو الـفقار حاضرا وهـو يسكن تـلك الجهة فعـضدهم ، وعرّف شيخ البلد عن شكواهم ، فأرسل شيخ البلد إلى دلوى ، فانتهرة وأمره برد ما أخذه ، فأخبره أتباعه أنّ ذا الفقار هو الذى عضدهم ، وأنهى شكواهم إلى كبيرهم ، فقام دلوى المذكـور ، ودخل على ذى الفقار فى بيتـه وسبه وشتمه بلغتـه وفزع عليه ليضربه ، فلما خرج من عنده قام وذهب إلى كبيرهم وأخبره بفعل دلوى معه ، فأمر بإحضاره وحبسه بالقلعة ، ثم أخبر بـعض الناس شيخ البلد ، أن التعرض الذى وقع من دلوى لباعـة الغلة ، إنما هو بإغراء خـادمه وعرفه أن خادمه المذكور مـولع بامرأة رقاصـة مـن الـرميلة ، تأتيه بأشكالهـا ومن على طريقتها ، ويجـتمع هو وأضرابه ، وترقص لهم تلك المرأة فـى القهوة التى بخطهم ليلا ونهارا ، وتبيـت معهم فى البيت ويصبـحون على حالهـم ، فلما حبـس أميرهم اختـفوا ، فدلوا على الـرجل والمرأة فقبضوا عليهما وفعلوا بهما ما ذكر ، ولا بأس بما حصل .

وفى ثامنه يوم الجمعة [3] ، نودى فى الأسواق بموكب كسوة الـكعبة المشرفة من قراميدان ، والتنبيه باجتماع الوجاقـات وأرباب الأشاير وخلافهم على العادة فى عمل الموكب ، فـلما أصبح يوم الـسبت [4] اجتـمع الناس فـى الأسواق وطريـق المرور ، وجلسـوا للفرجـة فمروا بـذلك ، وأمامهـا الوالى والمحـتسب وعلـيهم القـفاطين والبينـشات ، وجميع الأشاير بـطبولهم وزمورهم وكاسـاتهم ، ثم برطلمـين كتخدا مستحفظان ، وأمامه نفر الينكجرية من المسلمين نحو المائتين أو أكثر ، وعدة كثيرة من نصارى الأروام بالأسلحة والملازمين بالبراقـع ، وهو لابس فروة عظيمة ، ثم مواكب القلقات ، ثم موكب نـاظر الكسوة وهو تابع مصطفى كتخدا البـاشا ، وخلفه النوبة التركية ، فكانـت هذه الركبة من أغرب المواكب ، وأعجب العجـائب ، لما اشتملت عليـه من اختلاف الأشكال ، وتـنوع الأمثال ، واجتـماع الملل ، وارتفاع الـسفل ،

---

(1) ٧ شوال ١٢١٣ هـ / ١٤ مارس ١٧٩٩ م .

(2) دولى : Doyle ، كتب بهامش ص ٤٩ ، طبعة بولاق : قوله دلوى فى بعض النسخ ديوى ا هـ .

(3) ٨ شوال ١٢١٣ هـ / ١٥ مارس ١٧٩٩ م .

(4) ٩ شوال ١٢١٣ هـ / ١٦ مارس ١٧٩٩ م

وكثرة الحشرات ، وعجائب المخلوقات ، واجتماع الأضداد ، ومخالفة الوضع المعتاد ، وكان نسيج الكسوة بدار مصطفى كتخدا المذكور ، وهو على خلاف العادة من نسجها بالقلعة .

وفى يوم الأربعاء ثالث عشره [1] ، حضر عدة من الفرنسيس وهم راكبون الهجن ، ومعهم عدة بيارق وأعلام بعد الظهر ، وأخبروا أن الفرنسيس ملكوا قلعة يافا ، وبيدهم مكاتبة من سارى عسكرهم بالأخبار عما وقع ، فلما كان يوم الخميس [2] ، واجتمع أرباب الديوان فقرأ عليهم تلك المراسلة بعد تعريبها وترصيفها على هذه الكيفية ، وهى عن لسان رؤساء الديوان إلى الكافة ، وذلك بإلزامهم وأمرهم بذلك .

وصورتها : « بسم الله الرحمن الرحيم سبحان مالك الملك يفعل فى ملكه ما يريد ، سبحان الحكم العدل الفاعل المختار ذى البطش الشديد ، هذه صورة تمليك الله سبحانه وتعالى جمهور الفرنساوية لبندر يافا من الأقطار الشامية ، نعرّف أهل مصر وأقاليمها من سائر البرية ، أن العساكر الفرنساوية انتقلوا من غزة ثالث عشرين رمضان[3] ، ووصلوا إلى الرملة فى الخامس والعشرين [4] منه فى أمن واطمئنان ، فشاهدوا عسكر أحمد باشا الجزار هاربين بسرعة قائلين الفرار الفرار ، ثم إنَّ الفرنساوية وجدوا فى الرملة ، ومدينة لد [5] مقدارا كبيرا من مخازن البقسماط والشعير ، ورأوا فيها ألفا وخمسمائة قربة مجهزة جهزها الجزار ، يسير بها إلى إقليم مصر ، مسكن الفقراء والمساكين ، ومراده أن يتوجه إليها بأشرار العربان من سطح الجبل ، ولكن تقادير الله تفسد المكر والحيل ، قاصدا سفك دماء الناس مثل عوائده الشامية ، وتجبره وظلمه مشهور ؛ لأنه تربية المماليك الظلمة المصرية ، ولم يعلم من خسافة [6] عقله وسوء تدبيره أن الأمر لله كل شىء بقضائه وتدبيره »

وفى سادس عشرين شهر رمضان [7] ، وصلت مقدمات الفرنساوية إلى بندر يافا

---

(١) ١٣ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٠ مارس ١٧٩٩ م .
(٢) ١٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٢١ مارس ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٣ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣٠ مارس ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٥ رمضان ١٢١٣ هـ / ٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٥) اللد : إحدى المدن الفلسطينية .
(٦) خسافة : أى قلة عقله .
(٧) ٢٦ رمضان ١٢١٣ هـ / ٣ مارس ١٧٩٩ م .

من الأراضى الشامية ، وأحاطوا بها وحاصروها من الجهة الشرقية والغربية ، وأرسلوا إلى حاكمها ، وتحيل الجزار أن يسلمهم القلعة قبل أن يحل به وبعسكره الدمار ، فمن خسافة رأيه وسوء تدبيره سعى فى هلاكه وتدميره ، ولم يرد لهم جواب ، وخالف قانون الحرب والصواب .

وفى أواخر ذلك اليوم السادس والعشرين ، تكاملت العساكر الفرنساوية على محاصرة يافا ، وصاروا كلهم مجتمعين ، وانقسموا على ثلاثة طوابير الطابور الأول توجه على طريق عكا بعيدا عن يافا بأربع ساعات ، وفى السابع والعشرين من الشهر المذكور [1] ، أمر حضرة سارى عسكر الكبير بحفر خنادق حول السور ، لأجل أن يعملوا متاريس أمينة ، وحصارات متقنة حصينة ، لأنه وجد سور يافا ملآن بالمدافع الكثيرة ، ومشحونة بعسكر الجزار الغزيرة .

وفى تاسع عشرين الشهر [2] لما قرب حفر الخندق إلى السور مقدار مائة وخمسين خطوة ، أمر حضرة سارى عسكر المشار إليه أن ينصب المدافع على المتاريس ، وأن يضعوا أهوان القنبر بإحكام وتأسيس ، وأمر بنصب مدافع أخر بجانب البحر ، لمنع الخارجين إليهم من مراكب الميناء ، لأنه وجد فى الميناء بعض مراكب أعدها عسكر الجزار للهروب ، ولاينفع الهروب من القدر المكتوب .

ولما رأت عساكر الجزار الكائنون بالقلعة المحاصرون ، أن عسكر الفرنساوية قلائل فى رأى العين للناظرين ، لمداراة الفرنساوية فى الخنادق وخلف المتاريس ، غرهم الطمع ، فخرجوا لهم من القلعة مسرعين مهرولين ، وظنوا أنهم يغلبون الفرنساوية ، فهجم عليهم الفرنسيس ، وقتلوا منهم جملة كثيرة فى تلك الواقعة ، وألجأوهم للدخول ثانيا فى القلعة ، وفى يوم الخميس غاية شهر رمضان [3] ، حصل عند سارى عسكر شفقة قلبية ، وخاف على أهل يافا من عسكره إذا دخلوا بالقهر والإكراه ، فأرسل إليهم مكتوبا مع رسول مضمونه ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له .

« بسم الله الرحمن الرحيم ، من حضرة سارى عسكر إسكندر برتيه كتخدا العسكر الفرنساوى إلى حضرة حاكم يافا ، نخبركم أن حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته ، أمرنا أن نعرفك فى هذا الكتاب ، أن سبب حضوره إلى هذا الطرف ، إخراج عسكر

(1) ٢٧ رمضان ١٢١٣ هـ / ٤ مارس ١٧٩٩ م .
(2) ٢٩ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ مارس ١٧٩٩ م .
(3) غاية رمضان ١٢١٣ هـ / ٧ مارس ١٧٩٩ م .

الجزار فقط من هذه البلدة ، لأنه تعدى بإرسال عسكره إلى العريش ، ومرابطته فيها ، والحال أنها من إقليم مصر التى أنعم الله بها علينا ، فلا يناسبه الإقامة بالعريش ، لأنها ليست من أرضه ، فقد تعدى على ملك غيره ، ونعرفكم يا أهل يافا أنَّ بندركم حاصرناه من جميع أطرافه وجهاته ، وربطناه بأنواع الحرب وآلات المدافع الكثيرة ، والجلل والقنابر ، وفى مقدار ساعتين ينقلب سوركم ، وتبطل آلاتكم وحروبكم ، ونخبركم أنَّ حضرة سارى عسكر المشار إليه لمزيد رحمته وشفقته خصوصا بالضعفاء من الرعية خاف عليكم من سطوة عسكره المحاربين ، إذا دخلوا عليكم بالقهر أهلكوكم أجمعين ، فلزمنا أننا نرسل لكم هذا الخطاب ، أمانا كافيا لأهل البلد والأغراب ، ولأجل ذلك أخر ضرب المدافع والقنابر الصاعدة عنكم ساعة فلكية واحدة ، وإنى لكم لمن الناصحين » ، وهذا آخر جواب الكتاب ، فجعلوا جوابنا حبس الرسول مخالفين للقوانين الحربية ، والشريعة المطهرة المحمدية ، وحالا فى الوقت والساعة هيج سارى عسكر واشتد غضبه على الجماعة ، وأمر بابتداء ضرب المدافع والقنابر الموجب للتدمير ، وبعد مضى زمان يسير ، تعطلت مدافع يافا المقابلة المدافع المتاريس ، وانقلب عسكر الجزار فى وبال وتنكيس ، وفى وقت الظهر من هذا اليوم انخرق سور يافا ، وارتج له القوم ونقب من الجهة التى ضرب فيها المدافع من شدة النار ، ولا راد لقضاء الله ولا مدافع ، وفى الحال أمر حضرة سارى عسكر بالهجوم عليهم ، وفى أقل من ساعة ملكت الفرنساوية جميع البندر والأبراج ، ودار السيف فى المحاربين ، واشتد بحر الحرب وهاج ، وحصل النهب فيها تلك الليلة .

وفى يوم الجمعة غرة شوال[1] ، وقع الصفح الجميل من حضرة سارى عسكر الكبير ، ورق قلبه على أهل مصر من غنى وفقير الذين كانوا فى يافا ، وأعطاهم الأمان وأمرهم برجوعهم إلى بلدهم مكرمين ، وكذلك أمر أهل دمشق وحلب برجوعهم إلى أوطانهم سالمين ، لأجل أن يعرفوا مقدار شفقته ومزيد رأفته ورحمته ، ويعفو عند المقدرة ويصفح وقت المعذرة ، مع تمكينه ، ومزيد إتقانه وتحصينه ، وفى هذه الواقعة قتل أكثر من أربعة آلاف من عسكر الجزار بالسيف والبندق ، لما وقع منهم من الانحراف ، وأما الفرنساوية فلم يقتل منهم إلا القليل والمجروحون منهم ليسوا بكثير ، وسبب ذلك سلوكهم إلى القلعة من طريق أمينة بخافية عن العيون ، وأخذوا ذخائر كثيرة وأموالا غزيرة ، وأخذوا المراكب التى فى المينة ، واكتسبوا أمتعة

---

(١) ١ شوال ١٢١٣ هـ / ٨ مارس ١٧٩٩ م .

غالية ثمينة ، ووجدوا فى القلعة أكثر من ثمانين مدفعا [1] ، ولم يعلموا مع مقادير الله أنّ آلات الحرب لاتنفع ، فاستقيموا عباد الله وارضوا بقضاء الله ، ولاتعترضوا على أحكام الله وعليكم بتقوى الله ، وإعلموا أنّ الملك لله يؤتيه من يشاء ، والسلام عليكم ورحمة الله .

فلما تحقق الناس هذا الخبر تعجبوا ، وكانوا يظنون بل يتيقنون استحالة ذلك خصوصا فى المدة القليلة ، ولكن المقضى كائن .

وفى يوم الجمعة خامس عشره [2] ، شق جماعة من أتباع الشرطة فى الأسواق والحمامات والقهاوى ، ونبهوا على الناس بترك الفضول والكلام ، واللغط فى حق الفرنسيس ، ويقولون لهم : « من كان يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ، فليتته ويترك الكلام فى ذلك ، فإن ذلك مما يهيج العداوة » ، وعرفوهم أنه إنْ بلغ الحاكم من المتجسسين عن أحد تكلم فى ذلك عوقب أو قتل ، فلم ينتهوا وربما قبض على البعض وعاقبوه بالضرب والتغريم .

وفى ذلك اليوم[3] ، كان التحويل الربيعى ، وانتقال الشمس لبرج الحمل ، وهو أوّل شهر من شهورهم ، فعملوا ليلة السبت [4] ، شنكا وحراقة وسواريخ ، وتجمعوا بدار الخلاعة نساء ورجالا ، وتراقصوا وتسابقوا وأوقدوا سراجا وشموعا وغير ذلك ، وأظهر الأقباط والشوام مزيد الفرح والسرور .

وفى يوم السبت المذكور [5] ، أرسلوا الأعلام والبيارق التى أحضروها من قلعة يافا وعدتها ثلاثة عشر ، وفيها من له طلائع فضة كبار إلى الجامع الأزهر ، وكانوا أنزلوا أعلام قلعة العريش قبل ذلك بيوم من أعلى المنارات ، وأرسلوا بدلها أعلام يافا ، وعملوا لها موكبا بطائفة من العسكر ، يقدمهم طبلهم ، وخلفهم الأغا بجماعته وطائفته ، والمحتسب ومدبرو الديوان ، وخلفهم طبل آخر يضربون عليه بإزعاج شديد ، وخلف ذلك الطبل جماعة من العسكر يحملون البنادق على أكتافهم كالطائفة الأولى ، وبعدهم عدة من العسكر على رؤوسهم عمائم بيض ، يحملون تلك الأعلام الكبار والبيارق المذكورة ، وخلفهم جماعة خيالة من كبار العسكر ، وآخرون راكبون على حمير المكارية ، فلما وصلوا إلى باب الجامع الأزهر ، رتبوا

(١) كذا بالأصل وصحتها ما أثبتناه « مدفع » .
(٢) ١٥ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٣) ١٥ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٢ مارس ١٧٩٩ م .
(٤) ١٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٣ مارس ١٧٩٩ م .
(٥) ١٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٣ مارس ١٧٩٩ م .

تلك الأعلام ووضعوها على أعلى الباب الكبير فوق المكتب منشورة ، وبعضها على الباب الآخر من الجهة الأخرى عند حارة كتامة المعروفة الآن بالعينية ، ولم يصعدوا منها على المنارات كما صنعوا فى أعلام العريش .

وفى يوم الأحد سابع عشره[1] ، رتبوا أوامر وكتبوها فى أوراق مبصومة ، والصقوها بالأسواق ، إحداها : بسبب مرض الطاعون ، وأخرى : بسبب الضيوف الاغراب ، ومضمون الأولى بتقاسيمه ومقالاته : « خطابا لأهل مصر وبولاق ومصر القديمة ونواحيها ، أنكم تمتثلون هذه الأوامر ، وتحافظون عليها ولاتخالفوها ، وكل من خالفها وقع له مزيد الإنتقام والعقاب الأليم ، والقصاص العظيم ، وهى المحافظة من تشويش الكبة[2] ، وكل من تيقنتم أو ظننتم أو توهمتم أو شككتم فيه ذلك ، فى محل من المحلات أو بيت أو وكالة أو ربع يلزمكم ، ويتحتم عليكم أنْ تعملوا كرنتيلة ، ويجب قفل ذلك المكان ، ويلزم شيخ الحارة أو السوق الذى فيه ذلك ، أن يخبر حالا قلق الفرنساوية حاكم ذلك الخط ، والقلق يخبر شيخ البلد قائمقام مصر وأقاليمها ، ويكون ذلك فورا ، وكذلك كل ملة من سكان مصر وأقاليمها وجوانبها ، والأطباء إذا تحققوا وعلموا حصول ذلك المرض ، يتوجه كل طبيب إلى قائمقام ويخبره ، ليأمره بما هو مناسب للصيانة والحفظ من التشويش ، وكل من كان عنده خبر من كبار الأخطاط أو مشايخ الحارات وقلقات الجهات ، ولم يخبر بهذا المرض ، يعاقب بما يراه قائمقام ، ويجازى مشايخ الحارات بمائة كرباج جزاء للتقصير ، وملزوم أيضًا من أصابه هذا التشويش ، أو حصل فى بيته لغيره من عائلته أو عشيرته وانتقل من بيته إلى آخر أن يكون قصاصه الموت ، وهو الجانى على نفسه بسبب انتقاله ، وكل رئيس ملة فى خط ، إذا لم يخبر بالكبة الواقعة فى خطه ، أو بمن مات بها أيضا حالا فوريا ، كان عقاب ذلك الرئيس وقصاصه الموت ، والمغسل إنْ كان رجلا أو امرأة إذا رأى الميت أنه مات بالكبة أو شك فى موته ، ولم يخبر قبل مضى أربع وعشرين ساعة ، كان جزاؤه وقصاصه الموت ، وهذه الأوامر الضرورية بلزوم أغات الينكجرية وحكام البلد الفرنساوية والإسلامية ، تنبيه الرعية واستيقاظهم لها ، فإنها أمور مخفية ، وكل من خالف حصل له مزيد الإنتقام من قائمقام ، وعلى القلقات البحث والتفتيش عن هذه العلة الردية ، لأجل الصيانة والحفظ لأهل البلد ، والحذر من المخالفة والسلام » .

---

(١) ١٧ شوال ١٢١٣ هـ / ٢٤ مارس ١٧٩٩ م .

(٢) تشويش الكبة : أى انتشار المرض .

ومضمون الثانية : « الخطاب السابق من سارى عسكر دوجا [1] الوكيل ، وحاكم البلد دسى [2] قائمقام ، يلزم المدبرين بالديوان ، أنهم يشهرون الأوامر وينتبهوا لها ، وكل من خالف يحصل له مزيد الانتقام ، وهو أنه يتحتم ويلزم صاحب كل خمارة أو وكالة أو بيت الذى يدخل فى محله ضيف ، أو مسافر أو قادم من بلدة أو إقليم ، أن يعرف عنه حالا حاكم البلد ، ولايتأخر عن الإخبار إلا مدة أربعة وعشرين ساعة ، يعرفه عن مكانه الذى قدم منه ، وعن سبب قدومه ، وعن مدة سفره ، ومن أى طائفة ، أو ضيفا أو تاجرا أو زائرا أو غريما مخاصما لابد لصاحب المكان من إيضاح البيان ، والحذر ثم الحذر من التلبيس والخيانة ، وإذا لم يقع تعريف عن كامل ما ذكر فى شأن القادم ، بعد الأربعة وعشرين ساعة بإظهار اسمه وبلده وسبب قدومه ، يكون صاحب المكان متعديا ومذنبا وخائنا وموالسا مع المماليك .

ونخبركم معاشر الرعايا وأرباب الخمامير والوكائل ، أن تكونوا ملزومين بغرامة عشرين ريالا فرانسة فى المرة الأولى ، وأما فى المرة الثانية ، فإن الغرامة تضاعف ثلاث مرات ، ونخبركم أنّ الأمر بهذه الأحكام مشترك بينكم وبين الفرنسيس الفاتحين للخمامير والبيوت والوكائل والسلام » .

وفيه[3] ، اجتمعوا بالديوان وتفاوضوا فى شأن مصطفى بيك كتخدا الباشا المولى أمير الحاج ، وهو أنه لما ارتحل مع سارى عسكر وصحبته القاضى والمشايخ الذين عينوا للسفر ، والوجاقلية والتجار ، وافترق منهم عند بلبيس ، وتقدم هو إلى الصالحية ، ثم أنهم انتقلوا إلى العرين ، فحضر جماعة من العساكر المسافرين ، فاحتاجو إلى الجمال فأخذوا جمالهم ، فلما وصل سارى عسكر إلى وطنه أرسل يستدعيهم إلى الحضور ، فلم يجدوا ما يحملون عليه متاعهم ، وبلغهم أن الطريق مخيفة من العرب ، فلم يمكنهم اللحاق به فأقاموا بالعرين بالعين المهملة عدة أيام ، وأهمل امرهم سارى عسكر ، ثم إنّ الشيخ الصاوى والعريشى والدواخلى وآخرين خافوا عاقبة الأمر ، ففارقوهم وذهبوا إلى القرين بالقاف ، وحصل للدواخلى توعك وتشويش فحضر إلى مصر كما تقدم ذكر ذلك ، وانتقل مصطفى بيك المذكور والقاضى وصحبتهم الشيخ الفيومى وآخرون من التجار والوجاقلية إلى كفور نجم [4] ،

(١) دوجا : أنظر ، ص ٨٠ ، حاشية رقم (٤) .
(٢) دسى : Docy عمل حاكما للقاهرة .
(٣) أخر رجب ١٢١٣ هـ / ٨ ديسمبر ١٧٩٨ م .
(٤) كفور نجم : من القرى القديمة ، وردت بإسم كفور أولاد نجم فى تاريخ ٩٣٣ هـ / ١٥٢٧ م ، وفى تاريخ =

وأقاموا هناك أياما ، واتفق أنَّ الصاوى أرسل إلى داره مكتوبا ، وذكر فى ضمنه أنَّ سبب افتراقهم من الجماعة ، أنَّهم رأوا من كتخدا الباشا أمورا غير لائقة ، فلما حضر ذلك المكتوب طلبه الفرنساوية المقيمون بمصر وقرءوه ، وبحثوا عن الأمور الغير اللائقة ، فأولّها بعض المشايخ أنَّه قصر فى حقهم والاعتناء بشأنهم ، فسكتوا وأخذوا فى التفحص ، فظهر لهم خيانته ومخامرته عليهم ، واجتمع عليه الجبالى وبعض العرب العصاة ، وأكرمهم وخلع عليهم ، وانتقل بصحبتهم إلى منية غمر [1] ، ودقدوس [2] ، وبلاد الوقف ، وجعل يقبض منهم الأموال ، وحين كانوا على البحر مر بهم مراكب تحمل الميرة [3] ، والدقيق إلى الفرنسيس بدمياط ، فقاطعوا عليهم وأخذوا منهم ما معهم قهرا ، وأحضروا المراكبية بالديوان ، فحكوا على ما وقع لهم معه ، فأثبتوا خيانة مصطفى بيك المذكور وعصيانه ، وأرسلوا هجانا بإعلام سارى عسكرهم بذلك ، فرجع إليهم بالجواب ، يأمرهم فيه بأن يرسلوا له عسكرا ويرسلوا إلى داره جماعة ، ويقبضون عليه ، ويختمون على داره ويحبسون جماعته .

وفى يوم الأحد رابع عشرينه [4] ، عينوا عليه عسكرا وأرسلوا إلى داره جماعة ومعهم وكلاء ، فقبضوا على كتخدائه الذى كان ناظرا على الكسوة ، وعلى ابن أخيه ومن معهم وأودعوهم السجن بالجيزة ، وضبطوا موجوداته وما تركه مخدومه بكر باشا بقائمة ، وأودعوا ذلك بمكان ، فوجدوا غالب أمتعة الباشا ويرقه [5] ، وملابسه وعبّى الخيل والسروج وغيرها شيئًا كثيرا ، ووجدوا بعض خيول وجمال أخذوها أيضًا ، فانقبض خواطر الناس لذلك فإنهم كانوا مستأنسين بوجوده ووجود القاضى ، ويتوسلون بشفاعتهما عند الفرنسيس ، وكلمتهما عندهم مقبولة وأوامرهما مسموعة ،

= ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، باسمها الحالى ، وهى الآن إحدى قرى ، مركز كفر صقر ، محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

(١) منية غمر : هى القرى القديمة ، وكان اسمها الأصلى « منية غمر » حرف إلى « ميت غمر » ، وهى قاعدة مركز ميت غمر ، محافظة الدقهلية .
نفس المرجع : ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٦٣ . .

(٢) دقدوس : من القرى القديمة ، اسمها الرومى (Athokotos) ، واسمها القبطى (Takados) ، والعربى تقدوس ، ووردت فى معجم البلدان باسم (دقدوس) ، وهى الآن إحدى قرى ، مركز ميت غمر ، محافظة الدقهلية .
نفس المرجع : ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢٥٥ .

(٣) الميرة : أى الإمدادات الرسمية .

(٤) ٢٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٣١ مارس ١٧٩٩ م .

(٥) يرقه : حُلّيه .

ثم إنهم أرسلوا أمانا للمشايخ والوجاقلية والتجار بالحضور إلى مصر مكرمين ، ولا بأس عليهم .

وفيه[1] ، ورد الخبر بأن السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، حضر إلى دمياط ، وصحبته جماعة من أفندية الروزنامه الفارين مثل : عثمان أفندى العباسى وحسن أفندى كاتب الشهر ، ومحمد أفندى ثانى قلفة ، وباش جاجرت [2] ، والشيخ قاسم المصلى وغيرهم ، وذلك أنهم كانوا بقلعة يافا ، فلما حاصرها الفرنساوية وملكوا القلعة والبلد ، لم يتعرضوا للمصريين ، وطلبهم إليه وعاتبهم على نقلهم وخروجهم من مصر ، وألبسهم ملابس وأنزلهم في مركب ، وأرسلهم إلى دمياط من البحر .

وفى يوم الإثنين [3] ، نادوا فى الأسواق على المماليك والغز والأجناد الأغراب ، بأنهم يحضرون إلى بيت الوكيل ، ويأخذون لهم أوراقا بعد معرفتهم ، والتضمين على أنفسهم ، ومن وجد من غير وثيقة فى يده بعد ذلك ، يستاهل الذى يجرى عليه ، وسبب ذلك إشاعة دخول الكثير منهم إلى مصر خفية بصفة الفلاحين .

وفى يوم الثلاثاء [4] ، نادوا فى الأسواق والشوارع بأن من أراد الحج فليحج فى البحر من السويس ، صحبة الكسوة والصرة ، وذلك بعد أن عملوا مشورة فى ذلك.

وفيه[5] ، حضر إمام كتخدا الباشا ، ومعه مكتوب فيه الثناء على الفرنساوية ، وشكر صنيعهم واعتنائهم بعملهم موكب الكسوة والدعاء لهم ، « وأنه مستمر على مودته ومحبته معهم ، ويطلب منهم الإجازة بالحضور إلى مصر ، ليسافر بصحبة الكسوة والحجاج ، فإن الوقت ضاق ودخل أوان السفر للحج ، وفى آخر المكتوب ، وإن بلغكم من المنافقين عنا شيء فهو كذب وغيمة ، فلا تصدقوه » ، فقرئ كتابه بالديوان ، فلما فهمه الفرنسيس كذبوه ولم يصغوا إليه ، وقالوا : « إن خيانته ثبتت عندنا فلا ينفعه هذا الاعتذار » ، ثم كتبوا له جوابا وأرسلوه صحبة إمامه مضمونه : إن كان صادقا فى مقالته فليذهب إلى جهة سارى عسكر بالشام ، وأمهلوه ست ساعات بعد وصول الجواب إليه ، وإن تأخر زيادة عليها ، كان كاذبا فى مقالته ، وأمروا العسكر بمحاربته والقبض عليه .

---

(١) ٢٤ شوال ١٢١٣ هـ / ٣١ مارس ١٧٩٩ م .

(٢) باش جاجرت : جاجرت من الفارسية « شاكرد » ، وتعنى التلميذ والصبى ، ويلقن الصنعة عند صانع مرخص ، أو يدفع إلى أخذ دواوين الحكومية ليتعلم الكتابة ، ثم التحرير ، وباش تعنى الرئيس ، أى رئيس الكتاب .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(٣) ٢٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١ أبريل ١٧٩٩ م . (٤) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .

وفيه[1] ، كتبوا أوراقا ونادوا بها في الشوارع ، وهي : « يا أهل مصر نخبركم أن أمير الحاج رفعوه عن سفره بالحاج ، بسبب ما حصل منه ، وأنّ أهل مصر علماء ووجاقات ورعايا لم يخالطوه في هذا الأمر ، ولم ينسب لهم شيء ، فالحمد لله الذى برأ أهل مصر من هذه الفتنة ، وهم حاضرون سالمون غانمون ما عليهم سوء ، ومن كان مراده الحج يؤهل نفسه ، ويسافر صحبة الصرة والكسوة في البحر والمراكب حاضرة ، والمعينون المحافظون من أهل مصر صحبة الحاج حاضرون ، يكون في علمكم أن تكونوا مطمئنين ، واتركوا كلام الحشاشين » .

وفي يوم السبت غايته [2] ، حضر المشايخ والوجاقات والتجار ما خلا القاضي فإنه لم يحضر ، وتخلف مع مصطفى كتخدا ، وانقضى هذا الشهر وما تجدد به من الحوادث التي منها أنّ الفرنساوية عملوا جسرا من مراكب مصطفة ، وعليها أخشاب مسمرة من بر مصر بالقرب من قصر العيني إلى الروضة قريبا من موضع طاحون الهواء ، تسير عليه الناس بدوابهم وأنفسهم إلى البر الآخر ، وعملوا كذلك جسرا عظيما من الروضة إلى الجيزة .

ومنها ، أن توت[3] الفلكي رسم في فسحة دارهم العليا ، ببيت حسن كاشف جركس خطوط البسيطة ، لمعرفة فضل الدائرة لنصف النهار على البلاط المفروش بطول الفسحة ، ووضع لها بدل الشاخص دائرة مثقوبة بثُقَب عديدة في أعلى الرفوف مقابلة لعرض الشمس ، ينزل الشعاع من تلك الثقب ، ويمر على الخطوط المرسومة المقسومة ، ويعرف منه الباقي للزوال ، ومدارات البروج شهرا شهرا وعلى كل برج صورته ليعلم منه درجة الشمس ، ورسم أيضًا مزولة بالحائط الأعلى على حوش المكان الأسفل المشترك بين الدارين بشاخص على طريق وضع المنحرفات والمزاول ، ولكن للساعات قبل الزوال وبعده خلاف الطريق المعروفة عندنا بوقت العصر ، وفضل دائر الغروب ، وقوس الشفق ، والفجر ، وسمت القبلة ، وتقسيم الدرج ، وأمثال ذلك ، لأجل تحقيق أوقات العبادة وهم لايحتاجون إلى ذلك ، فلم يعانوه ، ورسم أيضًا بسيطة على مربعة من نحاس أصفر ، منزلة بخطوط عديدة في

---

(١) ٢٦ شوال ١٢١٣ هـ / ٢ أبريل ١٧٩٩ م .

(٢) غاية شوال ١٢١٣ هـ / ٥ أبريل ١٧٩٩ م .

(٣) توت : وصحة اسمه « نوى Nouet » عالم فلكي ، تمكن بمساهمة مساعدة « ميشان Méchain » من اختراع بعض الآلات الفلكية .

قاعدة عامود قصير طوله أقل من قامة قائم بوسط الجنينة ، وشاخصها مثلث من حديد يمر ظل طرفه على الخطوط المتقاطعة ، وهى متقنة الرسم والصناعة ، وحولها معاريفعها ، واسم واضعها بالخط السلس العربى المجود حفرا فى النحاس ، وفيها تنازيل الفضلة على طريقة أوضاع العجم ، وغير ذلك .

ومنها ، أنهم لما سخطوا على كتخدا الباشا ، وقبضوا على أتباعه وسجنوهم ، وفيهم كتخداه الذى كان ناظرا على الكسوة ، فقيدوا فى النظر على مباشرة إتمامها صاحبنا السيد إسماعيل الوهبى ، المعروف بالخشاب ، أحد العدول بالمحكمة ، فنقلها لبيت أيوب جاويش بجوار مشهد السيدة زينب ، وتمموها هناك ، وأظهروا أيضًا الاهتمام بتحصيل مال الصرة ، وشرعوا فى تحرير دفتر الإرسالية خاصة .

واستهل شهر القعدة بيوم الأحد سنة ١٢١٣ [١]

فى سادسه [٢] ، يوم الجمعة ، حضرت هجانة من الفرنسيس ومعهم مكاتبة ، مضمونها : « أنهم أخذوا حيفا ، وبعدها ركبوا على عكا ، وضربوا عليها وهدموا جانبا من سورها ، وأنهم بعد أربعة وعشرين ساعة يملكونها ، وأنهم استعجلوا فى إرسال هذه الهجانة لطول المدة والانتظار ، لئلا يحصل لأصحابهم القلق فكونوا مطمئنين ، وبعد سبعة أيام نحضر عندكم والسلام » .

وفيه[٣] ، حضرت مغاربة حجاج إلى بر الجيزة ، فتحدث الناس وكثر لغطهم ، وتقولوا بأنهم عشرون ألفا حضروا لينقذوا مصر من الفرنسيس ، فأرسل الفرنسيس للكشف عليهم ، فوجدوهم طائفة من خلايا وقرى فاس مثل الفلاحين ، فأذنوا لهم فى تعدية بعض أنفار منهم لقضاء أشغالهم ، فحضر شخص منهم إلى الفرنسيس ووشى إليهم أنهم قدموا لمحاربتهم والجهاد فيهم ، وأنهم اشتروا خيلا وسلاحا وقصدهم إثارة فتنة ، فأرسل الفرنسيس إليهم جماعة ينظرون فى أمرهم ، فذهبوا إليهم وتكلموا معهم ومع كبيرهم ، وعن الذى نقل عنهم ، فقالوا : « إنما جئنا بقصد الحج لا لغيره » ، ثم رجعوا وصحبتهم كبير المغاربة ، فعملوا الديوان فى صبحها وأحضروه وكذلك أحضروا الرجل الذى وشى عليهم ، فتكلموا مع كبير المغاربة وسألوه وناقشوه، فقال : « إنا لم نأت إلا بقصد الحج »، فقيل له : « ولأى

---

(١) ذو القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٢) ٦ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١١ أبريل ١٧٩٩ م .

(٢) ٦ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١١ أبريل ١٧٩٩ م .

شيء تشترون الأسلحة والخيول »، فقال: « نعم لازم لنا ذلك ضرورة » ، فقيل له : « إنه نقل عنكم أنكم تريدون محاربة الفرنساوية، وتقولون الجهاد أفضل من الحج » ، فقال: « هذا كلام لا أصل له » ، فقيل له: « إنَّ الناقل لذلك رجل منكم »، فقال : « إن هذا رجل حرامى أمسكناه بالسرقة وضربناه ، فحمله الحقد على ذلك ، وإن هذه البلاد ليست لنا ، ولا لسلطاننا حتى نقاتل عليها ، ولايصح أن نقاتلكم بهذه الشرذمة القليلة ، وليس معنا إلا نصف قنطار بارود » ، ثم اتفقوا معه على أن يجمعوا سلاحهم ويقيم كبيرهم عندهم رهينة حتى يعدى جماعته ويسافروا ، ويلحقهم بعد يومين بالسلاح ، فأجابهم إلى ذلك فشكروه وأهدوا له هدية .

فلما كان يوم السبت [1] ، خرجت عدة من العسكر إلى بولاق ومعهم مدفعان ، ليقفوا للمغاربة حتى يعدوا البحر ويمشوا معهم إلى العادلية ، فلما رأى الناس خروج العسكر والمدافع فزعوا فى المدينة وبولاق ورمحوا كعادتهم فى كرشاتهم وصياحهم ، وأشاعوا أن الفرنسيس خرجت لقتال المغاربة ، وأغلقوا غالب الأسواق والدكاكين وأمثال ذلك من تخيلاتهم ، فلم يعد المغاربة ذلك اليوم وعدوا فى ثانى يوم ، ومشى معهم عسكر الفرنسيس إلى العادلية ، وهم يضربون الطبول وأمامهم مدفع وخلفهم مدفع مع جملة من العساكر .

وفى يوم الثلاثاء عاشره [2] ، سافر عدة من عسكر الفرنسيس إلى عرب الجزيرة ، فإن مصطفى بيك كتخدا الباشا ذهب إليهم ، والتجأ لهم فعينوا عليهم تلك العساكر

وفى يوم الأربعاء [3] ، فرجوا عن جماعة من القليونجية وغيرهم الذين كانوا **محبوسين بالقلعة ، وفيهم المعلم نقولا النصرانى الأرمنى الذى كان رئيس مركب مراد بيك الحربية التى أنشأها بالجيزة ، وأسكنوه بيت حسن كتخدا بباب الشعرية .**

وفيه[4] ، حضر ابن شديد شيخ عرب الحويطات [5] بأمان ، وكان عاصيا فأعطوه

---

(١) ٧ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٢ ابريل ١٧٩٩ م .

(٢) ١٠ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١٥ ابريل ١٧٩٩ م .

(٣) ١١ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١٦ ابريل ١٧٩٩ م .

(٤) ١١ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١٦ ابريل ١٧٩٩ م .

(٥) عرب الحويطات : وصل الحويطات إلى مصر بصورة تدريجية فى أوائل القرن الثانى عشر الهجرى ، الثامن عشر الميلادى ، من حويطات الساحل السعودى ، بشمال غرب الجزيرة ، وتوطن أغلبهم فى القليوبية وحول القاهرة ووسط وغرب سيناء ، وأشهر فصائلهم فى سيناء : الذيابيين والدبور والعبيات والمسومة والقرعان والجرافين ، وقد حالفوا الترابين والأحيوات والطورة ، والحويطات فى سيناء أحدث عنصر قبلى هناك .
الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٩١ .

الأمان ، وخلعوا عليه وسفروا معه قافلة دقيق وبقسماط العسكر بالشام .

وفى يوم السبت حادى عشرينه [1] ، حضر مجلون من الناحية القبلية وصحبته أموال البلاد والغنائم من بهائم وخلافها .

وفيه[2] ، عملوا كرنتيلة عند العادلية لمن يأتى من بر الشام من العسكر إلى ناحية شرق إطفيح بسبب محمد بيك الألفى .

وفيه[3] ، حضر الذين كانوا ذهبوا إلى عرب الجزيرة ، فضربوهم ونالوا منهم بعض النيل ، وأما مصطفى بيك فلم تعلم عنه حقيقة حال قيل إنه ذهب إلى الشام .

وفى خامس عشرينه [4] ، وصلت مراسلة من المذكور خطابا للمشايخ ، مضمونها : « أنهم يعرفون أكابر الفرنسيس أنه متوجه إلى سارى عسكرهم بالشام ، ويرجون الإفراج عن قريبه وكتخدائه ، ويتحفظون على الأمتعة التى أخذوها ، فإنها من متعلقات الدولة » ، فلما أطلعوهم على تلك المكاتبة ، قالوا : « لايمكن الإفراج عن المذكورين حتى نتحقق أنه ذهب إلى سارى عسكر ، ويأتينا منه خطاب فى شأنه ، فإنه من الجائز أنه يكذب فى قوله » .

وفيه[5] ، ثبت أن محمد بيك الألفى مر من خلف الجبل ، وذهب إلى عرب الجزيرة ومعه من جماعته نحو المائة ، وقيل أكثر ، والتف عليه الكثير من الغز والمماليك المشردين بتلك النواحى ، وقدم له العربان التقادم والكلف ، فأرسل له الفرنسيس عدة من العسكر .

وفى سابع عشرينه [6] ، لخص الفرنساوية طومارا قرئ بالديوان ، وطبع منه عدة نسخ وألصقت بالأسواق على العادة ، وكان الناس أكثروا من اللغط ، بسبب انقطاع الأخبار عن الفرنسيس المحاصرين لعكا ، والروايات عمن بالصعيد والكيلانى والأشراف الذين معه وغير ذلك ، وصورتها : « من محفل الديوان الكبير بمصر ، بسم الله الرحمن الرحيم ولا عدوان إلا على الظالمين ، نخبر أهل مصر أجمعين ، أنه حضر جواب من عكا من حضرة سارى عسكر الكبير خطابا منه إلى حضرة سارى عسكر الوكيل بثغر دمياط ، تاريخه تاسع القعدة سنة تاريخه [7] ، يخبر فيه أننا أرسلنا

(١) ٢١ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م .
(٢) ٢١ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م .
(٣) ٢١ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٢٦ أبريل ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٥ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٣٠ أبريل ١٧٩٩ م .
(٥) ٢٥ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٣٠ أبريل ١٧٩٩ م .
(٦) ٢٧ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ٢ مايو ١٧٩٩ م .
(٧) ٩ ذى القعدة ١٢١٣ هـ / ١٤ أبريل ١٧٩٩ م .

لكم نقيرتين لدمياط ، الأولى أرسلناها فى خمسة وعشرين شوال [1] ، والثانية : فى ثمانية وعشرين منه [2] ، أخبرناكم فيهما عن مطلوبنا إرسال جانب جلل وذخائر إلى عساكرنا المحافظين فى غزة ويافا ، لأجل زيادة المحافظة والصيانة ، وأما من قبل العزضى ، فإن الجلل عندنا كثيرة والذخائر والمآكل والمشارب والخيرات غزيرة ، حتى إنها زادت عندنا الجلل بكثرة جمعناها مما رمته الأعداء ، فكأن أعداءنا أعانونا ونخبركم أننا عملنا لغما مقدار عمقه ثلاثون قدما ، وسرنا به حتى قربناه إلى السور الجوانى بمسافة نحو ثمانية عشر قدما ، وقد قربت عساكرنا من الجهة التى تحارب فيها حتى صار بينهم وبين السور ثمانية وأربعون قدما بمشيئة الله تعالى ، عند وصول كتابنا إليكم ، وقبل إتمام قراءته عليكم نكون ظافرين بملك قلعة عكا أجمعين ، فإننا تهيأنا إلى دخولها ، يأتيكم خبر ذلك بعد هذا الكتاب ، وأما بقية إقليم الشام وما يلى عكا من البلاد ، فإنهم لنا طائعون وبالاعتناء ومزيد المحبة راغبون ، يأتوننا بكل خير عظيم ، ويحضرون لنا أفواجا أفواجا بالهدايا الكثيرة والحب الجسيم من القلب السليم ، وهذا من فضل الله علينا ومن شدة بغضهم لجزار باشا ، ونخبركم أيضًا أن الجنرال يونوت [3] انتصر على أربعة آلاف مقاتل حضروا من الشام خيالة ومشاة ، فقابلهم بثلثمائة عسكرى مشاة من عسكرنا ، فكسروا التجريدة المذكورة ، وأوقع منهم نحو ستمائة نفس ما بين مقتول ومجروح ، وأخذ منهم خمسة بيارق وهذا أمر عجيب ، لم يقع نظيره فى الحروب أن ثلثمائة نفس تهزم نحو أربعة آلاف نفس ، فعلمنا أنَّ النصرة من عند الله لا بالقلة ولا بالكثرة » ، هذا آخر كتاب سارى عسكر الكبير إلى وكيلة بدمياط ، وأرسل إلينا بالديوان حضرة الوكيل سارى عسكر دوجا [4] الوكيل بمصر المحروسة ، يخبرنا بصورة هذا المكتوب ، ويأمرنا « أننا نلزم الرعايا من أهل مصر والأرياف أن يلزموا الأدب والإنصاف ، ويتركوا الكذب والخراف ، فإن كلام الخشاشين بوقع الضرر للناس المعتبرين ، فإن حضرة سارى عسكر دوجا الوكيل بلغه أن أهل مصر وأهل الارياف يتكلمون بكلام لا أصل له من قبل الأشراف ، والحال أن الأشراف الذين يذكرونهم ويكذبون عليهم جاءت أخبارهم من حضرة سارى عسكر الصعيد ، يخبر الوكيل دوجا بأن الأشراف المذكورين الذين صحبة

---

(1) ٢٥ شوال ١٢١٣ هـ / ١ أبريل ١٧٩٩ م

(2) ٢٨ شوال ١٢١٣ هـ / ٤ أبريل ١٧٩٩ م .

(3) يونوت : وصحة الإسم Junot ، أقامه بونابرته قائدا لحامية قطيا .

(4) دوجا : Dugua انظر ، ص ٨٠ ، حاشية رقم (٤) .

الكيلانى ، قد مزقـوا كل ممزق وانهزموا وتفرقوا ، فلم يكـن الآن فى بلاد الصعيد شىء يخالف المراد ، وسلم من الفتن والعناد ، فأنتم يا أهـل مصر ويا أهل الأرياف أتركوا الأمور التى توقعكم فى الهلاك والتلاف ، وأمسكوا أدبكم قبل أن يحل بكم الدمار ويلحقكم الندم والعار ، والأولى للعاقل اشتغاله بأمر دينه ودنياه ، وأن يترك الكذب ، وأن يسلم لأحكام الله وقضاه ، فإن العاقل يقرأ العواقب ، وعلى نفسه يحاسب ، هذا شأن أهل الكمال يتركون القيل والقال ، ويشتغلون بإصلاح الأحوال ويرجعون إلى الكبير المتعال والسلام ».

وفى هذا الشهر [1] ، كتبوا أوراقا بأوامر .

ونصها : « من محفل الديوان العمومى إلى جميع سكان مصر وبولاق ومصر القديمة ، أننا قد تأملنا وميزنا أن الواسطة الأقرب والأيمن لتلطيف أو لمنع الخطر الضرورى وهو تشويش الطاعون ، عدم المخالطة مع النساء المشهورات ، لأنهنّ الواسطة الأولى للتشويش المذكور ، فلأجل ذلك حتمنا ورتبنا ومنعنا إلى مدة ثلاثين يوما من تاريخه أعلاه لجميع الناس ، إن كان فرنساويا أو مسلما أو روميا أو نصرانيا أو يهوديا من أىّ ملة كان ، كل من أدخل إلى مصر أو بولاق أو مصر القديمة من النساء المشهورات ، إن كان فى بيوت العسكر أو كل من كان داخل المدينة ، فيكون قصاصه بالموت ، كذلك من قبل النساء والبنات المشهورات بالعسكر إن دخلن من أنفسهن أيضًا يقاصصن بالموت » .

ومن حوادث هذا الشهر[2] ، أنه حضر إلى القلزم مركبان إنكليزيان ، وقيل أربعة ووقفوا قبالة السويس وضربوا مدافع ، ففر أناس من سكان السويس إلى مصر ، وأخبروا بذلك ، وأنهم صادفوا بعض داوات [3] تحمل البن والتجارة فحجزوها ومنعوها من الدخول إلى السويس .

ومنها ، أن طائفة من عرب البحيرة يقال لهم عرب الغز [4] جاءوا وضربوا دمنهور ، وقتلوا عدة من الفرنسيس وعاثوا فى نواحى تلك البلاد حتى وصلوا إلى

---

(١) ذو القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٢) ذو القعدة ١٢١٣ هـ / ٦ أبريل - ٥ مايو ١٧٩٩ م .

(٣) داوات : أنظر ، ص ٦٦ ، حاشية رقم (٨) .

(٤) عرب [illegible] عربان بنى غازى ، وهم منسوبون إلى مدينة بنى غازى الليبية فى إقليم برقة بشرق ليبيا . الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٩٠ .

الرحمانية [1] ، ورشيد ، وهم يقتلون من يجدونه من الفرنسيس وغيرهم وينهبون البلاد والزروعات .

ومنها ، أن الكيلانى المذكور آنفا ، توفى إلى رحمة الله تعالى ، وتفرقت طائفته فى البلاد حتى أنه حضر منهم جملة إلى مصر ، وكان أكثر من يخامر عليهم أهل بلاد الصعيد فيوهمونهم معاونتهم ، وعند الحروب يتخلون عنهم ، وبعض البلاد يضيفهم ويسلط عليهم الفرنسيس فيقبضون عليهم

ومنها ، أنه حضر إلى مصر الأكثر من عسكر الفرنسيس الذين كانوا بالجهة القبلية ، وضربوا فى حال رجوعهم بنى عدى بلدة من بلاد الصعيد مشهورة [2] ، وكان أهلها ممتنعين عليهم فى دفع المال والكلف ، ويرون فى أنفسهم الكثرة والقوة والمنعة ، فخرجوا عليهم وقاتلوهم فملك عليهم الفرنسيس تلا عاليا ، وضربوا عليهم بالمدافع فأتلفوهم وأحرقوا جرونهم ، ثم كبسوا عليهم وأسرفوا فى قتلهم ونهبهم ، وأخذوا شيئًا كثيراً وأموالا عظيمة وودائع جسيمة ، للغز وغيرهم من مساتير أهل البلاد القبلية لظن منعتهم ، وكذلك فعلوا بالميمون [3] .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٣ [4]

فى ثانيه [5] ، خرج نحو الألف من عسكر الفرنسيس للمحافظة على البلاد الشرقية ، لتجمع العرب والمماليك على الألفى ، وكذلك تجمع الكثير من الفرنسيس وذهبوا إلى جهة دمنهور ، وفعلوا بها ما فعلوا فى بنى عدى من القتل والنهب لكونهم عصوا عليهم ، بسبب أنه ورد عليهم رجل مغربى يدّعى المهدوية ، ويدعو الناس ويحرضهم على الجهاد ، وصحبته نحو الثمانين نفرا ، فكان يكاتب أهل البلاد .

---

(١) الرحمانية : قرية قديمة ، اسمها الأصلى ، محلة عبد الرحمن ، عرفت باسمها الحالى فى دفتر المقاطعات ١٠٧٩ هـ / ٦٨ / ١٦٦٩ م ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، وهى إحدى قرى مركز شبراخيت ، محافظة البحيرة

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٠٥ .

(٢) بنى عدى : إحدى قرى مركز الواسطى ، محافظة بنى سويف .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣٠ .

(٣) الميمون : قرية قديمة إندثرت ، وذكرت فى معجم البلدان بإسم « مَيْمون » ، وفى قوانين ابن مماتى وفى تحفة الإرشاد باسم « الميمون » ، وهى إحدى القرى التابعة للواسطى ، محافظة بنى سويف .

نفس المرجع ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٢٧ - ١٢٨ .

(٤) ذو الحجة ١٢١٣ هـ / ٦ مايو - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٥) ٢ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ٧ مايو ١٧٩٩ م .

ويدعوهم إلى الجهاد ، فاجتمع عليه أهل البحيرة وغيرهم ، وحضروا إلى دمنهور وقاتلوا من بها من الفرنساوية ، واستمر أياما كثيرة تجتمع عليه أهل تلك النواحى وتفترق ، والمغربى المذكور تارة يغرِّب وتارة يشرِّق .

وفيه[1]، أشيع أن الألفى حضر إلى بلاد الشرقية، وقاتل من بها من الفرنسيس ، ثم ارتحل إلى الجزيرة .

وفى سابعه [2] ، حضر جماعة من فرنسيس الشام إلى الكرنتيلة بالعادلية وفيهم مجاريح ، وأخبر عنهم بعضهم أن الحرب لم تزل قائمة بينهم وبين أحمد باشا بعكا ، وأن مهندس حروبهم المعروف بأبى خشبة عند العامة واسمه كفرللى [3] ، مات وحزنوا لموته ، لأنه كان من دهاتهم وشياطينهم ، وكان له معرفة بتدبير الحروب ومكايد القتال ، وإقدام عند المصاف مع ما ينضم لذلك من معرفة الأبنية وكيفية وضعها ، وكيفية أخذ القلاع ومحاصرتها .

وفى يوم الأربعاء [4] ، كان عيد النحر وكان حقه يوم الخميس ، وعند الغروب من تلك الليلة ضربوا مدافع من القلعة إعلاما بالعيد ، وكذلك عند الشروق ، ولم يقع فى ذلك العيد أضحية على العادة ، لعدم المواشى ولكونها محجوزة فى الكرنتيلة ، والناس فى شغل عن ذلك .

ومن الحوادث ، فى ذلك اليوم ، أن رجلا روميا من باعة الرقيق ، عنده غلام مملوك ساكن فى طبقة بوكالة ذى الفقار بالجمالية [5] خرج لصلاة العيد ، ورجع إلى طبقته فوجد ذلك الغلام متقلدا بسلاح ومتزييا بمثل ملابس القليونجية ، فقال له : **« من أين لك هذا اللباس » ، فقال : « من عند جارنا فلان العسكرى » ، فأمره بنزع ذلك ، فلم يستمع له ، ولم ينزعها ، فشتمه ولطمه على وجهه ، فخرج من الطبقة وحدثته نفسه بقتل سيده ورجع يريد ذلك ، فوجد عند سيده ضيفا ، فلم يتجاسر عليه لحضور ذلك الضيف ، فوقف خارج الباب ورآه سيده فعرف من عينه الغدر ،**

---

(١) ٢ ذى الحجة ١٢١٣ هـ/ ٧ مايو ١٧٩٩ م .

(٢) ٧ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ١٢ مايو ١٧٩٩ م .

(٣) كفرللى : Caffarlli من أكفأ قواد الحملة الفرنسية ، فَقَدَ إحدى قدميه فى حروب الثورة الفرنسية وجاء إلى مصر برجل واحدة ، فسماه العامة « بأبى خشبة » ، وقد كان رئيسا لفرقة المهندسين فى الجيش ، حسب اختيار بونابرت ، وقد قتل فى حصار عكا ، فنعاه بونابرت للديوان .

(٤) ٨ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ١٣ مايو ١٧٩٩ م .

(٥) الجمالية : انظر ، ص ٣٣ ، حاشية رقم (٦) .

فلما قام الضيف قام معه وخرج وأغلق الباب على الغلام ، فصعد الغلام على السطح وتسلق إلى سطح آخر ثم تدلى بحبل إلى أسفل الخان ، وخرج إلى السوق وسيفه مسلول بيده ، ويقول : « الجهاد يا مسلمين اذبحوا الفرنسيس » ونحو ذلك من الكلام ، ومر إلى جهة الغورية فصادف ثلاثة أشخاص من الفرنسيس فقتل منهم شخصا ، وهرب الاثنان ، ورجع على أثره والناس يعدون خلفه من بعد إلى أن وصل إلى درب بالجمالية غير نافذ ، فدخله وعبر إلى دار وجدها مفتوحة وربها واقف على بابها ، والفرنسيس تجمع منهم طائفة وظنوا ظنونا أخر ، وبادروا إلى القلاع ، وحضرت منهم طائفة من القلق يسألون عن ذلك المملوك ، وهاجت العامة ، ورمحت الصغار ، وأغلق بعض الناس حوانيتهم ، ثم لم تزل الفرنسيس تسأل عن ذلك المملوك والناس يقولون لهم : « ذهب من هنا » ، حتى وصلوا إلى ذلك الدرب فدخلوه ، فلما أحس بهم نزع ثيابه وتدلى ببئر فى تلك الدار ، فدخلوا الدار وأخرجوه من البئر وأخذوه وسكنت الفتنة ، فسألوه عن أمره وما السبب فى فعله ذلك ، فقال : « إنه يوم الاضحية فأحببت أن أضحى على الفرنسيس » ، وسألوه عن السلاح ، فقال : « إنه سلاحى » ، فحبسوه لينظروا فى أمره ، وطلبوا سيده فوجدوه عند الشيخ المهدى ، وأخذوا بعض جماعة من أهل الخان ، ثم أطلقوهم بدون ضرر ، وأخذوا سيده من عند المهدى وحبسوه ، وحضر الأغا وبرطلمين إلى الخان بعد العشاء ، وطلبوا البواب والخانجى [1] والجيران ، وصعدوا إلى الطباق وفتشوا على السلاح حتى قلعوا البلاط ، فلم يجدوا شيئًا ، وأرادوا فتح الحواصل فمنعهم السيد أحمد بن محمود محرم ، فخرجوا وأخذوا معهم الخانجى وجيران الطبقة وجملة أنفار وحبسوهم أيضًا ، وقتلوا المملوك فى ثانى يوم[2] ، وإستمر الجماعة فى الحبس إلى أن أطلقوهم بعد أيام عديدة من الحادثة .

وفى ذلك اليوم [3] ، أيضًا مر نصرانى من الشوام على المشهد الحسينى وهو راكب على حمار ، فرآه ترجمان ضابط الخطة ويسمى السيد عبدالله ، فأمره بالنزول إجلالا للمشهد على العادة ، فإمتنع فانتهره وضربه وألقاه على الأرض ، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس ، وشكا إليهم السيد عبدالله المذكور فأحضروه وحبسوه فشفع فيه مخدومه ، فلم يطلقوه ، وادعى النصرانى أنه كان بعيدا عن المشهد ، وأحضر من

---

(١) الخانجى : أى المشرف على الخان أو صاحبه ، فالخان يعنى المكان أو الفندق ، و « جى » أداة النسب إلى الصنعة .

(٢) ٩ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ١٤ مايو ١٧٩٩ م .

(٣) ٨ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ١٣ مايو ١٧٩٩ م .

شهد له بذلك ، وأن السيد عبدالله متهوّر فى فعله ، وادعى أنه ضاع له وقت ضربه دراهم كانت فى جيبه ، واستمر الترجمان محبوسا عدة أيام حتى دفع تلك الدراهم وهى ستة آلاف درهم .

وفيه ، أرسل فرنسيس مصر إلى رئيس الشام ميرة على جمال العرب نحو الثمانمائة جمل، وذهب صحبتها برطلمين وطائفة من العسكر فأوصلوها إلى بلبيس ، ورجعوا بعد يومين .

وفيه ، حضر إلى السويس تسعة داوات بها بن وبهار وبضائع تجارية ، وفيها لشريف مكة نحو خمسمائة فرق بن ، وكانت الإنكليز منعتهم الحضور ، فكاتبهم الشريف ، فأطلقوهم بعد أن حددوا عليهم أياما مسافة التنقيل والشحنة ، وأخذوا منهم عشورا ، وسامح الفرنسيس بن الشريف من العشور ، لأنه أرسل لهم مكاتبة بسبب ذلك وهدية قبل وصول المراكب إلى السويس بنحو عشرين يوما ، وطبعوا صورتها فى أوراق وألصقوها بالأسواق ، وهى خطاب لبوسليك [1] .

وصورته : « من الشريف غالب بن مساعد شريف مكة المشرفة إلى عين أعيانه ، وعمدة إخوانه بوسليك مدبر أمور جمهور الفرنساوية ، ممهد بنيان السياسة بسداد همته الوفية ، وبعد فإنه وصل إلينا كتابك ، وفهمنا كامل ما حواه خطابك مما ذكرت من وصول قنجتنا ، وأنك أرسلت هجانا برفع العشور عن البن ، وبذلت الهمة فى شأن التصرف فى نفاذ بيعه ، وتأملنا فى كتابك فوجدنا من صدق مقاله ما أوجب تمسكنا بوثاق الإعتماد عن تموّه غياهب الشك فى كل المراد، ووجب الآن علينا تكوين أسباب المصادقة والمبادرة ، فيما ينظم مهمات تسليك الطرق بيننا وبينكم عن الوعث ، وزوال المناكرة ، وشهلنا الآن إلى طرفكم خمسة مراكب مشحونة من نفس بندرنا جدة المعمورة فى هذا الأوان ، ولا أمكن لنا خروج هذا المقدار إلا بمشقة علاج مع سلب اطمئنان التجار ، لأن كثرة أكاذيب الأخبار أوجبت لهم مزيد الارتياب والإعذار ، بحيث ما بيننا وبينكم إلا العربان المختلفة رواياتهم على ممر الأزمان ، وأما نحن فقد جاءتنا منكم قبل هذا المكاتيب التى أوجبت عندنا من خطاب كتبكم زوال تلك الظنون والأكاذيب ، فخاطرنا مستقر بالطمأنينة من قبلكم ، لما ثبت عندنا من ألفاظ كتبكم ، والمطلوب فى حال وصول كتابنا إليكم إرسال عسكر من لديكم إلى بندر السويس ، لأجل حفظ أموال الناس ، ويصلوا بالأبنان إلى مصر ، ويبيع التجار ، ويزول

---

(١) بوسليك : انظر ، ص ٤٧ ، حاشية رقم (٥) .

وقف الأسباب والبأس ، وتهتموا في رجوعهم كذلك قبل بأوان ، ليكون ذلك سببا في كثرة وفود الأبنان ، وعند رجوعهم بعد المبيع من مصر إلى السويس ، كذلك تصحبوهم بالعسكر من طرفكم الوثيق ، ليكونوا محافظين لهم من شرور الطريق ، لأن هذه المرة ما أرسل إليكم هذا المقدار إلا تجربة وإستخبارا من أعيان التجار وعند مشاهدة الإكرام والإحتفال بهم في كل حال ، يرسلون إليكم نفائس أموالهم ويهرعون بالجلب لطرفكم ، ويزول الريب عن قلوبهم ، ونرجو الله بهمتنا تسليك الطرقات وتنجيح المطالب ، وتحصيل الميراث بأحسن مما كانت من الأمان ، وأعظم مما سبق في غابر الأزمان ، ويكثر بحول الله الوارد إليكم من الأسباب الحجازية ، وكذلك لنا بن في المراكب فمأمولنا منكم إلقاء النظر على خدّامنا ، وبذل الهمة على ما هو من طرفنا ، وأنتم كذلك لكم عندنا مزيد الإكرام في كل مرام ، ولايخفاك أنه ورد علينا قبل بأيام كتب من طرف أمير العسكر الفرنساوية محبنا بونابارته ، فما كان لنا منها فتأملناه وصار إليه الجواب توصله إليه ، وما كان منها معولا في إرساله علينا إلي نواحي الهند، وابن حيدر ، وإمام مسكت ، ووكيلكم الذي في المخا [1]، فجميعا أصدرناها من طرفنا مع من نعتمده إلى أربابها ، وإن شاء الله عن قريب يأتيكم الجواب والسلام ، تحريرا في ثمانية عشر شهر ذي القعدة سنة ألف ومائتين وثلاثة عشر [2] » ، وبآخره قد وصل هذا الكتاب لمصر في ستة عشر يوما خلت من شهر ذي الحجة [3] ، فيكون مدة وصوله من مكة المشرفة إلى مصر ثمانية وعشرين يوما ، وإنقضى هذا الشهر ، ولم يأت خبر صحيح عن فرنسيس الشام وما جرى لهم أو عليهم إلا روايات، لايوثق بها ولايصح بالتواتر منها، إلا تكرار هجوم الفرنسيس على حصون عكا ، ولم يتركوا من حيلهم ومكايدهم شيئًا إلا فعلوه ، ولم ينالوا غرضا منها ، وإنقضت هذه السنة [4] ، وما حصل بها من الحوادث التي لم يتفق مثلها ، ومن أعظمها إنقطاع سفر الحج من مصر ، ولم يرسلوا الكسوة ولا الصرة ، وهذا لم يقع نظيره في هذه القرون ، ولا في دولة بني عثمان ، والأمر لله وحده .

---

(١) المخا : ميناء يمني على البحر الأحمر .

(٢) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٣) ١٦ ذي الحجة ١٢١٣ هـ / ٢١ مايو ١٧٩٩ م .

(٤) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

واما من مات فى هذه السنة من الأعيان ومن له ذكر فى الناس[1]

مات ، الإمام العمدة الفقيه العلامة ، المحقق الفهامة ، المتقن المتفنن المتبحر ، عين أعيان الفضلاء الأزهرية ، الشيخ أحمد بن موسى بن أحمد بن محمد البيلى العدوى المالكى ، ولد ببنى عدى سنة إحدى وأربعين ومائة وألف[2] ، وبها نشأ ، فقرأ القرآن ، وقدم الجامع الأزهر ، ولازم الشيخ على الصعيدى ملازمة كلية حتى تمهر فى العلوم ، وبهر فضله فى الخصوص والعموم ، وكان له قريحة جيدة ، وحافظة غريبة ، يملى فى تقريره خلاصة ما ذكره أرباب الحواشى مع حسن سبك ، والطلبة يكتبون ذلك بين يديه ، وقد جمع من تقاريره على عدة كتب كان يقرؤها حتى صارت مجلدات ، وإنتفع بها الطلبة انتفاعا عامًا ، ودرس فى حياة شيخه سنينا عديدة ، واشتهر بالفتوح ، وكان الشيخ الصعيدى يأمر الطلبة بحضوره وملازمته ، وكان فيه إنصاف زائد وتؤدة ومروءة ، وتوجه إلى الحق ، ولديه أسرار ومعارف ، وفوائد وتمائم ، وعلم بتنزيل الأوفاق [3] والوفق المئينى العددى والحرفى ، وطرائق تنزيله بالتطويق والمربعات وغير ذلك .

ولما توفى الشيخ محمد حسن ، جلس موضعه للتدريس بإشارة من أهل الباطن .

ولما توفى الشيخ أحمد الدردير ولى مشيخة رواق الصعايدة ، وله مؤلفات منها : مسائل كل صلاة بطلت على الإمام وغير ذلك ، ولم يزل على حالته وإفادته وملازمة دروسه والجماعة حتى توفى فى هذه السنة [4] ، ودفن فى تربة المجاورين ، رحمة الله تعالى عليه .

ومات ، العلامة الفاضل الفقيه ، الشيخ أحمد بن إبراهيم الشرقاوى الشافعى الأزهرى ، قرأ على والده وتفقه وأنجب ، ولم يزل ملازما لدروسه ، حتى توفى والده ، فتصدر للتدريس فى محله ، واجتمعت عليه طلبة أبيه وغيرهم ، ولازم مكانه بالأزهر طول النهار ، يملى ويفيد ويفتى على مذهبه ، ويأتى إليه الفلاحون من جيرة بلاده بقضاياهم وخصوماتهم وأنكحتهم فيقضى بينهم ، ويكتب لهم الفتاوى فى الدعاوى التى يحتاجون فيها المرافعة عند القاضى ، وربما زجر المعاند منهم وضربه

---

(١) كتب بهامش ص ٦٠ ، طبعة بولاق « ذكر من مات فى هذه السنة » .

(٢) ١١٤١ هـ / ٧ أغسطس ١٧٢٨ - ٢٦ يوليه ١٧٢٩ م .

(٣) الأوفاق : علم من علوم الفلك .

(٤) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

وشتمه ، ويستمعون لقوله ، ويمتثلون لأحكامه ، وربما أتوه بهدايا ودراهم ، واشتهر ذكره ،وكان جسيما عظيم اللحية ، فصيح اللسان ، ولم يزل على حالته حتى اتهم فى فتنة الفرنسيس المتقدمة ، ومات مع من قتل بيد الفرنساوية بالقلعة ، ولم يعلم له قبر .

ومات ، الشيخ الإمام العمدة الفقيه الصالح القانع ، الشيخ عبد الوهاب الشبراوى الشافعى الأزهرى ، تفقه على أشياخ العصر ، وحضر دروس الشيخ عبدالله الشبراوى والحفنى والبراوى وعطية الأجهورى وغيرهم ، وتصدر للإقراء والتدريس والإفادة بالجوهرية وبالمشهد الحسينى ، ويحضر درسه فيه الجم الغفير من العامة ، ويستفيدون منه ، ويقرأ به كتب الحديث كالبخارى ومسلم ، وكان حسن الإلقاء سلس التقرير جيد الحافظة ، جميل السيرة ، مقبلا على شأنه ، ولم يزل ملازما على حالته حتى اتهم فى إثارة الفتنة ، وقتل بالقلعة شهيدا بيد الفرنسيس فى أواخر جمادى الأولى من السنة [1] ، ولم يعلم له قبر .

ومات ، الشاب الصالح ، والنبيه الفالح ، الفاضل الفقيه ، الشيخ يوسف المصيلحى الشافعى الأزهرى ، حفظ القرآن والمتون ، وحضر دروس أشياخ العصر ، كالشيخ الصعيدى والبراوى والشيخ عطية الأجهورى ، والشيخ أحمد العروسى ، وحضر الكثير على الشيخ محمد المصيلحى ، وأنجب وأملى دروسا بجامع الكردى[2] بسويقة اللالا[3] ، وكان مهذّب النفس لطيف الذات حلو الناطقة مقبول الطلعة خفيف الروح ، ولم يزل ملازما على حاله حتى اتهم أيضًا فى حادثة الفرنسيس ، وقتل مع من قتل شهيدا بالقلعة .

ومات ، العمدة الشهير ، الشيخ سليمان الجوسقى شيخ طائفة العميان [4] بزاويتهم المعروفة الآن بالشنوانى ، تولى شيخا على العميان المذكورين بعد وفاة الشيخ

---

(١) آخر جمادى الأولى ١٢١٣ هـ / ٩ نوفمبر ١٧٩٨ م .

(٢) جامع الكردى : أنشأه عبد الرحمن كتخدا ١١٧٠ هـ / ٢٦ سبتمبر ١٧٥٦ - ١٤ سبتمبر ١٧٥٧ م ، بالحسينية بين جامع البيومى وباب المذبح القديم ، وهو جامع صغير ، فيه عدة أضرحة ، أشهر هذه الأضرحة ، ضريح الشيخ شرف الدين الكردى ، المعروف به هذا الجامع .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٥ ، ص ٢١٣ .

(٣) سويقة اللالا . شارع سويقة اللالا يبتدئ من آخر شارع الحنفى ، وينتهى لشارع الدرب الجديد ، وطوله (٢٧ مترا) ، وبه من اليسار ثلاث عطف ، ومن اليمين به حارة العراقى .
المرجع نفسه : جـ ٣ ، ص ٣٤١ .

(٤) طائفة العميان : أى مكفوفى البصر ، وكان لهم طائفة لها شيخها ونظامها للمحافظة على حقوق هذه الطائفة .

الشبراوى ، وسار فيهم بشهامة وصرامة وجبروت ، وجمع بجاههم أموالا عظيمة وعقارات ، فكان يشترى غلال المستحقين المعطلة بالأبعاد بدون الطفيف ، ويخرج كشوفاتها وتحاويلها على الملتزمين ، ويطالبهم بها كيلا وعينا ، ومن عصى عليه أرسل إليه الجيوش الكثيرة من العميان ، فلا يجد بدا من الدفع ، وإن كانت غلالة معطلة صالحه بما أحب من الثمن ، وله أعوان يرسلهم إلى الملتزمين بالجهة القبلية ، يأتون إليه بالسفن المشحونة بالغلال والمعاوضات من السمن والعسل والسكر والزيت وغير ذلك ، ويبيعها فى سنى الغلوات بالسواحل والرقع بأقصى القيمة ، ويطحن منها على طواحينه دقيقا ، ويبيع خلاصته فى البطط بحارة اليهود ، ويعجن نخالته خبز الفقراء العميان ، يتقوتون به مع ما يجمعونه من الشحاذة فى طوافهم آناء الليل وأطراف النهار بالأسواق والأزقة ، وتغنيهم بالمدائح والخرافات ، وقراءة القرآن فى البيوت ومساطب الشوارع وغير ذلك ، ومن مات منهم ورثه الشيخ المترجم المذكور ، وأحرز لنفسه ما جمعه ذلك الميت ، وفيهم من وجد له الموجود العظيم ، ولايجد له معارضا فى ذلك ، واتفق أن الشيخ الحفنى نقم عليه فى شيء ، فأرسل إليه من احضره موثوقا مكشوف الرأس ، مضروبا بالنعالات على دماغه وقفاه من بيته إلى بيت الشيخ بالموسكى بين ملأ العالم .

ولما انقضت تلك السنون وأهلها ، صار المترجم من أعيان الصدور المشار إليهم فى المجالس تخشى سطوته ، وتسمع كلمته ، ويقال ، قال الشيخ كذا ، وأمر الشيخ بكذا ، وصار يلبس الملابس والفراوى ، ويركب البغال وأتباعه محدقة به ، وتزوّج الكثير من النساء الغنيات الجميلات ، واشترى السرارى البيض والحبش والسود ، وكان يقرض الأكابر المقادير الكثيرة من المال ليكون له عليهم الفضل والمنة ، ولم يزل حتى حمله التفاخر فى زمن الفرنسيس على توليه كبر إثارة الفتنة التى أصابته وغيره ، وقتل فيمن قتل بالقلعة ولم يعلم له قبر ، وكان ابنه معوقا ببيت البكرى ، فلما علم بموته قلق وكاد يخرج من عقله ، خوفا على ما يعلم مكانه من مال أبيه ، حتى خلص فى ثانى يوم بشفاعة المشايخ ، ولم يكن مقصودا بالذات بل حضر ليعود أباه ، فحجزه القومة عليهم زيادة فى الاحتياط .

ومات ، الأجل المفوّه العمدة الشيخ إسماعيل البراوى بن أحمد البراوى ، الشافعى الأزهرى ، وهو ابن أخى الشيخ عيسى البراوى الشهير الذكر ، تصدر بعد

وفاة والده فـي مكانه ، وكـان قليل البـضاعة إلا أنه تغـلب عليه الـنباهة واللـسانة والسلاطة والتـداخل ، وذلك هو الذى أوقعه فى حـبائل الفرنـساوية ، وقـتل مع من قتل شهيداً ولم يعلم له قبر ، غفر الله لنا وله .

ومات ، الوجيه الأجل الأمـثل ، السيد محمد كُرَيِّم السكـندرى ، وكريم بضم الكاف وفتح الراء وتشديد الياء مكسورة وسكون الميم ، مقتولا بيد الفرنسيس .

وخبره : أنه كان فى أوّل أمره قبانيا يزن البضائع فى حانوت بالثغر ، وعنده خفة فى الحركة وتودد فى المعاشرة ، فلم يزل يتقرب إلى الناس بحسن التودّد ، ويستجلب خواطر حـواشى الدولة ، وغـيرهم من تجار المـسلمين والـنصارى ، ومن لـه وجاهة وشهرة فى أبناء جنـسه حتى أحبه الناس ، واشتهر ذكره فى ثغـر الاسكندرية ورشيد ومصر ، واتصل بصالح بيك حتى كان وكيلا بدار السعادة[1] ، وله الكلمة النافذة فى ثغر رشيد ، وتملكها وضواحيها واسترق أهـلها ، وقلّد أمرها لعثمان خجا ، فاتحد به ويخدومه الـسيد محمد المـذكور ، واتصل بمراد بيك بـعد صالح أغا ، فتـقرب إليه ووافق منه الغرض ، ورفع شأنه على أقرانه ، وقلده أمر الديوان [2] والجمارك بالثغر ، ونفـذت كلمـته وأحـكامه ، وتـصدر لغـالب الأمـور ، وزاد فى المكـوسات [3] ، والجمارك[4] ومصادرات التجار [5] خصوصا من الإفرنج ، ووقع بينـه وبين السيد شهبة الحادثة التى أوجبت له الاختفاء بالصهريج وموته فيه ، فلما حضر الفرنسيس، ونزلوا الإسكندرية قبضوا عـلى السيد محمد المذكور ، وطالبوه بالمال وضيـقوا عليه وحبسوه فى مركـب ، ولما حضروا إلى مـصر وطلعوا إلى قـصر مراد بيك ، وفـيها مطالـعته بأخبارهم وبالبحث والاجتهاد على حربهم وتهوين أمرهم وتنقيصهم ، فاشتد غيظهم عليه، فأرسلوا وأحضروه إلى مصر وحبسوه ، فتشفع فيه أرباب الديوان عدة مرار ، فلم يمكن إلى أن كانـت ليلة الخميس ، فحضر إليه مجـلون ، وقال له : « المطلوب منك كذا وكـذا من المال » ، وذكر له قدرا يعجـز عنه ، وأجله اثنتى عـشرة ساعة ، وإن لم يحضر ذلك القـدر وإلا يقتل بعد مضيها ، فلما أصـبح أرسل إلى المشايخ ، وإلى السيد أحمد المحروقـى ، فحضر إليه بعضهم فترجاهم وتداخل عليهم واستغاث

---

(١) دار السعادة : أى القصر الهمايونى ، وبصورة أخص جناح الحريم بالقصر .

(٢) الديوان : أى ديوان الجمرك أى مقر إدارة الجمرك حيث تجمع المكوس والجمارك .

(٣) المكوسات : أى الضرائب .

(٤) الجمارك : هى الأموال المقررة على السلع التجارية طبقا للتعريفة المتعارف عليها .

(٥) مصادرات التجار : أى مصادرة أموال وبضائع التجار .

وصار ، يقول لهم : « إشترونى يا مسلمـون » ، وليس بيدهم ما يفتدونه به ، وكل إنسان مشـغول بنفسه ومتـوقع لشىء يصيبـه ، وذلك فى مبادئ أمرهم ، فـلما كان قريب الـظهر ، وقد انقضـى الأجل أركبوه حمارا ، واحـتاط به عدة من العـسكر ، وبأيديهم السيوف المسـلولة ، ويقدمهـم طبل يضربون عليه ، وشـقوا به الصليبة إلى أن ذهبـوا إلى الرميلة ، وكتفـوه وربطوه مشـبوحا ، وضربـوا عليه بالبنادق كعادتهم فيمـن يقتلونه ، ثم قطعـوا رأسـه ورفعـوهـا على نبوت وطافـوا بهـا بجهـات الرميلـة ، والمنادى يقـول : « هــذا جزاء من يخالـف الفرنسيس » ، ثـم إن أتباعه أخذوا رأسه ودفنوها مـع جثته ، وانقـضى أمره ، وذلك يوم الخميس خامس عشرى ربيع الأول [1] .

ومات ، الأمير إبراهيم بـيك الصغير المعروف بالوالى ، وهو مـن مماليك محمد بيك أبى الذهب ، وتقلد الزعامة بعد موت أسـتاذه ، ثم تقلد الإمارة والصنجقية فى أواخر جمادى الأولـى سنة اثنتين وتسعـين ومائة وألف [2] ، وهو أخو سليـمان بيك المعروف بالأغا ، وعندمـا كان هو واليا كان أخوه أغات مستحفـظان ، وأحكام مصر والشرطة بيـنهما ، وفى سنة سبع وتسعين [3] تعصب مـراد بيك وإبراهيم بـيك على المترجم ، وأخرجوه منفيا هو وأخوه سلـيمان بيك وأيوب بيك الدفتردار ، ولما أمروه بالخروج ركب فى طوائفه ومماليكه وعدى إلى بر الجيزة ، فركب خلفه على بيك أباظه ولاچين بيك ولحـقوا حملته عـند المعادى [4] ، فحجـزوها وأخذوها وأخذوا هـجنه ومتاعه ، وعدوا خلفه فأدركوه عند الأهرام ، فاحتالوا عليه وردوه إلى قصر العينى ، ثم سفروه إلى ناحية السرو[5] ورأس الخليج[6] فأقام بها أياما ، وكان أخوه سليمان بيك

---

(١) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٣ هـ / ٦ سبتمبر ١٧٩٨ م .

(٢) آخر جمادى الأولى ١١٩٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٧٨ م .

(٣) ١١٩٧ هـ / ٧ ديسمبر ١٧٨٢ - ٢٥ نوفمبر ١٧٨٣ م .

(٤) المعادى : وأصل اسمها « معادى الخبيرى » ، وأصلها قرية قـديمة كانت تسمى « منية السودان » ، ثم سميت «قرية الـعدوية» ، ثم سـميت فى العـصر العثمـانى « معادى الخـبيرى » ، حيث كـان بها مرسـى المراكب المتخصصة لتعدية النـاس والجند المتوجهين من وإلى بلاد الصعيد ، وهى الآن قاعـدة قسم المعادى ، محافظة القاهرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٧ - ١٨ .

(٥) الـسرو : قرية قديمـة ، تعنى فى الاصطلاح الزراعى الأرض المرتـفعة التى لاتعلوها ميـاه النيل إلا بالآلات ، وهى عادة من أخصب الأراضى ، وهى إحدى قرى ، مركز منوف ، محافظة المنوفية

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

(٦) رأس الخليج : قرية قديمة ، على الشاطئ الغربى للنيل ، وهى إحدى قرى مركز شربين ، محافظة الغربية .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٧٨ .

بالمنوفية ، فلما أرسلوا بنفيه إلى المحلة [١] ، ركب بطوائفه وحضر إلى مسجد الخضيرى [٢] ، وحضر إليه أخوه المترجم ، وركبا معا وذهبا إلى جهة البحيرة ، ثم ذهبا إلى طندتا ، ثم ذهبا إلى شرقية بلبيس[٣] ، ثم توجها من خلف الجبل إلى جهة قبلى وكان أيوب بيك بالمنصورة فلحق بهما أيضًا ، وكان بالصعيد عثمان بيك الشرقاوى ، ومصطفى بيك فالتفا عليهما ، وعصى الجميع ، وأرسل مراد بيك وإبراهيم بيك محمد كتخدا أباظه وأحمد أغا شويكار إلى عثمان بيك ومصطفى بيك يطلبانهما إلى الحضور فأبيا ، وقالا : « لانرجع إلى مصر إلا بصحبة إخواننا وإلا فنحن معهم أينما كانوا » ، ورجع المذكوران بذلك الجواب ، فجهزوا لهم تجريدة وسافر بها إبراهيم بيك الكبير وضمهم وصالحهم ، وحضر بصحبة الجميع إلى مصر ، فحنق مراد بيك ولم يزل حتى خرج مغضبا إلى الجيزة ، ثم ذهب إلى قبلى ، وجرى بينهما ما تقدم ذكره من إرسال الرسل ومصالحة مراد بيك ورجوعه ، وإخراج المذكورين ثانيا ، فخرجوا إلى ناحية القليوبية ، وخرج مراد بيك خلفهم ، ثم رجوعهم إلى جهة الأهرام ، وقبض مراد بيك عليهم ونفيهم إلى جهة بحرى ، وأرسل المترجم إلى طندتا ، ثم ذهبوا إلى قبلى خلا : مصطفى بيك ، وأيوب بيك ، ثم رجعوا إلى مصر بعد خروج مراد بيك إلى قبلى، واستمر أمرهم على ما ذكر حتى ورد حسن باشا ، وخرج الجميع وجرى ما تقدم ذكره ، وتولى المترجم إمارة الحاج سنة مائتين [٤] ولم يسافر به ، ولما رجعوا إلى مصر بعد الطاعون ، وموت إسماعيل بيك ، ورجب بيك صاهره إبراهيم بيك الكبير وزوّجه ابنته كما تقدم ، ولم يزل فى سيادته وإمارته حتى حضر الفرنساوية ، ووصلوا إلى بر إنبابة ، ومات هو فى ذلك اليوم غريقا ، ولم تظهر رمته ، وذلك يوم السبت سابع صفر من السنة المذكورة[٥] .

ومات الأمير على بيك الدفتردار ، المعروف بكتخدا الجاويشية ، وأصله مملوك سليمان أفندى من خشداشين [٦] كتخدا إبراهيم القازدغلى ، وكان سيده المذكور رغب

---

(١) المحلة : أنظر جـ ٢ ، ص ٣ ، حاشية رقم (٢) .

(٢) مسجد الخضرى : أنظر ، جـ ٢ ، ص ١٠٥ ، حاشية رقم (١) .

(٣) بلبيس : أنظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (١) .

(٤) ١٢٠٠ هـ / ٤ نوفمبر ١٧٨٥ - ٢٣ أكتوبر ١٧٨٦ م .

(٥) ٧ صفر ١٢١٣ هـ / ٢١ يوليه ١٧٩٨ م .

(٦) خشداشين : أى المشتركين فى سيد واحد ، ويدينون بالولاء له ، وتعنى الزملاء فى خدمة سيد وهم فى مرتبة واحدة .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٨٧ - ٨٨ .

عن الإمارة ، ورضى بحاله وقنع بالكفاف ، ورغب فى معاشرة العلماء والصلحاء ، وفى الانجماع عن أبناء جنسه ، والتداخل فى شئونهم ، وكان يأتى فى كل يوم إلى الجامع الأزهر ، ويحضر دروس العلماء ويستفيد من فوائدهم ، ولازم دروس الشيخ أحمد السليمانى فى الفقه الحنفى إلى أن مات ، فتقيد بحضور تلميذه الشيخ أحمد الغزى كذلك ، واقترن فى حضوره بالشيخ عبد الرحمن العريشى ، وكان إذ ذاك مقتبل الشبيبة ، مجردا عن العلائق ، فكان يعيد معه الدروس ، فاتحد به لما رأى فيه من النجابة ، فجذبه إلى داره وكساه وواساه ، وإستمر يطالع معه فى الفقه ويعيد معه الدروس ليلا ، وزوّجه وأغدق عليه ، وكان هو مبدأ زواجه ، ولم يزل ملازما حتى توفى سليمان أفندى المذكور ، فى سنة خمس وسبعين ومائة وألف [1] فتزوّج المترجم بزوجة سيده ، واستمر هو وخشداشه الأمير أحمد بمنزل أستاذهما ، وتتوق نفس المترجم للترفع والإمارة ، فتردد إلى بيوت الأمراء كغيره من الأجناد ، فقلده على بيك الكبير كشوفية شرق أولاد يحيى [2] فى سنة إثنتين وثمانين ومائة وألف [3] ، فتقلدها بشهامة ، وقتل البغاة ، وأخاف الناحية ، وجمع منها أموالا ، وإستمر حاكما بها إلى أن خالف محمد بيك أبو الذهب على سيده على بيك ، وخرج من مصر إلى الجهة القبلية ، فلما وصل إلى الناحية كان المترجم أوّل من أقبل عليه بنفسه وما معه من المال والخيام ، فسر به محمد بيك وقربه وأدناه ، ولم يزل ملازما لركابه حتى جرى ما جرى ، وتملك محمد بيك الديار المصرية ، فقلده أغاوية المتفرقة أياما قليلة ، ثم خيره فى تقليد الصنجقية أو كتخدا الجاويشية ، فقال له : « حتى أستخير فى ذلك » ، وحضر إلى المرحوم الشيخ الوالد ، وذكر له ذلك ، فأشار عليه بأن يتقلد كتخدا الجاويشية، فإنه منصب جليل واسع الإيراد وليس على صاحبه تعب، ولا مشقة غفر ولا سفر تجاريد ، ولا كثرة مصاريف ، فكان كذلك فى سنة ست وثمانين[4] ، وسكن ببيت سليمان أغا كتخدا الجاويشية بدرب الجماميز على

---

(١) ١١٧٥ هـ / ٢ أغسطس ١٧٦١ - ٢٢ يوليه ١٧٦٢ م .

(٢) أولاد يحيى : أصلها من نواحى مرج بنى هميم ، ثم فصلت عنه فى العهد العثمانى ، باسم أولاد يحيى شرق المرج البحرى ، ووردت فى دفاتر الروزنامة باسم « أولاد يحيى » ، وفى ١٨٨٨ ، قسمت إلى ناحيتين أولاد يحيى قبلى وهى الأصلية ، وأولاد يحيى بحرى ، وهى مستجدة ، تبع مركز البلينا ، محافظة سوهاج .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٠٥ .

(٣) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١٧٦٩ م .

(٤) ١١٨٦ هـ / ٤ أبريل ١٧٧٢ - ٢٤ مارس ١٧٧٣ م .

بركة الفيل ، ونمـا أمره ، واتسع حاله ، واشتهر وانتظـم فى عداد الأمراء ، ولم يزل على ذلك إلى أن مات محمد بيك ، فاستقـل بإمارة مصر إبراهيم بيك ومراد بيك ، فكان المترجم ثالثهما ، واتحد بإبراهيم بيك اتحادا عظيما حتى كان إبراهيم بيك لايقدر على مفارقته ساعة زمانية ، وصار معه كالأخ الشقيق والصاحب الشفيق ، وصار فى قبول ووجاهة عظيمة وكلمة نافذة فى جميع الأمور ، ولم يزل على ذلك حتى حضر حسـن باشا بالـصورة المتقـدمة ، وخرج إبراهـيم بيك ومـراد بيك وباقـى الأمراء ، فتخلـف عنهم المترجم ، وقـد كان راسل حسن باشا سـرا ، فلما استقر حـسن باشا اقبل علـيه وسلمه مقالـيد الأمور ، وقلده الصنـجقية ، وأضاف إليه الـدفتردارية ، وفوّض إليه جميع الأمور الكلية والجزئية ، فـانحصرت فيه رياسة مصر وصار عزيزها وأميرها ووزيرها وقائد جيوشها ، ولايتم أمر إلا عن مشورته ورأيه ، واجتمعت ببيته الدواوين ، وقلـد الإمريات والمناصب كمـا يختار ، وقرب وأدنى وأبعـد وأقصى من يختار ، واشـتهر ذكره فى إقلـيم مصر والشام والـروم ، وأشار بتقليـد مراد كاشف الصنجقية وإمـارة الحاج ، وسموه محمد بيك المبدول كراهـة فى اسم مراد ، واشتهر بالمبدول ، ونجـز له لوازم الحاج والصرة فـى أيام قليلة ، وسـافر بالحاج على الـنسق المعتاد ، وشـهل أيضًا التجاريـد والعساكر خلف الأمـراء المطرودين ، واستمـر مطلق التصرف فى مملكة مصر بقية السنة .

ولما استهل رمضان [1] ، أرسل لجميع الأمراء والأعيان اليلكات [2] الكساوى لهم ولحريمهم ومماليكهـم بالأحمال ، وكذلك إلى العلماء والمشايخ حتـى الفقهاء الخاملين المحتاجين ، وظن أنّ الوقت قـد صفا له ، ولم يزل على ذلك حتى إستـقر إسماعيل بيك وسافر حسن باشا ، وظهر له أمر حسن بيك الجداوى وخشداشينهم ، أخذ يناكد المترجـم ويعارضه فى جـميع أموره ، وهو يـسامح له فى كـل ما يتعرض لـه فيه ، ويساير حاله بينـهم ، ويكظم غيظه ويكتم قهره ، وهو مـع ذلك وافر الحرمة وإعتراه صداع فى رأسه وشقيقة زاد الله بها ، ووجعـه أشـهرا ، وأتلـف إحـدى عينيه وعوفى قليلاً ، واستمـر على ذلك حتى وقع الطاعون بمـصر سنة خمس [3] ، ومات ابن له مراهق أحزنه موته ، وكذلك ماتت زوجته وأكـثر جواريه ومماليكه ، ومات إسماعيل

---

(١) ١ رمضان ١٢١٣ هـ / ٦ فبراير ١٧٩٩ م .

(٢) اليلكات : انظر ، ص ٢٦ ، حاشية رقم (٢) .

(٣) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

بيك وأمـراؤه ومماليكـه ورضوان بيك الـعلوى ، وبقـى هو وحسن بـيك الجداوى ، فتجاذبا الإمارة ، ولم يـرض أحدهما بالآخر ، فوقع الاتفاق على تأمـير عثمان بيك طبل تابع إسـماعيل بيك ظنا منهـما أنه يصلح لذلك ، وأنه لايمـالئ الأعداء ، فكان الأمر بخلاف ذلك ، وكـره الإمارة هو أيضًا لمناكدة حسن بـيك له ، وراسل الأمراء القبـليين سرا حتى حـضروا على الصورة المـتقدمة ، وقصـد حسن بيك وعلـى بيك الاستعداد لحربهم ، وخـرجوا إلى ناحية طرا [١] ، وتأهبوا لمبارزتـهم ، وصار عثمان بيك يثـبطهما ويظهـر لهما أنه يدبر الحـيل والمكايد ، ولم يـعلما ضميره ولـم يخطر ببالهما ولا غيرهما خيانته ، بل كان كل منهما يظن بالآخر حتى حصل ما تقدم ذكره في محلـه ، وفر المترجـم وحسـن بيك إلى ناحية قـبلى ، فاستمر هـناك مدة ، ثم انفصـل عــن حسن بيك ، وسـافـر مـن القصير إلى بـحر القلزم [٢] ، وطلع إلى المويلح [٣] ، وأرسل بعض ثقاته فأخذ بعض الاحتياجات سرا ، وذهب من هناك إلى الشام واجتمـع بأحمـد باشـا الجـزار ، ونـزل بحيفا [٤] ، وأقـام بها مـدة ، وراسل الدولة فى أمره فطلبوه إليهم ، فلمـا قرب من إسلامبول أرسلوا إليه من أخذه وذهب به إلى برصا [٥] ، فأقام هناك وعينوا له كفايـته فى كل شهر ، وولد له هناك أولاد ، ثم أحضروه فى حادثة الفرنسيس ، وأعطوه مراسيم إلى إبراهيم باشا سارى عسكر فى ذلك الوقت ، فلما وصل بيروت راسل أحمـد باشا وأراد الاجتماع به ، وعلم أحمد باشا ما بيـده من المرسومات إلى إبراهيم باشـا فتنكر له وانحرف طبـعه منه ، وأرسل إليه يأمره بالرحيل ، وصادف ذلك عزل إبراهيم باشا ، فارتحل مقهورا إلى نابلس[٦] ، فمات هنـاك بقهره ، وحضر من بـقى من مماليكه إلـى مصر وسكنوا بداره الـتى بها مملوكه عثمان كاشف ، وابنته التى تركـها بمصر صغيرة وقد كبرت وتأهلت للزواج ، فتزوج بها خازنداره الذى حـضر ، وهو إلى الآن مقيم معها صحبة خشداشـينه ببيتها الذى بدرب الحجر .

---

(١) طرا : أنظر ، جـ ٢ ، ص ٢٤١ ، حاشية رقم (٣) .

(٢) بحر القلزم : البحر الأحمر .

(٣) المويلح : ميناء سعودى على خليج العقبة .

(٤) حيفا : مدينة فلسطينية .

(٥) برصا : مدينة تركية فى جنوب غرب الأناضول .

(٦) نابلس : مدينة فلسطينية .

وكان المترجم أميرا لا بأس به ، يميل إلى فعل الخير ، حسن الاعتقاد ، ويحب أهل العلم والفضائل ويعظمهم ويكرمهم ويقبل شفاعاتهم ، وفيه رقة طبع وميل للخلاعة والتجاهر ، غفر الله له وسامحه .

ومات أيضًا ، الأمير أيوب بيك الدفتردار ، وهو من مماليك محمد بيك ، تولى الإمارة والصنجقية بعد موت أستاذه ، وقد تقدم ذكره غير مرة ، وكان ذا دهاء ومكر ويتظاهر بالانتصار للحق ، وحب الأشراف والعلماء ، ويشترى المصاحف والكتب ، ويحب المسامرة والمذاكرة وسير المتقدمين ، ويواظب على الصلاة فى الجماعة ، ويقضى حوائج السائلين والقاصدين بشهامة وصرامة وصدع للمعاند ، خصوصا إذا كان الحق بيده ، ويتعلل كثيرا بمرض البواسير ، وسمعت من لفظه رؤيا رآها قبل ورود الفرنسيس بنحو شهرين تدل على ذلك ، وعلى موته فى حربهم .

ولما حصل ذلك وحضروا إلى بر إنبابة ، عدى المترجم قبل بيومين ، وصار يقول : « أنا بعت نفسى فى سبيل الله » ، فلما التقى الجمعان لبس سلاحه بعدما توضأ وصلى ركعتين ، وركب فى مماليكه ، وقال : « اللهم إنى نويت الجهاد فى سبيلك » ، واقتحم مصاف الفرنساوية ، وأنتى نفسه فى نارهم واستشهد فى ذلك اليوم ، وهى منقبة اختص بها دون أقرانه بل ودون غيرهم من جميع أهل مصر ، كما قال فيه الشيخ خليل المنير من قصيدة حكى فيها أمرهم وما حصل للمترجم ، بقوله :

لمْ يبرَ منهم سوى أيوبُ من ألمٍ ... مُجانسٍ دَاءَ خصمٍ قادمٍ حَنقِ
بانتْ له من حِسَانِ الحورِ قائلةٌ ... أركُض برجْلِك للخيراتِ واستبِقِ
واتركْ مُرادا إلى الدنيا ولمّ بنا ... إنّا الحياةُ فمَلّ الروحَ واعتقِ
أمّ الجهادَ شهيرَ السيفِ مجتهدًا ... فى كلمةِ الحق أعلاهُ على الفَرقِ
اللهُ أكبرُ والا توحيدُ يصْحَبُها ... نداؤه فى عَجَاجٍ مظلمٍ غَسِقِ
لقد تولّى على عرضِ الصفوف إلى ... أنْ ضَمّهُ القلبُ فاستولَى على حَلَقِ
ما زال يقتضُّ حتى انقضّ كوكبُهُ ... وطارَ منه بهاءُ النورِ للأفقِ
مضَى شهيدًا وحيدا طاهرًا سَمْحا ... مُغَسّلاً بِدمِ الهيجاءِ لا غَرِقِ
تَميزَ الجوهرُ المكنونُ من صَدَفٍ ... ثم انْجلَى فى الحلَى يُدْعَى بمؤتلقِ
كان الجلاءُ لهُ عينُ الجلاءِ لهُمْ ... فأدبروا بائعينَ الخُلْدَ بالفَلَقِ

إلى آخر ما قاله ، وقوله : « بدمِ الهيجاءِ لا غَرِقِ » ، يشير بذلك إلى إبراهيم بيك الوالى حين ولى مدبرا وغرق فى البحر .

ومات ، الأمير صالح بيك أمير الحاج فى تلك السنة [1] ، وهو أيضًا من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، وتولى زعامة مصر بعد إبراهيم بيك الوالى ، وأحسن فيها السيرة ، ولم يتشك منه أحد ، ولم يتعرض لأحد بأذية ، وتقلد أيضًا كتخدا الجاويشية ، عندما خرج إبراهيم بيك مغاضبا لمراد بيك ، وكان خصيصا به ، فلما اصطلحا ورجع إبراهيم بيك وعلى أغا كتخدا الجاويشية ، تقلد على منصبه كما كان ، واستمر المترجم بطالا لكنه وافر الحرمة معدودا فى الأعيان ، ولما خرجوا من مصر فى حادثة حسن باشا أرسله خشداشينه إلى الروم ، وكاد يتم لهم الأمر ، فقبض عليه حسن باشا ، وكان إذ ذاك بالعرضى فى السفر ، ولما رجعوا إلى مصر بعد موت إسماعيل بيك سكن ببيت البارودى ، وتزوّج بزوجته ، وهى أم أيوب التى كانت سرية مراد بيك ، ثم سافر ثانيا إلى الروم بمراسلة وهدية ، وقضى أشغاله ورجع بالوكالة، وأخذ بيت الحبانية من مصطفى أغا ، وعزله من وكالة دار السعادة ، وسكن بالبيت ، واختص بمراد بيك اختصاصا زائدا ، وبنى له دارا بجانبه بالجيزة ، وصار لا يفارقه قط وصار هو بابه الأعظم فى المهمات ، وكان فصيح اللسان مهذب الطبع ، يفهم بالإشارة ، يظن من يراه أنه من أولاد العرب لطلاقة لسانه وفصاحة كلامه ، ويميل بطبعه إلى الخلاعة وسماع الألحان والأوتار ، ويعرف طرقها ويباشر الضرب عليها بيده ، ثم ولى الصنجقية وتقلد إمارة الحج سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف [2] ، وتمم أشغاله وأموره ولوازمه على ما ينبغى ، وطلع بالحج فى تلك السنة فى أبهة عظيمة على القانون القديم ، فى أمن وأمان ورخاء وسخاء ، وراج موسم التجار فى تلك السنة إلى الغاية ، وفى أيام غيابه بالحج وصل الفرنساوية إلى القطر المصرى ، وطار إليهم الخبر بسطح العقبة ، وأرسلوا من مصر مكاتبة بالأمان وحضوره بالحج فى طائفة قليلة ، فأرسل إليهم إبراهيم بيك يطلبهم إلى بلبيس ، فعرج المترجم بالحاج إلى بلبيس ، وجرى ما تقدم ذكره ، ولم يزل حتى مات بالديار الشامية ، وبعد مدة أرسلت زوجته فأحضرت رمته ، ودفنتها بمصر بتربة المجاورين .

ومات ، العمدة الفاضل ، والنحرير الكامل ، الفقيه العلامة ، السيد مصطفى الدمنهورى الشافعى ، تفقه على أشياخ العصر ، وتمهر فى المعقولات ، ولازم الشيخ

(١) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٢) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٢ يونيه ١٧٩٨ م .

عبدالله الشرقاوى ملازمة كلية ، واشتهر بنسبته إليه ، ولما ولى مشيخة الأزهر ، صار المترجم عنده هو صاحب الحل والعقد فى القضايا والمهمات والمراسلات عند الأكابر والأعيان ، وكان عاقلا ذكيا ، وفيه ملكة واستحضار جيد للفروع الفقهية ، وكان يكتب على الفتاوى على لسان شيخه المذكور ، ويتحرى الصواب وعبارته سلسة جيدة ، وكان له شغف بكتب التاريخ وسير المتقدمين ، واقتنى كتبا فى ذلك مثل : كتاب السلوك ، والخطط للمقريزى ، وأجزاء من تاريخ العينى والسخاوى ، وغير ذلك ، ولم يزل حتى ركب يوما بغلته وذهب لبعض أشغاله ، فلما كان بخطة الموسكى قابله خيال فرنساوى يخج فرسه ، فجفلت بغلة السيد مصطفى المذكور، وألقته من على ظهرها إلى الأرض وصادف حافر فرس الفرنساوى أذنه فرضّ صماخه ، فلم ينطق ولم يتحرك فرفعوه فى تابوت إلى منزله ، ومات من ليلته ، رحمه الله .

ومات ، عبدالله كاشف الجرف ، وهو عبد إسماعيل كاشف الجرف تابع عثمان بيك ذى الفقار الكبير ، وكان معروفا بالشجاعة والإقدام كسيده ، وأدرك بمصر إمارة وسيادة ونفاذ كلمة ، واشترى المماليك الكثيرة ، والخيول المسوّمة ، والجوارى والعبيد ، وعنده عدة من الأجناد والطوائف ، وعمّر دارا عظيمة داخل الدرب المحروق [١] ، ولم يزل حتى قتل يوم السبت تاسع صفر [٢] ، بحرب الفرنساوية بإنبابة ، وكان جسيما أسود ، ذا شهامة وفروسية مشهورة وجبروت .

ثم دخلت سنة اربع عشرة ومائتين والف [٣]

استهل شهر المحرم بيوم الأربعاء [٤] ، فيه حضر جماعة من الفرنسيس إلى العادلية ، فضربوا خمسة مدافع لقدومهم ، فلما كان فى ثانى يوم [٥] عملوا الديوان ، وأبرزوا مكتوبا مترجما ونسخته صورة جواب من العرضى قدام عكا [٦] ، وفى سابع عشرين فريبال الموافق لحادى عشر شهر الحجة سنة ثلاث عشرة ومائتين

---

(١) الدرب المحروق : يبتدئ من آخر سكة بئر المش من الجهة البحرية لجامع أصلان ، ويسلك منه إلى عطفة الشرايبة بحارة الباطنية ، وهو متفرع من شارع أصلان .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٧٦ .
(٢) ٩ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٣ يوليه ١٧٩٨ م .
(٣) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .
(٤) ١ محرم ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ م .
(٥) ٢ محرم ١٢١٤ هـ / ٦ يونيه ١٧٩٩ م .
(٦) عكا : إحدى المدن الفلسطينية .

وألف[1] : « من بونـابارته سارى عسكـر أمير الجيوش الفـرنساوية إلى محـفل ديوان مصر ، نخـبركم عن سفره من بـر الشام إلى مصر ، فإنـى بغاية العجلـة بحضورى لطرفكم نسافر بعد ثلاثة أيام تمضى من تاريخه، ونصل عندكم بعد خمسة عشر يوما، وجائب معى جملـة محابيس بكثرة ، وبيارق ، ومحقـت سراية الجزار وسور عكا ، وبالقنبر هدمت البـلد ما أبقيت فيها حجرا على حجر ، وجميـع سكانها انهزموا من البلد إلـى طريق البحر ، والجـزار مجروح ، ودخل بجمـاعته داخل برج من نـاحية البحر ، وجرحه يبلـغ لخطر الموت ، ومن جملة ثلاثين مركبا موسـوقة عساكر الذين حضروا يساعدون الجزار ، ثـلاثة غرقت من كثرة مدافع مراكبنا ، وأخـذنا منها أربعة موقرة مدافع ، والذى أخذ هذه الأربعة فرقاطة مـن بتوعنا ، والباقى تلف وتبهدل ، والغالب منهم عدم ، وإنـى بغاية الشوق إلى مشاهدتكم ، لأنى بشـوف أنكم عملتم غاية جهدكم من كل قـلبكم ، لكن جملة فلاتية دائرون بالفـتنة ، لأجل ما يحركون الشر فـى وقت دخولى ، كل هذا يـزول مثل ما يزول الـغيم عند شروق الـشمس ، ومنتوره [2] ، مات من تشويش ، هذا الرجل صعب عـلينا جدا والسلام » ، ومنتوره هذا ترجمان سارى عسكر ، وكـان لبيبا مستبحرا ، ويعرف باللغات الـتركية والعربية والرومية والطليانى والفرنساوى ، ولما عجـز الفرنساوية عن أخذ عكا ، وعزموا على الرجـوع إلى مصر أرســـل بونابارته مكـاتبة إلـى الفرنساويـة المقيمين بمصر ، يقول فيها : « إن الأمر الموجب للانتقال عن محاصرة عكا خمسة عشر سببا :

الأول : الإقامة تجاه البلدة وعدم الحرب ستة أيام إلى أن جاءت الإنكليز وحصنوا عكا باصطلاح الإفرنج .

الثانى : الستة مراكب التى توجهت من الإسكندرية فيها المدافع الكبار أخذها الإنكليز قدام يافا .

الثالث : الطاعـون الذى وقع فى العسكر، ويموت كل يوم خمسون وستون عسكريا .

الرابع : عدم الميرة لخراب البلاد قريب عكا .

الخامس : وقـعـة مراد بيـك مـع الفرنـساوية فى الصـعيد مات فيهـا مـدار ثلثـمائة فرنساوى .

---

(١) ١١ ذى الحجة ١٢١٣ هـ / ١٦ مايو ١٧٩٩ م .

(٢) منتور : وصحة الإسم (Venture) ، مستشرق ، عمل مترجما لبونابرته .

السادس : بلغنا توجه أهل الحجاز صحبة الجيلانى لناحية الصعيد .

السابع : المغربى محمـد الذى صار له جيش كبير وادعى أنه من سلاطين المغرب .

الثامن : ورود الإنكليز تجاه الإسكندرية ودمياط .

التاسع : ورود عمارة الموسقو قدام رودس .

العاشر : ورود خبر نقض الصلح بين الفرنساوية والنمسا .

الحادى عشر : ورود جـواب مكتوب منا لـتيبو أحد ملوك الـهند ، كنا أرسلـناه قبل توجهنا لـعكا ، وتيبو هذا هو الذى كـان حضر إلى اسلامبول بالهـدية التى من جملتها طائران يتكلمان بالهندية ، والسرير والمنبر من خشب العود ، وطلب منه الإمداد والمعاونة على الانكليز المحاربين له فى بلاده ، فوعدوه ومنوه ، وكتبوا له أوراقا وأوامر وحضر إلى مصر وذلك فى سنة اثنتين ومائتين وألف[1] أيام السلطان عبد الحميد ، وقـد سبقت الإشارة إليه فى حوادث تلك الـسنة ، وهو رجل كان مقعدا تحمله أتباعه فى تخت لطيف بديع الصنعة على أعناقهم ، ثم إنه توجه إلى بلاد فرانسا واجتمع بسلطانها وذلك قبل حضوره إلى مصر ، واتفق معه على أمر فى السر لم يطلع عليه أحد غيرهما ، ورجع إلى بلاده على طريق القلزم ، فلما قدم الفرنساوية لمصر كاتبه كبيرهم بذلك السر ، لأنه اطلع عليه عند قيام الجمهور وتملكه خزانة كتب السلطان ، ثم إن تيـبو المذكور بقى فى حرب الإنكليز إلى أن ظفروا به فى هذه السنة وقتلوه وثلاثة من أولاده ، فهذا ملخص معنى السبب .

الثانى عشـر : موت كفرللى الذى عملـت المتاريس بمقتضى رأيـه ، وإذا تولى أمرها غيره يلزم نقضها ويطول الأمر، وكفرللى هذا هو المعروف بأبى خشبة المهندس .

الثالث عـشر : سماع أن رجلا يقـال له مصطفى باشـا أخذه الإنكليز فـى إسلامبول ومرادهم أن يرموه على بر مصر .

الرابع عشر : إن الجزار أنزل ثقله بمراكب الإنكلـيز ، وعزم على أنه عندما تملك البلد ينزل فى مراكبهم ويهرب معهم .

الخامس عشر : لزوم محـاصرة عكا بثلاثة شهور أو أربعة وهو مـضر لكل ما ذكرناه من الأسباب.

---

(١) ١٢٠٢ هـ / ١٣ أكتوبر ١٧٨٧ - أكتوبر ١٧٨٨ م .

وفى يوم الثلاثاء سابعه [1] حضر جماعة أيضًا من العسكر بأثقالهم ، وحضرت مكاتبة من كبير الفرنساوية ، أنه وصل إلى الصالحية وأرسل دوجا الوكيل ، ونبَّه على الناس بالخروج لملاقاته بموجب ورقة حضرت من عنده يأمر بذلك .

فلما كان ليلة الجمعة عاشره [2] ، أرسلوا إلى المشايخ والوجاقات وغيرهم ، فاجتمعوا بالأزبكية وقت الفجر بالمشاعل ، ودقت الطبول ، وحضر الحكام والقلقات بمواكب وطبول وزمور ونوبات تركية وطبول شامية ، وملازمون وجاويشية وغير ذلك ، وحضر الوكيل وقائمقام وأكابر عساكرهم ، وركبوا جميعا بالترتيب من الأزبكية إلى أن خرجوا إلى العادلية ، فقابلوا سارى عسكر بونابارته هناك ، وسلموا عليه ، ودخل معهم إلى مصر من باب النصر بموكب هائل بعساكرهم وطبولهم وزمورهم وخيولهم وعرباتهم ، ونسائهم وأطفالهم فى نحو خمس ساعات من النهار إلى أن وصل إلى داره بالأزبكية ، وانفض الجمع ، وضربوا عدة مدافع عند دخولهم المدينة ، وقد تغيرت ألوان العسكر القادمين ، واصفرت ألوانهم وقاسوا مشقة عظيمة من الحر والتعب ، وأقاموا على حصار عكا أربعة وستين يوما حربا مستقيما ليلا ونهارا ، وأبلى أحمد باشا وعسكره بلاء حسنا ، وشهد له الخصم ، ولصاحبنا الفاضل النجيب ، والأديب اللبيب السيد على الصيرفى الرشيدى ، نزيل عكا المحروسة فى هذه الواقعة ، قصيدة لطيفة طويلة من بحر الخفيف ، يقول فيها :

وأرَاهُم قبيحُهُم حُسْنَ قصْدٍ ... نحوَ عكا ذاتِ السعُودِ البَادي
فاستعَدُّوا لها بآلاتِ حربٍ ... ورجالٍ كثيرة كالجرَادِ
خيمُوا حولَها بجيشٍ وخيشٍ ... ومتاريسَ ضاقَ منها الوَادي
أشبهُوا قومَ صالحٍ فى فعالٍ ... ينحتُون الجبالَ لاستعْدادِ
فى حصُونٍ مِن الترابِ تَراهُم ... شَيَّدُوهـا بقُوّةٍ وعِمَادِ
فكأنَّ الجنَّ الشياطينَ فيهم ... يُسرِعُون الأعمالَ عند التنادي
حاصرُوها وشَدَّدوا فى حِصارٍ ... واستمَدُّوا بكُلِ نوعٍ مُرادِ

ومنها :

ثم دَارتْ رحَى الحروبِ لَدَينا ... بضرُوبِ مُدامَةِ التَرْدادِ
كلَّ يومٍ وليلةٍ فى رعُودٍ ... وبرُوقٍ مِن غَيْمِ ذاكَ التَسوَادي
كمْ نهارٍ أضحَى كليلٍ بَهيمٍ ... مِنْ دُخانِ الوَغَى غدا فى ازديادِ

---

(1) ٧ محرم ١٢١٤ هـ / ١١ يونيه ١٧٩٩ م .

(2) ١٠ محرم ١٢١٤ هـ / ١٤ يونيه ١٧٩٩ م .

إلى آخر ما قال ، وهى طويلة .

وفيه ، قبضوا على إسماعيل القلق الخربطلى ، وهو المتولى كتخدا العزب [1] ، وكان ساكنا بخط الجمالية [2] ، وأخذوا سلاحه وأصعدوه إلى القلعة وحبسوه ، والسبب فى ذلك أنه عمل فى تلك الليلة وليمة ، ودعا أحبابه وأصدقاءه وأحضر لهم آلات اللهو والطرب وبات سهرانا بطول الليل ، فلما كان آخر الليل غلب عليهم السهر والسكر فناموا إلى ضحوة النهار ، وتأخر عن الملاقة ، فلما أفاق ركب ولاقاهم عند باب النصر ، فنقموا عليه بذلك ، وفعلوا معه ما ذكر ، ولما وصل سارى عسكر الفرنساوية إلى داره بالأزبكية تجمع هناك أرباب الملاهى [3] والبهالوين [4] وطوائف الملاعبين والحواة[5] والقرادين [6] والنساء الراقصات والخلابيص ، ونصبوا أراجيح مثل أيام الأعياد والمواسم ، واستمروا على ذلك ثلاثة أيام ، وفى كل يوم من تلك الأيام يعملون شنكا وحراقات ومدافع وسواريخ ، ثم انفض الجمع بعدما أعطاهم سارى عسكر دراهم وبقاشيش .

وفى يوم الأحد [7] ، عزلوا دستان[8] قائمقام ، وتولى عِوَضَه دوجا الذى كان وكيلا عن سارى عسكر ، وتهيأ المعزول للسفر إلى جهة بحرى ، وأصبح مسافرا وصحبته نحو الألف من العسكر ، وسافر أيضًا منهم طائفة إلى جهة البحيرة .

وفيه[9] ، طلبوا من طوائف النصارى دراهم [10] سلفة مقدار مائة وعشرين ألف ريال .

---

(1) كتخدا العزب : كتخدا من الفارسية « كدخدا » مركبة من مقطعين « كد » ، بمعنى البيت و « خدا » بمعنى الرب والصاحب ، فالأصل فيها رب البيت ، ويطلقها الترك على الموظف المسئول والوكيل المعتمد ، والمعنى هنا « وكيل وجاق العزب » .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٦ .

(٢) خط الجمالية : انظر ، ص ٣٣ ، حاشية رقم (٦) .

(٣) أرباب الملاهى : أى الأشخاص الذين يقدمون مختلف الألعاب والترفيه للمتفرجين

(٤) البهالوين . الأشخاص الذين يقومون بحركات فيها كثير من الخدع

(٥) الحواة : الذين يقدمون حركاتهم عن طريق استعمال الثعابين .

(٦) القرادين : أى الذين يلعبون بالقرود أمام العامة والأطفال .

(٧) ١٢ محرم ١٢١٤ هـ / ١٦ يونيه ١٧٩٩ م .

(٨) دستان : D'Estaing.

(٩) ١٢ محرم ١٢١٤ هـ / ١٦ يونيه ١٧٩٩ م .

(١٠) دراهم : أى أموالا كسلفة مقدارها ١٢٠,٠٠٠ ريال فرانسة .

وفى خامس عشره [1] ، أرسلوا إلى زوجـات حسن بيك الجداوى وختـموا على دورهـنّ ومتاعـهنّ وطالبوهـنّ بالمـال ، وذلك لسبب أن حـسن بيك الـتف على مراد بيك ، وصار يقاتل الفـرنسيس معه ، وقد كانت الفرنسيس كاتبـت حسن بيك وأمّنته وأقرته على ما بيده من البلاد ، وأن لايخالف ويـقاتل مع الأخصام ، فلم يقبل منهم ذلك ، فلما وقع لنسـائه ذلك ذهبن إلى الشيخ محمد المهدى ووقعـن عليه ، فصالح عليهن بمبلغ ثلاثة آلاف فرانسة [2] .

وفى تاسع عشره [3] ، هلك مخاييل كحيل الـنصرانى الشامى ، وهو من رجال الديوان الخصـوصى فجأة ، وذلك لقهره وغـمه ، وسبب ذلك أنهم قرروا عـليه فى السلفة ستة آلاف ريـال فرانسه ، وأخذ فى تحصيلها ، ثم بلـغه أن أحمد باشا الجزار قبض على شريكه بالشام ، واستصفى ما وجده عنده من المال ، فورد عليه الخبر وهو جالس يتحدث مع إخوانه حصة من الليل ، فخرجت روحه فى الحال .

وفيه[4] ، كتبوا أوراقا وطبـعوها وألصقوها بالأسواق ، وذلك بـعد أن رجعوا من الشام ، واستقروا وهى من ترصيف وتنميق بعض الفصحاء .

وصورتهـا : « من محفل الديـوان الخصوصى بمحروسـة مصر ، خطابا لأقـاليم مصر : الشرقية ، والغربية ، والمنوفية ، والقـليوبية ، والجيزة ، والبحيرة ، النصيحة من الإيمان ، قال تعالى فى محكم القرآن ﴿ ولاتتَّبعُوا خُطوات الشَّيطان ﴾ [5] ، وقال تعالى ، وهو أصدق القـائلين فى الكتاب المكنون : ﴿ ولاتطيـعُوا أمرَ المسرِفين الذين يُفسِدُون فى الأرض ولايصلِحـُـون ﴾ [6] ، فعلى العاقل أن يـتدبر فى الأمور قبل أن يقع فى المحذور ، نـخبركم معاشر المؤمنين أنـكم لاتسمعوا كلام الكاذبين فـتصبحوا على مـا فعلتم نادمين ، وقـد حضر إلى محروسـة مصر المحمية ، أمـير الجيوش الفرنسـاوية ، حضرة بونابارت، محب الملة المحمديـة ، ونزل بعسكره فى الـعادلية ، سليما من العطب والأسقام ، ودخل إلى مصـر من باب النصر يوم الجمعة فى موكب

---

(١) ١٥ محرم ١٢١٤ هـ / ١٩ يونيه ١٧٩٩ م .
(٢) فرانسة : انظر : ص ١٦ حاشية رقم (١) .
(٣) ١٩ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٣ يونيه ١٧٩٩ م .
(٤) ١٩ محرم ١٢١٤ هـ/ ٢٣ يونيه ١٧٩٩ م .
(٥) سورة : البقرة ، رقم (٢) ،آية رقم (٢) .
(٦) سورة : الشعراء ، رقم (٢٦) ، آية رقم (١٥١) .

عظيم ، وشنك جليل فخيم ، وصحبته العلماء والوجاقات السلطانية ، وأرباب الأقلام الديوانية ، وأعيان التجار المصرية ، وكان يوما عظيما مشهودًا ، وخرجت أهل مصر لملاقاته ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته ، وظهر لهم أنَّ الناس يكذبون عليه ، شرح الله صدره للإسلام ، والذى أشاع عنه الأخبار الكاذبة العربان الفاجرة والغز الهاربة ، ومرادهم بهذه الإشاعة هلاك الرعية ، وتدمير أهل الملة الإسلامية ، وتعطيل الأموال الديوانية ، لايحبون راحة العبيد ، وقد أزال الله دولتهم من شدة ظلمهم : ﴿ إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴾ [1] ، وقد بلغنا أن الألفى توجه إلى الشرقية مع بعض المجرمين من عربان بلى[2] ، والعيايدة [3] الفجرة المفسدين ، يسعون فى الأرض بالفساد وينهبون أموال المسلمين ، ﴿ إنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَاد ﴾[4] ، ويزوِّرون على الفلاحين المكاتيب الكاذبة ، ويدعون أن عساكر السلطان حاضرة ، والحال أنها ليست بحاضرة ، فلا أصل لهذا الخبر ، ولا صحة لهذا الأثر ، وإنما مرادهم وقوع الناس فى الهلاك ، والضرر مثل ما كان يفعل إبراهيم بيك فى غزة ، حيث كان ، ويرسل فرمانات بالكذب والبهتان ، ويدعى أنها من طرف السلطان ، ويصدقه أهل الأرياف خسفاء العقول ، ولايقرءون العواقب ، فيقعون فى المصائب ، وأهل الصعيد طردوا الغز من بلادهم ، خوفا على أنفسهم وهلاك عيالهم وأولادهم ، فإن المجرم يؤخذ مع الجيران ، وقد غضب الله على الظلمة ، ونعوذ بالله من غضب الديان ، فكان أهل الصعيد أحسن عقلا من أهل بحرى ، بسبب هذا الرأى السديد ، ونخبركم أن أحمد باشا الجزار ، سموه بهذا الاسم لكثرة قتله الأنفس ، ولايفرق بين الأخيار والأشرار ، وقد جمع الطموش[5] الكثيرة من العسكر والغز والعرب وأسافل العشيرة ، وكان مراده الاستيلاء على مصر وأقاليمها ، وأحبوا اجتماعهم عليه ، لأجل أخذ أموالها وهتك حريمها ، ولكن لم تساعده الأقدار ،

---

(١) سورة : البروج ، رقم (٨٥) ، آية رقم (١٢) .

(٢) عربان بلى : نزلت عشائر بلى أرض مصر منذ خمسة قرون ، فى سيناء والإسماعيلية والشرقية والقليوبية وأشهر هذه العشائر : الأحامدة ، والمطارفة ، والعرادات ، وبعض عائلات من وابصة ، والزبالة ، والمعاقلة التى منها فصائل فى الصعيد .

الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .

(٣) عربان العيايدة : بدأ نزوح العيايدة إلى إقليم الشرقية ، والسويس ، ثم القليوبية أو ضواحى القاهرة منذ أربعة قرون ، ومن أشهر فخوذ العيايدة أبو طويلة ، الجرابعة ، السلاطنة والجواعلة . ويسكنون بالقرب من الخانكة ، محافظة القليوبية .

الطيب ، محمد سليمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٢٢ .

(٤) سورة : الفجر ، رقم (٨٩) ، آية رقم (١٣) .

(٥) الطموش : الأتباع والأعوان والأجناد .

والله يفعل ما يشاء ويختار ، وقد كان أرسل بعض هذه العساكر إلى قلعة العريش ، ومراده أن يصل إلى قطيا [1] ، فتوجه حضرة سارى عسكر أمير الجيوش الفرنساوية ، وكسر عسكر الجزار الذين كانوا فى العريش ، ونادوا : « الفرار الفرار » بعدما حصل بعسكرهم القتل والدمار ، وكانوا نحو ثلاثة آلاف ، وملك قلعة العريش ، وأخذ غزة وهرب من كان فيها وفروا ، ولما دخل غزة نادى فى رعيتها بالأمان ، وأمر بإقامة الشعائر الإسلامية ، وإكرام العلماء والأعيان ، ثم انتقل إلى الرملة [2] ، وأخذ ما فيها من بقسماط وأرز وشعير وقرب أكثر من ألفين قربة كبار ، كان قد جهزها الجزار لذهابه إلى مصر ، ثم توجه إلى يافا وحاصرها ثلاثة أيام ، ثم أخذها وأخذ ما فيها من ذخائر بالتمام ، ومن نحوسات أهلها أنهم لم يرضوا بأمانه ، ولم يدخلوا تحت طاعته وإحسانه ، فدور فيهم السيف من شدة غيظه وقوة بأسه وسلطانه ، وقتل منهم نحو أربعة آلاف أو يزيدون بعدما هدم سورها ، وأكرم من كان بها من أهل مصر وأطعمهم وكساهم ، وجهزهم فى المراكب إلى مصر وغفرهم بعسكره خوفا عليهم من العربان وأجزل عطاياهم ، وكان فى يافا نحو خمسة آلاف من عسكر الجزار هلكوا جميعا وبعضهم ما نجاه إلا الفرار ، ثم توجه من يافا إلى جبل نابلس [3] ، فكسر من كان فيه من العساكر بمكان يقال له فاقوم ، وحرق خمسة بلاد من بلادهم وما قدّر كان ، ثم أخرب سور عكا وهدم قلعة الجزار التى كانت حصينة لم يبق فيها حجر على حجر حتى أنه يقال : « كان هناك مدينة وقد كان بنى حصارها وشيد بنيانها فى نحو عشرين من السنين ، وظلم فى بنيانها عباد الله ، وهكذا عاقبة بنيان الظالمين ، ولما توجه إليه أهل بلاد الجزار من كل ناحية كسرهم كسرة شنيعة ، فهل ترى لهم من باقية ، نزل عليهم كصاعقة من السماء ، ثم توجه راجعا إلى مصر المحروسة لأجل شيئين :

الأول : أنه وعدنا برجوعه إلينا بعد أربعة أشهر ، والوعد عند الحر دين .

والسبب الثانى : أنه بلغه أن بعض المفسدين من الغز والعربان يحركون فى غيابه الفتن والشرور فى بعض الأقاليم والبلدان ، فلما حضر سكنت الفتنة وزالت الأشرار والفجرة من الرعية ، وحبه لمصر وإقليمها شىء عجيب ، ورغبته فى الخير لأهلها ونيلها بفكره وتدبيره المصيب ، ويرغب أن يجعل فيها أحسن التحف والصناعة .

---

(١) قطيا : أنظر : ص ٢٣ ، حاشية رقم (٣) .

(٢) الرملة : إحدى المدن الفلسطينية .

(٣) نابلس : أنظر : ص ١١١ ، حاشية رقم (٧) .

ولما حضر من الشام ، أحضر معه جملة من الأسارى من خاص وعام ، وجملة مدافع وبيارق اغتنمها فى الحروب من الأعداء والأخصام ، فالويل كل الويل لمن عاداه ، والخير كل الخير لمن والاه ، فسلموا يا عباد الله وارضوا بتقدير الله ، وامتثلوا لأحكام الله ، ولاتسعوا فى سفك دمائكم وهتك عيالكم ، ولاتتسببوا فى نهب أموالكم ، ولاتسمعوا كلام الغز الهربانين الكاذبين ، ولاتقولوا إنَّ فى الفتنة إعلاء كلمة الدين ، حاشا لله ، لم يكن فيها إلا الخذلان وقتل الأنفس ، وذل أمة النبى عليه الصلاة والسلام ، والغز والعربان يطمعوكم ويغروكم ، لأجل أن يضروكم فينهبوكم ، وإذا كانوا فى بلد وقدمت عليهم الفرنسيس فروا هاربين منهم كأنهم جند إبليس .

ولما حضر سارى عسكر إلى مصر ، أخبر أهل الديوان من خاص وعام ، أنه يحب دين الإسلام ، ويعظم النبى عليه الصلاة والسلام ، ويحترم القرآن ، ويقرأ منه كل يوم بإتقان ، وأمر بإقامة شعائر المساجد الإسلامية ، وإجراء خيرات الأوقاف السلطانية ، وأعطى عوائد الوجاقلية ، وسعى فى حصول أقوات الرعية ، فانظروا هذه الألطاف والمزية ، ببركة نبينا أشرف البرية ، وعرفنا أن مراده أن يبنى لنا مسجدا عظيما بمصر لانظير له فى الأقطار ، وأنه يدخل فى دين النبى المختار عليه أفضل الصلاة وأتم السلام » انتهى بحروفه .

وكان أشيع بمصر قبل مجيئهم وعودهم من الشام ، بأن سارى عسكر بونابارته ، مات بحرب عكا وتناقله الناس ، وأنهم ولوا خلافه ، فهذا هو السبب فى قولهم فى ذلك الطومار ، وقد حضر سليما من العطب ، فوجدوه هو الأمير الأول بذاته وصفاته إلى آخر السياق المتقدم .

وفى ثانى عشرينه [1] ، أرسل سارى عسكر جماعة من العسكر وقبضوا على ملأزاده ابن قاضى العسكر ، ونهبوا بعضا من ثيابه وكتبه وطلعوا به إلى القلعة ، فانزعج عليه عياله وحريمه ووالدته انزعاجا شديدا ، وفى صبحها اجتمع أرباب الديوان بالديوان ، وحضر إليهم ورقة من كبير الفرنسيس قرئت عليهم مضمونها : « إن سارى عسكر قبض على ابن القاضى وعزله ، وأنه وجه إليكم أن تقترعوا وتختاروا شيخا من العلماء يكون من أهل مصر ومولودا بها يتولى القضاء ، ويقضى بالأحكام الشرعية ، كما كانت الملوك المصرية يولون القضاء برأى العلماء للعلماء » ،

(1) ٢٢ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٩ م .

فلما سمعوا ذلك أجاب الحاضرون بقولهم : « إننا جميعا نتشفع ونترجى عنده فى العفو عن ابن القاضى فإنه إنسان غريب ومن أولاد الناس الصدور ، وإن كان والده وافق كتخدا الباشا فى فعله ، فولده مقيم تحت أمانكم والمرجو انطلاقه وعوده إلى مكانه ، فإن والدته وجدته وعياله فى وجد وحزن عظيم عليه ، وسارى عسكر من أهل الشفقة والرحمة » ، وتكلم الشيخ السادات بنحو ذلك ، وزاد فى القول بأن قال : « وأيضًا أنكم تقولون دائمًا إن الفرنساوية أحباب العثمانية وهذا ابن القاضى من طرف العثمانلى ، فهذا الفعل مما يسىء الظن بالفرنساوية ، ويكذب قولهم ، وخصوصا عند العامة » ، فأجاب الوكيل بعدما ترجم له الترجمان بقوله : « لا بأس بالشفاعة ، ولكن بعد تنفيذ أمر سارى عسكر فى اختيار قاض خلافه ، وألا تكونوا مخالفين ويلحقكم الضرر بالمخالفة » ، فامتثلوا وعملوا القرعة ، فطلعت الأكثرية باسم الشيخ أحمد العريشى الحنفى ، ثم كتبوا عرضحال بصورة المجلس والشفاعة ، وكتب عليه الحاضرون وذهب به الوكيل إلى سارى عسكر ، وعرفه بما حصل وبما تكلم به الشيخ السادات فتغير خاطره عليه ، وأمر بإحضاره آخر النهار ، فلما حضر لامه وعاتبه ، فتكلم بينهما الشيخ محمد المهدى ، ووكيل الديوان الفرنساوى بالديوان حتى سكن غيظه ، وأمره بالانصراف إلى منزله ، بعد أن عوقه حصة من الليل ، فلما أصبح يوم الجمعة ، عملوا جمعية فى منزل دوجا قائمقام ، وركبوا صحبته إلى بيت سارى عسكر ومعهم الشيخ أحمد العريشى ، فألبسه فروة مثمنة ، وركبوا جميعا إلى المحكمة الكبيرة بين القصرين[1] ، ووعدهم بالإفراج عن ابن القاضى بعد أربع وعشرين ساعة ، وقد كانت عياله انتقلوا من خوفهم إلى دار السيد أحمد المحروقى وجلسوا عنده .

ولما كان فى ثانى يوم [2] ، أفرجوا عنه ونزل إلى عياله وصحبته أرباب الديوان والأغا ومشوا معه فى وسط المدينة ليراه الناس ، ويبطل القيل والقال .

وفيه[3] ، كتبوا أوراقا وطبعوا منها نسخا وألصقوها بالأسواق ، وصورتها : « جواب إلى محفل الديوان من حضرة سارى عسكر الكبير بونابارته ، أمير الجيوش الفرنساوية ، محب أهل الملة المحمدية ، خطابا إلى السادات العلماء ، أنه وصل لنا مكتوبكم من شأن القاضى ، نخبركم أنَّ القاضى لم أعزله ، وإنما هو هرب من إقليم

---

(١) المحكمة الكبيرة : أنظر ، جـ ٢ ، ص ٣ ، حاشية رقم (٢) .
(٢) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .

مصر ، وترك أهله وأولاده وخان صحبتنا من المعروف والإحسان الذى فعلناه معه ، وكنت استحسنت أن ابنه يكون عوضا عنه فى محل الحكم فى مدة غيبته ويحكم بدله ، ولم يكن ابنه قاضيا متوليا للأحكام على الدوام لأنه صغير السن ليس هو أهلا للقضاء ، فعلمتم أن محل حكم الشريعة خال الآن من قاض شرعى ، يحكم بالشريعة ، واعلموا أنى لا أحب مصر خالية من حاكم شرعى يحكم بين المؤمنين ، فاستحسنت أن يجتمع علماء المسلمين ويختاروا باتفاقهم قاضيا شرعيا من علماء مصر وعقلائهم ، لأجل موافقة القرآن العظيم باتباع سبيل المؤمنين ، وكذلك مرادى أن حضرة الشيخ العريشى الذى اخترتموه جميعا أن يكون لابسا من عندى ، وجالسا فى المحكمة ، وهكذا كان فعل الخلفاء فى العصر الأول باختيار جميع المؤمنين ، وأخبركم أنى تلقيت ابن القاضى بالمحبة والإكرام لما حضر لى وقابلنى ، ولم أزل لهذا الوقت أكرمه ، ولم أحب أن يضره أحد حكم أماننا له ، ولَمَّا رفعناه إلى القلعة لم نرد ضرره بل رفعناه مكرما مثل ما يكون فى بيته بالراحة والإكرام ، وسبب ما رفعناه إلى القلعة سكون الفتن والإصلاح بين الناس ، وبعد لبس القاضى الجديد وجلوسه فى محل الحكم ، مرادى أن أطلق ابن القاضى وأنزله من القلعة وأرد له كامل تعلقاته ، وأطلق سبيله هو وعياله يتوجهون حيث أرادوا باختيارهم ، لأنه فى أمانى وتحت حمايتى ، وأعرف أنَّ أباه ما كان يكرهنى ، ولكنه ذهب عقله وفسد رأيه ، وأنتم يا أهل الديوان تهدون الناس إلى الصواب والنور من جنابكم لأهل العقول ، وعرِّفوا أهل مصر أنه انقضت وفرغت دولة العثملى من أقاليم مصر ، وبطلت أحكامها منها ، وأخبروهم أن حكم العثملى أشد تعبا من حكم الملوك وأكثر ظلما ، والعاقل يعرف أنَّ علماء مصر لهم عقل وتدبير ، وكفاية وأهلية للأحكام الشرعية ، يصلحون للقضاء أكثر من غيرهم فى سائر الأقاليم ، وأنتم يا أهل الديوان عرِّفونى عن المنافقين المخالفين ، أخرج من حقهم ، لأن الله تعالى أعطانى القوة العظيمة ، لأجل ما أعاقبهم ، فإن سيفنا طويل بل ليس فيه ضعف ، ومرادى أن تعرِّفوا أهل مصر أن قصدى بكل قلبى حصول الخير والسعادة لهم مثل ما هو بحر النيل أفضل الأنهار وأسعدها ، كذلك أهل مصر يكونون أسعد الخلائق أجمعين بإذن رب العالمين والسلام » انتهى .

وفى تلك الليلة[1] ، قتلوا شخصين أحدهما : على جاويش رئيس الريالة الذى كان بالإسكندرية عند حضور الفرنسيس ، والثانى : قبطان آخر ، فلم يزالا بمصر

---

(١) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .

يحبسونهما أيامًا ، ثم يطلقونهما فحبسوهما آخرا ، فلم يطلقوهما حتى قتلوهما .

وفى صبيحة ذلك اليوم[1] ، قتلوا شخصين أيضًا من الأتراك بالرميلة .

وفيه[2] ، أفرجوا عن زوجات حسن بيك الجداوى .

وفى ثامن عشرينه [3] ، جمعوا الوجاقلية وكتبوا أسماءهم .

وفى تاسع عشرينه [4] ، قبضوا على ثلاثة أنفار أحدهم يسمى : حسن كاشف من أتباع أيوب بيك الكبير ، وآخر يسمى : أبو كاس ، والثالث رجل تاجر من تجار خان الخليلى يسمى : حسين مملوك الدالى إبراهيم ، فسجنوهم بالقلعة ، فتشفع الشيخ السادات فى حسين التاجر المذكور ، فأطلقوه على خمسة آلاف فرانسه .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الجمعة سنة ١٢١٤ [5]

فيه[6] ، أفرجوا عن بعض قرابة كتخدا الباشا وكان محبوسا بالجيزة ، ثم نقل إلى القلعة مع كتخدا قريبه فأطلق وبقى الآخر .

وفى يوم الأحد ثالثه [7] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف سابقًا من دمياط إلى مصر ، وكان مقيما هناك من بعد واقعة يافا ، ونزل مع الذين أنزلوهم من يافا إلى البحر ، وفيهم عثمان أفندى العباسى ، وحسن أفندى كاتب الشهر[8] ، وأخوه قاسم أفندى ، وأحمد أفندى عرفة ، والسيد يوسف العباسى ، والحاج قاسم المصلى وغيرهم ، فمنهم من عوق بالكرنتيلة ، ومنهم من حضر من البرخفية ، فحضر بعض الأعيان لملاقاة السيد عمر ، وركبوا معه بعد أن مكث هنيهة بزاوية على بيك التى بساحل بولاق حتى وصل إلى داره ، وتوجه فى ثانى [9] يوم مع المهدى ، وقابل سارى عسكر فبش له ووعده بخير ، ورد إليه بعض تعلقاته ، واستمر مقيما بداره ، والناس تغدو وتروح إليه على العادة .

---

(١) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .

(٢) ٢٣ محرم ١٢١٤ هـ / ٢٧ يونيه ١٧٩٩ م .

(٣) ٢٨ محرم ١٢١٤ هـ / ٢ يوليه ١٧٩٩ م .

(٤) ٢٩ محرم ١٢١٤ هـ / ٣ يوليه ١٧٩٩ م .

(٥) صفر ١٢١٤ هـ / ٥ يوليه - ٢ اغسطس ١٧٩٩ م .

(٦) ١ صفر ١٢١٤ هـ/ ٥ يوليه ١٧٩٩ م .

(٧) ٣ صفر ١٢١٤ هـ / ٧ يوليه ١٧٩٩ م .

(٨) كاتب الشهر : الكاتب المختص بتسجيل الضرائب التى تجمع مشاهرة أى كل شهر .

(٩) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .

وفى رابعه [1] ، حضر أيضًا حسن كتخدا الجربان بأمان ، وكان بصحبته عثمان بيك الشرقاوى .

وفيه[2] ، أشيع أن مراد بيك ذهب إلى ناحية البحيرة فرارا من الفرنسيس الذين بالصعيد .

وفى خامسه [3] ، قتلوا عبدالله أغا أمير يافا ، وكان أخذ أسيرا وحبس ، ثم قتل . وفيه [4]، قتل أيضًا يوسف چربجى أبو كاس ورفيقه حسن كاشف .

وفى سادسه [5] ، عمل الشيخ محمد المهدى وليمة عرس لزواج أحد أولاده ، ودعا سارى عسكر وأعيان الفرنساوية فتعشوا عنده وذهبوا .

وفيه[6] ، احضروا اربعة عشر مملوكا أسرى وأصعدوهم إلى القلعة ، قيل إنهم كانوا لاحقين بمراد بيك بالبحيرة ، فأووا إلى قبة يستظلون بها ، وتركوا خيولهم مع السوّاس ، فنزل عليهم طائفة من العرب فأخذوا الخيول ، فمروا مشاة فدل الفلاحون عليهم عسكر الفرنسيس فمسكوهم ، وقيل : إنهم أووا إلى بلدة ، وطلبوا منهم غرامة فصالحوهم ، فلم يرضوا بذلك بدون ما طلبوا ، فوعدوهم بالدفع من الغد ، وكانوا أكثر من ذلك ، وفيهم كاشف من جماعة عثمان بيك الطنبرجى ، فذهب الفلاحون إلى الفرنسيس ، وأعلموهم بمكانهم ، فحضروا إليهم ليلا وفر مَنْ فَرَّ منهم، وقتل من قتل وأسر الباقى ، وأما الكاشف فيسمى : عثمان كاشف التجأ إلى كبير الفرنسيس فحماه وأخذه عنده ، وأحضروا الأسرى إلى مصر وعليهم ثياب زرق ورعابيط ، وعلى رؤوسهم عراقى من لباد وغيره ، وأصعدوهم إلى القلعة ، وقتلوا منهم فى ثانى ليلة أشخاصا .

وفى تاسعه [7] احضروا أيضًا ستة أشخاص من المماليك وأصعدوهم إلى القلعة ، وفى ذلك اليوم قتلوا أيضًا نحو العشرة من الأسرى المحابيس .

وفى يوم الأحد عاشره [8] ، ركب فى عصريته سارى عسكر ، وعدى إلى بر الجيزة ، وتبعه العساكر ، ولم يعلم سبب ذلك ، ولما صاروا بالجيزة ضربوا نجع

---

(1) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .

(2) ٤ صفر ١٢١٤ هـ / ٨ يوليه ١٧٩٩ م .

(3) ٥ صفر ١٢١٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٩ م .

(4) ٥ صفر ١٢١٤ هـ / ٩ يوليه ١٧٩٩ م .

(5) ٦ صفر ١٢١٤ هـ / ١٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(6) ٦ صفر ١٢١٤ هـ / ١٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(7) ٩ صفر ١٢١٤ هـ / ١٣ يوليه ١٧٩٩ م .

(8) ١١ صفر ١٢١٤ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٩ م .

البطران[1] ، ودهشور[2] ، بسبب نزول مراد بيك عندهم ، وفى هذا اليوم ، ظهر أن مراد بيك رجع ثانيا إلى الصعيد ، وشاع الخبر أيضًا ، أن عثمان بيك الشرقاوى ، وسليمان أغا الوالى وآخرين مروا خلف الجبل ، وذهبوا أيضًا إلى ناحية الشرق ، فخرج عليهم جماعة من العسكر ، وفيهم برطلمين يني الرومى ، رئيس عسكر الأروام ، ومعهم عدة وافرة من أخلاط العسكر أروام وقبط والمماليك المنضمة إليهم ، وبعض فرنساوية ، فأدركوهم بالقرب من بلبيس ، وأتوهم من خلاف الطريق المسلوكة فدهموهم على حين غفلة ، وكان عثمان بيك يغتسل ، فلما أحسوا بهم بادروا للفرار ، وركبوا وركب عثمان بيك بقميص واحد على جسده وطاقية فوق رأسه ، وهربوا وتركوا ثيابهم ومتاعهم وحملتهم ، وقدور الطعام على النار ، ولم يمت منهم إلا مملوكان وأسروا منهم اثنين ، ووجدوا على فراش عثمان بيك مكاتبة من إبراهيم بيك تستدعيهم إلى الحضور إليه بالشام .

وفى يوم الإثنين حادى عشره [3] ، وردت أخبار ومكاتيب مع السعاة لبعض الناس من الإسكندرية وأبى قير ، وأخبروا بأنه وردت مراكب فيها عسكر عثمانية إلى أبى قير ، فتبين أن حركة الفرنساوية وتعديتهم إلى البر الغربى بسبب ذلك ، وأخذوا صحبتهم جرجس الجوهرى ، وفى ضحوة اليوم الثانى [4] ، عدى الكثير من العسكر أيضًا ، واهتم حنا بينو المتولى على بحر بولاق بجمع المراكب وشحنها بالقومانية [5] والذخيرة ، وداخل الفرنساوية من ذلك وهم كبير ، ولما عدى كبيرهم إلى بر الجيزة، أقام يوم الإثنين[6] عند الأهرام حتى تجمعت العساكر، وبعث بالمقدمة، وركب هو فى يوم الثلاثاء ثانى عشره [7] ، وأرسل مكتوبا إلى أرباب الديوان بالسلام عليهم ، والوصية بالمحافظة ، وضبط البلد والرعية كما فعلوا فى غيبته السابقة .

وفى سادس عشره [8] ، ورد الخبر بأن عثمان خجا وصل إلى قلعة أبى قير صحبة

---

(١) نجع البطران : أحد النجوع التى كانت قائمة بالجيزة ، ولم يذكرها صاحب القاموس الجغرافى .

(٢) دهشور : من القرى القديمة ، ووردت فى المصادر العربية ، وفى نزهة المشتاق للإدريسى بهذا الاسم ، وهى إحدى قرى ، مركز العياط ، محافظة الجيزة .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٣ - ٤٤ .

(٣) ١١ صفر ١٢١٤ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٩ م .

(٤) ١٢ صفر ١٢١٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٥) القومانية : انظر ، جـ١ ص ٢١٢ ، حاشية رقم (١)

(٦) ١١ صفر ١٢١٤ هـ / ١٥ يوليه ١٧٩٩ م .

(٧) ١٢ صفر ١٢١٤ هـ / ١٦ يوليه ١٧٩٩ م .

(٨) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

السـيد مصطفـى باشــا ، فضربوا علـى القلعة ، وقـاتلوا من بـها من الفرنـساوية وملكوها ، وأسروا من بقى بها ، وعثمـان خجا هذا هو الذى كان متولى إمارة رشيد من طرف صالح بـيك وحج معه ورجع صحبتـه إلى الشام ، فلما توفـى صالح بيك سافر إلى الديار الروميـة ، وحضر صحبة مصطفى باشا المذكور ، فـلما تحققت هذه الأخبار كثر اللغط فى الناس ، وأظهروا البشر ، وتجاهروا بلعن النصارى ، واتفق أنه تشاجر بعض المسلـمين بحارة البرابرة [1] ، بالقرب مـن كوم الشيخ سلامـة مع بعض نصـارى الشـوام ، فقال المسلم للنصرانى : « إن شاء الله تعالى بعد أربعة أيام نشتفى منكم » ، وكلام من هذا المعنى ، فذهب ذلك النصرانى إلى الفرنسيس مع عصبة من جنسه وأخبروهم بالقصة ، وزادوا وحرفوا ، وعرفوهم أن قصد المسلمين إثارة فتنة ، فأرسل قائمـقام إلى الشيخ المهدى وتـكلم معه فى شأن ذلك وحاجـجه ، وأصبحوا فاجتمـعوا بالديوان ، فقام المـهدى خطيبا وتكلـم كثيرا ونفى الريـبة ، وكذب أقوال الأخصام ، وشدد فى تبرئة المسلمين عما نسب إليهم ، وبالغ فى الحطيطة والانتقاص من جانب النصارى ، وهذا المقام من مقامـاته المحمودة ، ثم جمعوا مشايخ الأخطاط والحارات وحبسوهم .

وفيه[2] ، حضرت مكاتبة مـن الفرنسيس المتوجهين للمحاربـة مع العسكر الوارد لجهـة أبى قير ، وصـورتها : « لا إلـه إلا الله محمـد رسول الله ﷺ ، نخبـركم محفل الديوان بمصر المنـتخب من أحسن الناس ، وأكملهم بالعقل والـتدبير ، عليكم سلام الله تعالى ورحمته وبركاته ، بعد مـزيد السلام عليكم ، وكثرة الأشواق الزائدة إليكم ، نخبركم يا أهل الديوان المكرمين العـظام بهذا المكتوب ، أننا وضعنا جماعات من عسكرنا بجبل الطرانة [3] ، وبعد ذلـك سرنا إلى إقليـم البحيرة ، لأجـل ما نرد راحة الرعـايا المساكين ، ونقـاصـص أعداءنا المحاربـين ، وقد وصلنا بالـسلامة إلى الرحمانية[4] ، وعفونا عفوا عموميا عن كامل أهـل البحيرة حتى صار أهل الإقليم فى راحة تامة ونـعمة عامة ، وفى هذا الـتاريخ نخبركـم أنه وصل ثمانون مركـبا صغارا وكبارا حتى ظهروا بثغر سكندرية ، وقصـدوا أن يدخلوها ، فلم يمكنهم الدخول من

(١) حارة البرابرة : حارة كانت قريبة من كوم الشيخ سلامة ، قريبا من بركة الأزبكية ، ولا تزال قائمة حتى الآن وتعرف « بدرب البرابرة » .

(٢) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٣) الطرانة مـن القرى القديمة ، اسمـها المصرى (Per Rannout) ، والرومى (Térénouthis) وذكرت فى المصادر العربية بـاسم « ترنوط » ، فى الروك الصلاحى ، وردت « الطرانة » ، وهـى إحدى قرى مركز كوم حمادة ، محافظة البحيرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٣١ - ٣٣٢ .

(٤) الرحمانية : انظر ، ص ٦ ، حاشية رقم (٣) .

كثرة البنب وجلل المدافع النازلة عليهم ، فرحلوا عنها ، وتوجهوا يرسلون بناحية أبى قير ، وابتدءوا ينزلون فى البر وأنا الآن تاركهم ، وقصدى أن يتكامل الجميع فى البر ، وأنزل عليهم أقتل من لايطيع ، وأخلى بالحياة الطائعين ، وآتيكم بهم محبوسين تحت السيف لأجل أن يكون في ذلك شأن عظيم فى مدينة مصر ، والسبب فى مجئ هذه العمارة إلى هذا الطرف العشم بالاجتماع على المماليك والعربان ، لأجل نهب البلاد وخراب القطر المصرى ، وفى هذه العمارة خلق كثير من الموسقو الإفرنج الذين كراهتهم ظاهرة لكل من كان يوحد الله ، وعداوتهم واضحة لمن كان يعبد الله ويؤمن برسول الله ، يكرهون الإسلام ، ولايحترمون القرآن ، وهم نظراً لكفرهم فى معتقدهم يجعلون الآلهة ثلاثة ، وأن الله ثالث تلك الثلاثة ، تعالى الله عن الشركاء ، ولكن عن قريب يظهر لهم أن الثلاثة لاتعطى القوّة ، وأن كثرة الآلهة لاتنفع ، بل إنه باطل ، لأن الله تعالى هو الواحد الذى يعطى النصرة لمن يوحده هو الرحمن الرحيم ، المساعد المعين ، المقوى للعادلين الموحدين ، الماحق رأى الفاسدين المشركين ، وقد سبق فى علمه القديم وقضائه العظيم ، أنه أعطانى هذا الإقليم ، وقدر وحكم بحضورى عندكم إلى مصر ، لأجل تغييرى الأمور الفاسدة وأنواع الظلم ، وتبديل ذلك بالعدل والراحة مع صلاح الحكم ، وبرهان قدرته العظيمة ووحدانيته المستقيمة ، أنه لم يقدر للذين يعتقدون أن الآلهة ثلاثة قوة مثل قوتنا، لأنهم ما قدروا أن يعملوا الذى عملناه ، ونحن المعتقدون وحدانية الإله ، ونعرف أنه العزيز القادر ، القوى القاهر ، المدبر للكائنات ، والمحيط علمه بالأرضين والسموات، القائم بأمر المخلوقات ، هذا ما فى الآيات والكتب المنزلات ، ونخبركم بالمسلمين إن كانوا بصحبتهم يكونوا من المغضوب عليهم لمخالفتهم ، وصية النبى عليه أفضل الصلاة والسلام ، بسبب إتفاقهم مع الكافرين الفجرة اللئام ، لأن أعداء الإسلام لاينصرون الإسلام ، ويا ويل من كانت نصرته بأعداء الله ، وحاشا لله أن يكون المستنصر بالكفار مؤيدا ، أو يكون مسلما ، ساقتهم المقادير للهلاك والتدمير ، مع السفالة والرذالة ، وكيف لمسلم أن ينزل فى مركب تحت بيرق الصليب ، ويسمع فى حق الواحد الأحد الفرد الصمد من الكفار كل يوم تخريف واحتقار، ولاشك أن هذا المسلم فى هذا الحال أقبح من الكافر الأصلى فى الضلال، نريد منكم يا أهل الديوان أن تخبروا بهذا الخبر جميع الدواوين والأمصار ، لأجل أن يمتنع أهل الفساد من الفتنة بين الرعية فى سائر الأقاليم والبلاد ، لأن البلد الذى يحصل فيه الشر ، يحصل لهم مزيد الضرر والقصاص ، انصحوهم يحفظوا أنفسهم من الهلاك خوفا

عليهم ، أن نفعل فيهم مثل ما فعلنا فى أهل دمنهور [1] ، وغيرها من بلاد الشرور ، بسبب سلوكهم المسالك القبيحة فاصصناهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته تحريرا فى الرحمانية ، يوم الأحد خامس عشر صفر سنة أربعة عشر [2] ومائتين وألف » ، وطبعوا من ذلك نسخا والصقوها بالأسواق ، وفرقوا منها على الأعيان ، انتهى .

وفى ثامن عشره [3] ، وردت أخبار وعدة مكاتيب لكثير من الأعيان والتجار ، وكلها على نسق واحد ، تزيد على المائة مضمونها : « بأن المسلمين وعسكر العثمانيين ومن معهم ملكوا الإسكندرية فى ثالث ساعة من يوم السبت سادس عشر صفر[4] » ، فصار الناس يحكى بعضهم لبعض ، ويقول البعض : « أنا قرأت المكتوب الواصل إلى فلان التاجر » ، ويقول الآخر مثل ذلك ، ولم يكن لذلك أصل ولا صحة ، ولم يعلم من فعل هذه الفعلة ، واختلق هذه النكتة ، ولعلها من فعل بعض النصارى البلديين ، ليوقعوا بها فتنة في الناس ينشأ منها القتل فيهم والأذية لهم ، وسبحان الله علام الغيوب .

وفى ليلة الأربعاء عشرينه [5] أشيع أن الفرنساوية تحاربوا مع العساكر الواردين على أبى قير ، وظهروا عليهم وقتلوا الكثير منهم ونهبوهم وملكوا منهم قلعة أبى قير ، وأخذوا مصطفى باشا أسيرا ، وكذلك عثمان خجا وغيرهما ، وأخبر الفرنسيس أنه حضرت لهم مكاتبة بذلك من أكابرهم ، فلما طلع النهار ضربوا مدافع كثيرة من قلعة الجبل وباقى القلاع المحيطة ، وبصحن الأزبكية ، وعملوا فى ليلتها أعنى ليلة الأربعاء [6] حراقة بالأزبكية من نفوط وبارود وسواريخ تصعد فى الهواء .

وفى يوم الخميس ثامن عشرينه[7] ، وصلت عدة مراكب وبها أسرى وعساكر جرحى ، وكذلك يوم الجمعة تاسع عشرينه [8] ، حضرت مكاتبة من الفرنسيس بحكاية الحالة التى وقعت ، لم أقف على صورتها .

---

(١) دمنهور : من المدن القديمة ، واسمها المصرى القديم (Deminhor) ، واسمها الرومانى (Apollinopdis) وهى الآن قاعدة محافظة البحيرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٢) ١٥ صفر ١٢١٤ هـ / ١٩ يوليه ١٧٩٩ م .

(٣) ١٨ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٢ يوليه ١٧٩٩ م .

(٤) ١٦ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٠ يوليه ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٩ م .

(٦) ٢٠ صفر ١٢١٤ هـ / ٢٤ يوليه ١٧٩٩ م .

(٧) ٢٨ صفر ١٢١٤ هـ / ١ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٨) ٢٩ صفر ١٢١٤ هـ / ٢ أغسطس ١٧٩٩ م .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم السبت سنة ١٢١٤ [1]

في ثانيه [2] وصلت مراكب من بحري وفيها جرحى من الفرنساوية .

وفيه[3] ، قبضوا على الحاج مصطفى البشتيلي الزيات من أعيان أهالي بولاق ، وحبسوه ببيت قائمقام والسبت في ذلك أن جماعة من جيرانه وشوا عنه بأن بداخل بعض حواصله الذي في وكالته [4] عدة قدور مملوءة بالبارود ، فكبسوا على الحواصل فوجدوا بها ذلك ، كما أخبر الواشي ، فأخذوها وقبضوا عليه وحبسوه كما ذكر ، ثم نقلوه إلى القلعة .

وفي سادسه [5] ، حضر أيضًا جملة من العسكر وكثر لغط الناس على عادتهم في رواية الأخبار .

وفيه[6] ، حضرت حجاج المغاربة ووصلوا صحبة الحاج الشامي ، وأخبروا أنهم حجوا صحبته ، وأمير الحاج الشامي عبدالله باشا ابن العظم .

وفي ليلة الأحد تاسعه[7] ، حضر ساري عسكر الفرنساوية بونابارته ، ودخل إلى داره بالأزبكية ، وحضر صحبته عدة أناس من أسرى المسلمين ، وشاع الخبر بحضوره فذهب كثير من الناس إلى الأزبكية ليتحققوا الخبر على جليته ، فشاهدوا الأسرى وهم وقوف في وسط البركة ليراهم الناس ، ثم إنهم صرفوهم بعد حصة من النهار ، فأرسلوا بعضهم إلى جامع الظاهر [8] خارج الحسينية ، وأصعدوا باقيهم إلى القلعة ، وأما مصطفى باشا ساري عسكر فإنهم لم يقدموا به لمصر ، بل أرسلوه إلى الجيزة مكرّما ، وأبقوا عثمان خجا بالإسكندرية ، ولما استقر ساري عسكر بونابارته في منزله ذهب للسلام عليه المشايخ والأعيان وسلموا عليه ، فلما استقر بهم المجلس ، قال لهم على لسان الترجمان : « إن ساري عسكر يقول لكم ، إنه لما سافر إلى الشام ، كانت حالتكم طيبة في غيابه ، وأما في هذه المرة فليس كذلك ، لأنكم كنتم تظنون أن الفرنسيس لايرجعون بل يموتون عن آخرهم ، فكنتم فرحانين ومستبشرين ، وكنتم

---

(١) ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣ أغسطس - ١ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٢) ٢ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٤ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٣) ٣ ربيع الأول ١٢١٤ هـ/ ٥ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٤) وكالة مصطفى البشتيلي : وكالة أنشأها مصطفى البشتيلي ، تاجر الزيت ببولاق القاهرة .

(٥) ٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٨ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٦) ٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٨ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٧) ٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١١ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٦) جامع الظاهر : انظر ، ص ٥٦ ، حاشية رقم (٣) .

تعارضـــون الأغـا فـــي أحكامه ، وأن المـهدى والصاوى مـا هم « بونو » أى لـيسوا بطيبين »، ونحو ذلك ، وسبب كلامه هذا الحكاية المتـقدمة التى حبـسوا بسببها مشايخ الحارات ، فإن الأغا الخبيث كان يريد أن يقتـل فى كل يوم أناسا بأدنى سبب ، فكان المهـدى والـصــاوى يعارضـانه ويتكلمـان معه فى الديوان ويـوبخانه ويخوّفـانه سوء العاقبة ، وهو يرسل إلى سـارى عسكر فيطالعه بالأخبار ويشكو منـهما ، فلما حضر عاتبهم فى شأن ذلك ، فلاطفوه حتى انجلـى خاطره ، وأخذ يحدثهم على ما وقع له من القادمين إلى أبى قير ، والنصر عليهم وغير ذلك .

وفى يوم الثلاثاء حادى عشره[1] ، عمل المولـد النبوى بالأزبكية ، ودعـا الشيخ خليل البكرى سارى عسكر الكبير مع جـماعة من أعيانهم ، وتعشوا عنده ، وضربوا ببركة الأزبكية مدافع ، وعملوا حراقة وسـواريخ ، ونادوا فى ذلك اليوم بالزينة وفتح الأسواق والـدكاكين لـيلا ، وإسراج قـناديل واصطـناع مهـرجان ، وورد الخبـر بأن الفرنسيس أحضروا عـثمان خجا ونقلوه من الإسكندرية إلى رشيـد ، فدخلوا به البلد وهو مكشوف الرأس حافى القدمين ، وطافوا به البلد يزفونه بطبولهم حتى وصلوا به إلى داره ، فقطعوا رأسه تحتها ، ثم رفعوا رأسه وعلقوها من شباك داره ليراها من يمر بالسوق .

وفى ثالث عشره [2] ، أشيع بأن كـبير الفرنســيس سافر إلى جهـة بحرى ، ولـم يعلم أحد أى جهة يـريد ، وسئل بعض أكابرهم فأخبر أن سارى عســكر المنوفية دعاه لضيـافته بمنوف ، حـين كان متوجـها إلى ناحيـة أبى قير ، ووعده بـالعود إليـه بعد وصوله إلى مصر ، وراج ذلك على الناس وظنوا صحته .

ولما كان يوم الاثنـين سادس عشره[3] ، خرج مسافـرا من آخر الليل وخـفى أمره على الناس .

وفى يوم الاثنين رابع عـشرينه الموافق لتاسع مســرى القبطى[4] ، كان وفاء الـنيل المبارك ، فـنودى بوفائه عـلى العادة ، وخرج النـصارى البلديـة من القبطـة والشوام والأروام ، وتأهبوا للخلاعـة والقصف والتفرج واللهو والطرب ، وذهبـوا تلك الليلة

---

(١) ١١ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٣ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ١٣ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٥ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ١٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ١٨ أغسطس ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٤ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٩ مسرى ١٥١٦ ق / ٢٦ أغسطس ١٧٩٩ م .

إلى بولاق ومصر العتيقة والروضة ، واكتروا المراكب ونزلوا فيها ، وصحبتهم الآلات والمغانى ، وخرجوا فى تلك الليلة عن طورهم ورفضوا الحشمة ، وسلكوا مسلك الأمراء سابقا فى النزول فى المراكب الكثيرة المقاذيف ، وصحبتهم نساؤهم وقحابهم وشرابهم ، وتجاهروا بكل قبيح من الضحك والسخرية والكفريات ، ومحاكاة المسلمين ، وبعضهم تزيا بزى أمراء مصر ، ولبس سلاحا وتشبه بهم ، وحاكى ألفاظهم على سبيل الاستهزاء والسخرية وغير ذلك ، وأجرى الفرنساوية المراكب المزينة وعليها البيارق ، وفيها أنواع الطبول والمزامير فى البحر ، ووقع فى تلك الليلة بالبحر وسواحله من الفواحش والتجاهر بالمعاصى والفسوق ما لايكيف ولايوصف ، وسلك بعض غوغاء العامة وأسافل العالم ورعاعهم مسالك تسفل الخلاعة ، ورذالة الرقاعة ، بدون أن ينكر أحد على أحد من الحكام أو غيرهم ، بل كان كل إنسان يفعل ما تشتهيه نفسه ، وما يخطر بباله وإن لم يكن من أمثاله :

إذا كان ربُّ الدارِ بالدفِّ ضاربًا　　فشيمةُ أهلِ الدارِ كُلِّهِمُ الرقْصُ

وأكثر الفرنسيس فى تلك الليلة وصباحها من رمى المدافع والسواريخ من المراكب والسواحل ، وباتوا يضربون أنواع الطبول والمزامير ، وفى الصباح ركب دوجا قائمقام وصحبته أكبار الفرنسيس ، وأكابر أهل مصر ، وحضروا إلى قصر السد ، وجلسوا به واصطفت العساكر ببر الروضة وبر مصر القديمة بأسلحتهم وطبولهم وبعضهم فى المراكب لضرب المدافع المتتالية إلى أن انكسر السد ، وجرى الماء فى الخليج فانصرفوا .

وفى خامس عشرينه [1] ، طلبوا من كل طاحون من الطواحين فرسا .

وفى سادس عشرينه [2] ، كتبوا أوراقا وألصقوها بالأسواق مضمونها : « أن الناس يذهبون إلى بولاق يوم التاسع والعشرين [3] ، ليحضروا سوق الخيل ، ويشتروا ما أحبوا من الخيل » .

وفيه[4] ، ألصقوا أوراقا أيضًا مضمونها : « بأن من كان عليه مال ميرى ملزوم بغلاقه ، ومن لم يغلق ما عليه بعد مضى عشرين يوما عوقب بما يليق به » ، ونادوا بموجب ذلك بالأسواق .

---

(١) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٧ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٨ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٤) ٢٦ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٨ اغسطس ١٧٩٩ م .

وفى سابع عشرينه [1] ، كتبوا أوراقا أيضًا مضمونها : « انقضاء سنة مؤجرات أقلام المكوس ، ومن أراد استئجار شيء من ذلك فليحضر إلى الديوان ، ويأخذ ما يريده بالمزاد » .

وفيه[2] ، أفرج عن الأنفار التى قدم بها الفرنساوية من غزة وحبست بالقلعة على مصلحة خمسة وسبعين كيسا ، دفعوا بعضها وضمنهم أهل وكالة الصابون [3] فى البعض الباقى ، فأنزلوهم من القلعة على هذا الاتفاق ، بشرط أن لايسافر منهم أحد إلا بعد غلاق ما عليه .

وفى ثامن عشرينه [4] ، تشفع أرباب الديوان فى أهل يافا المسجونين بالقلعة أيضًا ، فوقع التوافق معهم على الإفراج عنهم بمصلحة مائة كيس ، فاجتمع الرؤساء والتجار وترووا واشتوروا فى مجلس خاص بينهم ، فاتفق الحال على تقسيطها وتأجيلها فى كل عشرين يوما خمسة وعشرون كيسا ، فدفع التجار خمسة وعشرين كيسا ، وأفرج عنهم من القلعة ، وأجلوا الباقى على الشرح المذكور .

وفيه[5] ، ورد من بونابارته سارى عسكر كتاب من الإسكندرية ، خطابا لأهل مصر وسكانها ، فأحضر قائمقام دوجا الرؤساء المصرية ، وقرأ عليهم الكتاب مضمونه ، : « أنه سافر يوم الجمعة حادى عشرين الشهر المذكور[6] إلى بلاد الفرنساوية ، لأجل راحة أهل مصر ، وتسليك البحر ، فيغيب نحو ثلاثة أشهر ، ويقدم مع عساكره ، فإنه بلغه خروج عمارتهم ليصفو له ملك مصر ، ويقطع دابر المفسدين ، وأن المولى على أهل مصر وعلى رياسة الفرنساوية جميعا كلهبر سارى عسكر دمياط » ، فتحير الناس وتعجبوا فى كيفية سفره ونزوله البحر ، مع وجود مراكب الإنكليز ووقوفهم بالثغر ، ورصدهم الفرنساوية من وقت قدومهم الديار المصرية صيفا وشتاء ، ولكيفية خلوصه وذهابه أنباء وحيل لم أقف على حقيقتها .

---

(١) ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٢) ٢٧ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٩ أغسطس ١٧٩٩ م .

(٣) وكالة الصابون : وكالة كبيرة سمّاها المقريزى وكالة الصابون ، والوكالة هى فى معنى الفنادق والخانات ، ينزلها التجار ببضائع بلاد الشام من الزيت والشيرج ، والصابون ، والدبس ، والفستق والجوز واللوز والخرنوب وغير ذلك ، واشتهرت بوكالة الصابون من أجل أن الصابون يباع بها .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٠٩ - ٢١٠ .

(٤) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣٠ غسطس ١٧٩٩ م .

(٥) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣٠ غسطس ١٧٩٩ م .

(٦) ٢١ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٢٣ أغسطس ١٧٩٩ م .

وفى يوم السبت تاسع عشرينه [1] ، قدم سارى عسكر كلهبر صبيحة ذلك اليوم ، فضربوا لقدومه المدافع من جميع القلاع ، وتلقته كبار الفرنساوية وأصاغرهم ، وذهب إلى بيت بونابارته الذى كان ساكنا به ، وهو بيت الألفى بالأزبكية وسكن مكانه ، وفى ذلك اليوم قدمت طائفة من العسكر من جهة الشرقية ، وصحبتهم منهوبات كثيرة من بلد عصت عليهم فضربوها ونهبوها ، ومعهم نحو السبعين من الرجال والصغار وبعض النساء وهم موثوقون بالحبال فسجنوهم بالقلعة .

وفيه[2] ، ذهب أكابر البلد من المشايخ والأعيان لمقابلة سارى عسكر الجديد للسلام عليه ، فلم يجتمعوا به ذلك اليوم ، ووعدوا إلى الغد ، فانصرفوا وحضروا فى ثانى يوم[3] فقابلوه ، فلم يروا منه بشاشة ولا طلاقة وجه مثل بونابارته ، فإنه كان بشوشا ويباسط الجلساء ويضحك معهم .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الأحد سنة ١٢١٤ [4]

فى أوائله [5] ، ابتدءوا فى عمل مولد المشهد الحسينى ، وقهروا الناس ، وكرروا المناداة بفتح الحوانيت والسهر ، ووقود القناديل عشر ليال متوالية آخرها ليلة الخميس ثانى عشره[6] .

وفيه[7] ، طلب سارى عسكر الجديد من نصارى القبط ، مائة وخمسين ألف ريال فرانسه ، فى مقابلة بواقى سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف [8] ، وشرعوا فى تحصيلها .

وفى يوم الجمعة سادسه [9] ، ركب سارى عسكر الجديد من الأزبكية ، ومشى فى وسط المدينة فى موكب حافل حتى صعد إلى القلعة ، وكان أمامه نحو الخمسمائة قوّاس وبأيديهم النبابيت ، وهم يأمرون الناس بالقيام والوقوف على الأقدام لمروره ، وكان صحبته عدة كثيرة من خيالة الإفرنج وبأيديهم السيوف المسلولة ، والوالى والأغا

---

(١) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٢) ٢٩ ربيع الأول ١٢١٤ هـ / ٣١ اغسطس ١٧٩٩ م .
(٣) ١ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٤) ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر - ٣٠ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٥) ١ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٦) ١٢ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١٣ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٧) ١ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٨) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .
(٩) ٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٧ سبتمبر ١٧٩٩ م .

ويرطلمين بمواكبهم ، وكذلك القلقات والوجاقلية ، وكل من كان مولى من جهتهم ومنضما إليهم ، ما عدا رؤساء الديوان من الفقهاء ، فلم يطلبوهم للحضور ولا للمشى فى ذلك الموكب ، ولما صعد إلى القلعة ضربوا له عدة مدافع ، وتفرج على القلعة ، ثم نزل بذلك الموكب إلى داره .

وفى يوم السبت سابعه[1] ، ركب أغاة الينكجرية فى أبهة عظيمة وجبروت ، وأمامه عدة من عسكر الفرنسيس ، وأمامه المنادى يقول حكم مارسم سارى عسكر خطابا للأغا : « أن جميع الدعاوى والقضايا العامية لاتعمل إلا ببيت الأغا ، وكل من تعدى من الرعايا أو وقع منه قلة أدب يستاهل ما يجرى عليه » .

وفيه[2] ، ركب سارى عسكر الكبير فى موكب دون الأوّل ، ووصل إلى بيت رئيس الديوان الشيخ عبدالله الشرقاوى ، ثم رجع إلى داره .

وفى يوم الأحد ثامنه [3] ، عمل سارى عسكر وليمة فى بيته ، ودعا الأعيان والتجار والمشايخ فتعشوا عنده ، ثم انصرفوا إلى دورهم .

وفى يوم الثلاثاء عاشره [4] ، كان آخر المولد الحسينى ، وحضر سارى عسكر الفرنساوية مع أعيانهم إلى بيت شيخ السادات بعد العصر فى موكب عظيم ، وأمامه الأغا والوالى والمحتسب وعدة كبيرة من عسكرهم ، وبيدهم السيوف المسلولة فتعشوا هناك ، وركبوا بعد المغرب وشاهدوا وقود القناديل .

وفى سادس عشره [5] ، نودى بنشر الحوائج ، وكتبوا بذلك أوراقا والصقوها بالأسواق ، وشدّدوا فى ذلك بالتفتيش والنظر بجماعة من طرف مشايخ الحارات ، ومع كل منهم عسكرى من طرف الفرنساوية وامرأة أيضًا ، للكشف على أماكن النساء [6] فكان الناس يأنفون من ذلك ويستثقلونه ويستعظمونه ، وتحدثهم أوهامهم بأمور يتخيلونها كقولهم : « إنما يريدون بذلك الاطلاع على أماكن الناس ومتاعهم » ، مع أنه لم يكن شىء سوى التخوف من العفونة والوباء .

---

(١) ٧ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٨ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٢) ٧ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٨ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٣) ٨ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٩ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٤) ١٠ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١١ سبتمبر ١٧٩٩ م .
(٥) ١٦ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ١٧ سبتمبر ١٧٧٩ م .
(٦) أى الأماكن المخصصة للنساء فى المنزل .

وفي عشرينه [1] ، نودى بعمل مولد السيد على البكرى المدفون بجامع الشرايبى [2] بالأزبكية بالقرب من الرويعى ، وأمروا الناس بوقود قناديل بالأزقة فى تلك الجهات ، وأذنوا لهم بالذهاب والمجئ ليلا ونهارا من غير حرج ، وقد تقدم ذكر بعض خبر هذا السيد على ، وأنه كان رجلا من البُلْه ، وكان يمشى بالأسواق عريانا مكشوف الرأس والسوأتين غالبا ، وله أخ صاحب دهاء ومكر لايلتثم به واستمر على ذلك مدة سنين ، ثم بدا لأخيه فيه أمر لما رأى من ميل الناس لأخيه ، واعتقادهم فيه ، كما هى عادة أهل مصر فى أمثاله ، فحجر عليه ومنعه من الخروج من البيت وألبسه ثيابا ، وأظهر للناس أنه أذن له بذلك ، وأنه تولى القطبانية ونحو ذلك ، فأقبلت الرجال والنساء على زيارته والتبرك به وسماع ألفاظه والإنصات إلى تخليطاته وتأويلها بما في نفوسهم ، وطفق أخوه المذكور يرغبهم ويبث لهم فى كراماته ، وأنه يطلع على خطرات القلوب والمغيبات ، وينطق بما فى النفوس ، فانهمكوا على التردد إليه ، وقلد بعضهم بعضا ، وأقبلوا عليه بالهدايا والنذور والإمدادات الواسعة من كل شيء ، وخصوصا من نساء الأمراء والأكابر ، وراج حال أخيه واتسعت أمواله ونفقت سلعته ، وصادت شبكته ، وسمن الشيخ من كثرة الأكل والدسومة والفراغ والراحة حتى صار مثل البو العظيم ، فلم يزل على ذلك إلى أن مات فى سنة سبع بعد المائتين [3] ، كما تقدّم ، فدفنوه بمعرفة اخيه فى قطعة حُجِر عليها من هذا المسجد من غير مبالاة ولا مانع ، وعمل عليه مقصورة ومقاما وواظب عنده بالمقرئين والمداحين وأرباب الأشاير والمنشدين ، بذكر كراماته وأوصافه فى قصائدهم ومدحهم ونحو ذلك ، ويتواجدون ويتصارخون ويمرغون وجوههم على شباكه وأعتابه ، ويغرفون بأيديهم من الهواء المحيط به ، ويضعونه فى أعبابهم وجيوبهم كما قال البدر الحجازى فى بعض منظوماته :

ليتَنا لمْ نَعشْ إلى انْ رأينَا	كلَّ ذى جِنةٍ لدَى الناسِ قُطبَا
علّمًا هُم بـه يلُوذُون بلْ قد	تَخِذُوه من دون ذِى العَرشِ ربًّا
إذْ نَسُوا الله قائلينَ فلانٌ	عن جَميعِ الأنامِ يُفرجُ كَرْبَا

(١) ٢ ربيع الثانى ١٢١٤ هـ / ٢١ سبتمبر ١٧٩٩ م .

(٢) جامع الشرايبى : يقع بشارع بركة الأربكية بالقرب من الرويعى ، إنشاء قاسم الشرايبى ١١٤٥ هـ / ٣٢ - ١٧٣٣ م . فيه ضريح الشيخ على البكرى ، لذا عرف بجامع البكرى .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٥ ، ص ٧٦ .

(٣) ١٢٠٧ هـ / ١٩ اغسطس ١٧٩٢ - ٨ اغسطس ١٧٩٣ م .

وإذا مَاتَ يـــجعـــلُوه مَزارا ... ولــه يــهرَعُون عُجمًا وعُربـا
بـعضُهــم قَبَّلَ الضَّريـحَ وبعـضٌ ... عــتَبَ الــبَاب قبَلُوه وتُربَا
هكـذا المشْركُون تفعـلُ مع أصـ ... ـنـامِهـم تَبـتَغِى بِذلَكَ قُربَا

إلى أن قال :

كلّ ذا من عَمَى الـبصيـرةِ والويـ ... ـلُ لـشَخْصٍ أعْمَى لَه اللهُ قَلْبا
والحِجَازِى مَنْ سُمِى حَسَنا يـنْـ ... ـظُرُ مـا خالفَ الـشَّريعـةَ صَعْبا

وفي المعنى :

الا قـل لمكىٍّ مـقُولَ الـنَّصـوُح ... وَحَقُّ الـنـصيحَةِ أنْ تُسـتَمَعْ
مـتَى سَمعَ الـنـاسُ فـى دِينِهم ... بـــأنَّ الـــغنَا سنَّةٌ تُتبَع
وأنْ يـأكـلَ المــرءُ أكْلَ الـبَعيـرِ ... ويـرقُصُ فـى الجـمْعِ حتَّى يـقَع
ولـو كَانَ طَـاوى الحشَا جـائـعًا ... لمــــا زَادَ مِنْ طَرَب واستَمَع
وقــالُوا سكِرنَا بــحُبِّ الإلــه ... ومَا أسْكَرَ الــقَومَ إلا الـقَــصَع
كـــذاكَ الحـــميــرُ إذا أخصَبَتْ ... تُنَهِّقُ مِن رِيِّهــــا والـــشبَع

فهرعت لزيارة قبره النساء والرجال بالنذور والشموع ، وأنواع المأكولات ، وصار ذلك المسجد مجمعا وموعدا ، فلما حضر الفرنساوية إلى مصر تشاغل عنه الناس ، وأهمـل شأنه فـى جملة المهملات ، وتـرك مع المتروكات ، فلمـا فُتح أمر الموالد والجمعيات ، ورخص الفرنساوية ذلك للناس لما رأوا فيه من الخروج عن الشرائع ، واجتماع النساء ، واتباع الشهوات والتلاهى وفعل المحرمات ، أعيد هـذا المولد مع جملة ما أعيد .

واستهل شهر جمادى الأولى بيوم الجمعة سنة ١٢١٤ (١)

فيه(٢) ، اهتم الفرنسيس بعمـل عيدهم المعتـاد ، وهو عند الاعتدال الخريفى ، وانتقال الشمس لبرج الميزان ، فنادوا بفتح الأسواق والدكاكين ، ووقود القناديل ، وشددوا فى ذلك ، وعملوا عزائم وولائم وأطعمة ثلاثة أيام آخرها يوم الإثنين (٣) ، ولم يعملوه على هيئة العام الماضى من الاجتماع بالأزبكية عند الصارى العظيم المنتصب ، والكيفية المذكورة ؛ لأن ذلك الصارى سقط وامتلأت البركة بالماء ، فلما كان يوم الأحد (٤) نبهوا على الأمراء والأعيان بالبكور إلى بيت سارى عسكر ،

---

(١) جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٧٩٩ م .
(٢) ١ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر ١٧٩٩ م .
(٣) ٤ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٤ أكتوبر ١٧٩٩ م .
(٤) ٣ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٣ أكتوبر ١٧٩٩ م .

فاجتمع الجميع فى صبح يوم الإثنين [1] ، فركب سارى عسكر معهم فى موكب كبير ، وذهبوا إلى قصر العينى ، فمكثوا هناك حصة ، وعرضت عليهم العساكر جميعها على اختلاف أنواعها من خيالة ورجالة وهم بأسلحتهم وزينتهم ، ولعبوا لعبهم فى ميدان الحرب ، وخلع سارى عسكر على الشيخ الشرقاوى ، والقاضى وأغاة الينكجرية خلع سمور ، ثم رجعوا إلى منازلهم ثم نودى فى جميع الأسواق بوقود أربع قناديل على كل دكان فى تلك الليلة ، ومن لم يفعل ذلك عوقب ، ثم عملوا بالأزبكية حراقة نفوط ومدافع وسواريخ ، ولعبوا فى المراكب طول ليلتهم .

وفى سابعه [2] ، بعد عيد الصليب ، نقص ماء النيل ، وكان من أول زيادته قاصرا عن العادة وزيادته شحيحة ، فضج الناس وانكبوا على شراء الغلة ، وازدحموا فى الرقع والسواحل ، وطلب باعة الغلة الزيادة فى السعر ، فجمع الفرنساوية كل من كان له مدخل فى تجارة الغلال وزجروهم وخوّفوهم ، وقالوا لهم « هذه الغلة الموجودة الآن إنما هى زراعة العام الماضى ، وأما هذا العام ، فلا تخرج زراعته إلا فى العام المستقبل » ، فانزجروا وباعوا بالسعر الحاضر ، وقد كاد يقع الغلاء العظيم ، لولا ألطاف الله حفت ونعمه العميمة الشاملة حصلت .

وفيه[3] ، أرسلوا جملة عساكر من الفرنساوية إلى مراد بيك بناحية الفيوم [4] ، وعليهم كبير فوقع بينهم وبينه أمور لم أتحقق تفصيلها ، وترددت بينه وبين سارى عسكر الرسل والمراسلات ، ووقع بينه وبينهم الهدنة والمهاداة ، واصطلح معهم على شروط منها : تقليده إمارة الصعيد تحت حكمهم ، وفى هذا الشهر [5] كثرت الإشاعة باجتماع عساكر عثمانية جهة الشام ، فكثر اهتمام الفرنساوية بإخراج الجبخانات والمدافع وآلات الحرب والقومانية والعساكر ، وتحصين الصالحية والقرين وبلبيس[6] .

---

(١) ٤ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٤ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٢) ٧ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٣) ٧ جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ٧ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٤) الفيوم : مدينة قديمة ، ورد اسمها فى المصادر القديمة ، وهى قاعدة محافظة الفيوم . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ٩٦ . .

(٥) جمادى الأولى ١٢١٤ هـ / ١ أكتوبر - ٣٠ أكتوبر ١٧٩٩ م .

(٦) بلبيس : انظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (١) .

واستهل شهر رجب بيوم الجمعة سنة ١٢١٤ [1]

وفيه[2] ، كثرت الأقوال وتواترت الأخبار بوصول الوزير الأعظم يوسف باشا إلى الديار الشامية ، وصحبته نصوح باشا ، وعثمان أغا كتخدا الدولة ، وحسين أغا نزله أمين، ومصطفى أفندى الدفتردار ، وباقى رجال الدولة، وعسفوا فى البلاد الشامية ، وضربوا عليهم الضرائب العظيمة ، وجبوا الأموال ، وفعلوا مالا خير فيه من الظلم وقتل الأنفس بسبب استخلاص الأموال ، فلما كان فى منتصفه [3] ، وردت الأخبار بوصولهم إلى غزة ، والعريش ، وأنهم حاصروا قلعة العريش ، وقاتلوا من بها من عسكر الفرنساوية حتى ملكوها فى تاسع عشره[4] ، واحتووا على ما كان فيها من الذخيرة والجبخانه وآلات الحرب ، وصعد مصطفى باشا الذى باشر أخذ القلعة، مع جملة من العسكر ، وبعض الأجناد المصرية ، وضربت النوبة ، وحصل لهم الفرح العظيم ، فاتفق أنه وقعت نار على مكان الجبخانة والبارود المخزون بالقلعة ، وكان شيئًا كثيرًا فاشتعلت وطارت القلعة بمن فيها ، واحترقوا وماتوا وفيهم الباشا المذكور ومن معهم ، ومحمد أغا أرنؤد الجلفى وغيره من المصرلية ، ومات كثير ممن كان خارجا عنها وبقربها مما نزل عليهم من النار والأحجار المتطايرة فى أسرع وقت ، ولما تحقق الفرنساوية أخذ العريش ، وأن عساكر العثمانيين زاحفة إلى جهة الصالحية ، تهيأ سارى عسكر الفرنساوية ، واستعد للخروج والسفر فى أسرع وقت ، وخرج بعساكره وجنوده إلى الصالحية ، وقد كان قبل أخذ العثمانيين قلعة العريش أرسل الفرنساوية إلى سيدنى كبير الإنكليز مراسلات ، ليتوسط بينهم وبين العثمانيين ، ثم ورد فرمان من حضرة الوزير قبل وصوله لجهة العريش ، خطابا إلى جمهور الفرنساوية باستدعاء رجلين من رؤسائهم وعقلائهم ، ليتشاور معهم ويتفق معهم على أمر يكون فيه المصلحة للفريقين ، على ما سيشترطونه بينهم ، فوجهوا إليه من طرفهم بوسليك رئيس الكتاب ، وديزه سارى عسكر الصعيد ، فنزلوا فى البحر على دمياط ، وطالت مدة غيابهم وبعث كلهبر سارى عسكر رسلا من طرفه لاستفسار الأخبار .

---

(١) رجب ١٢١٤ هـ / ٢٩ نوفمبر - ٢٨ ديسمبر ١٧٩٩ م .

(٢) ١ رجب ١٢١٤ هـ / ٢٩ نوفمبر ١٧٩٩ م .

(٣) ١٥ رجب ١٢١٤ هـ / ١٣ ديسمبر ١٧٩٩ م

(٤) ١٩ رجب ١٢١٤ هـ / ١٧ ديسمبر ١٧٩٩ م .

واستهل شهر شعبان المعظم سنة ١٢١٤ [1]

فورد الخبر بقدومهما فى اثنين وعشرين [2] ، فيه إلى الصالحية ، فأرسلوا لهما الخيول وما يحتاجان إليه ، وحضرا إلى مصر ، وشاع أمر الصلح ، وحضر من طرف العثمانيين رئيس الكتاب ، والدفتردار ، لتقرير الصلح ، وجنح كل من الفريقين إلى ذلك لما فيه من كف الحرب وحقن الدماء ، وأظهر الفرنساوية الخداع والخضوع حتى تمّ عقد الصلح ، على اثنين وعشرين شرطا ، رُسِمت وطبعت فى طومار كبير ، وورد الخبر بذلك إلى مصر ، وفرح الناس بذلك فرحا شديداً ، وأرسل سارى عسكر الفرنساوية مكاتبة بصورة الحال إلى دوجا قائمقام ، فجمع أهل الديوان ، وقرأ عليهم ذلك ، ولما ورد ذلك الطومار المتضمن لعقد الصلح والشروط وَعَرَّبوه وطبعوا منه نسخا كثيرة ، فرقوا منها على الأعيان ، وألصقوا منها بالأسواق والشوارع .

وصورته بما فيه من الفصول والشروط بالحرف الواحد ، ما عدا ترجمة الأسطر التى باللغة الفرنساوية : « وهذه صورة الشروط الواقعة لخلو مصر ما بين حضرة الجنرال ديزه متفرقة ، وحضرة بسليغ مدبر الحدود العام ، نواب سرى العسكر العام كلهبر المفوّضين بكامل السلطان ، وجناب سامى المقام مصطفى رشيد أفندى دفتردار ، ومصطفى راسيسه أفندى رئيس كتاب الوكلاء ، المفوضين بكامل السلطان عن جناب حضرة الوزير سامى المقام ، أن للجيش الفرنساوى بمصر عندما قصد أن يوضح ما فى نفسه من وفور الشوق لحقن الدماء ، ويرى نهاية الخصام المضر الذى قد حصل ما بين المشيخة الفرنساوية ، والباب العالى ، فقد ارتضى أن يسلم بخلو الإقليم المصرى بحسب هذه الشروط الآتى ذكرها ، يأمل أنَّ بهذا التسليم يمكن أن يتجه ذلك إلى الصلح العام فى بلاد المغرب قاطبة .

الشرط الأوّل : أن الجيش الفرنساوى يلزمه أن يتنحى بالأسلحة والعزال بالأمتعة إلى الإسكندرية ورشيد وأبو قير ، لأجل أن يتوجه وينتقل بالمراكب إلى فرنسا إن كان ذلك فى مراكبهم الخاص بهم ، أم فى تلك التى يقتضى للباب العالى أن يقدمها لهم بقدر الكفاية ، ولأجل تجهيز المراكب المذكورة بأقرب نوال ، فقد وقع الاتفاق من بعد مضى شهر واحد من تقرير هذه الشروط ، يتوجه إلى قلعة إسكندرية نائب من قبل الباب العالى ، وصحبته خمسون نفرا .

---

(١) شعبان ١٢١٤ هـ / ٢٩ ديسمبر ١٧٩٩ - ٢٦ يناير ١٨٠٠ م .

(٢) ٢٢ شعبان ١٢١٤ هـ / ١٩ يناير ١٨٠٠ م .

الشـــرط الثانـــى : فلابد عن المهلة وتوقيـف الحرب بمدة ثلاثـة أشهر بالإقـليم المصـرى ، وذلك من عهـد إمضاء شروط الاتـفاق هذه ، وإذا صادف الأمـر أن هذه المهلة تمضـى قبل أن المراكب الواجب تجهيـزها من قبل الباب العالـى تحضر جاهزة ، فالمهلـة المذكورة يقتضى مطـاولتها إلى أن ينجز الـرحيل على التمام والـكمال ، ومن الواضح أنه لابد عن إصراف الـوسايط الممكنة من قبل الفريقـين ، لكى لايحصل ما يمكن وقوعه من التجسس ، إن كان ذلـك من الجيش ، أم من أهل البلاد ، إذ كانت هذه المهلة قد حصل الاتفاق بها ، لأجل راحتهم .

الشرط الثالث : فرحيل الجيش الفرنساوى ، يـقتضى تدبيره بيد الوكلاء القادمين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ، وسرى العسكر كلهبر ، وإذا حصل خصام ما بين الوكلاء المذكورين بوقت الـرحيل فى هذا الصدد ، فلينتخب من قـبل حضرة سيدنى سميث [1] رجل لـينهى المخـاصمات المذكـورة ، بحسـب قـواعد السيـاسة البحـرية السالكون عليها ببلاد الانكليز .

الشرط الرابع : قطية[2] والصالحية لابد عن خلوّهما عن الجيش الفرنساوى ، فى ثامن يوم ، وأعظم مـا يكون فى عاشر يوم من إمضاء شروط الاتـفاق هذه ، ومدينة المنصورة [3] ، يكون خلوّهـا من بعد خمسة عشر يـوما ، وأما دمياط [4] وبلبيس من بعد عـشرين يوما ، وأما الـسويس فيكـون خلوّه ستة أيـام قبل مدينة مـصر ، وأما المحلات الكائنة فى الجهـة الشرقية من بحر النيل ، فيكون خلـوّها فى اليوم العاشر ، والدلطا[5] ، أى الأقاليم البحرية يكون خلوّها خمـسة عشر يوما من بعد خلوّ مصر ، والجهة الغربية وما يتـعلق بها تستمر بيد الفرنسيس إلى حد خـلوّ مدينة مصر ، ولكن من حيث إنها لابد أن تستمر بيد الفرنـساوية إلى أن يكون انحدار العسكر من جهات الصعيد ، فـجهة الغربية وتعلـقاتها كما ذكر فمـمكن أنه لايتيسر خلـوّها إلا من بعد انقضاء وقت المهلة المعين ، إذا لم يمكن خلوّها قبل هذا الميعاد ، والمحلات التى تترك من الجيش فتسلم إلى الباب الأعلى كما هى فى حالها الآن .

---

(١) سدنى سميث : Sir Sidney Smith ، كان خبيرا إنجليزيا بالشئون العثمـانية ، اختير ليعمل بأسطوله على التعاون مع الأساطيل الروسية والعثمانية للدفاع عن الدولة العثمانية .

(٢) قطيـــة : انظر ، ص ٢٣ ، حاشية رقم (٣) .

(٣) المنصورة : انظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٢) .

(٤) دميــاط : انظر ، ص ١١ ، حاشية رقم (١) .

(٥) الدلطا : تعنى الدلتا أو الوجه البحرى .

الشرط الخامس : ثم إن مدينة مصر إنْ أمكن ذلك يكون خلوّها بعد أربعين يوما ، وأكثر ما يكون بمدة خمسة وأربعين يوما من وقت إمضاء الشروط المذكورة .

الشرط السادس : إنه لقد وقع الاتفاق صريحا على أن الباب الأعلى ، يصرف كل اعتناه فى أنّ الجيش الفرنساوى الموجود فى الجهة الغربية من بحر النيل عندما يقصد التنحى بكامل ماله من السلاح والعزال لنحو معسكرهم ، لاتصير عليه مشقة ، ولا أحد يشوش عليه ، إن كان ذلك مما يتعلق بشخص كل واحد منهم ، أو بأمتعته أو بكرامته ، وذلك إما من أهالى البلاد ، وإما من جهة العسكر السلطانى العثملى .

الشرط السابع : وحفظا لإتمام الشرط المذكور أعلاه ، وملاحظة لمنع ما يمكن وقوعه من الخصام والمعاداة ، فلابد عن استعمال الوسايط فى أنّ عسكر الإسلام ، يكون دائمًا متباعدًا عن العسكر الفرنساوى .

الشرط الثامن : فمن تقرير وإمضاء هذه الشروط ، فكل من كان من الإسلام أم من باقى الطوائف من رعايا الباب الأعلى بدون تميز الأشخاص أولئك الواقع عليها الضبط ، أم الذين واقع عليهم الترسيم ببلاد فرنسا ، أو تحت إمر الفرنساوية بمصر ، يعطى لهم الإطلاق والتعلق ، وبمثل ذلك فكل الفرنساوية المسجونين فى كامل البلدان والأساكل[1] من مملكة العثملى ، وكذلك كامل الأشخاص من أيما طائفة كانت أولئك الذين كانوا فى تعلق خدمة المراسلات والقناصل الفرنساوية لابد عن انعتاقهم .

الشرط التاسع : فترجيع الأموال والأملاك المتعلقة بسكان البلاد والرعايا من الفريقين ، أم دفع مبالغ أثمانها لأصحابها فيكون الشروع به حالا من بعد خلو مصر ، والتدبير فى ذلك يكون بيد الوكلاء فى إسلامبول المقامين بوجه خاص من الفريقين لهذا المقصد .

الشرط العاشر : فلا يحصل التشويش لأحد من سكان الإقليم المصرى من أى ملة كانت ، وذلك لا فى أشخاصهم ولا فى أموالهم ، نظرًا إلى ما يمكن أن يكون قد حصل من الإتحاد ما بينهم وبين الفرنساوية من إقامتهم بأرض مصر .

الشرط الحادى عشر : ولابد أن يعطى للجيش الفرنساوى إن كان من قبل الباب الأعلى أو من قبل المملكتين المرتبطين معه، أعنى بهما مملكة إنكليزة ومملكة الموسكوب

---

(١) الأساكل : الموانئ .

فرمانات الإذن ، وأوراق المحافظة بالطريق وبمثل ذلك السفن اللازمة لرجوع الجيش المذكور ، بالأمن والأمان إلى بلاد فرانسا .

الشرط الثاني عشر : وعند نزول الجيش الفرنساوى المذكور الكائن بمصر الآن، فالباب الأعلى وباقى الممالك المتحدة[1] معه يعاهدون بأجمعهم ، أنهم من وقت يتزلون بالمراكب إلى حين وصولهم إلى أراضى فرانسا ، لايحصل عليهم شيء قط مما يكدرهم ، وبنظير ذلك فحضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، يعاهد من قبله وصحبته الجيش الفرنساوى الكائن بمصر ، بأنه لايصدر منهم مما يئول إلى المعاداة على الإطلاق ما دامت المدة المذكورة ، وذلك لا ضد العمارة ، ولا ضد بلدة من بلدان الباب الأعلى ، وباقى الممالك المرتبطة معه ، وكذلك إن السفن التى يسافر بها الجيش المشار إليه ، ليس لها أن ترى فى حد من الحدود إلا بتلك التى يختص بأراضى فرانسا ، ما لم يكن ذلك فى حادث ما ضرورى .

الشرط الثالث عشر : ونتيجة ما قد وقع الاتفاق عليه من الإمهال المشترط أعلاه ، بما يلاحظ خلو الإقليم المصرى ، فالجهات الواقع بينهم هذا الاشتراط ، قد اتفقوا على أنه إذا حضر فى حد هذه المدة المذكورة ، مركب من بلاد فرانسا بدون معرفة غلايين الممالك المتحدة ، ودخل بمينا إسكندرية فلازم على سفره حالا ، وذلك من بعد أن يكون قد تحوج بالماء والزاد اللازم ، ويرجع إلى فرانسا وذلك بسندات أوراق الإذن من قبل الممالك المتحدة ، وإذا صادف الأمر أن مركبا من هذه المراكب يحتاج إلى الترقيع[2] فهذه لا غير ، يباح لها الإقامة إلى أن ينتهى إصلاحها المذكور ، وفى الحال من ثم تتوجه إلى بلاد فرانسا نظير التى قد تقدم القول عنها عند أول ريح يوافقها .

الشرط الرابع عشر : وقد يستطيع حضرة الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، أن يرسل خبرا إلى أرباب الأحكام الفرنساوية فى الحال ، ومن يصحب هذا الخبر لابد أن تعطى له أوراق الإذن بالإطلاق كما يقتضى ، ليسهل بهذه الواسطة وصول الخبر إلى أصحاب الحكم بفرانسا .

الشرط الخامس عشر : وإذ قد اتضح أن الجيش الفرنساوى يحتاج إلى المعاش اليومى ، ما دامت الثلاثة أشهر المعينة لخلو الإقليم المصرى ، وكذلك لمعاش الثلاثة

---

(١) الممالك المتحدة : أي الدول المتحالفة مع الدولة العثمانية .

(٢) الترقيع : أى الترميم .

الأشهر الأخرى التى يكون مبتداها من يوم نـزولهم بالمراكب ، فقد وقع الاتفاق على أنه يقدم له مقدار ما يلزمه من القمـح واللحم والأرز والشعير والتبن ، وذلك بموجب القائـمة التى تقدمـت الآن من وكلاء الجمهور الـفرنساوى ، إن كان ذلك ممـا يخص إقامتهم أو ما يلاحـظ سفرهـم ، والذى يكـون قد أخذه الجيش المذكور مقدار ما كان من شؤونه ، وذلك من بعـد إمضاء هذه الشروط ، فينخصم مما قد لـزم ذاته بتقدمته الباب الأعلى .

الشرط السادس عشر : إن الجيش الفرنساوى منذ ابتدأ وقوع إمضاء هذه الشروط المذكورة ، ليس له أن يفرد على البلاد فردة ما من الفرائد قطعا بالإقليم المصرى ، لا بل وبالعكس فإنه يخلى للباب الأعلى كـامل فرد المال وغيره مما يمكن توجيه قبضه ، وذلك إلى حين سفرهـم ، وبمثل ذلك الجمال والهجن والجبخانـة والمدافع وغير ذلك مما يتعلق بهم ، ولايريدون أن يحملوه مـعهم ، ونظير ذلك شون الغلال الواردة لهم من تحـت المال ، وأخيـرا مخـازن الخرج [1] فهذه كـلها لابد عـن الفحص عـنها ، وتسعيرهـا من أناس وكلاء موجهين من قـبل الباب الأعلى لهذه الـغاية ، ومن أمين البحر الإنكليزى ، وبرفقة الوكلاء المتصرفين بأمر الجنرال كلهبر سرى العسكر ، وهذه الأمتعة لابد عن قبولها من وكلاء الباب الأعلى المتقدم ذكرهم ، بموجب ما وقع عليه السعر إلى حد قدر مبلغ ثلاثة آلاف كيس التـى تقتضى للجيش الفرنساوى المذكور ، لسـهـولة انتقـاله عاجلا ، ونـزوله بالمراكـب ، وإذا كانت الأسعـار فى هذه الأمتـعة المذكورة لاتـوازى المبلغ المرقوم أعـلاه ، فالخسيس والـنقص فى ذلك لابد عـن دفعه بالتـمام من قبل الـباب الأعلى علـى جهة السلـفة ، تلك التـى يلزم بوفائـها أرباب الأحكام الفرنساوية بـأوراق التمسكات المدفوعة من الوكلاء المعينـين من الجنرال كلهبر سرى العسكر العام ، لقبض واستلام المبلغ المذكور .

الشرط السابع عشر : ثم إنه إذا كانت تقتضى للجيش الفرنساوى بعض مصاريف لخلوهم مـصر ، فلابد أن يقبض ، وذلك مـن بعد تقرير تمسك الـشروط المذكورة ، القدر المحدد أعلاه بـالوجه الآتى ذكره ، أعنى فمـن بعد مضى خمسة عـشر يوما ، خمسمائة كيـس ، وفى غلاق الثلاثين يوما خمسمائة كيـس أخرى ، وبتمام الأربعين يوما ، ثلثمائة كيس أخرى ، وعند تمام الخمـسين يوما ، ثلثمائة كيس شرحه ، وعند غلاق الستين يوما ، ثلثمائة كيس أخرى ، وفى السبعين يوما ، ثلثمائة كيس أخرى ،

(١) مخازن الخرج : أى مخازن الغلال المختلفة والتى كان يرسل منها جزء لأهالى الحرمين ، وغير ذلك من أوجه إخراج هذه الغلال .

وعند تمام الثمانين يوما ، ثلثمائة كيس أخرى ، وعند غلاق التسعين يوما ، خمسمائة كيس أخرى ، وكل هذه الأكياس المذكورة : هى عن كل كيس خمسمائة غرش عثملى ، ويكون قبضها على سبيل السلفة من يد الوكلاء المعينين لهذه الغاية من قبل الباب الأعلى ، ولكى يسهل إجراء العمل بما وقع الاعتماد عليه ، فالباب الأعلى من بعد وضع الإمضاء على النسختين من الفريقين ، يوجه حالا الوكلاء إلى مدينة مصر وإلى بقية البلاد المستمر بها الجيش .

الشرط الثامن عشر : ثم إن فرد المال الذى يكون قد قبضه الفرنساوية من بعد تاريخ تحرير الشروط المذكورة ، وقبل أن يكون قد اشتهر هذا الاتفاق فى الجهات المختلفة بالإقليم المصرى ، فقد تخصم من قدر مبلغ الثلاثة آلاف كيس المتقدم القول عنها .

الشرط التاسع عشر : ثم إنه لكى يسهل خلو المحلات سريعا ، فالنزول فى المراكب الفرنساوية المختصة بالحمولة ، والموجودة فى البر بالإقليم المصرى ، مباح به ما دامت مدّة الثلاثة أشهر المذكورة المعينة للمهلة ، وذلك فى دمياط ورشيد حتى إلى الإسكندرية ، ومن إسكندرية حتى إلى رشيد ودمياط .

الشرط العشرون : فمن حيث إنه للطمان الكلى فى جهات البلاد الغربية ، يقتضى الاحتراس الكلى لمنع الوبا الطاعونى عن أنه يتصل هناك ، فلا يباح ولا لشخص من المرضى ، أو من أولئك الذين مشكوك بهم برائحة من هذا الداء الطاعونى أن ينزل بالمراكب ، بل إن المرضى بعلة الطاعون أو بعلة أخرى ، أينما كانت تلك التى بسببها لا يقتضى أن يسمح بسفرهم بمدة خلو الإقليم المصرى الواقع عليها الاتفاق ، يستمرون فى بيمارستان المرضى ، حيث هم الآن تحت أمان جناب الوزير الأعظم عالى الشأن ، ويعالجونهم الأطباء من الفرنساوية أولئك الذين يجاورونهم بالقرب منهم إلى أن يتم شفاهم ، يسمح لهم بالرحيل الشىء الذى لابد عن اقتضاء الاستعجال به بأسرع ما يمكن ، ويحصل لهم ويُبدوا نحوهم ما ذكر فى الشرطين الحادى عشر والثانى عشر من هذا الاتفاق ، نظير ما يجرى على باقى الجيش، ثم إن أمير الجيش الفرنساوى ، يبذل جهده فى إبراز الأوامر الأشد صرامة لرؤساء العساكر النازلة بالمراكب ، بأن لايسمحوا لهم بالنزول بمينا خلاف المين التى تتعين لهم من رؤساء الأطباء ، تلك المين التى يتيسر لهم بها أن يقضوا أيام الكارنتينة، بأوفر السهولة من حيث إنها من مجرى العادة ولابد عنها .

الشـرط الحـادى والعـشـرون : فكـل ما يمكن حـدوثه من المشـاكل التى تـكون مجـهولة ، ولم يمـكن الاطلاع علـيها فى هـذه الشروط ، فلابـد عن نجازها بـوجه الاستحباب مـا بين الوكلاء المعينين لهذا الـقصد من قبل الجناب الوزيـر الأعظم عالى الشأن ، وحضرة الجنرال كـلهبر سرى العسكر العام ، بوجه يـسهل ويحصل الإسراع بالخلو .

الشـرط الثانى والـعشرون : وهـذه الشروط لاتعـد صحيـحة إلا من بعـد إقرار الفريقين ، وتـبديل النسخ ، وذلك بمدة ثـمانية أيام ، ومن بعد حـصول هذا الإقرار لابد عن حـفظ هذه الشروط الحفـظ اليقين من الـفريقين كلـيهما صح وثبـت وتقرر بختوماتنا الخاصة بـنا بالمعسكر ، حيث وقعت المداولة بحد العريش فى شهر بلويوز سنة ثمان من إقامة المـشيخة الفرنساوية ، وفى رابع عشرين شهـر كانون الثانى عربى من سنة ألف وثمانمائة ، الواقع فى ثامن عشريـن شهر شعبان هلالية سنة أربعة عشر ومائتين وألف هجرية[1] ، الممضـيين ، الجنرال مـتفرقة دزه البـلدى ، بوسيـهلغ ، المفوضين بكامل سلـطاته الجنرال كلهبر ، وجناب سامى مقـام رشيد أفندى دفتردار ، ومصطـفى راسيسه أفنـدى رئيس الكتـاب ، المفوضين بكـامل سلطان جنـاب الوزير الأعظم عالى الشأن ، منقـولة عن النسخة الأصلية الموافقة لتلك المـوجهة بالفرنساوية إلى الوكلاء الـعثملى ، بدلا مـن التى قد وجهوها بـاللغة التركـية ، ممضى ، دزه ، وبوسيهلغ ، تـقرير الجنرال سرى العـسكر الـعام ، محرر فى آخر السنة التـركية التى بقيت محفوظة بيد الوزير الأعظم ، إننى أنا الواضع اسمى أدناه الجنرال سرى العسكر العام أمير الجـيش الفرنساوى بالإقلـيم المصرى ، أثبت وأقرر شروط الاتـفاق المذكور أعلاه ، للحصول على إجرائه بالعمـل بالنوع والصورة ، إن كان من اللازم أن أتيقن بأن الاثـنين وعشريـن شرطا المشـروحة إلى الآن هى مـوافقة عـلى التدقـيق باللـغة الفرنسـاوية الممضى علـيها من الوكلاء أصـحاب ولاية الوزير الأعظـم ، والمقررة من جناب عالى الشأن الترجمة التى لابد عـن الاعتماد بإجرائها كل مرة إن كان لسبب أم لآخر ، يمكـن حصول بعـض الاختلافات ، ومن ثـم فتقلـد بعض المشـاكل ، صح وجـرى بمـحل العسكـر العام بالصالحيـة ، فى ثامن شهر بـلـويوز سـنـة ثمان من المشيخة ، ممضى كلـهبر عن نسخة صحيحة الجنرال متـفرقة ، رأس صاحب ختام فى الجيش الفرنساوى ، ممضى داماس[2] » ، انتهى بحروفه وما فيه من خطأ أو تحريـف ،

(1) ٢٨ شعبان ١٢١٤ هـ / ٢٥ يناير ١٨٠٠م .

(2) داماس : Damas عينه كليبر أركان حرب جيش الحملة .

فهو طبق الأصل المطبوع بالمطبعة الفرنساوية باللغة العربية ، ولم أغير منه سوى ما فى تواريخ الأشهر والسنين بالأرقام الهندية ، والله أعلم .

استهل شهر رمضان المعظم بيوم الأحد سنة ١٢١٤ (١)

فى ثانيه (٢) حضر سارى عسكر الفرنساوية كلهبر إلى ناحية العادلية (٣) ، وصحبته أغا من رجال الدولة العثمانية ، يسمى محمد أغا ، فأرسل سارى عسكر إلى حسن أغا بخاتى المحتسب ، يأمره بأن يتلقاه وينزله فى بيته ويكرمه إكراما زائدا ، فلما كان بعد العشاء دخل ذلك الأغا إلى مصر في موكب ، فحصل للناس ضجة عظيمة ، وازدحموا على مشاهدتهم له والفرجة عليه ، وارتفعت أصواتهم ، وعلا ضجيجهم وركبوا على مصاطب الدكاكين والسقائف ، وانطلقت النساء بالزغاريت من الطيقان ، واختلفت آراؤهم فى ذلك القادم ، ولم يعلموا ما هو ، فدخل من باب النصر، وشق القاهرة ، ولم يزل سائرا حتى وصل إلى بيت حسن أغا بسويقة اللالا ، فنزل هناك ، فلما استقر به الجلوس ، ازدحم الناس والأعيان للسلام عليه ولمشاهدته بالمشاعل والفوانيس ، فلما كان صبح تلك الليلة عمل ديوانا ، وجمع العلماء والوجاقلية وأعيان الناس وكبار النصارى من الأقباط والشوام ، فلما تكاملوا أبرز لهم فرمانا من الوزير ، فقرئ عليهم بالمجلس ، فدل مضمونه : « على أنه أغات الجمارك أى المكوس بمصر وبولاق ومصر القديمة ، وفيه التحكير على جميع الواردات من أصناف الأقوات ، فيشتريها بالثمن الذى يسعره هو بمعرفة المحتسب ويودعه فى المخازن » ، وأبرز فرمانا آخر قرئ بالمجلس ، مضمونه : « أنَّ الوزير أقام مصطفى باشا الذى كان أسر بأبى قير وكيلا عنه ، وقائمقام بمصر إلى حين حضوره ، وأن السيد أحمد المحروقى كبير التجار ملزوم ومقيد بتحصيل الثلاثة آلاف كيس المعينة لترحيل الفرنساوية » ، وانفض المجلس على ذلك ، وأخذ السيد أحمد المحروقى فى تحصيل ذلك القدر من الناس ، وفرضوه على التجار وأهل الأسواق والحرف ، وشرعوا فى تحكير الأقوات ، فغلت أسعارها وضاقت مؤن الناس ، ودهى الناس من أوّل أحكامهم بهاتين الداهيتين ، وكان أوّل قادم منهم أمير المكوسات ومحكر الأقوات ، وأوّل مطلوبهم مصادرة الناس ، وأخذ المال منهم وتغريمهم ، واجتهد

---

(١) رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٧ يناير - ٢٥ فبراير ١٨٠٠ م .

(٢) ٣ رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٨ يناير ١٨٠٠ م .

(٣) العادلية : انظر ، ص ١٣٣ ، حاشية رقم (١) .

السيد أحمد المحروقى فى توزيع ذلك وجمعه فى أيام قليلة ، فكان كل من توجه عليه مقدار من ذلك اجتهد فى تحصيله ، وأخرجه عن طيب قلب وانشراح خاطر ، وبادر بالدفع من غير تأخير لعلمه أن ذلك لترحيل الفرنساوية ، ويقول سنة مباركة ويوم سعيد بذهاب الكلاب الكفرة ، كل ذلك بمشاهدة الفرنسيس ومسمعهم ، وهم يحقدون ذلك عليهم ، وحضر مصطفى باشا من الجيزة وسكن ببيت عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين[1] ، وأرسل الوزير فرمانات إلى البلاد ، وعين المعينين والمباشرين بطلب المال والغلال والكلف من الأقاليم ، وأرسل إلى البنادر ، وجعل فى كل بندر أميرا ووكيلا لجمع الغلال والمطلوبات من الذخيرة وجمعها بالحواصل، ولايخفى ما يحصل فى ضمن ذلك من الجزئيات التى سيتضح بعضها فيما بعد ، وأما الرعايا وهمج الناس من أهل مصر ، فإنهم استولى عليهم سلطان الغفلة ، ونظروا للفرنسيس بعين الاحتقار ، وأنزلوهم عن درجة الاعتبار ، وكشفوا نقاب الحياء معهم بالكلية، وتطاولوا عليهم بالسب واللعن والسخرية ، ولم يفكروا فى عواقب الأمور ، ولم يتركوا معهم للصلح مكانا ، حتى أن فقهاء المكاتب كانوا يجمعون الأطفال ويمشون فرقا وطوائف حسبة ، وهم يجهرون ويقولون كلاما مقفى بأعلى أصواتهم ، بلعن النصارى وأعوانهم ، وأفراد رؤسائهم كقولهم : « الله ينصر السلطان ، ويهلك فرط الرمان » ، ونحو ذلك ، وظنوا فروغ القضية ، ولم يملكوا لأنفسهم صبرا حتى تنقضى الأيام المشروطة ، على أنَّ ذلك لم يثمر إلا الحقد والعداوة التى تأسست فى قلوب الفرنسيس ، وأوجبت ما حصل بعد ذلك من وقوع العذاب البئيس ، كقول القائل :

أمورٌ تضحَكُ السُّفَهَاءُ منْها ... ويبْكى عندها الحبْرُ اللَّبِيبُ

وأيضًا :

وكمْ ذا بمصرَ من المضْحِكاتِ ... ولكِنهُ ضَحِكٌ كالبُكَا

وقد قيل : « قاتل بجد وإلا فدع » ، وقال الشعبى من جملة كلام ، « وصادفنا فتنةٌ لم نكن فيها بَرَرَةً أتقياء ، ولا فَجَرةً أقوياء » ، وأخذ الفرنساوية فى أهبة الرحيل ، وشرعوا فى مبيع أمتعتهم ، وما فضل عن سلاحهم ودوابهم ، وسلموا غالب الثغور والقلاع كالصالحية وبلبيس ودمياط والسويس .

---

(١) حارة عابدين : انظر ، جـ ٢ ، ص ٨ ، حاشية رقم (٨) .

ثم إن العثمانيين تدرجوا في دخول مصر ، وصار في كل يوم يدخل منهم جماعة بعد جماعة ، وأخذوا يشاركون الناس في صناعاتهم وحرفهم ، مثل القهوجية ، والحمامية ، والخياطين ، والمزينين وغيرهم ، فاجتمع العامة وأصحاب الحرف إلى مصطفى باشا قائمقام ، وشكوا إليه ، فلم يلتفت لشكواهم ، لأن ذلك من سنن عساكرهم وطرائقهم القبيحة .

وورد الخبر ، بوصول حضرة الوزير إلى بلبيس ، وصحبته الأمراء المصرية ، وأرسلوا إلى مراد بيك ومن معه بالحضور إلى العرضى ، فأجاب بالاعتذار عن الحضور لأنه في الصعيد ، فلم يقبلوا عذره ، فأكدوا عليه بالحضور ، فاستأذن الفرنساوية سرا ، فأذنوا له في المقابلة ، وكان سفيره في ذلك عثمان بيك البرديسي ، ثم إنه حضر وقابل الوزير بصحبة إبراهيم بيك ، وخلع عليهما ، ورجع مراد بيك فخيم جهة العادلية ، وحضر حسن أغا نزله أمين ، ودخل مصر وأخلى الفرنساوية قلعة الجبل ، وباقي القلاع التي أحدثوها ، ونزلوا منها ، فلم يطلع إليها أحد من العثمانيين ، ولم يلتفتوا لتحصينها ، ولا ربطها بالعساكر والجبخانة ، وأعرضوا عن المحاذرة وركبهم الغرور ، لأجل نفاذ المقدور ، وحضر أيضًا غالب المصريين الفارين من مصر وقت مجئ الفرنساوية إليها من الأغوات والوجاقلية والأفندية والكتبة ، مثل : إبراهيم أفندى الروزنامجى ، وثانى قلفة وغيرهما بنسائهم وأولادهم ، يظنون فروغ القضية ، والذى خافوا منه وقعوا فيه كما ستراه ، وأرسل إبراهيم بيك إلى السيد أحمد المحروقى ، يطلب كساوى وثيابا وطرابيش وسراويل للمماليك ولخاصة نفسه ، فأرسل إليه مطلوبه ، وأخرجت لهم الخيام والتراتيب والنظام ، وهيأت نساء الأمراء والأجناد احتياجاتهم وترتيباتهم ، وجروا على عادتهم في التغالى ، ولازمت الخدم والفراشون الغدو والرواح إلى خيم ساداتهم ، وهم راكبون البغال والرهوانات والحمير الفارهة ، وفى حجورهم تعابى الثياب والبقج المزركشة بالذهب والفضة ، وكذلك الخدم الذين يحملون الخوانات وطبالى الأطبخة والأطعمة وعليها الأغطية الحرير والوشى الملوّن ، وهم يتغنون برفع أصواتهم ، ويتجاوبون بكلام وسخريات ، ولعن للنصارى البلدية والفرنسيس ، بمرآى منهم ومسمع ، إلى غير ذلك مما يحرك الحفائظ ويوغر الصدور، ولما استقر الوزير بمدينة بلبيس، وذلك في الثانى والعشرين من شهر رمضان[1] ، استأذن العلماء والتجار والأعيان المصرية مصطفى باشا في التوجه للسلام ، فاستأذن ، ثم أذن لهم ، فذهبوا أيضًا إلى سارى عسكر كتلهبر

(١) ٢٢ رمضان ١٢١٤ هـ / ١٧ يناير ١٨٠٠ م .

واستأذنوه فأذن لهم أيضًا ، فذهبوا عند ذلك للسلام عليه ، فوصلوا إلى نصوح باشا والى مصر ، وسلموا عليه وباتوا بوطاقه ، فلما وصلوا إليه واستقر بهم الجلوس ، سأل عن أسمائهم وكذلك عن التجار وأكابر النصارى ، ثم خلع عليهم خلعا وانصرفوا من عنده ، فطافوا على أكابر الدولة بالعرضى ، وكذلك على الأمراء المصرية ، ورجعوا إلى مصر ودخلوها وعليهم تلك الخلع ، وصحبتهم قاضى العسكر وهو لابس قبوط أسود ، ووصل نصوح باشا والأمراء إلى جهة الخانكاة[1] ، ثم إلى المطرية.

وفيه[2] ، حضر درويش باشا والى الصعيد إلى خارج القاهرة ، جهة الشيخ قمر فمكث أياما ، ثم توجه إلى قبلى ، وصحبته نحو المائة نفر ، وكذلك ذهبت طائفة إلى السويس ، والى دمياط، والمنصورة ، وانبثوا فى البلاد ، ودخلوا مصر شيئًا فشيئًا .

واستهل شهر شوال سنة ١٢١٤ [3]

فى سابعه[4] وقعت حادثة بين عسكر الفرنساوية والعثمانية ، وهى أوّل الحوادث التى حصلت بينهم ، وهو أن جماعة من عسكر العثمانية تشاجروا مع جماعة من عسكر الفرنساوية ، فقتل بينهم شخص فرنساوى ، ووقعت فى الناس زعجة وكرشة ، وأغلقوا الحوانيت ، وعمل العثمانية متاريس وتترسوا بها بناحية الجمالية ، وما والاها ، واجتمعوا هناك ، ووقع بينهم مناوشة قتل فيها أشخاص قليلة من الفريقين ، وكادت تكون فتنة ، وباتوا ليلتهم عازمين على الحرب ، فتوسطت بينهم كبراء العسكر فى تمهيد ذلك ، وأزالوا المتاريس وانكف الفريقان ، وبحث مصطفى باشا عمن أثار الفتنة ، وهم ستة أنفار فقتلهم ، وأرسلوهم إلى سارى عسكر الفرنساوية ، فلم يطب خاطره بذلك ، وقال : « لابد من خروج عسكرهم إلى عرضيهم حتى تنقضى الأيام المشروطة ، وإذا دخل منهم أحد إلى المدينة لايدخلون إلا بطريقه وبدون سلاح » ، فعند ذلك أمر مصطفى باشا بخروج الداخلين من العساكر ، ولايبقى منهم أحد، ووقف جماعة من الفرنساوية خارج باب النصر ، فإذا

---

(١) الخانكاة : انظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (٤) .

(٢) ٢٢ رمضان ١٢١٤ هـ/ ١٧ يناير ١٨٠٠ م .

(٣) شوال ١٢١٤هـ / ٢٦ فبراير - ٢٦ مارس ١٨٠٠ م

(٤) ٧ شوال ١٢١٤ هـ / ٣ مارس ١٨٠٠ م .

أراد أحد من العسكر أو من أعيان العثمانية الدخول إلى المدينة ، فعند وصوله إليهم ينزل عندهم ، وينزع ما عليه من السلاح ، ويدخل وصحبته شخص أو شخصان موكلان به يمشيان أمامه حتى يقضي شغله ويرجع ، فإذا وصل إلى الفرنساوية الملازمين خارج البلد أعطوه سلاحه فيلبسه ويمضي إلى أصحابه ، فكان هذا شأنهم .

وفي منتصفه [1] ، توجه جماعة من أعيان الفرنساوية إلى الإسكندرية بمتاعهم وأثقالهم ، وفيهم دوجا قائمقام ، وديزه ساري عسكر الصعيد ، وبوسليك رئيس الكتاب ، ومدير الحدود ، ونزل جماعة منهم إلى البحر ، يريدون السفر إلى بلادهم فتعرض لهم الانكليز يريدون معاكستهم ، فأرسلوا إلى ساري عسكر بمصر وعرفوه الحال ، فأرسل بذلك إلى الوزير ، فأجابه بجواب لم يرتضه ، وأصبح زاحفا إلى سطح الخانكاة ، وكان ذلك آخر أيام المهلة المتفق عليها في دخول الوزير إلى مصر ، وخروج الفرنساوية منها ، فلما رأوا ذلك طلبوا ثمانية أيام آجلة زيادة على أيام المهلة ، فأجيبوا إلى ذلك ، ووصل الأمراء المصرية ، وعرضي نصوح باشا وجملة من العساكر العثمانية إلى ناحية المطرية ، ونصبوا خيامهم ووطاقهم هناك ، ثم إن الفرنساوية جعلوا الثمانية أيام المذكورة ظرفا لجمع عساكرهم ، وطوائفهم من البلاد القبلية والبحرية ، ونصبوا وطاقهم بساحل البحر متصلا بأطراف مصر ، ممتدا من مصر القديمة إلى شبرا[2] ، وترددوا إلى نواحي القلاع ، وهي لم يكن بها أحد ، وشرعوا واجتهدوا في رد الجبخانة والذخيرة وآلات الحرب والبارود والجلل والمدافع والبنب على العربات ليلا ونهارا ، والناس يتعجبون من ذلك ، ومصطفى باشا قائمقام ومن معه يشاهدون ذلك ولايقولون شيئًا ، والبعض يقول : « إن الوزير أرسل إليهم ، وأمرهم برد ذلك كما كان » ، ونحو ذلك من الخرافات التي لاتروج على الفطن ، ويقال : « إن الفرنساوية أرسل إليهم بعض أصدقائهم من الإنكليز ، وعرفوهم أن الوزير اتفق مع الإنكليز على الإطاحة بالفرنساوية إذا صاروا بظاهر البحر ، فلما حصل منهم معهم ما سبقت الإشارة إليه تحققوا ذلك ، وأرسلوا ليوسف باشا بذلك ، فلم يجبهم بجواب شاف ، وعجل بالرحيل والقدوم إلى ناحية مصر ، وقد كان الفرنساوية عندما تراسلوا وترددوا جهة المعرضي تفرسوا في عرضي العثمانيين و. ماكرهم وأوضاعهم ، وتحققوا حالهم وعلموا ضعفهم عن مقاومتهم ،

---

(١) ١٥ شوال ١٢١٤ هـ / ١١ مارس ١٨٠٠ م .

(٢) شبرا : هي الآن حي من أحياء القاهرة ، وتعرف باسم « شبرا مصر » ، تمييزا لها عن « شبرا الخيمة » وهي قسم ، تابع لمحافظة القاهرة .

فلما حصل ما ذكر تأهبوا للمقاومة والمحاربة ، وردوا آلاتهم إلى القلاع ، فلما تمموا أمر ذلك ، وحصنوا الجهات وأبقوا من أبقوه وقيدوه بها من عساكرهم ، واستوثقوا من ذلك خرجوا بأجمعهم إلى ظاهر المدينة جهة قبة النصر ، وانتشروا في تلك النواحي ، ولم يبق بداخل المدينة منهم إلا من كان بداخل القلاع ، وأشخاص ببيت الألفي بالأزبكية وبعض بيوت الأزبكية ، وغلب على ظن الناس أنهم برزوا للرحيل .

وفي العشرين منه [1] ، طلبوا مصطفى باشا وحسن أغا نزلة أمين ، فلما حضرا إليهم أرسلوهما للجيزة ، فلما كان اليوم الثالث والعشرين من شوّال[2] ، ركب سارى عسكر كلهبر قبل طلوع الفجر بعساكره وصحبتهم المدافع وآلات الحرب ، وقسم عساكره طوابير ، فمنهم من توجه إلى عرضي الوزير ، ومنهم من مال على جهة المطرية ، فضربوا عليهم ، فلم يسعهم إلا الجلاء والفرار ، وتركوا خيامهم وطاقهم ، وركب نصوح باشا ومن كان معهم ، وطلبوا جهة مصر فتركهم الفرنساوية ، ولحقوا بالذاهبين من إخوانهم إلى جهة العرضي بالخانكاة ، بعد أن نهبوا ما في عرضي ناصف باشا من المتاع والأغنام ، وسمروا أفواه المدافع وتركوها ، وساروا إلى جهة العرضي ، فلما قاربوه أرسلوا إلى الوزير يأمرونه بالرحيل بعد أربع ساعات ، فلم يسعه إلا الارتحال والفرنساوية في أثره ، وغالب عساكره مفرقون ومنتشرون في البلاد والقرى والنواحي لجمع المال ، ومقررات الفرض ، وظلم الفقراء ، وأما أهل مصر فإنهم لما سمعوا صوت المدافع كثر فيهم اللغط والقيل والقال ، ولم يدركوا حقيقة الحال فهاجوا ورمحوا إلى أطارف البلد ، وقتلوا أشخاصا من الفرنساوية صادفوهم خارجين من البلد ليذهبوا إلى أصحابهم ، وذهبت شرذمة من عامة أهل مصر ، فانتهبت الخشب ، وبعض ما وجدوه من نحاس وغيره ، حيث كان عرضي الفرنساوية ، وخرج السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، والسيد أحمد المحروقي ، وانضم إليهما أتراك خان الخليلي والمغاربة الذين بمصر ، وكذلك حسين أغا شنن أخو أيوب بيك الصغير وتبعهم كثير من عامة أهل ابلد ، وتجمعوا على التلول خارج باب النصر ، وبأيدى الكثير منهم النبابيت والعصيّ ، والقليل معهم السلاح ، وكذلك تحزب كثير من طوائف العامة والأوباش والحشرات ، وجعلوا يطوفون بالأزقة وأطارف البلد ، ولهم صياح وضجيج وتجلوب بكلمات يقفّونها من

---

(1) ٢٠ شوال ١٢١٤ هـ / ١٦ مارس ١٨٠٠ م .

(2) ٢٣ شوال ١٢١٤ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٠ م .

اختراعاتهم وخرافاتهم ، وقاموا على ساق ، وخرج الكثير منهم إلى خارج البلدة ، على تلك الصورة ، فلما تضحى النهار ، حضر بعض الأجناد المصريين ، ودخلوا مصر ، وفيهم المجاريح ، وطفق الناس يسألونهم ، فلم يخبروهم بشيء لجهلهم أيضًا حقيقة الحال ، ثم لم يزل الحال كذلك إلى أن دخل وقت العصر ، فوصل جمع عظيم من العامة ممن كان خارج البلدة ، ولهم صياح وجلبة على الشرح المتقدّم ، وخلفهم إبراهيم بيك ، ثم أخرى وخلفهم سليم أغا ، ثم أخرى كذلك ، وخلفهم عثمان كتخدا الدولة ، ثم نصوح باشا ومعه عدة وافرة من عساكرهم ، وصحبتهم السيد عمر النقيب ، والسيد أحمد المحروقي ، وحسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك الأشقر ، وعثمان بيك الشرقاوى ، وعثمان أغا الخازندار ، وإبراهيم كتخدا مراد بيك المعروف بالسنارى ، وصحبتهم مماليكهم وأتباعهم ، فدخلوا من باب النصر وباب الفتوح ، ومروا على الجمالية حتى وصلوا إلى وكالة ذى الفقار ، فقال نصوح باشا عند ذلك للعامة : « اقتلوا النصارى وجاهدوا فيهم » ، فعندما سمعوا منه ذلك القول ، صاحوا وهاجوا ، ورفعوا أصواتهم ، ومروا مسرعين يقتلون من يصادفونه من نصارى القبط والشوام وغيرهم ، فذهبت طائفة إلى حارات النصارى وبيوتهم التى بناحية بين الصورين ، وباب الشعرية ، وجهة الموسكى ، فصاروا يكبسون الدور ويقتلون من يصادفونه من الرجال والنساء والصبيان ، وينهبون ويأسرون حتى اتصل ذلك بالمسلمين المجاورين لهم ، فتحزبت النصارى واحترسوا وجمع كل منهم ما قدر عليه من العسكر الفرنساوية والأروام ، وقد كانوا قبل ذلك محترسين وعندهم الأسلحة والبارود والمقاتلون لظنهم وقوع هذا الأمر ، فوقع الحرب بين الفريقين ، وصارت النصارى تقاتل وترمى بالبندق والقرابين من طبقات الدور على المجتمعين بالأزقة من العامة والعسكر ، ويحامون على أنفسهم والآخرون يرمون من أسفل ، ويكبسون الدور ويتسوّرون عليها وبات نصوح باشا ، وكتخدا الدولة ، وإبراهيم بيك ، وبعض من صناجق مصر والكشاف والأتباع ، وطوائف من العسكر بخط الجمالية بوكالة ذى الفقار ، فلما أصبح الصباح أرسلوا إلى المطرية ، وأحضروا منها ثلاثة مدافع ، فوجدوها مسدودة الفانية فعالجوها حتى فتحوها ، وقام ناصف باشا ، وشمر عن ساعديه ، وشد وسطه ، ومشى صحبته الأمراء المصرية على أقدامهم ، وجروا أمامهم الثلاثة مدافع وسحبوها إلى الأزبكية ، وضربوا منها على بيت الألفى ، وكان به أشخاص مرابطون من عساكر الفرنساوية ، فضربوهم أيضًا بالمدافع والبنادق ، واستمر الحرب بين الفريقين إلى آخر النهار ، فسكن الحرب وباتوا ينادون بالسهر ، وفى هذا اليوم وضع أهل مصر والعسكر متاريس بالأطراف كلها

، وبجهة الأزبكية ، وشرعوا فى بناء بعض جهات السور ، واجتهدوا فى تحصين البلد بقدر الطاقة ، وبات الناس فى هذه الليلة خلف المتاريس .

فلما أظلم الليل أطلق الفرنساوية المدافع والبنب على البلد من القلاع ، وولوا الضرب بالخصوص على خط الجمالية ، لكون المعظم مجتمعا بها ، فلما عاين ذلك الجميع ، أجمع رأى الكبراء والرؤساء على الخروج من البلد فى تلك الليلة لعجزهم عن المقاومة ، وعدم آلات الحرب وعزة الأقوات ، والقلاع بيد الفرنساوية ، ومصر لايمكن محاصرتها لاتساعها وكثرة أهلها ، وربما طال الحال فلا يجدون الأقوات ، لأن غالب قوت أهلها يجلب من قراها فى كل يوم ، وربما إمتنع وصول ذلك إذا تجسمت الفتنة ، فاتفقوا على الخروج بالليل ، وتسامع الناس بذلك فتجهز المعظم للخروج ، وغصت خطة الجمالية وما والاها من الأخطاط بازدحام الناس الذين يريدون الخروج من المدينة ، وركب بعضهم بعضا ، وازدحمت تلك النواحى بالحمير والبغال والخيول والهجن والجمال المحملة بالأثقال ، وباتوا على تلك الصورة ، ووقع للناس فى هذه الليلة من الكرب والمشقة والانزعاج والخوف ما لايوصف ، وتسامع أهل خان الخليلى من الألداشات[1] ، وبعض مغاربة الفحامين والغورية ذلك فجاءوا للجمالية ، وشنعوا على من يريد الخروج وعضدهم طائفة عساكر الينكجرية ، وعمدوا إلى خيول الأمراء فحبسوها ببيت القاضى والوكائل وأغلقوا باب النصر ، وبات فى تلك الليلة معظم الناس على مساطب الحوانيت ، وبعض الأعيان فى بيوت أصحابهم بالجمالية ، وفى أزقة الحارات أيضًا ، وكل متهيئ للخروج ، فلما حصل ذلك ، وأصبح يوم السبت[1] ، فتهيأ كبراء العساكر والعساكر ومعظم أهل مصر ما عدا الضعيف الذى لا قوّة له للحرب ، وذهب المعظم إلى جهة الأزبكية ، وسكن الكثير فى البيوت الخالية ، والبعض خلف المتاريس ، وأخذوا عدة مدافع زيادة عن الثلاثة المتقدمة ، وجدت مدفونة فى بعض بيوت الأمراء ، وأحضروا من حوانيت العطارين من المثقلات التى يزنون بها البضائع من حديد وأحجار ، استعملوها عوضا عن الجلل للمدافع ، وصاروا يضربون بها بيت سارى عسكر بالأزبكية ، واستمر عثمان كتخدا بوكالة ذى الفقار بالجمالية ، وكان كل من قبض على نصرانى أو يهودى

(١) الألداشات : من التركية « يولداش » : « يول » ، أى الطريق ، و« داش » ، أداة المشاركة ، واليولداش هو الرفيق فى الطريق ، وتطلق على الزملاء وأعضاء الحزب الواحد ، وجمعها فى العامية المصرية « الاديش » ، والألداشات القلينجية فرقة من المشاة سلاحهم السيوف ، فالقلينجية فى التركية بمعنى السيف .
سليمان ، أحمد السعيد :. المرجع السابق ، ص ٢٥ - ٢٦ .

(٢) ٢٤ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٠ مارس ١٨٠٠ م .

أو فرنساوى أخذه وذهب به إلى الجمالية حيث عثمان كتخدا ، ويأخذ عليه البقشيش ، فيحبس البعض حتى يظهر أمره ، ويقتل البعض ظلما ، وربما قتل العامة من قتلوه واتوا برأسه لأجل البقشيش، وكذلك كل من قطع رأسا من رؤس الفرنساوية يذهب بها إما لنصوح باشا بالأزبكية ، وإما لعثمان كتخدا بالجمالية ، ويأخذ فى مقابلة ذلك الدراهم ، وبعد أيام أغلقوا باب القرافة ، وباب البرقية ، وبلقى الأبواب التى فى أطراف البلد ، وزاد الناس فى اصطناع المتاريس ، وفى الاحتراس ، وجلس عثمان بيك الأشقر عند متاريس باب اللوق ، وناحية المدابغ[1] ، وعثمان بيك طبل عند متاريس المحجر ، ومحمد بيك المبدول عند الشيخ ريحان[2] ، ومحمد كاشف أيوب ، وجماعة أيوب بيك الكبير والصغير عند الناصرية ، ومصطفى بيك الكبير بقناطر السباع ، وسليمان كاشف المحمودى عند سوق السلاح [3]، وأولاد القرافة والعامة ، وزعر الحسينية [4] ، والعطوف عند باب النصر مع طائفة من الينكجرية ، وباب الحديد ، وباب القرافة ، وجماعة خان الخليلى ، والجمالية عند باب البرقية المعروف الآن بالغريب ، وبالجملة كل من كان فى حارة من أطراف البلد انضم إلى العسكر الذى بجهته ، بحيث صار جميع أهل مصر والعساكر كلها واقفة بأطراف البلد عند الأبواب والمتاريس والأسوار ، وبعض عساكر من العثمانية وما انضم إليهم من أهل مصر المتسلحين مكثت بالجمالية ، إذا جاء صارخ من جهة من الجهات أمدوه بطائفة من هؤلاء ، وصار جميع أهل مصر ، إما بالأزقة ليلا ونهارا ، وهو من لايمكنه القتال ، وإما بالأطراف وراء المتاريس ، وهو من عنده إقدام وتمكن من الحرب ، ولم ينم أحد ببيته سوى الضعيف والجبان والخائف ، وناصف باشا ، وإبراهيم بيك وجماعاتهم ، وعسكر من الينكجرية والأرنؤد والدلاة وغيرهم جهة الأزبكية ناحية باب الهواء ، والرحبة الواسعة التى عند جامع أزبك[5]،

---

(١) المدابغ : حارة تقع على اليسار - وهى حارة المدابغ القديمة - من شارع سوق العصر .
مبارك ، على : المرجع السابق ،ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٣٩ .

(٢) الشيخ ريحان : أوله من شارع البلاقسة وآخره حارة السقائين ، طوله ٢٨٠ مترا ، وبه عدة عطف .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٤٠٣ .

(٣) سوق السلاح : انظر ، ص ١٩ ، حاشية رقم (٤) .

(٤) زعر الحسنية : أى فتوات الحسينية .

(٥) جامع أزبك : انشاه الأمير ازبك اليوسفى فى شعبان ٩٠٠ هـ / ٢٧ أبريل - ٢٥ مايو ١٤٩٤ م ، وهو على شمال الذاهب إلى بركة الفيل .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٣٣٤ .

والعتبة الزرقاء[١] ، وأنشأ عثمان كتخدا معملا للبارود ببيت قائد أغا بخط الخرنفش[٢] ، وأحضر القندقچية[٣] والعربجية والحدادين والسباكين ، لإنشاء مدافع وبنيات ، وإصلاح المدافع التى وجدوها فى بعض البيوت ، وعمل العجل والعربات والجلل وغير ذلك من المهمات الجزئية ، وأحضروا لهم ما يحتاجون إليه من الأخشاب وفروع الأشجار والحديد ، وجمعوا إلى ذلك الحدادين والنجارين والسباكين وأرباب الصنائع الذين يعرفون ذلك ، فصار هذا كله يصنع ببيت القاضى والخان الذى بجانبه والرحبة التى عند بيت القاضى من جهة المشهد الحسينى ، واهتم لذلك اهتماما زائدا وأنفق أموالا جمة ، وأرسلوا فأحضروا باقى المدافع الكائنة بالمطرية ، فكانوا كلما أدخلوا مدفعا أدخلوه بجمع عظيم من الأوباش والحرافيش والأطفال ، ولهم صياح ونباح وتجاوب بكلماتٍ مثل : « الله ينصر السلطان ، ويهلك فرط الرمان » ، وغير ذلك ، وحضر محمد بيك الألفى فى ثانى يوم[٤] وترس بناحية السويقة عند درب عبد الحق[٥] ، وعطفة البيدق، وصحبته طوائفه ومماليكه وأشخاص من العثمانية ، وبذل الهمة ، وظهرت منه ومن مماليكه شجاعة ، وكذلك كشافه ، وخصوصا إسماعيل كاشف المعروف بأبى قطية ، فإنه لم يزل يحارب ويزحف حتى ملك ناحية رصيف الخشاب ، وبيت مراد بيك الذى أصله بيت حسن بيك الأزبكاوى ، وبيت أحمد أغا شويكار ، وترس فيهما ، وحسن بيك الجداوى تترس بناحية الرويعى ، وربما فارق متراسه فى بعض الليالى لنصرة جهة أخرى ، وحضر أيضًا رجل مغربى ، يقال : إنه الذى كان يحارب الفرنسيس بجهة البحيرة سابقًا ، والتف عليه طائفة من المغاربة البلدية ، وجماعة من الحجازية ممن كان قدم صحبة الجيلانى الذى تقدم ذكره ، وفعل ذلك الرجل المغربى أمورا تنكر عليه ، لأن غالب ما وقع من النهب وقتل من لايجوز قتله يكون صدوره عنه ، فكان يتجسس على البيوت التى بها الفرنسيس والنصارى ، فيكبس عليهم ومعه جمع من العوام ، والعسكر فيقتلون من

---

(١) العتبة الزرقاء : حارة تقع بالقرب من ميدان العتبة وتتصل بشارع الموسكى وشارع الحسين.

(٢) خط الخرنفش : منطقة قريبة من شارع المعز لدين الله ، وهى منطقة عامرة.

(٣) القندقچية : من التركية « قونداق » و « جى » أداة النسب للصنعة ، والمعنى باعة الأسلحة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ .

(٤) ٢٥ شوال ١٢١٤ هـ / ٢١ مارس ١٨٠٠ م .

(٥) درب عبد الحق : يقع فى جهة اليمين من شارع البكرى ، بالقرب من العتبة ، وعرف بهذا الاسم لأن به ضريح الشيخ عبد الحق السنباطى .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٨٧ .

يجدونه منهم ، وينهبون الدار ويسحبون النساء ويسلبون ما عليهنّ من الحلى والثياب ، ومنهم من قطع رأس البنية الصغيرة طمعا فيما على رأسها وشعرها من الذهب ، وتتبع الناس عورات بعضهم البعض ، وما دعتهم إليه حظوظ أنفسهم وحقدهم وضغائنهم ، واتهم الشيخ خليل البكرى بأنه يوالى الفرنسيس ويرسل إليهم الأطعمة ، فهجم عليه طائفة من العسكر مع بعض أوباش العامة ، ونهبوا داره وسحبوه مع أولاده وحريمه ، وأحضروه إلى الجمالية ، وهو ماشى على أقدامه ورأسه مكشوفة ، وحصلت له إهانة بالغة،وسمع من العامة كلاما مؤلما وشتما ، فلما مثلوه بين يدى عثمان كتخدا هاله ذلك ، واغتم غما شديدا ووعده بخير وطيب خاطره ، وأخذه سيدى أحمد بن محمود محرم التاجر مع حريمه إلى داره وأكرمهم وكساهم ، وأقاموا عنده حتى أنقّضت الحادثة ، وباشر السيد أحمد المحروقى وباقى التجار ومساتير الناس الكلف والنفقات والمآكل والمشارب ، وكذلك جميع أهل مصر كل إنسان سمح بنفسه وبجميع ما يملكه ، وأعان بعضهم بعضا ، وفعلوا ما فى وسعهم وطاقتهم من المعونة ، وأما الفرنساوية فإنهم تحصنوا بالقلاع المحيطة بالبلد وببيت الألفى ، وما والاه من البيوت الخاصة بهم ، وبيوت القبطة المجاورين لهم ، واستمر الناس بعد دخول الباشا والأمراء ومن معهم من العسكر إلى مصر أياما قليلة ، وهم يدخلون ويخرجون من باب الفتوح ، وباب العدوى ، وأهل الأرياف القريبة تأتى بالميرة والاحتياجات من السمن والجبن واللبن والغلة والتبن والغنم فيبيعونه على أهل مصر ، ثم يرجعون إلى بلادهم كل ذلك ولم يعلم أحد حقيقة حال الفرنساوية المتوجهين مع كبيرهم للحرب ، واختلفت الروايات والأخبار ، وأما الوزير فإنه لما ارتحل بالعرضى تخلف عنه ببلبيس جملة من العسكر ، وأما عثمان بيك حسن ، وسليم بيك أبو دياب ومن معهما فإنهما تقاتلا مع الفرنساوية ، ثم رجعا إلى بلبيس فحاصروا من بها، وكان عثمان بيك ، وسليم بيك ، وعلى باشا الطرابلسى ، وبعض وجاقلية خرجوا منها وذهبوا إلى ناحية العرضى ، فحارب الفرنساوية من ببلبيس من العسكر ، ولم يكن لهم بهم طاقة فطلبوا الأمان فأمنوهم ، وأخذوا سلاحهم وأخرجوهم حيث شاءوا ، فذهبوا أشتاتا فى الأرياف يتكففون الناس ويأوون إلى المساجد الخربة ، ومات أكثرهم من العرى والجوع ، ثم لما لحق عثمان بيك ومن معه بالعرضى ناحية الصالحية ، تكلموا مع الوزير وأوجعوه بالكلام فاعتذر إليهم بأعذار منها عدم الاستعداد للحرب ، وتركه معظم الجبخانة والمدافع الكبار بالعريش اتكالا على أمر الصلح الواقع بين الفريقين ، وظنه غفلة الفرنساوية عما دبره عليهم

مع الإنكليز ، فقال له عثمان بيك : « أرسل معنا العساكر وانتظرنا هنا » ، فخاطب العسكر وبذل لهم الرغائب ، فامتنعوا ولم يمتثل منهم إلا المطيع والمتطوّع ، وهم نحو الألف وعادوا على أثرهم ، وجمعوا منهم من كان مشتتا ومنتشرا في البلاد ، ورجعوا يريدون محاربة الفرنساوية ، فنزلوا بوهدة بالقرب من القرين لكونهم نظروه في قلة من عسكره ، وعلمهم بقرب من ذكر منهم ، فضاربوهم بالنبابيت والحجارة وأصيب سرج سارى عسكر بنبوت فانكسر وسقط ترجمانه إلى الأرض ، وتسامع المسلمون فركبوا لنجدتهم واستصرخ الفرنساوية عساكرهم فلحقوا بهم ، ووقع الحرب بين الفريقين حتى حال بينهما الليل فانكف الفريقان ، وانحاز كل فريق ناحية ، فلما دخل الليل ، واشتد الظلام ، أحاط العسكر الفرنساوى بعساكر المسلمين ، فأصبح المسلمون وقد رأوا إحاطة العسكر بهم من كل جانب ، فركبت الخيالة وتبعتهم المشاة ، واخترقوا تلك الدائرة ، وسلم منهم من سلم وعطب منهم من عطب ، ورجعوا على أثرهم إلى الصالحية ، فعند ذلك ارتحل الوزير ورجع إلى الشام ، وأما مراد بيك فإنه بمجرد ما عاين هجوم الفرنسيس على الباشا والأمراء بالمطرية ، وكان بناحية الجبل ركب من ساعته هو ومن معهم ومروا من سفح الجبل وذهب إلى ناحية دير الطين[1] ، ينتظر ما يحصل من الأمور ، وأقام مطمئنا على نفسه ، واعتزل الفريقين ، واستمر على صلحه مع الفرنساوية هذا حاصل خبر الشرقيين ، ولما تحقق الباشا والأمراء الذين انحصروا بمصر ذلك أخفوه بينهم ، وأشاعوا خلافه ، لئلا تنحل عزائم الناس عن القتال ، وتضعف نفوسهم ، واستمر الباشا يظهر كتابة المراسلات وإرسال السعاة في طلب النجدة والمعونة ، وربما افتعلوا أجوبة فزوروها على الناس فتروج عليهم وتسرى في غفلتهم ، ويقولون للناس في كل وقت : « إنّ حضرة الصدر الأعظم مجتهد في محاربة الفرنسيس ، وفي غد أو بعد غد يقوم بالعساكر والجنود بعد قطع العدوّ ، وعند حضوره ووصوله يحصل تمام الفتح ، وتهدم العساكر القلاع وتقلبها على من يبقى من الفرنساوية ، وبعد ذلك ينظم البلاد ، ويريح العباد ، واجتهدوا فيما أنتم فيه » ، وتابعوا المناداة على الناس والعسكر باللسان العربي والتركى بالتحريض والاجتهاد ، والحرص على الصبر والقتال ، وملاقاة العدو ونحو ذلك ، ووصل طائفة من عسكر الفرنساوية ، ورجعوا من عرضيهم لنجدة لأصحابهم الذين بمصر فقويت بهم نفوس الكائنين بمصر ، ووقفت منهم طائفة خارج

---

(١) دير الطين : من القرى القديمة ، اسمها القبطى « Bmonasterion Biomi » ، وقد اندثرت ، وأصبحت تعرف المنطقة التى حلت محلها باسم « دار السلام » ، تابعة لمحافظة القاهرة .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٤ .

باب النصر، وخارج باب الحسينية[1] ، ونهبوا زاوية الدمرداش[2] ، وما حولها كقبة الغورى والمنيل ، وحضر نحو خمسمائة من عسكر الأرنؤد وهم الذين كان الوزير وجههم إلى القرى ، لقبض الكلف والفرض ، فلما قربوا من مصر عارضهم عسكر الفرنساوية الواقفة على التلول الخارجة ، فحاموا ودافعوا عن أنفسهم ، وخلصوا منهم ودخلوا إلى مصر ، وفرح الناس لقدومهم وضجت العامة بحضورهم ، واشتدت قواهم ولفقوا أن يقولوا للناس إذا سئلوا : « إنهم حاضرون مددا ، وسيأتى فى أثرهم عشرون ألفا ، وعليهم كبير » ، ونحو ذلك ، وأما بولاق فإنها قامت على ساق واحد ، وتحزم الحاج مصطفى البشتيلى وأمثاله وهيجوا العامة ، وهيئوا عصيهم وأسلحتهم ورمحوا وصفحوا ، وأوّل ما بدأوا به أنهم ذهبوا إلى وطاق الفرنسيس الذى تركوه بساحل البحر وعنده حرسية منهم ، فقتلوا من أدركوه منهم ، ونهبوا جميع ما فيه من خيام ومتاع وغيره ، ورجعوا إلى البلد ، وفتحوا مخازن الغلال والودائع التى للفرنساوية ، وأخذوا ما أحبوا منها ، وعملوا كرانك حوالى البلد ومتاريس ، واستعدوا للحرب والجهاد ، وقوى فى رأسهم العناد ، واستطالوا على من كان ساكنا ببولاق من نصارى القبط والشوام فأوقعوا بهم بعض النهب ، وربما قتل منهم أشخاص ، هذا ما كان من أمر هؤلاء .

وأما ما كان من أمر سارى عسكر الفرنساوية ومن معه ، فإنه لما استوثق بهزيمة الوزير وعدم عوده ونجاته بنفسه ، لم يزل خلفه حتى بعد عن الصالحية ، فأبقى بها بعضا من عسكر الفرنسيس محافظين وكذلك بالقرين وبلبيس ، ورجع إلى مصر وقد بلغت الأخبار بما حصل من دخول ناصف باشا والأمراء وقيام الرعية ، فلم يزل حتى وصل إلى داره بالأزبكية وأحاطت العساكر الفرنساوية بالمدينة وبولاق من خارج ، ومنعوا الداخل من الدخول والخارج من الخروج ، وذلك بعد ثمانية أيام من ابتداء الحركة ، وقطعوا الجالب عن البلدين ، وأحاطوا بها إحاطة السوار بالمعصم فكانت جماعة من المفوّضين لهم المحصورين داخل المدينة كبعض القبطة ونصارى الشوام وغيرهم يهربون إليهم ، ويتسلقون من الأسوار والحيطان بحريمهم وأولادهم ، فعند ذلك اشتد الحرب وعظم الكرب ، وأكثروا من الرمى المتتابع بالمكاحل والمدافع ، وأكثروا وأوصلوا وقع القنابر والبنبات من أعالى التلول ، خصوصا البنبات الكبار على

---

(١) باب الحسينية : أى باب شارع الحسينية

(٢) زاوية الدمرداش : المقصود هنا جامع الدمرداش الذى يقع خارج الحسينية .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٤ ، ص ٢٣٢ .

الدوام والاستمرار آناء الليل وأطراف النهار ، فى الغدوّ والبكور والأسحار ، وعدمت الأقوات ، وغلت أسعار المبيعات ، وعزت المأكولات ، وفقدت الحبوب والغلات ، وارتفع وجود الخبز من الأسواق ، وامتنع الطوّافون به على الأطباق ، وصارت العساكر الذين مع الناس بالبلد يخطفون ما يجدونه بأيدى الناس من المآكل والمشارب ، وغلا سعر الماء المأخوذ من الآبار أو الأسبلة حتى بلغ سعر القربة نيفا وستين نصفا ، وأما البحر فلا يكاد يصل إليه أحد وتكفل التجار ومساتير الناس والأعيان بكلف العساكر المقيمين بالمتاريس المجاورة لهم ، فألزموا الشيخ السادات بكلفة الذى عند قناطر السباع ، وهم مصطفى بيك ومن معهم من العساكر ، وأما أكابر القبط مثل : جرجس الجوهرى ، وفلتيوس ، وملطى ، فإنهم طلبوا الأمان من المتكلمين من المسلمين لكونهم انحصروا فى دورهم وهم فى وسطهم ، وخافوا على نهب دورهم إذا خرجوا فارين ، فأرسلوا إليهم الأمان ، فحضروا وقابلوا الباشا والكتخدا والأمراء ، وأعانوهم بالمال واللوازم ، وأما يعقوب فإنه كرنك فى داره بالدرب الواسع جهة الرويعى ، واستعد استعدادا كبيرا بالسلاح والعسكر المحاربين ، وتحصن بقلعته التى كان شيدها بعد الواقعة الأولى ، فكان معظم حرب حسن بيك الجداوى معهم ، هذا والمناداة فى كل وقت بالعربى والتركى على الناس بالجهاد والمحافظة على المتاريس ، واتهم مصطفى أغا مستحفظان بموالاته للفرنساوية ، وأنه عنده فى بيته جماعة من الفرنسيس ، فهجمت العساكر على داره بدرب الحجر ، فوجدوا أنفارا قليلة من الفرنسيس فقاتلوا وحاموا عن أنفسهم ، وقتل منهم البعض ، وهرب البعض على حمية حتى خلصوا إلى الناصرية ، وأما الأغا فإنهم قبضوا عليه وأحضروه بين يدى عثمان كتخدا ، ثم تسلمه الإنكشارية وخنقوه ليلا بالوكالة التى عند باب النصر ، ورموا جيفته على مزبلة خارج البلد ، واستقر عوضه شاهين كاشف الساكن بالخرنفش ، فاجتهد وشدد على الناس ، وكرر المناداة ، ومنعهم من دخول الدور ، وكل من وجده داخل داره مقته وضربه ، فكان الناس يبيتون بالأزقة والأسواق حتى الأمراء والأعيان ، وهلكت البهائم من الجوع ، لعدم وجود العلف من التبن والفول والشعير والدريس ، بحيث صار ينادى على الحمار أو البغل المعدّ الذى قيمته ثلاثون ريالا وأكثر بمائة نصف فضة أو ريال واحدا وأقل ، ولايوجد من يشتريه ، وفى كل يوم يتضاعف الحال ، وتعظم الأهوال ، وزحف المسلمون على جهة رصيف الخشاب ، وترامى الفريقان بالمدافع والنيران حتى احترق ما بينهم من

الدور ، وكان إسماعيل كاشف الألفى تحصن ببيت أحمد أغا شويكار الذى كان ببيته ، وقد كان الفرنساوية جعلوا به لغما بالبارود المدفون ، فاشتعل ذلك اللغم ، ورفع ما فوقه من الأبنية والناس وطاروا فى الهواء ، واحترقوا عن آخرهم ، وفيهم إسماعيل كاشف المذكور ، وانهدم جميع ما هناك من الدور والمبانى العظيمة والقصور المطلة على البركة ، واحترق جميع البيوت التى من عند بين المفارق بقرب جامع عثمان كتخدا إلى رصيف الخشاب ، والخطة المعروفة بالساكت بأجمعها إلى الرحبة المقابلة لبيت الألفى سكن سارى عسكر الفرنساوية ، وكذلك خطة الفوالة[1] بأسرها ، وكذلك خطة الرويعى بالسباطين العظيمين ، وما فى ضمن ذلك من البيوت إلى حدّ حارة النصارى ، وصارت كلها تلالا وخرائب ، كأنها لم تكن مغنى صبابات ، ولا مواطن أنس ونزاهات ، وفيها يقول صديقنا العلامة ، والنحرير الفهامة ، الشيخ حسن العطار ، حفظه الله : « وأما بركة الأزبكية فهى مسكن الأمراء ، وموطن الرؤساء ، قد أحدقت بها البساتين الوارفة الظلال ، العديمة المثال ، فترى الخضرة فى خلال تلك القصور المبيضة كثياب سندس خضر على أثواب من فضة ، يوقد بها كثير من السرج والشموع ، فالأنس بها غير مقطوع ولا ممنوع ، وجمالها يدخل على القلب السرور ، ويذهل العقل حتى كأنه من النشوة مخمور ، ولطالما مضت لى بالمسرة فيها أيام وليالى ، هنّ فى سمط الأيام من يتيم اللآلى ، وأنا أنظر إلى انطباع صورة البدر فى وجناتها ، وفيضان لجين نوره على حافاتها وساحاتها ، والنسيم بأذيال ثوب مائها الفضىّ لعاب ، وقد سَلّ على حافاتها من تلاعب الأمواج كل قرضاب ، وقام على منابر أدواحها فى ساحة أفراحها مغردات الطيور ، وجاليات السرور ، فلذيذ العيش بها موصول ، وفيها أقول :

بالأزبكيّةِ طابَتْ لى مَسَرَّاتُ ... ولَذَّ لى من بديعِ الأنسِ أوقاتُ
حيثُ المياهُ بها والفلكُ سابحةٌ ... كأنها الزهرُ تحويها السمَواتُ
وقد أديرَ بها دورٌ مشيدةٌ ... كأنها لبُدُورِ الحسْنِ هالاتُ
مَدّت عليها الرَّوابى خُضْرَ سُنْدُسِها ... وغَرَّدت فى نَواحِيها حَمَامَاتُ
والماءُ حين سَرَى رَطبُ النسيمِ به ... وحلَّ فيهِ مِنَ الأدواحِ زَهْراتُ

---

(١) خطة الفوالة : أنظر ، ص ٣٥ ، حاشية رقم (٤) .

كسابغات دُروعٍ فوقَها نُقطٌ من فضة واحْمِرارُ الوردِ طعنَاتُ
مَراتعٌ لظِباءِ التركِ ساحَتُها وللأسُودِ بها فيهن غيضَاتُ
وللنَّديمِ بها عيشٌ تُجدِّدُه أيدى الزمانِ ولاتخشَى جَناياتُ
يروحُ منها صَرِيعُ العقلِ حينَ يرى علىٰ مَحَاسِنها دارتْ زُجَاجاتُ
وللرفاقِ بها جَمعٌ ومُفْتَرقٌ لما غَدتْ وهى للندْمَانِ حَاناتُ

قلت : « وقد جنت عليها أيدى الزمان ، وطوارق الحدثان ، حتى تبدلت محاسنها ، وأقفرت مساكنها ، وهكذا عقبى سوء ما عملوا ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا » ، وأرسلوا إلى مراد بيك يطلبونه للحضور أو يرسل الأمراء والأجناد التى عنده ، فأرسل يعتذر عن الحضور ، ويقول : « إنه محافظ على الجهة التى هو فيها » ، فأرسلوا إليه بالإرسال والاستكشاف عن أمر الوزير ، فأرسل يخبر : « أنه أرسل هجانا إلى الشرق من نحو عشرة أيام وإلى الآن لم يحضر ، وأن الفرنساوية إذا ظفروا بالعثمانية لايقتلونهم ولايضربونهم ، وأنتم كذلك معهم فاقبلوا نصحى ، واطلبوا الصلح معهم واخرجوا سالمين » ، فلما بلغهم تلك الرسالة حنق حسن بيك الجداوى ، وعثمان بيك الأشقر وغيرهم وسفهوا رأيه ، وقالوا : « كيف يصح الأمر ، وقد دخلنا إلى البلد وملكناها ، فكيف نخرج منها طائعين ، ونحو ذلك ، هذا مما لايكون أبدا » ، فأشار إبراهيم بيك برجوع البرديسى ، وصحبته عثمان بيك الأشقر ، ليقول الأشقر لمراد بيك ما يقوله ، فلما اجتمع به ورجع ، لم يرجع على ما كان عليه جال ذهابه ، وفترت همته وجنح لرأى مراد بيك ، واستمر الحال على ما هو عليه من اشتعال نيران الحرب وشدّة البلاء والكرب ، ووقوع البنبات على الدور والمساكن من القلاع ، والهدم والحرق وصراخ النساء من البيوت والصغار من الخوف والجزع والهلع ، مع القحط وفقد المآكل والمشارب ، وغلق الحوانيت والطوابين والمخابز ، ووقوف حال الناس من البيع والشراء وتفليس الناس ، وعدم وجدان ما ينفقونه إن وجدوا شيئًا ، واستمر ضرب المدافع والقنابر والبنادق والنيران ليلا ونهارا ، حتى كان الناس لايهنأ لهم نوم ولا راحة ولا جلوس لحظة لطيفة من الزمن ، ومقامهم دائمًا أبدا بالأزقة والأسواق ، وكأنما على رؤوس الجميع الطير ، وأما النساء والصبيان فمقامهم بأسفل الحواصل والعقودات تحت طباق الأبنية إلى غير ذلك .

وفي أثناء ذلك فرضوا على الناس من أهل الأسواق وغيرهم ، مائة كيس ، فرّدوها على بعض الناس ، كالسادات والصاوى ، وصار مؤنة غالب الناس الأرز يطبخونه بالعسل وباللبن ، ويبيعون ذلك في طشوت وأوان بالأسواق ، وفي كل ساعة تهجم العساكر الفرنساوية على جهة من الجهات ويحاربون الذين بها ويملكون منهم بعض المتاريس ، فيصيحون على بعضهم بالمناداة ، ويتسامع الناس ، ويصرخون على بعضهم البعض ، ويقولون : « عليكم بالجهة الفلانية الحقوا إخوانكم المسلمين » ، فيرمحون إلى تلك الخطة والمتاريس حتى يجلوهم عنها ، وينتقلون إلى غيرها ، فيفعلون كذلك ، وكان المتحمل لغالب هذه المدافعات حسن بيك الجداوى ، فإنه كان عندما يبلغه زحف الفرنساوية على جهة من الجهات ، يبادر هو ومن معه للذهاب لنصرة تلك الجهة ، ورأى الناس من إقدامه وشجاعته وصبره على مجالدة العدوّ ليلا ونهارا ما ينبئ عن فضيلة نفس ، وقوّة قلب وسموّ همة ، وقل أن وقع حرب في جهة من الجهات إلا وهو مدير رحاها ، ورئيس كماتها ، هذا والأغا والوالى يكررون المناداة ، وكذلك المشايخ والفقهاء ، والسيد أحمد المحروقى والسيد عمر النقيب ، يمرون كل وقت ويأمرون الناس بالقتال ، ويحرضونهم على الجهاد ، وكذلك بعض العثمانية يطوفون مع أتباع الشرطة ، وينادون باللغة التركية مثل ذلك ، وجرى على الناس ما لايسطر في كتاب ، ولم يكن لأحد في حساب ، ولايمكن الوقوف على كلياته فضلا عن جزئياته ، منها عدم النوم ليلا ونهارا ، وعدم الطمأنينة ، وغلوّ الأقوات ، وفقد الكثير منها خصوصا الأدهان ، وتوقع الهلاك كل لحظة ، والتكليف بما لايطاق ومغالبة الجهلاء على العقلاء ، وتطاول السفهاء على الرؤساء ، وتهور العامة ، ولغط الحرافيش وغير ذلك مما لايمكن حصره ، ولم يزل الحال على هذا المنوال إلى نحو عشرة أيام ، وكل هذا والرسل من قبل الفرنساوية وهم : عثمان بيك البرديسى تارة ، ومصطفى كاشف ورستم تارة أخرى ، والاثنان من أتباع مراد بيك يتردّدون في شأن الصلح ، وخروج العساكر العثمانية من مصر ، والتهديد بحرقها وهدمها ، إذا لم يتم هذا الغرض ، واستمروا على هذا العناد ، ثم نصب الفرنساوية في وسط البركة فسطاطا لطيفا ، وأقاموا عليه علما ، وأبطلوا الرمى تلك الليلة ، وأرسلوا رسولا من قبلهم إلى الباشا والكتخدا والأمراء يطلبون المشايخ يتكلمون معهم في شأن هذا الأمر ، فأرسلوا : الشرقاوى ، والمهدى ، والسرسى والفيومى وغيرهم ، فلما وصلوا إلى سارى عسكر ، وجلسوا خاطبهم على لسان الترجمان بما حاصله ، أنّ سارى عسكر قد أمن أهل مصر ، أمانا شافيا ، وأنّ الباشا والكتخدا ومن معهما من العساكر العثمانية يخرجون من مصر ويلحقون بالعرضى ،

وعلى الفرنساوية القيام بما يحتاجون إليه من المؤنة والذخيرة حتى يصلوا إلى معسكرهم ، وأما الأجناد المصرية الداخلة معهم فمن أراد منهم المقام بمصر من المماليك والغز الداخلين معهم فليقم ، وله الإكرام ، ومن أراد الخروج فليخرج ، والجرحى من العثمانلى يجردون من سلاحهم ، وإن كان يأخذه الكتخدا فليأخذه ، وعلينا أن نداويهم حتى يبرءوا ، ومن أقام بعد البرء منهم فعلينا مؤنته ، ومن أراد الخروج بعد برئه فليخرج ، وعلى أهل مصر الأمان ، فإنهم رعيتنا وتوافقوا على ذلك وتراضوا عليه، ولما كان الغد وشاع أمر الموادعة واستفيض أمر الصلح على هذا، قالوا لهم : « لأى شيء تفعلون هذا الفعل ، وهذه المحاربات والوزير بتاعكم ولى مهزوما ، ورجع هاربا ، ولايمكن عوده فى هذا الحين ، إلا أن يكون بعد ستة أشهر فاعتذروا له بأنّ هذا من فعل ناصف باشا ، وكتخدا الدولة ، وإبراهيم بيك ، ومن معهم ، فإنهم هم الذين أثاروا الفتنة ، وهيجوا الرعايا ، ومنّوا الناس الأمانى الكاذبة ، والعامة لا عقول لهم » فقالوا لهم بعد كلام طويل : « قولوا لهم يتركون القتال ، ويخرجون فيلحقون بوزيرهم ، فإنهم لا طاقة لهم على حربنا ، ويكونون سببا لهلاك الرعية وحرق البلدين مصر وبولاق » ، فقالوا له : « نخشى أنهم إذا امتثلوا وجنحوا للموادعة ، وخرجوا وذهبوا إلى سارى عسكرهم تنتقمون منا ، ومن الرعايا بعد ذلك » ، فقالوا : « لانفعل ذلك فإنهم إذا رضوا ومنعوا الحرب ، اجتمعنا معكم وإياهم وعقدنا صلحا ، ولانطالبكم بشىء ، والذى قتل منا فى نظير الذى قتل منكم وزوّدناهم وأعطيناهم ما يحتاجون من خيل وجمال ، وأصحبنا معهم من يوصلهم إلى مأمنهم من عسكرنا ، ولانضر أحدا بعد ذلك » ، فلما رجع المشايخ بهذا الكلام وسمعه الإنكشارية والناس قاموا عليه ، وسبوهم وشتموهم وضربوا الشرقاوى والسرسى ورموا عمائمهم ، وأسمعوهم قبيح الكلام وصاروا يقولون : « هؤلاء المشايخ ارتدوا وعملوا فرنسيس ، ومرادهم خذلان المسلمين ، وأنهم أخذوا دراهم من الفرنسيس » ، وتكلم السفلة والغوغاء من أمثال هذا الفضول ، وتشدد فى ذلك الرجل المغربى الملتف عليه أخلاط العالم ، ونادى من عند نفسه الصلح منقوض، وعليكم بالجهاد ومن تأخر عنه ضرب عنقه، وكان السادات ببيت الصاوى، فتحير واحتال بأن خرج وأمامه شخص ينادى ، بقوله : « الزموا المتاريس » ليقى بذلك نفسه من العامة ، ووافق ذلك أغراض العامة لعدم إدراكهم لعواقب الأمور، فالتفوا عليه ، وتعضد كل بالآخر ، وأنّ غرضه هو فى دوام الفتنة ، فإن بها يتوصل لما يريده من النهب والسلب ، والتصور بصورة الإمارة باجتماع الأوغاد عليه ، وتكفل

الناس له بالمآكل والمشرب هو ومن انضم إليه ، واشتطاط فى المآكل مع فقد الناس لأدْوَن ما يؤكل حتى أنه كان إذا نزل جهة من جهات المدينة ، لإظهار أنه يريد المعونة أو الحرس ، فيقدمون له بالطعام ، فيقول : « لا آكل إلا الفراخ » ، ويظهر أنه صائم فيكلف أهل تلك الجهة أنواع المشقات والتكلفات بتعنته فى هذه الشدة ، بطلب أفحش المأكولات ، وما هو مفقود ، ثم هو مع ذلك لايغنى شيئًا بل إذا دهم العدوّ تلك الجهة التى هو فيها فارقها ، وانتقل لغيرها ، وهكذا كان ديدنه وسبحه ، ثم هو ليس ممن له فى مصر ما يخاف عليه من مسكن أو أهل أو مال أو غير ذلك بل كما قيل : « لاناقتى فيها ولا جملى » ، فإذا قدر مَا قُدِّر تخلص مع حزبه إلى بعض الجهات والتحق بالريف أو غيره وحينئذ يكون كآحاد الناس ويرجع لحالته الأولى ، وتبطل الهيئة الاجتماعية التى جعلها لجلب الدنيا فخا منصوبا ، ومخرق بها على سخاف العقول وأخفَّاء الأحلام وهكذا حال الفتن تكثر فيها الدجاجلة ، ولو أن نيته ممحضة لخصوص الجهاد لكانت شواهد علانيته أظهر من نار على علم ، أو اقتحم كغيره ممن سمعنا عنهم من المخلصين فى الجهاد ، وفى بيع أنفسهم فى مرضات رب العباد لظا الهيجاء ، ولم يتعنت على الفقراء ، ولم يجعل همته فى السلب مصروفة ، وحال سلوكه عند الناس ليست معروفة ، شعر :

ومَهْما تكُن عِندَ امرِئٍ مِن خَلِيقَةٍ وإنْ خَالَها تَخفَى علـى الناسِ تُعْلَمِ

وبالجملة فكان هذا الرجل سببا فى تهدم أغلب المنازل بالأزبكية ، ومن جملة ما رُميت به مصر من البلاء ، وكان ممن ينادى به عليه حين أشيع أمر الصلح ، وتكلم به الأشياخ الصلح منقوض ، وعليكم بالجهاد ، ومن تأخر ضرب عنقه ، وهذا منه افتيات وفضول ودخول فيما لايعنى ، حيث كان فى البلد مثل الباشا والكتخدا والأمراء المصرية ، فما قدر هذا الأهوج حتى ينقض صلحا أو يُبرِمه ، وأى شىء يكون هو حتى ينادى أو ينصِّب نفسه بدون أن ينصبه أحد لذلك ، لكنها الفتن يَستَنْسِرُ بها البغاث ، سيما عند هيجان العامة ، وثوران الرعاع والغوغاء ، إذ كان ذلك مما يوافق أغراضهم ، شعر :

وذنـــبٍ جرَّهُ سُفَهَاءُ قَومٍ وحَلّ بِغَيـر جَانِيـه الـعَذَابُ

على أن المشايخ لم يأمروا بشىء ، ولم يذكروا صلحا ولاغيره ، إنما بَلَّغوا صُورة المجلس الذى طلبوا لأجله لحضرة الكتخدا ، فبمجرد ذلك قامت عليهم العامة هذا المقام ، وسبوهم وشتموهم بل وضربوهم ، وبعضهم رموا بعمامته إلى الأرض ،

وأسمعوهم قبيح الكلام ، وفعلوا معهم ما فعلوا ، وصاروا يقولون : « لولا أنَّ الكفرة الملاعين تبين لهم الغلب والعجز ، ما طلبوا المصالحة والموادعة ، وأن بارودهم وذخيرتهم فرغت » ، ونحو ذلك من الظنون الفاسدة ، ولم يردوا عليهم جوابا بل ضربوا بالمدافع والبنادق ، فارسلوا أيضًا رسلا يسألونهم عن الجواب الذى توجه به المشايخ ، فأرسل إليهم الباشا والكتخدا يقولان لهم : « إن العساكر لم يرضوا بذلك » ، ويقولون : « لانرجع عن حربهم حتى نظفر بهم أو نموت عن آخرنا ، وليس فى قدرتنا قهرهم على الصلح » ، فأرسل الفرنساوية جواب ذلك فى ورقة ، يقولون فى ضمنها : « قد عجبنا من قولكم إن العساكر لم ترض بالصلح ، وكيف يكون الأمير أميرا على جيش ، ولاينفذ أمره فيهم » ، ونحو ذلك ، وأرسلوا أيضًا رسولا إلى أهل بولاق ، يطلبونهم للصلح ، وترك الحرب ويحذرونهم عاقبة ذلك ، فلم يرضوا وصمموا على العناد ، فكرروا عليهم المراسلة ، وهم لايزدادون إلا مخالفة وشغبا ، فأرسلوا فى خامس مرة فرنساويا ، يقول : « أمان أمان سوا سوا » وبيده ورقة من سارى عسكر ، فأنزلوه من على فرسه وقتلوه ، وظن كامل أهل مصر أنهم إنما يطلبون صلحهم عن عجز وضعف ، وأشعلوا نيران القتال ، وجدوا فى الحرب من غير انفصال ، والفرنساوية لم يقصروا كذلك ، وراسلوا رمى المدافع والقنابر والبندق المتكاثر ، وحضر الألفى إلى عثمان كتخدا برأى ابتدعه ظن أنَّ فيه الصواب ، وهو أنْ يرفعوا على هلالات المنارات أعلاما نهارا ، ويوقدون عليها القناديل ليلا ، ليرى ذلك العسكر القادم فيهتدى ، ويعلمون أن البلد بيد المسلمين ، وأنهم منصورون ، وكذلك صنع معهم أهل بولاق ، وذلك لغلبة ظن الناس أن هناك عسكرا قادمين لنجدتهم ، وظن أهل بولاق أن الباعث على ذلك نصرتهم ، فصمموا على ذلك للحرب ، واستمر هذا الحال بين الفريقين إلى يوم الخميس ثانى عشرينه الموافق لعاشر برموده القبطى وسادس نيسان الرومى [1] ، فغيمت السماء غيما كثيفا ، وأرعدت رعدا مزعجا عنيفا ، وأمطرت مطرا غزيرا ، وسيلت سيلا كثيرا ، فسالت المياه فى الجهات ، وتوحلت جميع السكك والطرقات ، فاشتغل الناس بتجفيف المياه والأوحال ، ولطخت الأمراء والعساكر بسراويلهم ومراكبهم بالطين ، والفرنساوية هجموا على مصر وبولاق من كل ناحية ، ولم يبالوا بالأمطار لأنهم فى خارج الأفنية ، وهى لاتتأثر بالمياه كداخل الأبنية ، وعندهم الاستعداد والتحفظ والخفة فى ملابسهم ، وما على رؤوسهم ، وكذلك أسلحتهم وعددهم وصناعتهم بخلاف

---

(١) ٢٢ شوال ١٢١٤ هـ / ١٠ برمودة ١٥١٦ ق / ١٦ نيسان (ابريل) ١٨٠٠ م .

المسلمين ؛ فلما حصل ذلك اغتنموا الفرصة وهجموا على البلدين من كل ناحية ، وعملوا فتائل مغمسة بالزيت والقطران ، وكعكات غليظة ملوية على أعناقهم معمولة بالنفط ، والمياه المصنوعة المقطرة التى تشتعل ويقوى لهبها بالماء ، وكان معظم كبستهم من ناحية باب الحديد ، وكوم أبى الريش ، وجهة بركة الرطلى ؛ وقنطرة الحاجب ، وجهة الحسينية والرميلة ، فكانوا يرمون المدافع والبنبات من قلعة جامع الظاهر ، وقلعة قنطرة الليمون ، ويهجمون أيضًا وأمامهم المدافع وطائفة خلفهم بواردية ، يقال لهم : « السلطات » يرمون بالبندق المتتابع ، وطائفة بأيديهم الفتائل والكعكات المشتعلة بالنيران يلهبون بها السقائف وضرف الحوانيت وشبابيك الدور ، ويزحفون على هذه الصور شيئًا فشيئًا ، والمسلمون أيضًا بذلوا جهدهم ، وقاتلوا بشدة همتهم وعزمهم ، وتحول الأغا وأكثر الناس إلى تلك الجهة ، وزلزلوا فى ذلك اليوم والليلة زلزالا شديدا ، وهاجت العامة وصرخت النساء والصبيان ونطوا من الحيطان ، والنيران تأخذ المتوسطين بين الفئتين من كل جهة ، هذا والأمطار تسح حصة من النهار وكذلك بالليل من ليلة الجمعة ، وكذلك الرعد والبرق ، وعثمان بيك الأشقر الإبراهيمى ، وعثمان بيك البرديسى المرادى ، ومصطفى كاشف رستم ، يذهبون ويجيئون من الفرنسيس إلى المسلمين ومن الفرنسيس إليهم ، ويسعون فى الصلح بين الفريقين ، ثم إنهم هجموا على بولاق من ناحية البحر ومن ناحية بوابة أبى العلا بالطريقة المذكور بعضها ، وقاتل أهل بولاق جهدهم ورموا بأنفسهم فى النيران حتى غلب الفرنسيس عليهم وحصروهم من كل جهة ، وقتلوا منهم بالحرق والقتل ، وبلوا بالنهب والسلب وسلكوا بولاق وفعلوا بأهلها ما يشيب من هوله النواصى ، وصارت القتلى مطروحة فى الطرقات والأزقة ، واحترقت الأبنية والدور والقصور ، وخصوصا البيوت والرباع المطلة على البحر ، وكذلك الأطارف ، وهرب كثير من الناس عندما أيقنوا بالغلبة فنجوا بأنفسهم إلى الجهة القبلية ، ثم أحاطوا بالبلد ، ومنعوا من يخرج منها ، واستولوا على الخانات والوكائل والحواصل والودائع والبضائع ، وملكوا الدور وما بها من الأمتعة والأموال والنساء والخوندات والصبيان والبنات ، ومخازن الغلال والسكر ، والكتان والقطن والأبازير والأرز والأدهان والأصناف العطرية ، وما لاتسعه السطور ، ولايحيط به كتاب ولا منشور ، والذى وجدوه منعكفا فى داره أو طبقته ولم يقاتل ولم يجدوا عنده سلاحا ، نهبوا متاعه وعروه من ثيابه ، ومضوا وتركوه حيا ، وأصبح من بقى من ضعفاء أهل بولاق

وأهلها وأعيانها الذين لم يقاتلوا فقراء لايملكون ما يستر عوراتهم ، وذلك يوم الجمعة ثالث عشرينه[1] ، وكان محمد الطويل كاتب الفرنساوية أخذ منهم أمانا لنفسه ، وأوهم أصحابه أنه يحارب معهم وفى وقت هجوم العساكر انفصل إليهم ، واختفى البشتيلى فدلوا عليه وقبضوا على وكيله ، وعلى الرؤساء ، فحبسوا البشتيلى بالقلية والباقى ببيت سارى عسكر ، وضيقوا عليهم حتى منعوهم البول ، وفى اليوم الثالث أطلقوهم وجمعوا عصبة البشتيلى من العامة وسلموهم البشتيلى ، وأمروهم أن يقتلوه بأيديهم لدعواهم أنه هو الذى كان يحرك الفتنة ويمنعهم الصلح ، وأنه كاتب عثمان كتخدا بمكتوب قال فيه : « إن الكلب دعانا للصلح فأبينا منه » ، وأرسله مع رجل ليوصله إلى الكتخدا ، فوقع فى يد سارى عسكر كلهبر فحركه ذلك على أخذ بولاق وفعله فيها الذى فعله ، وقوبل على ذلك بأن أسلم إلى عصبته وأمروا أن يطوفوا به البلد ثم يقتلوه ، ففعلوا ذلك وقتلوه بالنبابيت ، وألزم أهل بولاق بأن يرتبوا ديوانا لفصل الأحكام وقيدوا فيه تسعة من رؤسائهم ، ثم بعد مضى يومين ألزموا بغرامة مائتى ألف ريال .

وأما المدينة فلم يزل الحال بها على النسق المتقدّم من الحرب والكرب والنهب والسلب إلى سادس عشرينه[2] حتى ضاق خناق الناس من استمرار الانزعاج والحريق والسهر ، وعدم الراحة لحظة من الليل والنهار مع ما هم فيه من عدم القوت حتى هلكت الناس وخصوصا الفقراء والدواب ، وإيذاء عسكر العثمانلى للرعية ، وخطفهم ما يجدونه معهم حتى تمنوا زوالهم ورجوع الفرنسيس على حالتهم التى كانوا عليها والحال كل وقت فى الزيادة ، وأمر المسلمين فى ضعف لعدم الميرة والمدد، والفرنساوية بالعكس ، وفى كل يوم يزحفون إلى قدام ، والمسلمون إلى وراء. ، فدخلوا من ناحية باب الحديد ، وناحية كوم أبى الريش ، وقنطرة الحاجب[3] ، وتلك النواحى وهم يحرقون بالفتائل والنيران الموقدة ، ويملكون المتاريس إلى أن وصلوا من ناحية قنطرة الخروبى[4] ، وناحية باب الحديد إلى قرب باب الشعرية ، وكان شاهين أغا هناك عند المتاريس فأصابته جراحة فقام من مكانه ، ورجع القهقرى فعند رجوعه

---

(١) ٢٣ شوال ١٢١٤ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٠ م .

(٢) ٢٦ شوال ١٢١٤ هـ / ٢٢ مارس ١٨٠٠ م .

(٣) قنطرة الحاجب : انظر ، ص ٥٦ ، حاشية رقم (١) .

(٤) قنطرة الخروبى : قنطرة كانت قائمة على الخليج المصرى .

وقعت الهزيمة ، ورجع الناس يدوسون بعضهم البعض ، وملك الفرنساوية كوم أبى الريش، وصاروا يحاربون من كوم أبى الريش وهم فى العلو والمسلمون أسفل منهم ، وكان المحروقى زوّر كتابا على لسان الوزير وجاء به رجل يقول : « إنه رسول الوزير وأنه اختفى فى طريق خفية ، ونط من السور ، وأن الوزير يقدم بعد يومين أو ثلاثة وأنه تركه بالصالحية » ، وأن ذلك كذب لا أصل له ، وأن يكتب جوابا عن فرمان كتبوه على لسان المشايخ والتجار ، وأرسلوه إلى الوزير فى أثناء الواقعة، هذا والبرديسى ومصطفى كاشف والأشقر يسعون فى أمر الصلح إلى أن تمموه على كف الحرب ، وأن الفرنساوية يمهلون العثمانية والأمراء ثلاثة أيام حتى يقضوا أشغالهم ، ويذهبون حيث أتوا ، وجعلوا الخليج حدا بين الفريقين لايتعدى أحد من الفريقين الخليج الآخر ، وأبطلوا الحرب ، وأخمدوا النيران ، وتركوا القتال ، وأخذ العثمانية والأمراء والعسكر فى أهبة الرحيل وقضاء أشغالهم ، وزودهم الفرنساوية وأعطوهم دراهم وجمالا وغير ذلك ، وكتبوا بعقد الصلح فرمانا مضمونه : « أنهم يعوقون عندهم عثمان بيك البرديسى وعثمان بيك الأشقر ، ويرسلون ثلاثة أنفار من أعيانهم يكونون بصحبة عثمان كتخدا حتى يصل إلى الصالحية ، وأن يوصلهم سارى عسكر داماس بثلثمائة من العسكر خوفا عليهم من العرب ، وأن من جاء منهم من جهة يرجع إليها ، ومن أراد الخروج من أهل مصر معكم فليخرج ما عدا عثمان بيك الأشقر ، فإنه إذا رجع الثلاثة مع الفرنساوية ، يذهب مع البرديسى إلى مراد بيك بالصعيد » ، وأرسلوا الثلاثة المذكورين إلى وكالة ذى الفقار بالجمالية ، وأجلسوهم بمسجد الجمالى صحبة نصوح باشا ، فهاجت العامة وراموا قتلهم ، وهموا بقتل عثمان كتخدا ، فأغلق دونهم باب الخان ، ومنع نصوح باشا العامة من الهجوم على المسجد ، وركب المغربى فتوجه إلى الحسينية ، وطلب محاربة الفرنسيس ، فحضر أهل الحسينية إلى عثمان كتخدا يستأذنونه فى موافقة ذلك المغربى أو منعه ، فأمر بمنعه وكفهم عن القتال ، وركب المحروقىّ عند ذلك ومر بسوق الخشب ، وقدامه المناداة بأن لا صلح ولزوم المتاريس ، فمنعه نزله أمين ، ثم فتح باب الوكالة ، وخرج منها عسكر بالعصى فهاجوا فى العامة ، ففروا وسكن الحال ، وقد كان لما حصل ما تقدم من نقض الصلح ودخول العثمانية وعساكرهم إلى المدينة ، ووقع ما تقدم وكلفوا الناس الأمور الغير اللائقة ، حضر السيد أحمد المحروقى إلى الشيخ أبى الأنوار السادات بجواب عن لسان عثمان كتخدا الدولة ، فكتب له الشيخ تذكرة وصورتها : « حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ، ونعم النصير وما هى من الظالمين ببعيد » .

وظَنَنْتُ أنكَ عُدتى أسْطُو بها ... ويَدى إذا اشْتدّ الزمانُ وساعدى
فَرُميتُ منكَ بغَيْرِ ما أمّلْتُه ... والمرءُ يشْرَقُ بالزُّلالِ البَارِدِ

أما بعد فقد نقضت عهدى ، وتركت مودّة آل بيت جدّى ، وأطعت الظلمة السفلة ، وامتثلت أمر المارقين الثقلة ، فأعنتهم على البغى والجور ، وسارعت فى تنجيز مرامهم الفاسد على الفور ، من إلزامكم الكبير والصغير ، والغنى والفقير إطعام عسكركم الذى أوقع بالمؤمنين الذل والمضرات ، وبلغ فى النهب والفساد غاية الغايات ، فكان جهادهم فى أماكن الموبقات والملاهى ، حتى نزل بالمسلمين أعظم المصائب والدواهى ، فاستحكم الدمار والخراب ، ومنعت الأقوات ، وانقطعت الأسباب ، فبذلك كان عسكركم مخذولا ، وبهم عم الحريق كل بيت كان بالخير مشمولا ، كيف لا وأكابركم أضمرت السوء للمرتزقة فى تضييق معايشهم ، وأخذ مرتباتهم وإتلاف ما بأيديهم من أرزاقهم وتعلقاتهم ، وقد أخفتم أهل البلد بعد أمنها، وأشعلتم نار الفتنة بعد طفئها ، ثم فررتم فرار الفيران من السنّوْر[1] ، وتركتم الضعفاء متوقعين أشنع الأمور ، فواغوثاه واغوثاه ، أغثنا يا غياث المستغيثين ، واحكم بعد ذلك يا أحكم الحاكمين وانصرنا وانتصر لنا فإننا عبيدك الضعفاء المظلمون يا أرحم الراحمين » .

واستهل شهر ذى الحجة بيوم الجمعة سنة ١٢١٤ [2]

فيه[3] ، خرج العثمانية وعساكرهم وإبراهيم بيك وأمراؤه ومماليكه ، والألفى وأجناده ، ومعهم السيد عمر مكرم النقيب ، والسيد أحمد المحروقىّ الشاه بندر[4] وكثيرون من أهل مصر ، ركبانا ومشاة إلى الصالحية ، وكذلك حسن بيك الجداوى وأجناده ، وأما عثمان بيك حسن ومن معهم فرجعوا صحبة الوزير ، فلم يسع إبراهيم بيك وحسن بيك ترك جماعتهما خلفهما وذهابهم بأنفسهم إلى قبلى ، بل

---

(١) السنور : جمعها سنانير وتعنى « الهر » أو القط .
قاموس المنجد فى اللغة والأعلام ، ط ٣٣ ، بيروت ١٩٩٢ م ، ص ٣٥٥ .
(٢) ذو الحجة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .
(٣) ١ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٠ م .
(٤) الشاه بندر : منصب تجارى شرفى ، كان صاحبه يقوم بدور رئيسى فى فصل المنازعات بين التجار ، وبخاصة كبار التجار ، ولذا فإنّ شغل هذا المنصب كان يحتاج إلى موافقة السلطات الحاكمة .
عبد الرحيم عبد الرحمن : فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٠ م ، ص ١٠٢ .

رجعـا بجماعـتهما عـلى إثرهمـا وذاقوا وبال أمرهـم ، وانكشف الـغبار عن تـعسة المسلمين، وخيبة أمل الذاهبين والمتخلـفين ، وما استفاد الناس من هذه العمارة ، وما جرى من الغـارة إلا الخراب والسخام والهباب ، فـكانت مدة الحرب والحصر بمـا فيها من الـثلاثة أيـام الهـدنة سبـعة وثلاثـين يوما ، وقـع بهـا من الحروب والـكروب ، والانزعاج والـشتات والهيـاج وخراب الدور وعظائـم الأمور ، وقتل الرجـال ونهب الأموال ، وتسلط الأشرار ، وهتك الأحرار ، وخصوصـا ما أوقع الفرنساوية بالناس بعد ذلك مما سـيتلى عليك بعضـه ، وخرب في هذه الواقعة عدّة جـهات من أخطاط مصر الجليلة مثل : جهة الأزبكية الـشرقية من حد جامع عثمان والفوّالة[1] ، وحارة كتخدا ، ورصيف الخشاب ، وخطة الساكت إلى بيت سارى عسكر بالقرب من قنطرة الدكة ، وكذلك جهة باب الهواء إلى حارة النصارى من الجهة القبلية .

وأما بركة الرطلى وما حولها من الدور والمتـنزهات والبساتين ، فإنها صارت كلها تلالا وخرائب ، وكيمان أتـربة ، وقد كانت هذه البركة من أجل متـنزهات مصر قديما وحديثا ، وبالقرب مـنها المقصف المعروف بدهليز الملك ، والـبربخ والجسر ، وكانت تعرف ببركة الـطوابين ، ثم عرفت ببركة الحاجـب منسوبة للأمير بكتـمر الحاجب من أمراء الملك الناصر مـحمد بن قلاوون ، لأنه هو الذى احتفرها وأجـرى إليها الماء من الخليج الناصـرى ، وبنى القنطرة المنسوبـة إليه ، وعمر عليها الدور والمـناظر ، وبنى علـى الجسر الفـاصـل بيـنها وبين الخـليج دورا بـهية ، وكان هـذا الجسر مـن أجل المتنزهات ، وقد خربت منـازله فى القرن العاشر[2] فى واقعة السلطـان سليم خان مع الغورى ، وصار محله بستانا عظيما ، قطـع أشجاره وغالب نخيله الفرنساوية ، وفيه يقول بعضهم من قصيدة قديمة :

أصَابت الجسرَ عينُ الـدهرِ فانقَصَفَا ... ولاحَ بـدرُ الـتّصَابِى فـيـه مُنْخَسِفَا
وأعـينُ البـحـرِ قد فـاضَتْ مُعكَّرةً ... تَبكِى عـلى زمـن قَد كَان فيـه صَفَا

ومنهـــــا :

أيـا رَعَى اللهُ وقتًا مَرَّ حـينَ حَلاَ ... بِطيبِ عيشٍ لـنا فى الجسْرِ قد سَلَفَا

(١) الفوالة : انظر ، ص ٣٥ ، حاشية رقم (٢) .
(٢) القرن العاشر الهجرى / السادس عشر الميلادى .

وكان للقاضى ابن الجيعان عليها دور جليلة ، ومسجده[1] المعروف به إلى الآن بشاطئها ، ومسجد الحريشى [2] ، وعرفت ببركة الرطلى لأنه كان فى شرقها زاوية بها نخل كثير ، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة ، يقال له الشيخ على الرطلى ، فنسبت إليه ، وفيها يقول بعضهم :

« فـى أرضِ طَبَّالتنَا بركـةٌ ... مُدْهِشَةٌ لِلعَيْنِ والعَقْلِ
تَرْجَحُ فـى مِيزانِ عَقْلى علـى ... كُلِّ بحارِ الأرضِ بالـرَّطْلِ »

وقوله : « فى أرض طبالتنا بركة » يعنى أن هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، والطبالة امرأة مغنية مشهورة فى آخر دولة الإخشيد ، فلما حضر المغربى معد الفاطمى إلى مصر ، وكان يدعى الإمامة والخلافة دون بنى العباس ، فخرجت إليه بجوقتها[3] ومشت أمامه تزفه بالدفوف وتقول :

يـا بَنِى العَبَّاسِ رُدُّوا ... مَلَكَ الأمـرَ مَعَدُّ
مُلْكُكُمْ مُلْكٌ مُعَـارٌ ... والعَوَارِى تُسْتَرَدُّ

فأعجبه ذلك ، وأراد أن ينعم عليها ، فتمنت عليه أن يقطعها هذه الأرض ، فأقطعها إياها فعرفت بها ، وبهذه البركة بركة يطلع بها البشنين ، وهو اللينوفر ، يقوم على ساق ، ممتد ذلك الساق إلى أعلى بمقدار غمر الماء ، بحيث تكون نوارة كل ساق مساوية لسطح الماء ، ونواره أصفر ، وهو على هيئة الورد المتفتح ، ويحيط بذلك الورد الأصفر ورق أخضر ، وفى داخل الأصفر عروق بيض ، يدور ذلك النوار مع الشمس ، حيث دارت ، وفيه يقول بعضهم :

وبِرْكَةٍ تَزْهُو بِلِينُوفَرٍ ... شَبَهْتُهُ طِيبَةٌ بِنَشْرِ الحبيبِ
مُفَتَّحُ الأحداقِ فـى نَومِهِ ... حتـى إذا الشمسُ دنَت لِلْمَغِيبِ
أطبَقَ جَفْنَيْـه علـى خَدِّه ... وغاصَ فى البِركَةِ خَوْفَ الرقيبِ

(1) مسجد ابن الجيعان : كان يوجد بشارع سوق السمك القديم ، وتخرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر وأصبح يعرف بزاوية عبد الرحمن الجيعان .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٥٢ .
(2) مسجد الحريشى : يقع بأخر بركة الرطلى ، سماه المقريزى بجامع بركة الرطلى ، به مدفن الشيخ يوسف الحريشى ، وبه سمى .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٢٦٤
(3) كتب بهامش ص ١٠٥ ، طبعة بولاق « قوله بجوقتها ، قال فى القاموس : الجوقة الجماعة المتخرقة » .

وليس يطلع هذا البشنين بجميع أرض البركة بل بقطعة منها مخصوصة تجاه الجسر المذكور .

ومما تخرب أيضًا حارة المقس ، من قبل سوق الخشب إلى باب الحديد ، وجميع ما فى ضمن ذلك من الحارات والدور، صارت كلها خرائب متهدمة محترقة ، تسكب عند مشاهدتها العبرات، ويتذكر بها ما يتلى فى حق الظالمين من الآيات ، ﴿ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[3] ، ودخل الفرنساوية إلى المدينة يسعون ، وإلى الناس بعين الحقد ينظرون ، واستولوا على ما كان اصطنعه وأعده العثمانية من المدافع والقنابر والبارود وآلات الحرب جميعها، وقيل إنهم حاسبوهم على كلفته ومصاريفه ، وقبضوا ذلك من الفرنساوية ، وركب المشايخ والأعيان عصر ذلك اليوم ، وذهبوا إلى كبير الفرنسيس ، فلما وصلوا إلى داره ودخلوا عليه وجلسوا ساعة ، أبرز إليهم ورقة مكتوب فيها : « النصرة لله الذى يريد أن المنصور يعمل بالشفقة والرحمة مع الناس ، وبناء على ذلك سارى عسكر العام ، يريد أن ينعم بالعفو العام والخاص على أهل مصر ، وعلى أهل بر مصر ، ولو كانوا يخالطون العثملى فى الحروب ، وأنهم يشتغلون بمعايشهم وصنائعهم » ، ثم نبه عليهم بحضورهم إلى قبة النصر بكرة تاريخه ، ثم قاموا من عنده ، وشقوا المدينة وطافوا بالأسواق وبين أيديهم المناداة للرعية بالاطمئنان والأمان ، فلما أصبح ذلك اليوم ، ركبت المشايخ والوجاقلية وذهبوا إلى خارج باب النصر ، وخرج أيضًا القلقات والنصارى القبط والشوام وغيرهم ، فلما تكامل حضور الجميع رتبوا موكبا وساروا ودخلوا من باب النصر وقدامهم جماعة من القواسة يأمرون الناس بالقيام ، وبعض فرنساوية راكبين خيلا وبأيديهم سيوف مسلولة ، ينهرون الناس ويأمرونهم

---

(١) سورة : النمل ، رقم (٢٧) ، آية رقم (٥٢)

(٢) سورة : القصص ، رقم (٢٨) ، الآيتان رقم (٥٨ ، ٥٩).

(٣) سورة : الإسراء ، رقم (١٧) ،آية رقم (١٦) .

بالوقوف على أقدامهم ، ومن تباطأ فى القيام أهانوه ، فاستمرت الناس وقوفا من ابتداء سير الموكب إلى انتهائه ، ثم تلا الطائفة الآمرة للناس بالوقوف جمع كثير من الخيالة الفرنساوية ، بأيديهم سيوف مسلولة وكلهم لابسون جوخا أحمر ، وعلى رؤوسهم طراطير من الفراوى على غير هيئة خيالتهم ومشاتهم ، ثم تتالى بعد هؤلاء طوائف العساكر ببوقاتهم وطبولهم وزمورهم ، واختلاف أشكالهم وأجناسهم وملابسهم من خيالة ورجاله ، ثم الأعيان والمشايخ والوجاقلية وأتباعهم إلى أن قدم سارى عسكر الفرنساوية ، وخلف ظهره عثمان بيك البرديسى ، وعثمان بيك الأشقر، وخلفهم طوائف من خيالة الفرنسيس ، ولما انقضى أمر الموكب نادوا بالزينة، فزينت البلد ثلاثة أيام آخرها يوم الثلاثاء[1] ، مع السهر ووقود القناديل ليلا ، ثم دعاهم فى يوم الأربعاء[2] ، وعمل لهم سماطا عظيما على طريقة المصرلية ، وبعد انقضاء الوليمة والطعام خاطبهم على لسان الترجمان يقول لهم : « إن سارى عسكر يقول لكم إنكم تأتون إليه بعد غد يوم الجمعة [3] ، ويعمل معكم تدبيرا ويرتب الديوان لأجل تنظيم البلد ، وصلاح حالكم وحال الرعية » ، وقلدوا فى ذلك اليوم محمد أغا الطنانى أغات مستحفظان ، وركب ونادى بالأمان ، وأعطوا البكرى بيت عثمان كاشف كتخدا الحج، وهو بيت البارودى الثانى ، فسكن به ، وشرع فى تنظيمه وفرشه ، ولبسوه فى ذلك اليوم فروة سمور ، فقاموا من عنده فرحين مطمئنين مستبشرين .

فلما كان يوم الخميس سابعه[4] ذهب إلى مراد بيك بجزيرة الذهب باستدعاء ، فمد لهم أسمطة عظيمة ، وانبسط معهم وافتخر افتخارا زائدا ، وأهدى إلى بعضهم هدايا جليلة ، وتقادم عظيمة ، وأعطاه ما كان أرسله درويش باشا معونة للباشا والأمراء من الأغنام وغيرها ، وكانت نحو الأربعة آلاف رأس ، وولوه إمارة الصعيد من جرجا إلى إسنا ، ورجع عائدا إلى داره بالأزبكية ، فلما كان فى صبحها يوم الجمعة ثامنه [5] ، بكروا بالذهاب إلى بيت سارى عسكر ، ولبسوا أفخر ثيابهم وأحسن هيآتهم ، وطمع كل واحد منهم وظن أن سارى عسكر يقلده فى هذا اليوم أجل المناصب ، أو ربما حصل التغيير والتبديل فى أهل الديوان ، فيكون فى الديوان الخصوصى ، فلما استقر بهم الجلوس فى الديوان الخارج ، أهملوا حصة طويلة ،

---

(١) ٥ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٣٠ ابريل ١٨٠٠ م .
(٢) ٦ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ١ مايو ١٨٠٠ م .
(٣) ٨ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٣ مايو ١٨٠٠ م .
(٤) ٧ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٢ مايو ١٨٠٠ م .
(٥) ٨ ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٣ مايو ١٨٠٠ م .

لم يـؤذن لهم ، ولـم يخاطبـهم أحد ، ثـم فتح بـاب المجلس الداخـل وطلبـوا إلى الدخول فـيه فدخلـوا وجلسـوا حـصة مثل الأولـى ، ثم خرج إليـهم سارى عسـكر وصحبته الترجمان وجماعة من أعيـانهم ، فوضع له كرسى فى وسط المجلس وجلس عليه ، ووقف الترجمان وأصحابه حواليه ، واصطف الوجاقلية والحكام من ناحية ، وأعيان النصارى والتجار من ناحية ، وعثمان بيك الأشقر والبرديسى أيضًا حاضران ، وكلم سارى عسكر التـرجمان كلاما طويلا بلغتهم حتى فرغ ، فالـتفت الترجمان إلى الجماعـة وشرع يفسر لهـم مقالة سارى عسـكر ، ويترجم عنـها بالعربى ، والجـماعة يسمعون فكان ملـخص ذلك القـول إن سـارى عسكر ، يقول لكـم : « يطلب منكم عشرة آلاف ألف » ، إلى آخر العبارة الآتية :

وأما هذه العبارة فإنه قالها المهدى فقط : « إننا لما حضرنا إلى بلدكم هذه نظرنا أن أهل العلم هم أعقل الناس والناس بهم يقتدون ، ولأمرهم يمتثلون ، ثم إنكم أظهرتم لنا المحـبة والمودة وصدقـنا ظاهر حـالكم ، فاصـطفينـاكم وميزنـاكم على غـيركم ، واخترنـاكم لتدبـير الأمور ، وصلاح الجـمهور ، فرتـبنا لكـم الديوان ، وغمـرناكم بالإحســان وخفضنا لكـم جناح الطاعــة ، وجعلناكـم مسموعين الـقــول مقبــولين الشفاعة ، وأوهــمتمونا أن الرعية لكم يـنقادون ، ولأمركم ونهيكم يرجـعون ، فلما حضر العثملى فرحتم لقدومهم وقمتم لنصرتهم وثبت عند ذلك نفاقكم لنا » ، فقالوا له : « نحن ما قمـنا مع العثملى إلا عن أمركـم لأنكم عرفتمونا أننا صـرنا فى حكم العثملى من ثـانى شهر رمضان[1] ، وأن البلاد والأمـوال صارت له وخصـوصا وهو سلطاننا القديم وسـلطان المسلمين ، وما شعرنا إلا بحدوث هذا الحادث بـينكم وبينهم على حين غـفلة ، ووجدنا أنفسنـا فى وسطهم ، فلم يمـكننا التخلف عـنهم » ، فرد عليهم الترجمان ذلك الجواب ، ثم أجابهم بقوله : « ولأى شىء لم تمنعوا الرعية عما فعلوه من قيامهم ومحاربتهم لنا » ، فقالوا : « لايمكننا ذلك خصوصا وقد تقووا علينا بغيرنا ، وسمعـتم ما فعلـوه معنا مـن ضربـنا وبهدلتنا عندما أشرنا علـيهم بالصلح ، وترك الـقتال » ، فقـال لهم : « وإذا كان الأمـر كما ذكـرتم ، ولا يخرج من يـدكم تسكـين الفتنة ولاغيـر ذلك ، فما فائدة ريـاستكم ، وإيش يكـون نفعكم ، وحيـنئذ لايأتيـنا منكـم إلا الـضرر ، لأنكم إذا حضر أخـصامنا قمتـم معهم ، وكنتـم وإياهم علينا ، وإذا ذهبوا رجعتم إلينا معتذرين ، فـكان جزاؤكم أن نفعل معكم كما فعلنا مع أهل بولاق من قتلكم عن آخركم ، وحرق بلدكم ، وسبى حريمكم وأولادكم » .

(١) ٢ رمضان ١٢١٤ هـ / ٢٨ يناير ١٨٠٠ م .

ولكن حيث أننا أعطيناكم الأمان فلا ننقض أماننا ولانقتلكم ، وإنما نأخذ منكم الأموال فالمطلوب منكم عشرة آلاف ألف ألف فرنك[1] عن كل فرنك ثمانية وعشرون فضة ، يكون فيها ألف ألف فرانسه ، عنها خمس عشرة خزنة رومى بثلاث عشرة خزنة مصرى ، منها خمسمائة ألف فرانسه على مائتين على الشيخ السادات ؛ خاصة من ذلك خمسمائة وخمسة وثلاثون ألفا ، والشيخ محمد بن الجوهرى خمسون ألفا ، وأخيه الشيخ فتوح خمسون ألفا ، والشيخ مصطفى الصاوى خمسون ألفا ، والشيخ العنانى مائتان وخمسون ألفا نقتطعها من ذلك ، نظير نهب دور الفارين مع العثملى مثل : المحروقى والسيد عمر مكرم ، وحسين أغا شنن ، وما بقى تدبرون رأيكم فيه ، وتوزعونه على أهل البلد ، وتتركون عندنا مُنكم خمسة عشر شخصا ، انظروا من يكون فيكم رهينة عندنا حتى تغلقوا ذلك المبلغ ، وقام من فوره ودخل مع أصحابه إلى داخل ، وأغلق بينه وبينهم الباب ، ووقفت الحرسبة على الباب الآخر ، يمنعون من يخرج من الجالسين ، فبهت الجماعة ، وانتقعت وجوههم ، ونظروا إلى بعضهم البعض ، وتحيرت أفكارهم ، ولم يخرج عن هذا الأمر إلا البكرى ، والمهدى ، لكون البكرى حصل له ما حصل فى صحائفهم ، والمهدى حرق بيته بمرآى منهم ، وكان قبل ذلك نقل جميع ما فيه بداره بالخرنفش ، ولم يترك به إلا بعض الحصر ، ولم يكن به غير بعض الخدم ، وكان يستعمل المداهنة وينافق الطرفين بصناعته وعادته ، ولم تزل الجماعة فى حيرتهم وسكرتهم ، وتمنى كل منهم أنه لم يكن شيئًا مذكورا ، ولم يزالوا على ذلك الحال إلى قريب العصر حتى بال أكثرهم على ثيابه ، وبعضهم شرشر ببوله من شباك المكان ، وصاروا يدخلون على نصارى القبط ويقعون فى عرضهم ، فالذى انحشر فيهم ولم يكن معدودا من الرؤساء أخرجوه بحجة أو سبب ، وبعضهم ترك مداسه وخرج حافيا ، وما صدق بخلاص نفسه ، هذا والنصارى والمهدى يتشاورون فى تقسيم ذلك وتوزيعه وتدبيره وترتيبه فى قوائم ، حتى وزعوها على الملتزمين وأصحاب الحرف حتى على الحواة والقردتيه ، والمحبظين[2] ، والتجار ، وأهل الغورية ، وخان الخليلى ، والصاغة ، والنحاسين ، والدلالين ، والقبانية ، وقضاة المحاكم وغيرهم ، كل طائفة مبلغ له صورة مثل : ثلاثين ألف فرانسة ، وأربعين ألف ، وكذلك بياعو التنباك[3] ، والدخان ،

(١) فرنك : عملة فرنسية

(٢) المحبظين : أى الذين يقومون بألعاب بهلوانية للترفيه .

(٣) التنباك : الدخان الذى يدخن بالنرجيلة .

والصابون ، والخردجية ، والعطارون ، والزياتون ، والشواؤون ، والجزارون ، والمزينون ، وجميع الصنائع والحرف ، وعملوا على أجرة الأملاك والعقار والدور أجرة سنة كاملة ، ثم إنهم استأذنوا للمشايخ الخالص يتوجه حيث أراد ، والمشبوك يلزمون به جماعة من العسكر حتى يغلق المطلوب منه ، فأما الصاوى وفتوح ابن الجوهرى فحبسوهما ببيت قائمقام ، والعنانى هرب ، فلم يجدوه وداره احترقت فاضافوا غرامته على غرامة الشيخ السادات كملت بها مائة وخمسين ألف فرانسة ، وانفض المجلس على ذلك .

وركب سارى عسكر من يومه ذلك ، وذهب إلى الجيزة ، ووكل يعقوب القبطى يفعل فى المسلمين ما يشاء ، وقائمقام والخازندار لرد الجوابات ، وقبض ما يتحصل ، وتدبير الأمور والرهونات ، ونزل الشيخ السادات وركب إلى داره ، فذهب معه عشرة من العسكر ، وجلسوا على باب داره ، فلما مضت حصة من الليل حضر إليه مقدار عشرة من العسكر أيضًا ، فأركبوه وطلعوا به إلى القلعة وحبسوه فى مكان، فأرسل إلى عثمان بيك البرديسى، وتداخل عليه فشفع فيه، فقالوا له : « أما القتل فلا نقتله لشفاعتك ، وأما المال فلابد من دفعه ، ولابد من حبسه وعقوبته حتى يدفعه » ، وقبضوا على فراشه ومقدمه وحبسوهما ، ثم أنزلوه إلى بيت قائمقام ، فمكث به يومين ، ثم أصعدوه إلى القلعة ثانيا ، وحبسوه فى حاصل ينام على التراب ، ويتوسد بحجر ، وضربوه تلك الليلة ، فأقام كذلك يومين ثم طلب زين الفقار كتخدا فطلع إليه هو وبرطلمان ، فقال لهما : « أنزلونى إلى دارى حتى أسعى وأبيع متاعى ، وأشهل حالى » ، فاستأذنوا له وأنزلوه إلى داره ، فأحضر ما وجده من الدراهم ، فكانت تسعة آلاف ريال معاملة ، عنها ستة آلاف ريال فرانسة، ثم قوموا ما وجدوه من المصاغ والفضيات والفراوى والملابس وغير ذلك ، بأبخس الثمن فبلغ ذلك خمسة عشر ألف فرانسة ، فبلغ المدفوع بالنقدية والمقومات أحدا وعشرين ألف فرانسة ، والمحافظون عليه من العسكر ملازموه لايتركونه يطلع إلى حريمه ، ولا إلى غيره ، وكان وزع حريمه وابنه إلى مكان آخر ، وبعد أن فرغوا من الموجودات ، جاسوا خلال الدار يفتشون ويحفرون الأرض على الخبايا حتى فتحوا الكنيفات ، ونزلوا فيها ، فلم يجدوا شيئًا ، ثم نقلوه إلى بيت قائمقام ماشيا ، وصاروا يضربونه خمسة عشر عصا فى الصباح ، ومثلها فى الليل ، وطلبوا زوجته وابنه فلم يجدوهما ، فأحضروا محمدا السندوبى تابعه وقرروه حتى عاين الموت حتى عرفهم بمكانهما ، فأحضروهما وأودعوا ابنه عند أغات الإنكشارية ، وحبسوا زوجته معه ، فكانوا يضربونه بحضرتها وهى تبكى وتصيح ، وذلك زيادة فى الإنكاء ، ثم

إن المشايخ وهم: الشرقاوى والفيومى والمهدى والشيخ محمد الأمير، وزين الفقار كتخدا تشفعوا فى نقلها من عنده، فنقلوها إلى بيت الفيومى، وبقى الشيخ على حاله، وأخذوا مقدمه وفراشه وحبسوهما، وتغيب أكثر أتباعه، واختفوا، ثم وقعت المراجعة والشفاعة فى غرامة الشيخ فتوح الجوهرى والصاوى، فأضعفوها وجعلوها على كل واحد منهما خمسة عشر ألف فرانسة ورد الباقى على الفردة العامة، وأما الشيخ محمد بن الجوهرى فإنه اختفى، فلم يجدوه فنهبوا داره ودار نسيبه المعروف بالشويخ، ثم إنه توسل بالست نفيسة زوجة مراد بيك، فأرسلت إلى مراد بيك، وهو بالقرب من الفشن[1]، فأرسل من عنده كاشفا وتشفع فيه، فقبلوا شفاعته ورفعوها عنه وردوها أيضًا على الفردة العامة، ثم إنهم وكلوا بالفردة العامة وجميع المال يعقوب القبطى وتكفل بذلك، وعمل الديوان لذلك ببيت البارودى، وألزموا الأغا بعدة طوائف كتبوها فى قائمة بأسماء أربابها، وأعطوه عسكرا وأمّروه بتحصيلها من أربابها، وكذلك على أغا الوالى الشعراوى، وحسن أغا المحتسب، وعلى كتخدا سليمان بيك، فنبهوا على الناس بذلك وبثوا الأعوان بطلب الناس وحبسهم وضربهم، فدهى الناس بهذه النازلة التى لم يصابوا بمثلها ولا ما يقاربها، ومضى عيد النحر، ولم يلتفت إليه أحد بل ولم يشعروا به، ونزل بهم من البلاء والذل ما لايوصف، فإن أحد الناس غنيا كان أو فقيرا لابد وأن يكون من ذوى الصنائع أو الحرف، فيلزمه دفع ما وزع عليه فى حرفته، أو فى حرفتيه وأجرة داره أيضًا سنة كاملة، فكان يأتى على الشخص غرامتان أو ثلاثة ونحو ذلك، وفرغت الدراهم من عند الناس، واحتاج كل إلى القرض، فلم يجد الدائن من يدينه لشغل كل فرد بشأنه ومصيبته، فلزمهم بيع المتاع فلم يوجد من يشترى، وإذا أعطوهم ذلك لايقبلونه، فضاق خناق الناس وتمنوا الموت، فلم يجدوه، ثم وقع الترجى فى قبول المصاغات والفضيات، فأحضر الناس ما عندهم فيقوم بأبخس الأثمان، وأما أثاثات البيوت من فرش ونحاس وملبوس فلا يوجد من يأخذه، وأمروا بجمع البغال، ومنعوا المسلمين ركوبها مطلقا سوى خمسة أنفار من المسلمين وهم: الشرقاوى والمهدى والفيومى والأمير وابن محرم، والنصارى المترجمين، وخلافهم لا حرج عليهم، وفى كل وقت وحين يشتد الطلب وتنبث المعينون والعسكر فى طلب الناس، وهجم الدور وجرجرة الناس حتى النساء من أكابر

---

(1) الفشن: من القرى القديمة، فى ١٨٤٤ م، أصبحت قاعدة لمديرية الأقاليم الوسطى، ثم ألغيت هذه المديرية ١٩ مارس ١٨٥١ م، وهى الآن مدينة وقاعدة لمركز الفشن، محافظة بنى سويف.
رمزى، محمد: المرجع السابق، ق ٢، جـ ٣، ص ١٨٨ - ١٨٩.

واصاغر ويهدلـتهم وحبسهم وضربهـم ، والذى لـم يجدوه لكونه فر وهـرب يقضون على قريبه أو حريمه أو ينهبـون داره ، فإن لـم يجـدوا شيئًا ردوا غرامته عـلى أبناء جنسـه ، وأهل حرفته ، وتـطاولت النصـارى من القبـط ، والنصارى الشـوام على المسلمين بـالسب والضرب ، ونالوا منهـم أغراضهم ، وأظهروا حقدهـم ، ولـم يبقوا للصـلح مكانا ، وصرحـوا بانقضاء ملـة المسلمين ، وأيـام الموحدين ، هذا والكـتبة والمهـندسـون والبنـاؤون يطوفـون ويحـررون أجر الأماكـن والعقـارات ، والوكـائل والحمامات ، ويكتبـون أسماء أربابها وقيمتها ، وخرجت النـاس من المدينة ، وجلوا عنها ، وهربوا إلى القرى والأرياف .

وكان ممن خرج من مـصر صاحبنا النبيه الـعلامة ، الشيخ حسن المشار إلـيه فيما تقدم ، فتـوجه لجهة الصعيـد ، وأقام بأسيوط ، فأقام بهـا نحو ثمانية عـشر شهرا ، وكان كثيـرا ما يراسلني بالمكـاتبة ، ويبالغ فى ذلـك لتشوقه إلى مصر ، ومـن جملة رسائله وقد كنت أرسلت له كتابا فأجاب بقوله : « قد وصل إلىَّ أعز الله كتابك الذى بردَّ بوروده لهيب الحشا ، وأودع مـن البلاغـة مـا نطـق بأن الفـضـل بيد الله يؤتيه من يـشاء ، فهو كـالبرد المـوشى ، والروض الذى هـو بلآلئ الـزهور مغشـى ، جاء مفصـحا عـن بـلاغـة وبراعة ، مـنبئا عن قريـحة لدى تحرير الـقول وتحبيره مـنقادة مطواعة : شعر :

فقى كُل سَطرٍ منهُ شِطرٌ مِن المنَى   وفى كُلِّ لفـظٍ منهُ عِقدٌ مِن الدُّرِّ

فلله هـو من كـتاب جمع محـاسن الخطاب ، وحرك عـندى ما كان كامـنا فى الفؤاد ، وأضرم فى الحشا نار الهوى كورى الزنـاد ، وطال ما كنت متشوقا لأخبار ، ومتشوقا لاسـتعلام أحوال وآثار ، فجاء كتابك يـا سيدى شافيا عليل الـتذكر ، مبردا غليل التـشوق والتفكر ، سرت حميا الـفاظه فى فؤاد المشوق ، فوقعـت عنده موقع العاشق من المعشوق ، فيا له من كتاب أخبر عن محاسن الأحبة ، قال له القلب حين مازجه وحسبه ، إنه أحاديث نعـمان وساكنه ، وهـات حدِّث عن نجد وقاطنـه ، تلك شئون طال بها العـهد ، وانجر عليها ذيل الحوادث وامتد ، وما كـنت أوثر أن يمتد بى الزمان ، حتى أرى الأسفار تـتلاعب بى كالكرة فى ميدان البلـدان ، حصل لى القهر بخـروجى مـن الـقاهـرة ، واغبر أخضـــر أيامى الـزاهرة ، ولقـد ألجأتنى خـطوب الإغتراب ، واضطرتنى شؤن السفر الذى هو قطعة من العذاب إلى التقلب فى قوالب الاكتساب ، والتلبيس بتلبيس الانتساب ، وإخفاء معالم المجئ والذهاب ، شعر :

فَطَوْرًا شَيْخُ زاويـــــــــةٍ وفَقْرٍ وأخْرى كـاتـبٌ فـى بَابِ وَالـى

أسلك الوفاق مع الرفاق ، ولا أركب المشاق بجلب الشقاق :

طَوْرًا يمَانٍ إذا لاقَيْتُ ذا يمـــــن وإنْ رأيـتُ مَعَدِّيــا فَعَدْ نـانـــى

وبهذا وأشباهه تم الدست ، وثبت حبل الحبالة آمنا من السبت ، بأخذى بالتخلق بأخلاق مـن عاصرنا من أبـناء الدهر الذى حـلبوا أشطـره ، ومارسوا أخضر الـعيش وأغبره ، حتـى انطبعت فى مرآة عـقولهم حقائق الأشيـاء ، ولاحت لهم أكنتهـا بغير خفـاء ، وغير خـاف أن الماء يمازج الـلبن والراح ، وكـما يـكون به الخـنق يكـون به الارتياح ، شعر :

لَئِنْ كُنتُ فى بـعضِ المواضِعِ عَالما فَلِلْجَهْل فى بعـضِ المواضِعِ أحْوجُ

فصل : وقد كدت من الشوق الذى اجتلبه كتابك أطير إليك بلا جناح ، وأركب متن اليم آيبًا بالهـلك أو النجاح ، وكان من أقوى أسباب القدوم ، مشـاهدة طلعتكم المزرية بأزاهر النجوم ، ولقى أحباب ينفتح بهم باب المسرة ، ويفوح عبير الرياض التى بعدنا صارت مـغبرة ، فحين عزمت علـى السفر وصممت ، وأخذت فـى الاستعـداد وتأهبـت ، حدثت عوائق فى الطريـق وموانع ، ولا وَزَرٌ مما قضى الله شافع ، بسبب الكرتـينات ، التى هـى من البلاء والآفات ، أقيـمت كالشجـا فى فم البر والـبحر ، بداعية أمر الطاعون الذى يتلى علينا من حديثه سورة الانشقاق[1] والفجر[2] ، وحلوله بالقاهرة وضواحـيها ، وانتشاره فى أرجائها ونواحـيها وكل هذا هين بالنسبـة للمتوقع التى كادت الأفئـدة من أصغره الـسابق تتـقطع ، وبه كان فراقى للـوطن ، ونبوّى من الأهل والسكن ، فحينئذ تحقـقت أن لاخلاص من هذه البلاد ، ولات حين مناص ، إذ لايلـدغ المسلم مـن جحر مرتـين ، ولايكر العـاقل علـى نفسه بـالندامة كـرتين ، فراجعت نفسى عما عزمت عليه من الـسفر ، وأشفقت عليها من ورود موارد الخطل والخطر ، وخـاطبت ما هـجس فى البال مـن السفر والارتحـال ، الذى قواه مطـالعة كتابك ، وأيقظه من رقدته سحر خطابك ، شعر :

طَرَقَتْكَ صَائدةُ القُلوبِ وليس ذَا وقـتُ الـزيـارةِ فـارجِعـى بِسَلامِ

ثم أطال فى أغراض أخر وجال فى أساليب الكلام وفنونه .

---

(١) سورة رقم (٨٤) .

(٢) سورة رقم (٨٩) .

ثم إن أكثر الفارين رجع إلى مصر لضيق القرى ، وعدم ما يتعيشون به فيها ، وانزعاج الريف بقطاع الطريق والعرب والمناسر بالليل والنهار ، والقتل فيما بينهم ، وتعدى القوى على الضعيف ، واستمرت الطرق مجفرة ، والأسواق معفرة ، والحوانيت مقفولة ، والعقول مخبولة ، والخانات والوكائل مغلوقة ، والنفوس مطبوقة ، والغرامات نازلة ، والأرزاق عاطلة ، والمطالب عظيمة والمصائب عميمة ، والعكوسات مقصودة ، والشفاعات مردودة ، وإذا أراد الإنسان أن يفر إلى أبعد مكان وينجو بنفسه ، ويرضى بغير أبناء جنسه لايجد طريقا للذهاب ، وخصوصا من الملاعين الأعراب ، الذين هم أقبح الأجناس ، وأعظم بلاء محيط بالناس ، وبالجملة فالأمر عظيم ، والخطب جسيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ [1] .

وفى عشرينه[2] ، انتقلوا بديوان الفردة من بيت البارودى إلى بيت القيسرلى بالميدان ، ووقع التشديد فى الطلب ، والانتقام بأدنى سبب ، وانقضى هذا العام وما جرى فيه من الحوادث العظام ، بإقليم مصر والشام والروم والبيت الحرام .

فمنها : وهو أعظمها تعطيل الثغور ، ومنع المسافرين برا وبحرا ، ووقوف الإنكليز بثغر سكندرية ودمياط يمنعون الصادر والوارد ، وتخطوا أيضًا بمراكبهم إلى بحر القلزم .

ومنها : إنقطاع الحج المصرى فى هذا العام أيضًا ، حتى لم يرجع المحمل بل كان مودوعا بالقدس ، فلما حضر العساكر الإسلامية ، أحضروه صحبتهم إلى بلبيس ، فيقال : إن السيد بدر أرجع به إلى جبل الخليل .

ومنها : وقوف العرب وقطاع الطريق بجميع الجهات : القبلية ، والبحرية ، والشرقية ، والغربية ، والمنوفية ، والقليوبية ، والدقهلية ، وسائر النواحى ، فمنعوا السبيل ولو بالخفارة ، وقطعوا طريق السفار ، ونهبوا المارين من أبناء السبيل والتجار ، وتسلطوا على القرى والفلاحين ، وأهالى البلاد والحرف بالعرى ، والخطف للمتاع والمواشى من البقر والغنم والجمال والحمير ، وإفساد المزارع ورعيها حتى كان أهل البلاد لايمكنهم الخروج ببهائمهم إلى خارج القرية للرعى أو للسقى، لترصد العرب لذلك ، ووثب أهل القرى على بعضهم بالعرب ، فداخلوهم وتطاولوا

---

(1) سورة : هود ، رقم (11) ، آية رقم (102) .

(2) 20 ذى الحجة 1214 هـ / 15 مايو 1800 م .

عليهم وضربوا عليهم الضرائب ، وتلبسوا بأنواع الشرور واستعان بعضهم على بعض ، وقوى القوى على الضعيف ، وطمعت العرب فى أهل البلاد ، وطالبوهم بالثارات والعوائد القديمة الكاذبة ، وآن وقت الحصاد ، فاضطروا لمسالمتهم لقلة الضم ، فلما انقضت حروب الفرنسيس ، نزلوا إلى البلاد واحتجوا عليهم بمصادقتهم العرب ، فضربوهم ونهبوهم وسبوهم وطالبوهم بالمغارم والكلف الشاقة ، فإذا انفضوا وانتقلوا عنهم رجعت العرب على أثرهم ، وهكذا كان حالهم ، ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ [1] .

ومنها : أن النيل قصر مده فى هذه السنة[2] ، فشرقت البلاد وارتحل أهل البحيرة إلى المنوفية ، والغربية ، فاستحسن رحيل عربان البحيرة ، لأنه بقى لهم فى الحى نخيل .

ومنها : أنه لما حضر العثمانية ، وشاع أمر الصلح ، وخضوع الفرنساوية لهم ، نزل طائفة من الفرنسيس إلى المنوفية ، وطلبوا من أهلها كلفة لرحيلهم ، فلما مروا بالمحلة الكبيرة تعصب أهلها ، واجتمعوا إلى قاضيها ، وخرجوا لحربهم ، فأكمن الفرنسيس لهم وضربوا عليهم طلقا بالمدافع والبنادق ، فقتلوا منهم نيفا وستمائة إنسان ، ومنهم القاضى وغيره ، ولم ينج منهم إلا مَنْ فر وكان طويل العمر ، وكذلك أهل طنتداء عند حضورهم إليهم ، وصل إليهم رجل من الجزارين المتسبين للعثمانية من جهة الشرق ، لزيارة سيدى أحمد البدوى ، وهو راكب على فرس ، وحوله نحو الخمسة أنفار ، وكان بعض الفرنسيس بداخل البلدة ، يقضون بعض أشغالهم ، فصاحت السوقة والبياعون عند رؤية ذلك الرجل بقولهم : « نصر الله دين الإسلام » ، وهاجوا وماجوا ، ولقلقت النساء بألسنتهن ، وصاحت الصبيان ، وسخروا بالفرنسيس وتراموا بما على رؤسهم وضربوهم وجرحوهم وطردوهم ، فتسحبوا من عندهم ، فغابوا ثلاثة أيام ، ورجعوا إليهم بجمع من عسكرهم ، ومعهم الآلات من المدافع ، فاحتاطوا بالبلدة وضربوا عليهم مدفعا ارتجوا له ، ثم هجموا عليهم ودخلوا إليهم وبأيديهم السيوف المسلولة ويقدمهم طبلهم ، وطلبوا خدمة الضريح الذين يقال لهم أولاد الخادم ، وهم ملتزمو البلدة وأكابرها ومتهمون بكثرة الأموال من قديم الزمان ، وكانوا قبل ذلك بنحو ثلاثة أشهر قبضوا عليهم بإغراء القبط ، وأخذوا منهم خمسة عشر ألف ريال فرانسه بحجة مسالمتهم للعرب ، فلما

(١) سورة : هود ، رقم (١١) آية رقم (١١٧) .

(٢) ١٢١٤ هـ/ ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .

وصلوا إلى دورهم طلبوهم ، فلم يمكنهم التغيب خوفا على نهب الدور وغير ذلك ، فظهروا لهم ، فأخذوهم إلى خارج البلد وقيدوهم ، وأقاموا نحو خمسة أيام خارجها ، يأخذون فى كل يوم ستمائة ريال سوى الأغنام والكلف ، ثم ارتحلوا وأخذوا المذكورين صحبتهم إلى منوف[1] ، وحبسوهم أياما ، ثم نقلوهم إلى الجيزة أيام الحرابة بمصر ، فلما انقضت تلك الأيام وسرحوا فى البلاد ، نزلت طائفة إلى طنتداء وهم بصحبتهم ، وقرروا عليهم أحدا وخمسين ألف ريال فرانسه ، وعلى أهل البلدة كذلك ، بل أزيد وأقاموا حول البلد محافظين عليهم ، وأطلقوا بعضهم وحجزوا المسمى بمصطفى الخادم ، لأنه صاحب الأكثر فى الوظيفة والالتزام ، وطالبوه بالمال ، وفى كل وقت ينوعون عليه العقاب والعذاب والضرب ، حتى على كفوف يديه ورجليه ، ويربطونه فى الشمس فى قوة الحر والوقت مصيف ، وهو رجل جسيم كبير الكرش ، فخرجت له نفاخات فى جسده ، ثم أخذوا خليفة المقام أيضًا ، وذهبوا به إلى منوف ، ثم ردوه وولوه رئاسة جمع الدراهم المطلوبة من البلد ، فوزعت على الدور والحوانيت والمعاصر وغير ذلك ، واستمروا على ذلك إلى انقضاء العام ، حتى أخذوا عساكر المقام ، وكانت من ذهب خالص زنتها نحو خمسة آلاف مثقال .

وأما المحلة الكبرى ، فإنهم رجعوا عليها ، وقرروا عليها نيفا ومائة ألف ريال فرانسه، وأخذوا فى تحصيلها وتوزيعها ، وهجموا دورها ، وتتبع المياسير من أهلها ، كل ذلك مع استمرار طلب الكلف الشاقة فى كل يوم منها ومن طنتداء ، والتعنت عليهم ، وتسلط طوائف الكشوفية التابعين لهم الذين هم أقبح فى الظلم من الفرنسيس ، بل ومن العرب ، فإنهم معظم البلاء أيضًا ، فإنهم هم الذين يعرفون دسائس أهل البلاد ، ويشيعون أحوالهم ويتجسسون على عوراتهم ويغرون بهم ، واستمروا على ذلك أيضًا ، ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾[2] .

ومنها : أنه لما وقع الصلح بين العثمانية والفرنساوية ، أرسل الوزير فرمانات للثغور بإطلاق الأسافيل ، وحضور المراكب والتجار بالبضائع وغيرها إلى ثغر سكندرية : وصحبتها ثلاثة غلايين سلطانية ، وسفن مشحونة بالذخيرة لحضرة الوزير ، ولوازم العسكر العثمانى ، فلما قربوا من الثغر أقاموا البنديرات وضربوا

---

(١) منوف : انظر ، جـ ١ ، ص ١٧٨ ، حاشية رقم (٦) .

(٢) سورة : الأعراف ، رقم (٧) آية رقم (٩٦) .

مدافع لـلشنك فطمَّعـهم الفرنساويـة ، وأظهروا لهم المسـالمة ، وأظهروا لهم بـنديرة العثمانى ، فدخلوا إلى المينا ورموا مراسيـهم ، ووقعوا فى فخ الفرنسيس ، فاستولوا علـى الجميع وأخـذوا مدافعهـم وسلاحهم وحـبسوا الـقبابطـين ، وأعيان التـجار ، وأخذوا الملاحين والمتسببين من البحـرية والنصارى الأروام وهم عدة وافرة ، أعطوهم سلاحا وزيوهم بزيهـم وأضافوهم إلى عـسكرهم ، وأرسلوهم إلى مـصر فكانوا أقبح مذكور فـى تسلطهم عـلى إيذاء المسلـمين ، ثم أخرجوا شـحنة المراكب من بـضائع ويعيش وحازوه بـأجمعه لأنفسهـم ، وبقى الأمر على ذلك ، وكـان ذلك فى اواسط شهر القعدة [1] .

ومنها : أنه بعد نقض الصلح أرسل الفرنـسيس عـسكرا إلى متسلم السويس الذى كان تولاهـا من طرف العـثمانيـة ، فتعصب مـعه أهل البـندر ، فحاربـوهم فغلـبهم الفرنسـيس وقتلوهم عن آخـرهم ، ونهبوا البندر ومـا فيه من البن والبهـار بحواصل التجار وغير ذلك .

ومنها : أن مراد بـيك عند توجهه للصعـيد بعد انقضاء الصلح ، أخـذ ما جمعه درويش باشـا مـن الصـعيد من أغنام وخيول وميرة وكان شيئًا كثيـرا ، فتـسلم الجميع منه ، وعدى درويش باشا إلـى الجهة الشرقية متوجها إلى الـشام ، وأرسل مراد بيك جميع ذلك للفرنساوية بمصر .

ومنها أيضًا : أنه بعـد انقضاء المحاربة واستيلاء الفرنسـيس على المخازن والغلال التى كان جـمعها العثمـانية من البلاد الشـرقية ، وبعض البـلاد الغربية والقلـيوبية ، وكذلك الشعير والأتبان طلب الفرنسـاوية مثل ذلك من البلاد ، وقرروا على النواحى غلالا وشعيرا وفولا وتـبنا ، وزادوا خيلا وجمالا ، فوقع على كل إقـليم زيادة على ألف فرس وألف جمـل ، سوى ما يدفع مصالحة عـلى قولها للوسـايط ، وهو نحو ثمنها أو أزيـد ، وكذلك التعنت فى نقـض الغلال وغربلتها وغـير ذلك ، وكل ذلك بإرشاد القبطة وطوائف البلاد ، لأنهم هم الذيـن تقلدوا المناصب الجليلة ، وتقاسموا الأقاليم ، والتزموا لهم بجمع الأموال ، ونزل كـل كبير منهم إلى إقليم ، وأقام بسرة الإقليم مثل الأمير الكـبير ومعه عدة من العساكر الفرنساوية ، وهـو فى أبهة عظيمة ،

---

(1) ١٥ ذى القعدة ١٢١٤ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠٠ م .

وصحبته الكتبة والصيارف والأتباع والأجناد من الغز البطالة وغيرهم ، والخيام والخدم والفراشون والطباخون والحجاب ، وتقاد بين يديه الجنائب والبغال والرهوانات[1] والخيول المسومة ، والقواسة[2] والمقدمون ، وبأيديهم الحراب المفضضة والمذهبة والأسلحة الكاملة ، والجمال الحاملة ، ويرسل إلى ولايات الإقليم من جهته المستوفين من القبط أيضًا بمنزلة الكشاف ، ومعهم العسكر من الفرنساوية والطوائف والجاويشية، والصرافين والمقدمين على الشرح المذكور ، فيتزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف ، ويؤجلونهم بالساعات ، فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب حل بهم ما حل من الحرق والنهب والسلب والسبى ، وخصوصا إذا فرّ مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم ، وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركبهم ، وسحبوهم معهم فى الحبال ، وأذاقوهم أنواع النكال ، وخاف من بقى فصانعوهم وأتباعهم بالبراطيل[3] والرشوات ، وانضم إليهم الأسافل من القبط والأراذل من المنافقين ، وتقربوا إليهم بما يستميلون قلوبهم به ، وما يستجلبونه لهم من المنافع والمظالم ، وأجهدوا أنفسهم فى التشفى من بعضهم ، وما يوجب الحقد والتحاسد الكامن فى قلوبهم إلى غير ذلك ، مما يتعذر ضبطه ﴿ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴾[4] .

وأما من مات فى هذه السنة ممن له ذكر

مات : الإمام الفاضل الصالح العلامة ، الشيخ عبد العليم بن محمد بن محمد بن عثمان المالكى الأزهرى الضرير ، حضر دروس الشيخ على الصعيدى رواية ودراية ، فسمع عليه جملة من الصحيح ، والموطأ ، والشمايل ، والجامع الصغير ، ومسلسلات ابن عقيلة ، وروى عن كل من الملوى والجوهرى والبليدى والسقاط والمنير والدردير والتاودى بن سودة حين حجه ودرس وأفاد ، وكان من البكائين عند ذكر الله ، سريع الدمعة كثير الخشية ، وكان يعرف أشياء فى الرقى والخواص ، وفوائد القرينة وأم الصبيان ، ثم ترك ذلك لرؤيا منامية رآها ، وأخبرنى بها ، توفى فى هذه السنة[5] ودفن ببستان المجاورين .

---

(١) الرهوانات : الخيول السريعة السير . (٢) القواسة : أنظر ،ص ٣٤ ، حاشية رقم (٧) .
(٣) البراطيل : أى تقديم الهدايا لهم على سبيل الرشوى . (٤) سورة: القصص، رقم (٢٨)، آية رقم (٥٩) .
(٥) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .

ومات ، العمدة الفاضل ، والنبيه الكامل ، صاحبنا العلامة الوجيه ، الشيخ شامل أحمد بن رمضان بن سعود الطرابلسى ، المقرى الأزهرى ، حضر من بلده طرابلس الغرب إلى مصر فى سنة إحدى وتسعين[1] وجاور بالأزهر ، وكان فيه استعداد ، وحضر دروس الشيخ أحمد الدردير والبيلى والشيخ أبى الحسن الغلفى ، وسمع على شيخنا السيد مرتضى ، المسلسل بالأولية ، وغير المسلسل أيضًا ، وأخذ منه الإجازة فى سنة اثنتين وتسعين[2] ، ولما مات الخواجا حسن البنانى من تجار المغاربة ، فتوصل إلى أن تزوج بزوجته بنت الغريانى ، وسكن بدارها الواسعة بالكعكيين ، وتجمل بالملابس ، وتودد للناس بحسن المعاشرة ومكارم الأخلاق ، وكان سموح النفس جدا ، دمث الطباع والأخلاق جميل العشرة ، ولما عزل السيد عبد الرحمن السفاقسى الضرير من مشيخة رواقهم ، كان المترجم هو المتعين لذلك دون غيره ، فتولى مشيخة الرواق بشهامة وكرم ، ونوه بذكره ، وزادت شهرته ، وكان وجيها طويل القامة بهى الطلعة بشوشا ، ولما تولى مشيخة الرواق امتدحه صاحبنا الشيخ حسن العطار بقصيدة أشار فى مطلعها ، إشارة خفية لحالته مع المترجم المتولى، والسيد عبد الرحمن المعزول لصداقة بينه وبين المتولى ، بخلاف المعزول ، وأول القصيدة :

انهضْ فقد ولّتْ جيوشُ الظلامِ — وأقبلَ الصبحُ سَفيرَ اللّثام
وغنّت الوُرْقُ على أيكها — تُنَبّه الشَّرْبَ لشُرْبِ المدَام
والزهرُ أضحَى فى الربَا باسمًا — لما بَكتَ بالطَّلِّ عينُ الغَمام
والغُصْنُ قد مَاسَ بأزهَارِه — لما غَدت كالدُّرّ فى الإنْتِظَام
وعَطَّرَ الروضَ مُرُورُ الصبَا — على الريَاحِين فأبْرى السقَام
كأنما الوَردُ على غُصْنه — تيجَانُ إبريز عَلَى حُسْنِ هَام
كأنما الغُدْرانُ خُلْجَانُ أغـ — ـصَان النقَا والنهرُ مثلُ الحسَام
كأن مَنْظومَ الزراجين يا — قوتٌ غدا مِن نَظمه فى انسجَام
كأنما الآسُ عذارٌ على — وجنَتَيه وقد عَلاَها ضِرَام
كأنمَا الوَرَقَاءُ لما شَدَت — تتلُو علينا فَضْلَ هذا الإمام

(1) ١١٩١ هـ / ٩ فبراير ١٧٧٧ - ٢٩ يناير ١٧٧٨ م .
(2) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م

ثم استمر فى مدحه ، وهى طويلة مسطرة بديوان المذكور ، يقول فى آخرها :

بُشْراكَ مَوْلاَنَا علـى مَنْصِب ... كَـان لَهُ فيـك مَزِيـد الـهيَام
وافَاكَ إقْبَالٌ بـه دائـمًا ... وعشْتَ مَسعُودا بطول الـدَّوام
فـقـد رأينَا فيكَ مـا نَرْتَجى ... لازلتَ فينا سَالمًا والسَّلاَمَ

ولما حصلت واقعة الفرنسيس ، خرج تلك الليلة مع الفارين ، وذهب إلى بيت المقدس ، وتوفى هناك فى هذه السنة (1)

ومات ، السيد الأفضل ، والسند الأكمل المقرى ابن المقرى ، والفهامة الذى بكل فن على التحقيق يلوى ، بدر أضاء فى سماء العرفان ، وعارف وضح دقائق المشكلات بإتقان ، فلله دره من فاضل أبرز درر اللطائف من كنوزها ، وكشف عن مخدرات الفهوم لثامها ، فأظهر الأنفس من نفيسها ، والأعز من عزيزها ، فلا غرو فإنه بذلك حميق، كيف لا وما ذكر من بعض صفاته التى به تليق، العلامة الشريف، الحسن بن على البدرى العوضى ، ربى فى حجر أبيه ، وحفظ القرآن والمتون ، وأخذ عن أبيه علم القراءات ،وأتقن القراءات الأربعة عشر بعد أن أتقن العربية والفقه وباقى العلوم ، وحضر أشياخ الوقت ، وتمهر وانجب ، وقرأ الدروس ونظم الشعر الجيد ، وشهد له الفضلاء وله ديوان مشهور بأيدى الناس ، وامتدح الأعيان ، وبينه وبين الصلاحى وقاسم بن عطاء الله مطارحات ، ذكرنا منها طرفا فى ترجمتهما، ومن مطارحات العلامة شيخ الوقت محمد الأمير ، حفظه الله للمذكور قوله :

حَيِّ الفَقيهَ الشافعِيَّ وقلْ لَهُ ... ما ذلك الحكْمُ الذى يستَغْرِبُ
نَجِسٌ عَفَوْا عنهُ ولو خَالطَهُ ... نجسٌ فإن العفو بَاقٍ يصْحبُ
وإذا طرا بدلَ النجاسَةِ طَاهرٌ ... لا عفوَ يا أهْلَ الذكاءِ تعَجَّبُوا

فأجابه المترجم بقوله :

حيِّيتَ إذ حيَّيْتَنَا وسَألْتَنَا ... مُستَغرِبا منْ حيْثُ لايستَغْرِبُ
العفْوُ عن نَجِس عَرَاهُ مثلُهُ ... من جنْسه لا مُطلقا فاستَوعَبُوا
والشىءُ ليس يُصان عَنْ أمثاله ... لكنَّهُ للأجنَبِى يُجتَنَبُ
وأراكَ قد أطلَقتَ مَا قَدْ قيدُوا ... وهُو العجيبُ وفَهْمُ ذلك أعجَبُ

---

(1) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ يناير ١٨٠٠ م .

ومن نظمه مؤرخا لمولد السادات بنى الوفا ، قوله :

قَصَدْنَــاكُم فــأثْنَينَا عَلَيــكُم ... بــأجْمَلِ مُدحــة وأجَلِّ صِيغَــة
وشَاهَدْنَــا الَّــذِى جَدَّدتُمــوهُ ... فــأرخْنا مَوالــدُكــم بَلِيغَــة

وله فى مدائح الاستاذ أبى الأنوار بن وفا قصائد طنانة وغير ذلك ، وهو كثير مذكور بديوانه ، وله أيضًا تآليف وتقييدات وتحقيقات ، ورسائل فى فنون شتى ، ورسالة بليغة فى قوله تعالى : ﴿ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴾ [1] ، وكان الباعث له على تأليفها مناقشة حصلت بينه وبين الشيخ أحمد يونس الخليفى فى تفسير الآية بمجلس على بيك الدفتردار ، فظهر بها على الشيخ المذكور ، وأجازه الأمير المذكور ، بأن رتب له تدريسا بالمشهد الحسينى ، ورتب له معلوما بوقته وقدره كل يوم عشرة أنصاف فضة ، يستغلها من جانب الوقف فى كل شهر ، واستمر يقبضها حتى مات فى شعبان من هذه السنة[2] ، رحمه الله ، ولم يخلف بعده مثله فى الفضائل والمعارف .

ثم دخلت سنة خمسة عشر ومائتين وألف[3]

كان ابتداء المحرم يوم الأحد[4] .

فى خامسه[5] ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة ، وكان أرسل إلى كبار القبط بأن يسعوا فى قضيته ، ورهن حصصه ويغلق الذى عليه ، فردوا عليه بأنه لابد من تشهيل قدر نصف الباقى أولا ، ولايمكن غير ذلك ، وأما الحصص فليست فى تصرفه ، ولما تكرر إرساله للنصارى وغيرهم ، نقلوه إلى القلعة ومنعوه الاجتماع بالناس ، وهى المرة الثالثة .

وفيه[6] ، أشيع حضور مراكب وغلايين من ناحية الروم إلى ثغر سكندرية ، وسافر سارى عسكر كلهبر وصحبته العساكر الفرنساوية ، فغاب أياما ثم عاد إلى مصر ، ولم يظهر لهذا الخبر أثر .

---

(١) سورة: ص ، رقم (٣٨) ، آية رقم (٧٥) . (٢) شعبان ١٢١٤ هـ/ ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .
(٣) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م . (٤) ١ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ م .
(٥) ٥ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠٠ م . (٦) ٥ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠٠ م .

وفيه[1] ، طلبوا عسكرا من القبط فجمعوا منهم طائفة وزيوهم بزيهم ، وقيدوا بهم من يعلمهم كيفية حربهم ويدربهم على ذلك ، وأرسلوا إلى الصعيد فجمعوا من شبانهم نحو الألفين وأحضروهم إلى مصر وأضافوهم إلى العسكر .

وفى حادى عشرينه[2] ، أعادوا الشيخ أحمد العريشى إلى القضاء كما كان ، وعملوا له موكبا وركب معه أعيان الفرنسيس ، وسوارى عساكرهم بطبولهم وزمورهم ، والمشايخ والتجار والأعيان ، وبجانبه قائمقام عبدالله منو الذى كان سارى عسكر برشيد ، فلم يزالوا معه حتى أوصلوه إلى المحكمة الكبرى بعد أن شقوا به المدينة .

وفى ذلك اليوم أعنى يوم السبت[3] وقعت نادرة عجيبة ، وهو أن سارى عسكر كلهبر كان معه كبير المهدسين يسيران بداخل البستان ، الذى بداره بالأزبكية ، فدخل عليه شخص حلبى وقصده ، فأشار إليه بالرجوع ، وقال له «مافيش» ، وكررها ، فلم يرجع وأوهمه أن له حاجة وهو مضطر فى قضائها ، فلما دنا منه مد إليه يده اليسار كأنه يريد تقبيل يده ، فمد إليه الآخر يده ، فقبض عليه وضربه بخنجر كان أعده فى يده اليمنى أربع ضربات متوالية ، فشق بطنه وسقط إلى الأرض صارخا ، فصاح رفيقه المهندس ، فذهب إليه وضربه أيضًا ضربات وهرب ، فسمع العسكر الذين خارج الباب صرخة المهندس ، فدخلوا مسرعين ، فوجدوا كلهبر مطروحا وبه بعض الرمق ، ولم يجدوا القاتل فانزعجوا ، وضربوا طبلهم وخرجوا مسرعين وجروا من كل ناحية يفتشون على القاتل ، واجتمع رؤساؤهم وأرسلوا العساكر إلى الحصون والقلاع ، وظنوا أنها من فعل أهل مصر ، فاحتاطوا بالبلد وعمروا المدافع وحرروا القنابر ، وقالوا : « لابد من قتل أهل مصر عن آخرهم » ، ووقعت هوجة عظيمة فى الناس ، وكرشة وشدة انزعاج ، وأكثرهم لايدرى حقيقة الحال ، ولم يزالوا يفتشون على ذلك القاتل حتى وجدوه منزويا فى البستان المجاور لبيت سارى عسكر المعروف بغيط مصباح بجانب حائط منهدم ، فقبضوا عليه فوجدوه شاميا ، فأحضروه وسألوه عن اسمه وعمره وبلده ، فوجدوا حلبيا واسمه سليمان ، فسألوه عن محل مأواه ، فأخبرهم أنه يأوى ويبيت بالجامع الأزهر ، فسألوه عن معارفه ورفقائه ، وهل أخبر أحد بفعله ، وهل شاركه أحد فى رأيه ، وأقره على فعله أو

---

(١) ٥ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠٠ م . (٢) ٢١ محرم ١٢١٥ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠٠ م .

(٣) ٢١ محرم ١٢١٥ هـ/ ١٤ يونية ١٨٠٠ م .

كتب بهامش ص ١١٦ من طبعة بولاق ، أمام هذه الفقرة « ذكر قتل سارى عسكر كلهبر وتحقيق قضيته » .

نهاه عن ذلك ، وكم له بمصر من الأيام أو الشهور ، وعن صنعته وملته ، وعاقبوه حتى أخبرهم بحقيقة الحال ، فعند ذلك علموا ببراءة أهل مصر من ذلك ، وتركوا ما كانوا عزموا عليه من محاربة أهل البلد ، وقد كانوا أرسلوا أشخاصا من ثقاتهم تفرقوا فى الجهات والنواحى ، يتفرسون فى الناس ، فلم يجدوا فيهم قرائن دالة على علمهم بذلك ، ورأوهم يسألون من الفرنسيس عن الخبر ، فتحققوا من ذلك براءتهم من ذلك ، ثم إنهم أمروا بإحضار الشيخ عبدالله الشرقاوى ، والشيخ أحمد العريشى القاضى ، وأعلموهم بذلك وعوقوهم إلى نصف الليل ، وألزموهم بإحضار الجماعة الذين ذكرهم القاتل ، وأنه أخبرهم بفعله ، فركبوا وصحبتهم الأغا ، وحضروا إلى الجامع الأزهر ، وطلبوا الجماعة فوجدوا ثلاثة منهم ، ولم يجدوا الرابع ، فأخذهم الأغا وحبسهم ببيت قائمقام بالأزبكية ، ثم إنهم رتبوا صورة محاكمة على طريقتهم فى دعاوى القصاص ، وحكموا بقتل الثلاثة أنفار المذكورين مع القاتل ، وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلى لكونه لم يخبره بعزمه وقصده ، فقتلوا الثلاثة المذكورين ، لكونه أخبرهم بأنه عازم على قصده صبح تاريخه ولم يخبروا عنه الفرنسيس فكأنهم شاركوه فى الفعل ، وانقضت الحكومة على ذلك ، وألفوا فى شأن ذلك أوراقا ، ذكروا فيها صورة الواقعة وكيفيتها ، وطبعوا منها نسخا كثيرة باللغات الثلاث الفرنساوية ، والتركية ، والعربية ، وقد كنت أعرضت عن ذكرها لطولها وركاكة تركيبها لقصورهم فى اللغة[1] ، ثم رأيت كثيرا من الناس تتشوق نفسه إلى الإطلاع عليها لتضمنها خبر الواقعة وكيفية الحكومة ، ولما فيها من الاعتبار وضبط الأحكام من هؤلاء الطائفة الذين يحكمون العقل ، ولايتدينون بدين ، وكيف وقد تجارى على كبيرهم ويعسوبهم[2] رجل آفاقى أهوج وغدره وقبضوا عليه وقرروه ، ولم يعجلوا بقتله وقتل من أخبر عنهم بمجرد الإقرار بعد أن عثروا عليه ، ووجدوا معه آلة القتل مضمخة بدم سارى عسكرهم وأميرهم ، بل رتبوا حكومة ومحاكمة ، وأحضروا القاتل وكرروا عليه السؤال والاستفهام ، مرة بالقول ومرة بالعقوبة ، ثم أحضروا من أخبر عنهم وسألوهم على انفرادهم ومجتمعين ، ثم نفذوا الحكومة فيهم بما اقتضاه التحكيم ، وأطلقوا مصطفى أفندى البرصلى الخطاط حيث لم يلزمه حكم ، ولم يتوجه عليه قصاص ، كما يفهم جميع ذلك من فحوى المسطور ، بخلاف ما رأيناه

---

(١) كتب بهامش ص ١١٦ من طبعة بولاق ، أمام هذه العبارة : « قوله وركاكة تركيبها قد أبقينا ألفاظها على حالها مراعاة لغرض المؤلف من عدم التغيير فى مثل هذه العبارات » .

(٢) يعسوبهم : أى أميرهم .

بعد ذلك من أفعال أوباش العساكر الذين يدعون الإسلام ، ويزعمون أنهم مجاهدون ، وقتلهم الأنفس وتجاريهم على هدم البنية الإنسانية ، بمجرد شهواتهم الحيوانية مما سيتلى عليك بعضه بعد .

وصورة ترجمة الأوراق المذكورة : « بيان شرح الاطلاع على جسم سارى عسكر العام كلهبر يوم الخامس والعشرين من شهر برريال من السنة الثامنة[1] من انتشار الجمهور الفرنساوى ، نحن الواضعون أسماءنا وخطنا فيه : باش حكيم والجرايحى من أول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته ، انتهينا حصة ساعتين بعد الظهر إلى بيت سارى عسكر العام فى الأزبكية بمدينة مصر ، وكان سبب روحتنا هو أننا سمعنا دقة الطبل ، وغاغة الناس التى كانت تخبر أن سارى عسكر العام كلهبر انغدر وقتل ، وصلنا له فرأيناه فى آخر نفس ، فحصنا عن جروحاته ، فتحقق لنا أنه قد انضرب بسلاح مدبب وله حد ، وجروحاته كانت أربعة الأول : منها تحت البز فى الشقة اليمنى ، الثانى : أوطى من الأول جنب السوّة ، الثالث : فى الذراع الشمال نافذ من شقه لشقه والرابع : فى الخد اليمين ، فهذا حررنا البيان بالشرح فى حضور الدفتردار سارتلون[2] ، الذى وضع اسمه فيه كمثلنا ، لأجل أن يسلم البيان المذكور إلى سارى عسكر مدبر الجيوش ، تحريرا فى سراية سارى عسكر فى النهار والسنة المذكورة فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، بإمضاء باش حكيم وخط الجرايحى من أول مرتبة كازابيانكا ، والدفتردار سارتلون ، شرح جروحات الستوين بروتاين[3] المهندس نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى فى الساعة الثالثة بعد الظهر ، نحن الواضعون أسماءنا وخطنا فيه باش حكيم وجرايحى من أول مرتبة الذى صار مرتبة باش جرايحى فى غيبته ، انطلبنا من الدفتردار سارتلون أننا نعمل بيان شرح جروحات الستوين بروتاين المهندس ، وعضو من أعضاء مدرسة العلماء فى بر مصر الذى انغدر هو أيضًا فى جنب سارى عسكر العام كلهبر مدبر الجيوش ، ومضروب ستة أمرار بسلاح مدبب وله حد ، وهذا بيان الجروحات ، الأول : فى جنب الصدغ ، الثانى : فى الكف فى عظمة الأصبع الخنصر ، الثالث : بين الضلوع الشمالية ، الخامس[4] : فى الشدق الشمالى ،

---

(١) ٢٥ برريال من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .

(٢) سارتلون : Sartelon شغل منصب مدير مهمات الحملة .

(٣) ستوين بروتاين : Citoyen Protain

(٤) كتب أمام هذه العبارة ، ص ١١٧ من طبعة بولاق « قوله الخامس سقط الرابع من عبارته » .

والسادس : فى الصدر من الشقة الشمالية ، وشق نحو العرق ، ثم إلى تأييد ذلك وضعنا أسماءنا وخطنا فيه برفقة الدفتردار سارتلون ، تحريرا فى سراية سارى عسكر مدبر الجيوش فى اليوم والشهر والسنة والساعة المرقومة أعلاه بإمضاء : باش حكيم ، وخط الجرايحى من أول مرتبة كازابيانكا ، والدفتردار سارتلون عن :

أول فحص : سليمان الحلبى نهار تاريخه خمسة وعشرين من شهر برريال[1] من السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، فى بيت سارى عسكر داماس مدبر الجيوش ، واحد فسيال[2] من ملازمين بيت سارى عسكر العام ، حضر وبيده ماسك راجل من أهل البلد ، مدعيا أن هذا هو الذى قتل سارى عسكر العام كلهبر المتهوم المذكور ، وانعرف من الستوين بروتاين المهندس الذى كان مع سارى عسكر ، حين انغدر لأنه لأيضًا إنضرب برفقته بالخنجر ذاته ، وإنجرح بعض جروحات .

ثانيًا : المتهوم المذكور كان انشاف بين جماعة سارى عسكر من حد الجيزة ، وانوجد مخبى فى الجنينة التى حصل فيها القتل ، وفى الجنينة نفسها انوجد الخنجر الذى به انجرح سارى عسكر ، وبعض حوائج أيضًا بتوع المتهوم ، فحالا بدئ الفحص بحضور سارى عسكر منو[3] الذى هو أقدم أقرانه فى العسكر ، وتسلم فى مدينة مصر ، والفحص المذكور صار بواسطة الخواجا براشويش ، كاتم سر وترجمان سارى عسكر العام ، ومحرر من يد الدفتردار سارتلون الذى أحضره سارى عسكر منو ، لأجل ذلك المتهوم المذكور .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ، فجاوب : أنه يسمى سليمان ولادة بر الشام ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، ثم صنعته كاتب عربى ، وكانت سكنته فى حلب .

سئل : كم زمان له فى مصر : فجاوب أنه بقى له خمسة أشهر ، وأنه حضر فى قافلة : وشيخها يسمى سليمان بوريجى ؟

سئل : عن ملته ؟ فجاوب أنه من ملة محمد ، وأنه كان سابقا سكن ثلاث سنين فى مصر ، وثلاث سنين أخرى فى مكة والمدينة .

---

(١) كتب بهامش ص ١١٨ ، طبعة بولاق ، « قوله برريال هكذا بالأصل فى عدة مواضع ، وأسماء أشهر أخر تقدمت وستأتى ، وهى مخالفة لأسماء الأشهر الإفرنجية المعلومة ، فعلها أشهر أخر ، لاسيما والمؤرخ لبقاها بحالها ، ولم يغير منها حرفا ، وقال : « وما أنا من المغيرين » .

(٢) فسيال : أى تابع .

(٣) منو : Menou ، تولى قيادة الحملة بعد كليبر ، وخرجت الحملة من مصر فى عهده ، وقد أعلن إسلامه وتزوج السيدة زبيدة من رشيد ، وأنجب منها ولدا ، لم يعرف عنه شيئًا بعد خروج الحملة .

سئل : هل يعرف الوزير الأعظم وهل له مدة شافه : فجاوب : أنه ابن غرب ومثله ليس يعرف الوزير الأعظم .

سئل : عن معارفه فى مدينة مصر : فجاوب أنه لم يعرف أحدا ، وأكثر قعاده فى الجامع الأزهر ، وجملة ناس تعرفه وأكثرهم يشهدون فى مشيه الطيب

سئل : هل راح صباح تاريخه الجيزة ، فجاوب : نعم ، وأنه كان قاصد ينشبك كاتب عند أحد ولكن ما قسم له نصيب .

سئل : عن الناس الذين كتب لهم أمس : فجاوب : أن كلهم سافروا

سئل : كيف يمكن أنه لم يعرف أحدا من الذين كتب لهم فى الأيام الماضية ، وكيف يكونون كلهم سافروا ؟ فجاوب أنه ليس يعرف الذين كان يكتب لهم ، وأن غير ممكن أن يفتكر أسماءهم .

سئل : من هو الآخر فى الذين كتب لهم ؟ فجاوب : أنه يسمى محمد مغربى السويسى بياع عرقسوس ، وأنه ما كتب لأحد فى الجيزة .

سئل ثانيا : عن سبب روحته للجيزة فجاوب دائما أنه كان قاصدا أن ينشبك كاتبا .

سئل : كيف مسكوه فى جنينة سارى عسكر ؟ فجاوب : أنه ما انمسك فى الجنينة بل فى عارض الطريق ، فذاك الوقت انقال له أنه ما ينجيك إلا الصحيح لأن عسكر الملازمين مسكو فى الجنينة ، وفى المحل ذاته انوجدت السكينة ، وفى الوقت انعرضت عليه ، فجاوب صحيح إنه كان فى الجنينة ، ولكن ما كان مستخبى ، بل قاعد ، لأن الخيالة كانت ماسكة الطرق ، وما كان يقدر أن يروح للمدينة ، وأن ما كان عنده سكينة ، ولم يعرف إن كان هذا موجود فى الجنينة .

سئل : لأى سبب كان تابع سارى عسكر فى الصبح ؟ فجاوب : إنه كان مراده فقط يشوفه .

سئل : هل يعرف حتة قماش خضرة التى باينة مقطوعة من لبسه ؟ وكانت انوجدت فى المحل الذى انغدر فيه سارى عسكر ، فجاوب : بأن هذه ما هى تعلقه .

سئل : إن كان تحدث مع أحد فى الجيزة وفى أى محل نام ؟ فجاوب إنه ما تكلم مع ناس إلا لأجل مشترى بعض مصالح ، وأنه نام في الجيزة فى جامع ، فأشاروا له على جروحاته التى ظاهرة فى دماغه ، وقيل له إن هذه الجروحات بينت أنه هو الذى غدر سارى عسكر ، لأن أيضًا الستوين بروتاين الذى كان معه عرفه وضربه ، كم عصايه الذين جرحوه فجاوب ، أنه ما انجرح إلا ساعة ما مسكوه .

سئل : هل كان تحدث نهار تاريخه مع حسين كاشف أو مع مماليكه ؟ فجاوب : أنه ما شافهم ولا كلمهم ، فلما أن كان المتهوم لم يصدق فى جواباته ، أمر سارى عسكر أنهم يضربونه حكم عوائد البلاد ، فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ، ووعد أنه يقر بالصحيح فارتفع عنه الضرب ، وانفكت له سواعده ، وصار يحكى من أول وجديد ، كما هو مشروح .

سئل : كم يوم له فى مدينة مصر ؟ فجاوب : أنه له واحد وثلاثين يوما ، وأنه حضر من غزة فى ستة أيام على هجين .

وسئل : لأى سبب حضر من غزة ؟ ، فجاوب : لأجل أن يقتل سارى عسكر العام.

سئل : من الذى أرسله لأجل أن يفعل هذا الأمر ؟ فجاوب : أنه أرسل من طرف أغات الينكجرية ، وأنه حين رجع عساكر العثملى من مصر إلى بر الشام ، أرسلوا إلى حلب بطلب شخص يكون قادرا على قتل سارى عسكر العام الفرنساوى ، ووعدوا لكل من يقدر على هذه المادة أن يقدموه فى الوجاقات ويعطوه دراهم ، ولأجل ذلك هو تقدم وعرض روحه لهذا .

سئل : من هم الناس الذين تصدروا له فى هذه المادة فى بر مصر وهل سارر أحدا على نيته ؟ فجاوب : أن ما أحد تصدر له ، وأنه راح سكن فى الجامع الأزهر ، وهناك شاف السيد محمد الغزى ، والسيد أحمد الوالى ، والشيخ عبدالله الغزى ، والسيد عبد القادر الغزى ، الذين ساكنون فى الجامع المذكور ، فبلغهم على مراده ، فهم أشاروا عليه أن يرجع عن ذلك ، لأن غير ممكن أن يطلع من يده ويموت فرط ، وإن كان لازم يشخصوا واحدا غيره فى قضاء هذه المادة ، ثم إنه كل يوم كان يتكلم معهم فى الشغل المذكور ، وأنّ أمس تاريخه ، قال لهم : « أنه رائح يقضى

مقصوده ، ويقتل سارى عسكر » ، وأنه توجه إلى الجيزة حتى ينظر إن كان يطلع من يده ، وأن هناك قابل النواتية بتوع قنجة سارى عسكر ، فاستخبر عليه منهم إن كان يخرج برا ، فسألوه إيش طالب منه ، فقال لهم : « إن مقصوده يتحدث معه » فقالوا له : « إنه كل ليلة ينزل فى جنينته » ، ثم صباح تاريخه شاف سارى عسكر معديا للمقياس ، وبعده ماشى إلى المدينة فتبعه لحين غدره ، هذا الفحص صار من حضرة سارى عسكر منو ، بحضور باقى سوارى العساكر الكبار ، وملازمين ببيت سارى عسكر العام ، ثم انختم بامضاء سارى منو ، والدفتردار سارتلون ، فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ، ثم انقرا على المتهوم ، وهو أيضًا خط يده واسمه بالعربى سليمان ، إمضاء سارى عسكر عبدالله منو، إمضاء سارى عسكر داماس ، إمضاء الجنرال والتين ، إمضاء الجنرال موراند ، إمضاء الجنرال مارتينه[1] ، إمضاء دفتردار البحر لوروا ، إمضاء الدفتردار سارتلون ، إمضاء الترجمان لوماكا[2] ، إمضاء الترجمان حناروكه ، إمضاء داميانوس براشويش كاتم السر وترجمان سارى عسكر العام .

فحص الثلاثة مشايخ المتهمين نهار تاريخه خمسة وعشرين فى شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، فى الساعة الثامنة بعد الظهر ، حضروا فى منزل سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوية السيد عبدالله الغزى ، ومحمد الغزى ، والسيد أحمد الوالى ، وهم الثلاثة متهومين فى قتل سارى عسكر العام كلهبر ، فسارى عسكر منو ، أمر بفحصهم فبدئ ذلك حالا فى حضور بعض سوارى العساكر المجتمعين لذلك ، وبواسطة الستوين لوماكا الترجمان كما يذكر أدناه ، السيد عبدالله الغزى هو الذى سئل أولاً لوحده .

سئل : عن اسمه وعن مسكنه وصنعته ؟ فجاوب : أنه يسمى السيد عبدالله الغزى ، ولادة غزة ، ومسكنه فى مصر فى الجامع الأزهر ، وهناك كان كاره مقرئ القرآن ، وأنه لم يعرف كم عمره ، ولكن تخمينه يجئ ثلاثين سنة .

سئل : إن كانت سكنته فى الجامع الأزهر ، هل يعرف جميع الغرباء الذين يدخلونه ؟ فجاوب : أنه ساكن ليل ونهار ويعرف الغرباء الذين فيه .

---

(١) مارتينه : Martin :

(٢) لوماكا : L'Homaca

سئل : هل يعرف رجلا حضر من بر الشام من مدة شهر ؟ ، فجاوب : « أن من مدة خمسين يوم ما شاف أحدا حضر من بر الشام ، فقيل له إنَّ رجلا من طرف عرضى الوزير حضر من مدة ثلاثين يوما » ، قال : « إنه يعرفك والظاهر أنك لم تتكلم بالصدق » ، فجاوب : أنه ملهى دائمًا فى وظيفته ، وأنه ما شاف أحدا من بر الشام ، بل سمع أن قافلة كانت وصلت من ناحية الشرق فقيل له أيضًا : إن ناسا حضروا من بر الشام ، يقولون إنهم تكلموا معهم ويعرفونه ، فجاوب : إن هذا غير ممكن ، وأنهم يقابلوه مع الذى فتن عليه .

سئل : هل يعرف واحدا اسمه سليمان كاتب عربى حضر من حلب من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : « لا ، فقيل له إن هذا الرجل يحقق أنه شافه ، وأنه أخبره ببعض أشياء لازمة » ، فجاوب : « أنه ما شافه ، وأن هذا الرجل كذاب ، وأنه يريد أن يموت إن كان ما يحكى الصحيح » ، فحالا سارى عسكر نده إلى محمد الغزى الذى هو أيضًا متهوم فى قتل سارى عسكر ، وبدئ الفحص كما يذكر .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ؟ ، فجاوب : « أنه يسمى الشيخ محمد الغزى ، وعمره نحو خمسة وعشرين سنة ، وولادة غزة ، وسكن بمصر فى الجامع الأزهر ، ثم صنعته مقرئ القرآن من مدة خمس سنين ، وما يخرج من الجامع ، إلا لكى يشترى ما يأكل ».

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يجيئون يسكنون فى الجامع ؟ فجاوب : « أن فى بعض الأوقات يحضر ناس غرباء ، وأما البواب فهو الذى يقارشهم ، ومن قبله ينام بعض ليالى فى الجامع ، والبعض فى بيت الشيخ الشرقاوى » .

سئل : هل يعرف رجلا يسمى سليمان حضر من بر الشام من مدة ثلاثين يوما ؟ فجاوب : « أنه لم يعرفه ، وأنه غير ممكن أن يشوف كل الناس ، لأن الجامع كبير قوى » .

سئل: أنه يحكى على الذى تكلم به معه سليمان فإن المذكور يحقق أنه تكلم معه فى الجامع ؟ فجاوب : « أنه يعرفه من مدة ثلاث سنين ، وأنه كان عنده خبر أنه راح مكة ، وأما من بعده ما شافه ، ولم يعرف إن كان رجع أم لا » .

سئل : هل السيد عبدالله الغزى يعرفه أيضًا ؟ ، فجاوب : « نعم » ، فقيل له محقق أن أمس تاريخه سليمان المذكور تحدث معه حصة طيبة ، وأن الشواهد موجودة ، فجاوب : « أن هذا صحيح » .

سئل : لأى سبب كان بدأ يقول إنه ما شافه ؟ فجاوب : أن تخمينه ، ما قال هذا ، وأن المترجمين غلطوا .

سئل : هل سليمان المذكور ما بلغه عن شيء مذنب قوى وتحقيقا لذلك معلوم عندنا أنه كان قصده يحوشه ؟ فجاوب : أنه لم يعرف هذا الأمر وأن سليمان المذكور راح وجاء كام مرة إلى مصر وبقى له هنا مقدار شهر ، فقيل له : إنه موجود شواهد إن سليمان المذكور كان أخبره : أنَّ مراده أن يغدر سارى عسكر العام ، وأنه أراد أن يمنعه ، فجاوب : أنه ما بلغه عن هذا الأمر بل أمس تاريخه قال له : « إنه رائح ويمكن أن ما بقى يرجع » ، فبعده أحضرنا عبدالله الغزى لأجل يتفحص ثانيا كما يذكر أدناه .

سئل : لأى سبب قال إنه لم يعرف سليمان الحلبى حين سألوه عنه بحيث أن موجودة شواهد أن هذا له فى مصر واحد وثلاثون يوما ، وأنه تقابل وإياه جملة مرار ، وتحدث معه أكثر الأيام ؟ فجاوب ، حقا إنه لم يعرفه .

سئل : هل يعرف واحدا يسمى محمد الغزى هو مثله مقرئ القرآن فى جامع الأزهر ؟ فجاوب : نعم .

سئل : السيد عبدالله المذكور لأى سبب أنكر ذلك ؟ فجاوب : أنهم لخبطوا عليه السؤال ، وأن هذا الوقت بحيث أنهم سألوه عن سليمان الذى من حلب ، فيقر أنه يعرفه ، فقيل له إنه معلوم عندنا أنه شافه مرارا كثيرة ، وتحدث معه ، فجاوب أنه بقى له ثلاثة أيام ما شافه .

سئل : هل إنه ما قصد يمنعه عن قتل سارى عسكر العام ؟ فجاوب : أنه ما قال له أبدا على هذا الأمر ، وأنه لو كان بلغه منه ذلك ، كان منعه بكل قدرته .

سئل : لأى سبب ما يحكى الصحيح بحيث أنه موجودة عليه شواهد ؟ فجاوب : أنه غير ممكن يوجد عليه شواهد ، وأنه ما شاف سليمان المذكور إلا لأجل أن يسلموا على بعض حين تقابلوا .

سئل : هل سليمان ما أخبره أبدا عن سبب مجيئه إلى مصر ؟ فجاوب : حاشا فبعد ذلك أخروا الاثنين المذكورين ، وأحضروا السيد أحمد الوالى الذى هو متهوم ، وسئل كما يذكر

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ؟ فجاوب أنه يسمى السيد أحمد الوالى ، ولادة غزة ، وصنعته مقرئ القرآن فى الجامع الأزهر ، من مدة عشرة سنين ، ولم يعرف كم عمره .

سئل : هل يعرف الغرباء الذين يدخلون فى الجامع ؟ ، فجاوب : أن وظيفته يقرأ ولا يتنبه إلى الغرباء ، فقيل له إن بعض الغرباء الذين حضروا هناك عن قريب ، يقولون : « إنهم شافوه فى الجامع » فجاوب : أنه ما شاف أحدا .

سئل : هل شاف رجلا حضر من بر الشام من طرف الوزير وهذا الرجل قال إنه يعرفه ؟ ، فجاوب : لا وإن كان يقدروا يحضروا هذا الرجل حتى يقابله .

سئل : هل يعرف حليمان الحلبى ؟ ، فجاوب : أنه يعرف واحدا يسمى سليمان الذى كان يروح يقرأ عند واحد أفندى ، وكان طالب أنه يستقيم فى الجامع ، وأن هذا الرجل ، قال : « إنه من حلب » ، ومن مدة عشرين يوما كان شافه ، وبعدها ما قابله ، ثم كان قاله له : « إن الوزير فى يافا ، وأن عساكره ما كان عندهم دراهم وكانوا يفوتوه »

سئل : هل هذا الرجل المذكور ما هو تحت حمايته ؟ ، فجاوب : أنه لم يعرفه طيبا حتى يضمنه .

سئل : هل الاثنان الآخران المتهومان معارفه ؟ ، وهل أن الثلاثة تحدثوا سواء عن قريب أم أمس تاريخه مع سليمان المذكور ؟ ، فجاوب : لا بل إنه يعرف أن سليمان المذكور كان حضر لزيارة الجامع ، وأنه وضع فى الجامع جملة أوراق مضمونها : أنه كان قوى متعبدا لخالقه .

سئل : هل المذكور أمس أيضًا ما وضع أوراقا فى الجامع ؟ ، فجاوب: إن ما عنده خبر بذلك .

سئل : هل ما منع سليمان عن فعل ذنب بليغ ؟ ، فجاوب : أنه أبدا ما حدثه بهذا الشيء . ولكن قال له : « إن مراده يفعل شيء جنون » ، وأنه عمل كل جهده حتى يرجعه

سئل : إيش هو الجنان الذى قاصد يعمله وحدثه عليه ؟ فجاوب : أنه قال له : « أنه كان مراده يغازى فى سبيل الله ، وأن هذه المغازاة هى قتل واحد نصرانى » ،

ولكن ما أخبره باسمه ، وأنه قصد يمنعه بقـوله : « إن ربنا أعطى القوة للفرنـساوية ما أحد يقـدر يمنعهـم حكم البـلاد » ، فبعد هـذا المتهوم المـذكور انشال لمحـله ، وهذا الفـحص تختم بـحضور سـوارى العساكـر المجموعين بـإمضاء سـارى عسكر مـنو ، والدفتردار سارتلون الذى هو داته حرر هذا الفـحص بأمر سارى عسكر منو ، ثم بعد قراءته على المتهومـين ، وضعوا أسملهم وخطهم بالعربى ، تحريـرا فى اليوم والشهر والـسنة المحـررة أعلاه ، ثلاثة إمضاءات بالعـربى ، إمضاء سارى عسكر مـنو ، إمضاء الدفتردار سارتلون ، إمضاء الترجمان لوماكا ، سارى عسكر العام منو ، أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر ، تأسيس :

المادة الأولى : أن ينشـأ ديوان قضاة لأجل أن يشرعوا علـى الذين غدروا سارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال .

المـادة الثانيـــة : القضاة المذكورون يكونوا تسعة وهم : سـارى عسكر رينيه[1] ، سارى عسكـر فرياند ، سارى عسـكر روبين[2] ، الجنرال مـوراند[3] ، رئيس المـعمار بريراند ، الوكـيل رجـنيه ، دفتردار الـبحـر لرو[4] ، والدفتردار سـارتلـون فى وظيفة مبلغ ، والوكيل لبهر[5] فى وظيفة وكيل الجمهور .

المادة الثالثة : القضاة المذكورون ينظر لهم كاتم سر .

المادة الرابعة : القضـاة المذكورين مفوضون الأمر فى الكشف والـتفتيش وحوش كل من يريـدوا ، حتى أنهم يطـلعوا على الذيـن لهم حصة فى الـذنب المذكور ، أو يكون عندهم خبرة .

المادة الخامسة : الـقضاة المذكورون يتفقـوا على العذاب اللائق إلى مـوت القاتل ورفقائه .

المادة السادسة : الـقضاة المذكورون يجتمـعوا من نهار تاريخه الـذى هو السادس والعشرون من شهر بـرريال لحد خلاص الشريعة المذكورة ، إمضاء سـارى عسكر منوا وهذه نسخة من الأصل إمضاء الجنرال رنه كتخدا مدير الجيوش .

---

(١) رينيه : Reynier أحد قادة عسكر الحملة الفرنسية ، وعين قاضيا ضمن القضاة الذين حاكموا قتلة كليبر .

(٢) روبين : Robin أحد القادة العسكريين . (٣) موراند : Morand أحد القادة العسكريين .

(٤) لرو : Leroy (٥) لبهر : وصحة الاسم Heppler .

شرح اجتماع القضاة فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .

فى اليوم السادس والعشرين من شهر برريال ، حكم أمر سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساوى ، المحرر فى نهار تاريخه ، اجتمعوا فى بيت سارى عسكر رينيه المذكور ، وسارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه عوضا عن سارى عسكر فرياند ، حكم أمر سارى عسكر منو ، ثم الجنرال موراند ، ورئيس العسكر جرجه ، ورئيس العمارة برتراند ، ورئيس المدافع فاور ، والوكيل رجنيه ، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل لبهر فى وظيفة وكيل الجمهور لأجل قضاء شريعة قتل سارى عسكر العام كلهبر الذى انغدر أمس ، فى تاريخه القضاة المذكورون اجتمعوا مع شيخهم سارى عسكر رينيه ، وعلى قرار أمر سارى عسكر منو المشروح أعلاه ، وحكم المادة الثالثة المحررة فيه استخصوا كاتم السر لهم الوكيل بينه الذى حلف كما هى العوائد ، ولزم وظيفته ، ثم القضاة المذكورون وكلوا سارى عسكر رينيه ، والمبلغ الدفتردار سارتلون فى التفتيش ، والحبس لكل من اكتشفوا عليه حكم ما هو محرر فى المادة الرابعة المحررة أعلاه ، وهذا لكى يظهروا رفقاء القاتل ، ثم إن السكّينة التى وجدت مع القاتل حين انمسك تبقى عند كاتم السر لأجل يظهرها فى الوقت الذى يلزم ، ثم وعدوا المجلس لصباح تاريخه فى الساعة الرابعة قبل الظهر ، ثم حرروا خط يدهم مع كاتم السر ، إمضاء الوكيل رجنيه ، إمضاء رئيس المعمار بريراند ، إمضاء رئيس المدافع فاور ، إمضاء رئيس العسكر جرجة، إمضاء الجنرال موراند ، إمضاء الجنرال مارتينه ، إمضاء دفتردار البحر لرو ، إمضاء سارى عسكر روبين ، إمضاء سارى عسكر رينيه ، إمضاء كاتم السر بينه ، إقرار الشهور نهار تاريخه فى ستة وعشرين شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، نحن الواضعون أسماءنا فيه ، الدفتردار سارتلون المسمى من حضرة سارى عسكر العام منو أمير الجيوش فى وظيفة مبلغ حكم الأمر الذى خرج من طرفه .

انتشار القضاة فى شرع القاتلين سارى عسكر العام كلهبر ، والسيتوين بينه المسمى من القضاة المذكورين فى مرتبة كاتم السر ، أنه حضر بين يدنا يوسف برين ، عسكرى خيال من الطبجية الملازمين بيت سارى عسكر العام ، وقال لنا هو ورفيقه خيال أيضًا يسمى روبرت : « مسكوا المسلم سليمان المتهوم فى غدر سارى عسكر العام ، وأنهم

وجدوه فى الجنينة التى معمول فيها الحمامان الفرنساويان الملتزقان بجنينة سارى عسكر وأنهم رأوه مخبأ بين حيطان الجنينة المهدودة ، وأن الحيطان المذكورة ، كانت ملغمطة بدم فى بعض نواحى ، وأن سليمان المذكور كان أيضًا ملغمطا بدم ، وأنهم مسكوه فى هذه الحالة ، وأن بعده التزموا يضربوه بالسيف لأجل يمشوه » ، ثم برين المذكور قال : « إن بعد حوشة سليمان بساعة فى الموضع ذاته الذى كان مخبأ فيه ، شاف سكينة بدمها ، وأنه سلم السكينة فى بيت سارى عسكر العام ، فقربنا إليه إقراره هذا، وسألناه هل فيه شيء زائد أم ناقص » ، فجاوب أن هذا كل الذى فعله وعاينه، ثم حرر خط يده معنا » ، إمضاء برين الخيال ، إمضاء سارتلون ، إمضاء كاتم السر بينه ، ثم حرر أيضًا بين أيدينا الشاهد الثانى ، وهو السيتوين روبرت الخيال ، أحد الطبجية الملازمين ، وقال : « إنه حين كان يفتش على الذى قتل سارى عسكر دخل فى الجنينة التى فيها الحمامان الفرنساويان لزق جنينة سارى عسكر العام ، وهناك شاف برفقة برين المذكور سليمان الحلبى مستخبى فى ركن حيطان مهدودة ، وكان ملتغمط دم ، وفى رأسه شرموطة زرقاء ، وأن فى هذه الحالة عرفت أن هذا هو القاتل، وأن الحيطان التى كان فات عليها ، كانت أيضًا ملغمطة دم ، وأن حين مسكوه بان منه وهم ، وأن بعد حوشته بساعة شاف برفقة السيتوين برين فى الموضع ذاته سكينه بدمها ، وأنهم سلموها فى بيت سارى عسكر العام ، والسكينة المذكورة كانت مخبية تحت الأرض » ، فقرأنا عليه إقراره هذا ، ثم سألناه إن كان ما فيه زائد أم ناقص ، فجاوب إن هذا هو الذى فعله وشافه ، ثم حرر خط يده معنا ، حرر بمدينة مصر فى النهار والشهر والساعة المحررة أعلاه ، إمضاء روبرت الخيال ، إمضاء سارتلون ، إمضاء كاتم السر بينه .

أنا الدفتردار سارتلون المبلغ رحت إلى بيت السيتوين بروتاين ، لأنه كان راقدا بسبب جروحاته ، ثم استلمت منه التبليغ الآتى أدناه : « أناحنا قسطنطين بروتاين المهندس ، وعضو من أعضاء مدرسة العلم فى بر مصر ، أننى كنت أتمشور تحت التعكيبة الكبيرة التى فى جنينة سارى عسكر ، وتطل على بركة الأزبكية ، وكنت برفقة سارى عسكر العام ، فنظرت رجلا لابسا عثملى خارج من مبتدا التكعيبة من جنب الساقية ، فأنا كنت بعيد كام خطوة ، عن سارى عسكر أنادى على الغفراء ، فانتبهت لأجل أشوف السيرة ، رأيت أن الرجل المذكور يضرب سارى عسكر بالسكينة

ذاتها كام مرة فارتميت على الأرض ، وفى الوقت سمعت سارى عسكر يصرخ ثانيا ، فهميت ورحت قريبا من سارى عسكر ، فرأيت الرجل يضربه ، فهو ضربنى ثانيا كام سكينة التى رمتنى ، وغيبت صوابى وما عدت نظرت شيئًا ، غير أننى أعرف طيب أننا قعدنا مقدار ستة دقائق قبل ما أحد يسعفنا ، فبعده قريت هذا الإقرار على السيتوين بروتاين ، وسألته هل فيه زائد أم ناقص ، فجاوب أن هذا الذى فعله ، وعاينه ، ثم حرر خط يده معنا » ، إمضاء بروتاين إمضاء سارتلون ، إمضاء كاتم السر بينه والسيتوين بروتاين بعدما ختم الورقة أعلاه ، قال : « إن مقصوده يضيف عليها أن بعد غدر سارى عسكر بزمان قليل ، حين شاف سليمان الحلبى الذى هو متهوم فى غدره ، وغدر سارى عسكر العام عرفه أنه هو ذاته الذى كان ضرب سارى عسكر ، وبعده ضربه سليمان المذكور كام سكينة غيبت صوابه » ، فقرينا عليه أيضًا هذه الإضافة ، فجاوب : « أنها حاوية الحق وما فيها زائد ولاناقص » ، ثم ختمها معنا ، إمضاء بروتاين ، إمضاء سارتلون ، إمضاء كاتم السر بينه ، نهار تاريخه ستة وعشرين فى شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى .

أنا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المأمور فى شرع قتلة سارى عسكر العام كلهبر ، ذهبت إلى مساعدين سارى عسكر المذكور ، لأجل أن أسمع إقرارهم ، ثم كان معى كاتم السر بينه ، وهم قالوا لنا كما يذكر أدناه السيتوين فورتونه دهوج ، ابن أربعة وعشرين سنة فسيال فى طابور الخيالة ، ومساعد عند سارى عسكر كلهبر ، قال : « إنه فى اليوم الخامس والعشرين من شهر برريال ، كان مع سارى عسكر العام حين حضر إلى الأزبكية ، يشوف بيته الذى كان داير فيه العمارة ، وأنه شاف رجلا بعمة خضراء ، ودلق وحش ، وكان دائمًا تابع سارى عسكر حين كان دائر يتفرج على المحلات ، وأنه هو وخلافه حسبوا هذا الرجل من جملة الفعلة ، فما أحد سأله ، ولكن حين نزل سارى عسكر من بيته إلى الجنينة ، لأجل ينفذ إلى جنينة سارى عسكر داماس السيتوين دهوج ، شاف الرجل المذكور مدسوس بين جماعة سارى عسكر فنهره وطرده برا ، فبعد ساعتين حين انغدر سارى عسكر السيتوين دهوج المذكور عرف دلق الخائن ، لأنه كان رماه جنبه سارى عسكر ، وبعده حين امسك الرجل فعرفه أنه هو الذى قبل بشوية طرده من الجنينة » ، ثم قرئ هذا المضمون على السيتوين دهوج المذكور ، لأجل بيان هل يوجد شىء خلافه يزيد أم

ينقص ، فجاوب : « أن هذا الحق حكم ما عاين فعل » ، ثم حرر خط يده مع كاتم السر تحريرا فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ، إمضاء السيتوين دهوج ، إمضاء سارتلون ، إمضاء بينه كاتم السر .

ثانى فحص سليمان الحلبى ، نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، نحن الواضعون أسماءنا فيه ، الدفتردار سارتلون برتبه مبلغ ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم سر ، القضاة المنقامين إلى شرع كل من هو متهوم فى غدر سارى عسكر العام كلهبر ، أحضرنا سليمان الحلبى لأجل نسأله من أول وجديد عن صورة غدر وقتل سارى عسكر ، وهذا صار بواسطة السيتوين براشويش كاتم سر ، وترجمان سارى عسكر العام كما يذكر أدناه .

سئل : المذكور عن قصة سارى عسكر ، فجاوب أنه حضر من غزة ، مع قافلة حاملة صابون ودخان ، وأنه كان راكب هجين ، وبحيث أن القافلة كانت خائفة أن تنزل بمصر ، توجهت إلى ريف يسمى الغيطة فى ناحية الألفية ، وهناك استكرى حمارا من واحد فلاح وحضر لمصر ، ولكن لم يعرف الفلاح صاحب الحمار ، ثم إن احمد أغا وياسين أغا من أغوات الينكجرية بحلب ، وكلوه فى قتل سارى عسكر العام، بسبب أنه يعرف مصر طيب ، بحيث أنه سكن فيها سابق ثلاث سنوات ، وأنهم كانوا وصوه أنه يروح ويسكن فى الجامع الأزهر ، وأن لايعطى سره لأحد كليا بل يوعى لروحه، ويكسب الفرصة فى قضاء شغله ، لأنها دعوة تحب السر والنباهة ، ثم يعمل كل جهده حتى يقتل سارى عسكر ، لكن حين وصل إلى مصر التزم يسارر الأربعة مشايخ الذين أخبر عنهم ، لأنه لو كان ما قال لهم ، فما كانوا يسكنونه فى الجامع ، وأنه كان كل يوم يتحدث معهم فى هذا الأمر ، وأن المشايخ المذكورين قصدوا يغيروا عقله عن هذا الفعل ، بقولهم : « إنه ما يقدر عليه » ، وهو ما دعاهم لمساعدته ، لأنه كان يعرفهم بلديين ، وأن اليوم الذى قصد التوجه فيه ليقتل سارى عسكر قابل أحدهم الذى هو محمد الغزى ، فعرفه أن مقصوده أن يتوجه إلى الجيزة ليفعل هذا الغدر ، وأن تخمينه أنه مثل المجنون من حين أراد أن يقضى هذا الأمر ، لأنه لو كان له عقل ما حضر من غزة لهذا الأمر ، وأن الأوراق التى وضعها هى بعض آيات من القرآن ، لأنه عوائد الكتبة أولاد العرب ، وضعوا ذلك فى الجامع ، وأنه ما أخذ دراهم من أحد فى مصر ، لأن الأغوات ، كانوا أعطوا له كفايته ، وأن

الأفندى الذى كان يروح يقرأ عنده يسمى مصطفى أفندى ، وكان يقرأ عليه نهار الإثنين والخميس تبع العادة ، ولكن ما أخبره بسر خوفا أن ينشهر ، وأما من قبل الأربعة مشايخ المذكورين صحيح أنه كان قال لهم كل شيء ، لأنهم أولاد بلاده ، ثم حقق لهم أنه ناوى أن يغازى فى سبيل الله » .

سئل : أين كان هو حين رجع الوزير من بر مصر فى ابتداء شهر جرمنيال الموافق لشهر الإسلام ذى القعدة[1] ، فجاوب إنه كان فى القدس حاجج من حين كان الوزير أخذ العريش .

سئل : أين شاف أحمد أغا الذى يقول إنه عرض عليه مادة قتل سارى عسكر ؟، وفى أى يوم قال له ذلك ؟ فجاوب : أنه حين انكسر الوزير رجع إلى العريش وغزة فى أواخر شهر شوال [٢] ، أو فى أوائل شهر ذى القعدة[٣] ، الموافق لشهر جرمنيال الفرنساوى ، وأن أحمد أغا المذكور هو من جملة أغوات الوزير ، ولكن كان رسم عليه فى غزة من حين أخذ العريش ، وحين رجع أرسله إلى القدس فى بيت المتسلم ، ثم إنه يوم وصوله توجه سلم عليه فى بيت المتسلم ، وشكا له من إبراهيم باشا متسلم حلب ، الذى كان يظلم أباه الذى يسمى الحاج محمد أمين بياع سمن ، وحطوه غرامات زائدة ، ومن الجملة واحدة قبل سفر الوزير من الشام ، ثم وقع فى عرضه بشأن ذلك ، ثم إنه رجع عند أحمد أغا ثانى يوم ، وأن الأغا فى وقتها قال له إنه محب إبراهيم باشا ، وأنه ما يقصر ، ويوصيه فى راحة أبيه ، ولكن بشرط أنه يروح يقتل أمير الجيوش الفرنساوية ، ثم فى ثالث ورابع يوم كرر عليه أيضًا هذا السؤال ، وحالا أرسله إلى ياسين أغا فى غزة ، لأجل أن يعطى له مصروفه، وأنه من بعد هذا الكلام بأربعة أيام سافر من القدس إلى الخليل ، وهناك قعد كام يوم ، وما وصله ولا مكتوب من أحمد أغا ، وأما أحمد أغا المذكور كان أرسل خداما إلى غزة ، لأجل يخبر ياسين أغا بالذى اتفقوا عليه .

سئل : كام يوم قعد فى الخليل ؟ ، فجاوب : عشرين يوما .

سئل : لأى سبب قعد عشرين يوما فى الخليل ؟ وهل فى هذه المدة ما وصله مكاتيب من الاثنين الأغوات ؟ ، فجاوب : أن السكة كانت ملآنة عرب ، وأنه خائف منهم : فالتزم يستنظر سفر القافلة التى سافر برفقتها ، وأنه كان فى غزة فى

---

(١) جرمنيال = ذو القعدة ١٢١٤ هـ / ٢٧ مارس - ٢٥ أبريل ١٨٠٠ م .

(١) آخر شوال ١٢١٤ هـ / ٢٦ مارس ١٨٠٠ م .   (٢) أول ذى القعدة ١٢١٤ هـ / ٢٧ مارس ١٨٠٠ م .

أواخر شهر ذى القعدة[1] ، الموافق لغرة شهر فلوريال الفرنساوى .

سئل : إيش عمل فى غزة وإيش قال له ياسين أغا ؟ فجاوب : « أن ثانى يوم وصوله راح شاف الأغا والمذكور ، قال له : « إنه يعرف الشغل الذى هو سبب مشواره هذا » ، وأنه أسكنه فى الجامع الكبير ، وهناك مرار عديدة كان يروح يشوفه ليلا ونهارا ، ويتحدث معه فى هذا الأمر ووعده أنه يرفع الغرائم عن أبيه ، وأنه دائمًا يجعل نظره عليه فى كل ما يلزمه ، ثم بلغه عن كل الذى كان لازم يفعله ، كما شرح أعلاه ، وهذا صار سرا بينهم ، ثم أعطى له أربعين قرشا لمصروف السفر ، وبعد عشرة أيام سافر فى غزة راكب هجين ، ووصل هنا بعد ستة أيام كما عرف سابقا ، وأن سفره من غزة كان فى أوائل شهر ذى الحجة[2] ، الموافق إلى نصف شهر فلوريال الفرنساوى ، فيبقى باين أنه حين غدر سارى عسكر كان له واحد وثلاثون يوما فى مدينة مصر » .

سئل : هل يعرف الخنجر الملغمط دم الذى قتل به سارى عسكر ؟ فجاوب : « نعم يعرفه » .

سئل : من أين أحضر هذا الخنجر ؟ وهل أحد من الأغوات أعطاه له أم أحد خلافهم ؟ ، فجاوب : « أنه ما أحد أعطاه له ، وإنما بحيث أنه كان قاصد قتل سارى عسكر توجه إلى سوق غزة ، واشترى أول سلاح شافه » .

سئل : هل أن أحمد أغا أو ياسين أغا ما حدثاه أصلا عن الوزير وعشموه بشىء من طرفه إن كان يقدر يقتل سارى عسكر ؟ ، فجاوب : « لا بل إنهم ذاتهم وعدوه أنهم يساعدوه فى كل ما يلزمه إن كان يخرج هذا الشىء من يده » .

سئل : هل أن الوزير نادى فى تلك النواحى بقتل الفرنساوية ؟ ، فجاوب : « إنه لايعلم بل يعرف أن الوزير كان أرسل طاهر باشا لأجل يعين الذين كانوا بمصر ، وأنه رجع حين شاف العثملى مقبلين لبر الشام من مصر » .

سئل : هل هو فقط الذى توكل فى هذه الإرسالية ؟ ، فجاوب : « إن تخمينه هكذا ، لأن هذا الكلام قد حصل سرا ما بينه وبين الأغوات » .

سئل : كيف كان يعمل حتى أنه كان يعرف الأغوات بالذى فعله ؟ ، فجاوب :

---

(١) آخر ذى القعدة ١٢١٤ هـ / ٢٥ أبريل ١٨٠٠ م .

(٢) أول ذى الحجة ١٢١٤ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠٠ م = ١٥ فلوريال ، سنة ٨ من قيام الجمهورية الفرنساوية .

إنه كان قصده يروح هو بنفسه يخبرهم ، أو يرسل لهم حالا ساعى » ، فبعد خلاص الفحص المذكور انقرأ على المتهوم ، وهو حرر خط يده ، مع المبلغ ، وكاتم السر، والترجمان ، حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ، إمضاء سليمان الحلبى بالعربى ، إمضاء كاتم السر بينه .

مقابلة المتهمين مع بعضهم نهار تاريخه ستة وعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، أنا الواضع اسمى فيه مبلغ القضاة المنقامين لشرع كل من هو متهوم فى قتل سارى عسكر العام كلهبر ، أحضرنا الشيخ محمد الغزى ، لأجل نجدد فحصه ، ونقابله مع سليمان الحلبى قاتل سارى عسكر ، ولهذا كان موجود معنا السيتوين بينه كاتم سر القضاة المذكورين ، وصار كما يذكر أدناه .

سئل : الشيخ محمد الغزى ، هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟ فجاوب : « نعم » .

سئل : سليمان الحلبى : هل يعرف الشيخ محمد الغزى الموجود ههنا ؟ ، فجاوب : « نعم ».

سئل : محمد الغزى : هل إن سليمان الحلبى ما قال له من قيمة واحد وثلاثين يوما أنه حضر من بر الشام من طرف أحمد أغا وياسين إغا لأجل يقتل سارى عسكر العام ؟ ، وهل كل يوم ما حدثه فى هذا الشغل حتى أنه فى آخر يوم ، قال له : « أنه رائح إلى الجيزة حتى يغدر سارى عسكر » ، فجاوب : « إن هذا ماله أصل لكن حين شافوا بعضا وقع بينهم سلام فقط ، ومن قبل آخر يوم الذى نوى فيه سليمان على الرواح إلى الجيزة جاب له ورق وحبر » ، وقال له : « إنه ما يرجع إلا غدا » ، فقيل : إنه ما يخبر بالصحيح ، لأن سليمان يحقق أنه أخبره بهذه السيرة كل يوم ، وأن عشية قبل غدر سارى عسكر ، كان قال له : « إنه رائح لقضاء هذا الأمر » فجاوب : « إن هذا الرجل يكذب » .

سئل : هل كان يروح مرارا عديدة يبيت عند الشيخ الشرقاوى وهل فى الأيام الأخيرة ما راح بات عنده ؟ ، فجاوب : « إن من حين دخول الفرنساوية ما راح أبدا بات عنده ، وأما قبل دخول الفرنساوية كان يبيت عندة بعض مرار » ، فقيل له إنه ما يحكى الصحيح لأن فى فحص أمس ، قال : « إنه كان يروح مرارا عديدة عند الشيخ الشرقاوى » ، فجاوب : « إنه ما قال ذلك » .

سئل : سليمان الحلبي هل يقدر يثبت على الشيخ محمد الحاضر بأنه كل يوم كان يخبره على نيته في قتل سارى عسكر وخصوصا عشية النهار الذى صباحه صار القتل ؟ ، فجاوب : « نعم وأنه ما قال إلا الصحيح ، وأن الشيخ محمد الغزى ما كان يقر بالحق » ، أمرنا بضربه كعادة البلد ، فحالا انضرب لحد أنه طلب العفو ، ووعد أنه يحكى على كل شيء ، فارتفع عنه الضرب .

سئل : هل سليمان أخبره على ضميره فى قتل سارى عسكر ؟ ، : فجاوب : « إن سليمان ، كان قال له : « إنه حضر من غزة لأجل أن يغازى فى سبيل الله بقتل الكفرة الفرنساوية » ، وأنه منعه عن ذلك بقوله : « إنه يحصل له من ذلك ضرر »، وما عرّفه أنه مراده يغدر سارى عسكر إلا الليلة التى راح فيها إلى الجيزة وصباحها قتله » .

سئل : لأى سبب ما حضر أخبرنا على سليمان المذكور ؟ ، فجاوب : « أنه أبدا ما كان يصدق أن واحدا مثل هذا يقدر على قتل سارى عسكر الذى الوزير بذاته ما قدر عليه » .

سئل : هل أخبر بالذى قال له عليه سليمان لأحد من المدينة وخصوصا إلى الشيخ الشرقاوى ؟ ، فجاوب : « إنه ما أخبر أحدا بذلك ، وحتى إذا وضعوه تحت القتل ما يقول بذلك » .

سئل : هل يعرف أحدا خلاف سليمان حضر لأجل غدر الفرنساوية ؟ ، وأين هم قاعدين ؟ ، فجاوب : « أنه ما يعرف وأن سليمان ما قال له على أحد » .

سئل : سليمان المذكور أنه يشهر رفقاءه ؟ ، فجاوب : « أنه لم يعرف أحدا فى مصر وأن تخمينه ما فيه غيره الذى قاصد قتل الفرنساوية » ، فبعد هذا صرفنا محمد الغزى المذكور لحبسه ، وأبقينا سليمان لأجل نقابله مع السيد أحمد الوالى الذى حالا أحضرناه لأجل ذلك .

سئل : هل يعرف سليمان الحلبى الموجود ههنا ؟ ، فجاوب : « نعم » .

سئل : أيضًا سليمان : هل يعرف السيد أحمد الوالى الموجود ههنا ؟ ، فجاوب هو أيضًا : « نعم » .

سئل السيد أحمد الوالى : هل إن سليمان ما أخبره على نيته فى قتل سارى عسكر وخصوصا فى العشية التى قصد بها التوجه لذلك ؟ ، فجاوب : « إن سليمان

حين وصل من مدة ثلاثين يوما ، كان قال له إنه حضر حتى يغازي في الكفرة ، وأنه نصحه عن ذلك بقوله : « إن هذا شيء غير مناسب » ، وما أخبره على سيرة سارى عسكر ».

سئل سليمان المذكور : أنه يبين هل حدثه أحمد الوالى فى قتل سارى عسكر وكم يوم له ما حدثه ؟ ، فجاوب : « إن فى أوائل وصوله : قال له : « إنه حضر بقصد الغزو فى الكفار » ، وأن السيد أحمد ما رضى له بذلك ، ثم بعد ستة أيام أخبره على نيته فى قتل سارى عسكر ، ومن بعدما عاد حدثه بذلك ، وقبل الغدر بأربعة أيام ما كان قابله » ، فقيل للسيد أحمد الوالى ، « أنه لم يصدق فى قوله ، لأنه ينكر أن سليمان ما أخبره بأنه كان ناوى يقتل سارى عسكر » ، فجاوب : « الآن لما فكره سليمان افتكر أنه أخبره » .

سئل : لأى سبب ما أشهر سليمان المذكور ؟ ، فجاوب : « أنه ما أشهره لسببين ، الأول : أنه كان يخمن أنه يكذب ، والثانى : ما كان مستعنيه فى فعل مادة مثل هذه » .

سئل : هل سليمان ما عرفه برفقائه ؟ ، وهل هو ما تحدث مع أحد بذلك وخصوصا مع شيخ الجامع الذى هو ملزوم يخبره بكل ما يجرى ؟ ، فجاوب : « إن سليمان ما قال له على رفقائه وهو ما أخبر بذلك أحدا ولا أيضًا شيخ الجامع ».

سئل : هل يعرف الأمر الذى خرج من سارى عسكر بأن كل من شاف عثملى فى البلد يخبر عنه ؟ ، فجاوب : « إنه ما درى بذلك » .

سئل : هل سكن سليمان بالجامع لسبب أنه قال له على مراده فى قتل سارى عسكر ؟ ، فجاوب : « لا لأن كل أهل الإسلام تقدر تسكن فى الجامع » .

سئل سليمان : هل إنه ما قال بأنهم ما كانوا يريدوا يسكنوه لولا أنه قال لهم على سبب مجيئه لمصر ؟ ، فجاوب إن كامل الغرباء لازم يخبروا عن سبب حضورهم ، وأما هو يقول الحق إن ما أحد من المشايخ ارتضى على مقصوده » ، فبعد هذا أرسلنا السيد أحمد الوالى إلى حبسه ، وبقى سليمان الحلبى ، لأجل مقابلة السيد عبدالله الغزى الذى أحضرناه فى الحال .

سئل سليمان : هل يعرف السيد عبد الله الغزى الموجود ههنا ؟ ، فجاوب : « نعم » .

سئل السيد عبد الله الغزى : هل يعرف سليمان الموجود ههنا ؟ ، فجاوب : « نعم » .

سئل السيد عبدالله الغزى : هل ما بلغه نية سليمان فى قتل سارى عسكر ؟ ، فجاوب وأقرّ : « أن يوم حضور سليمان عرفه أنه حضر يغازى فى الكفرة ، وأنه مراده يقتل سارى عسكر ، وأنه قصد يمنعه عن ذلك » .

سئل : « لأى سبب ما شكاه ؟ ، فجاوب : « أنه كان يظن أن سليمان المذكور يتوجه عند المشايخ الكبار ، وأن المذكورين كانوا يمنعوه ، ولكن من الآن صار يخبر بالذين يحضرون بهذه النية » .

سئل : هل يعرف أن سليمان أخبر أحدا خلافه فى مصر ؟ ، فجاوب : « إن ما عنده علم بذلك » .

سئل : هل يعرف أن موجود بمصر ناس خلاف سليمان متوكلين فى قتل الفرنساوية ؟ ، فجاوب : « أن ما عنده خبر ، وأن تخمينه لم يوجد أحد » ، فبعد ذلك أنقرأ هذا الفحص على الأربعة المتهومين ، وهم : سليمان الحلبى ، ومحمد الغزى ، والسيد أحمد الوالى ، والسيد عبدالله الغزى ، وسألوهم هل جواباتهم هذه صحيحة ، ولا فيها زائد ولا ناقص ، فأربعتهم جاوبوا : « لا » ، ثم حرروا خط يدهم معنا بالعربى ، برفقة الاثنين المترجمين ، وكاتم السر ، حرر بمدينة مصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ، إمضاء المتهومين بالعربى ، إمضاء الترجمان لوماكا ، إمضاء ديماسومر براشويش كاتم السر ، وترجمان سارى عسكر العام ، إمضاء المبلغ سارتلون، إمضاء كاتم السر بينه ، بعد خلاص الفحص المشروح أعلاه ، أنا المبلغ سارتلون سألت الأربعة المتهومين المذكورين ، إنهم يختاروا لهم واحد ليتكلم عنهم قدام القضاة ، ويحامى عنهم ، والمذكورون ، قالوا : « إن ما هم عارفون من يختاروا » ، فأورينا لهم الترجمان لوماكا ، لأجل يمشى لهم فى ذلك .

بيان فحص مصطفى أفندى : نهار تاريخه ستة وعشرين شهر بريريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، أنا المبلغ سارتلون ، وبينه كاتم السر ، القضاة المتشرين لشرع كل من كان له جرة فى قتل سارى عسكر العام كلهبر ، أحضرنا مصطفى أفندى ، لكى نفحص منه على الذى قد حصل .

سئل : عن اسمه وعمره ومسكنه وصنعته ؟ ، فجاوب : « بأنه يسمى مصطفى أفندى ، ولادة برصة[1] ، فى بر أناضول ، وعمره واحد وثمانون سنة ، وساكن فى مصر ، ثم صنعته معلم كتاب » .

---

(١) بورصة : انظر ، ص ١١١ ، حاشية رقم (٦) .

سئل : هل من مدة شهر شاف سليمان الحلبى ؟ ، فجاوب : « إن هذا الرجل مشدوده[1] فى مدة ثلاث سنين ، وأنه من مدة عشرة أو عشرين يوما ، حضر عنده ، وبات ليلة ومن حيث أنه رجل فقير ، قال له : « يروح يفتش له على محل غيره » .

سئل : هل سليمان المذكور ما أخبره أنه حضر من بر الشام حتى يقتل سارى عسكر العام ؟ ، فجاوب : « لا بل حضر عنده ليسلم عليه فقط ، لكونه معلمه من قديم » .

سئل : هل سليمان ما عرفه عن سبب حضوره لهذا الطرف ؟ ، وهل هو نفسه ما استخبر عن ذلك ؟ ، فجاوب : « إن كل اجتهاده كان فى أول يصرفه من عنده ، بحيث إنه رجل فقير ، بل سأله عن سبب حضوره فأخبره لأجل يتقن القراءة » .

سئل : هل يعرف بأن سليمان راح عند ناس من البلد وخصوصا عند أحد من المشايخ الكبار ؟ ، فجاوب : « إنه لايعرف شيئًا لأنه ما شافه إلا قليلا ، وأنه لم يقدر يخرج كثيرا من بيته بسبب ضعفه وكبره » .

سئل : هل إنه ما يعلم القرآن إلا مشاديده ؟ ، فجاوب : « نعم » .

سئل : هل إن القرآن يرضى بالمغازاة ويأمر بقتل الكفرة ؟ فجاوب : « إنه ما يعرف إيش هى المغازاة التى القرآن ينبى عنها » .

سئل : هل يعلم مشاديده هذه الأشياء ؟ فجاوب : « واحد اختيار مثله ماله دعوة فى هذه الأشياء ، بل إنه يعرف أن القرآن ينبى عن المغازاة وأن كل من قتل كافرا يكسب أجرا » .

سئل : هل علم هذا الغرض لسليمان ؟ ، فجاوب : « إنه ما علمه إلا الكتابة فقط » .

سئل : هل عنده خبر أن أمس تاريخه رجل مسلم قتل سارى عسكر الفرنساوية الذى ما هو من ملته ؟ ، وهل بموجب تعليم القرآن هذا الرجل فعل طيب ومقبول عند النبى محمد ؟ ، فجاوب : « إن القاتل يقتل ، وأما هو يظن أن شرف الفرنساوية هو من شرف الإسلام، وإذا كان القرآن يقول غيره شيئًا هو ماله علاقة » ، فحالا قدمنا سليمان المذكور ، وقابلناه بمصطفى أفندى ، ثم سألناه هل شاف مصطفى

(1) مشدوده : أى تلميذه المتجذب إليه .

أفندى مرارا كثيرة ؟ ، وهل بلغه عن نيته ؟ ، فجاوب : « أنه ما شافه سوى مرة واحدة ، لأجل أن يسلم عليه بحيث أنه معلمه القديم ، وبما أنه رجل اختيار وضعيف قوى ، ما رأى مناسب يخبره عن ضميره » .

سئل : هل هو من ملة المغازين ؟ ، وهل أن المشايخ سمحوا له فى قتل الكفار فى مصر ليكتب له أجر ويقبل عند النبى محمد ؟ ، فجاوب : « أنه ما فتح سيرة المغازاة إلا إلى الأربعة مشايخ فقط الذين سماهم » .

سئل : هل أنه ما تحدث مع الشيخ الشرقاوى ؟ ، فجاوب: « أنه ما شاف هذا الشيخ لأنه ما هو من ملته بسبب أن الشيخ الشرقاوى شافعى ، وهو حنفى » ، فبعد هذا قرينا على سليمان ، ومصطفى أفندى إقرارهم هذا ، فجاوبوا : « إن هذا هو الحق ، وما عندهم ما يزيدوا ولاينقصوا » ، ثم حرروا خط يدهم برفقة الترجمان ، ونحن ، حرر بمصر فى اليوم والشهر والسنة المحررة أعلاه ، إمضاء الاثنين المتهومين بالعربى ، إمضاء لوماكا الترجمان ، إمضاء سارتلون ، إمضاء كاتم السر بينه .

هذه الرواية المنقولة فى اليوم السابع والعشرين من شهر برريال السنة الثامنة من إقامة الجمهور الفرنساوى ، عن الوكيل سارتلون ، بحضور مجمع القضاة المفوضين لمحاكمة قاتل سارى عسكر العام كلهبر ، وأيضًا لمحاكمة شركاء القاتل المذكور ، يا أيها القضاة إن المناحة العامة ، والحزن العظيم الذى نحن مشتملون بهما الآن ، يخبران بعظم الخسران الذى حصل الآن بعسكرنا ، لأن سارى عسكرنا فى وسط نصراته ومَمَاجِده ، ارتفع بغتة من بيننا بحديد قاتل رذيل ، ومن يد مستأجرة من كبراء ذوى الخيانة والغيرة الخبيثة ، والآن أنا معين ومأمور لاستدعاء الانتقام للمقتول ، وذلك بموجب الشريعة من القاتل المسفور ، وشركائه ، كمثل أشنع المخلوقات ، لكن دعونى ولو لحظة خالطا فيض دموع عينى وحسراتى بدموعكم ولوعاتكم التى سببها هذا المفدى الأسيف ، والمكرم المنيف ، فقلبى احتسب جدا احتياجه لتأدية تلك الجزية لمستحقها ، فوظيفتى كأنها ليست فى الرؤية إلا ألما بتغريق المهيب بماء هذه المصنوعة الشنيعة التى بوقوعها ارتبكت ، سمعتم الآن قراءة إعلام وفحص المتهمين ، وباقى المكتوبات عما جرى منهم ، وقط ما ظهر سيئة أظهر من هذه السيئة التى أنتم محاكمون فيها من صفة الغدارين ببيان الشهود ، وإقرار القاتل وشركائه ، والحاصل كل شىء متحد ورامى الضياء المهيب ، لمناورة ذا القتل الكريه ، إنىَ أنا راوى لكم سرعة الأعمال جاهد نفسى ، إن ظفرت لمنع غضبى منهم منها فلتعلم بلاد الروم والدنيا بكمالها ، وأن الوزير الأعظم سلطنة العثمانية ، ورؤساء

جنود عسكرها ، رذلوا أنفسهم حتى أرسلوا قتال معدوم العرض إلى الجرئ والأنجب كلهبر الذى لا استطاعوا بتقهيره ، وكذلك ضموا إلى عيوب مغلوبيتهم المجرم الظالم بالذى ترأسوا قبل السماء والأرض ، تذكروا جملتكم تلك الدول الغثمانية المحاربين من إسلامبول ، ومن أقاصى أرض الروم وأناضول واصلين منذ ثلاثة شهور ، بواسطة الوزير ، لتسخير وضبط بر مصر وطالبين تخليتها بموجب الشروط الذى بمتفقيتهم بذاتهم مانعوا إجراءها ، والوزير أغرق بر مصر وبر الشام بمناداته مستدعى بها قتل عام الفرنساوية ، وعلى الخصوص هو عطشان لانتقامه لقتل سر عسكرهم، وفى لحظة الذين هم أهالى مصر محتفين بأغويات الوزير ، كانوا محرومين شفقات ومكارم نصيرهم ، وفى دقيقة الذين هم أسارى ومجروحين العثملية هم مقبولين ومرعيين فى دور ضيوفنا وضعفائنا ، تقيد الوزير بكل وجوه بتكميل سوء غفارته ، تلوه منذ زمان طويل ، واستخدم لذلك أغا مغضوبا منه ، ووعد له إعادة لطفه وحفظ رأسه الذى كان بالخطران ، كان يرتضى بذا الصنع الشيع ، وهذا المغوى هو أحمد أغا المحبوس بغزة منذ ما ضبط العريش ، وذهب للقدس بعد انهزام الوزير فى أوائل شهر جرمينال الماضى ، والأغا المرقوم محبوس هناك بدار متسلم البلد ، وفى ذلك الملجأ فهو مفتكر بإجراء السوء الخبيث الذى يستثقل التقدير ، لا فهيم ولامعه تدبير ، سيما هو عامل شيء لإجراء انتقام الوزير ، وسليمان الحلبى شب مجنون ، وعمره أربعة وعشرون سنة ، وقد كان بلا ريب متدنس بالخطايا ظهر عند ذا الأغا يوم وصوله القدس ، ويترجى صيانته لحراسة أبيه تاجر بحلب من أذيَّات إبراهيم باشا والى حلب، يرجع له سليمان يوم غدره ، فقد كان استفتش الأغا عن احتيال أصل وفصل ذا الشب المجنون ، وعلم أنه مشتغل بجامع بين قراء القرآن ، وأنه هو الآن بالقدس للزيارة ، وأنه قد حج سابقا بالحرمين ، وأن العتّه النسكى ، هو منصوب فى أعلى رأسه المضطرب من زيغاته وجهالاته بكمالة إسلامه ، وباعتماده أن المسمى منه جهاد ، وتهليك الغير المؤمنين ، فَمِماً أنهى وأيقن أن هذا هو الإيمان ، ومن ذلك الآن ما بقى تردد أحمد أغا فى بيان ما نوى منه ، فوعد له حمايته وإنعامه ، وفى الحال أرسله إلى ياسين أغا ضابط مقدار من جيوش الوزير بغزة ، وبعثه بعد أيام لمعاملته ، وأقبضه الدراهم اللازمة له ، وسليمان قد امتلأ من خباثته ، وسلك بالطرق ، فمكث واحد وعشرين يوم فى بلد الخليل ، بجيرون منتظر فيه قبيلة لذهاب البادية ، وكل مستعجل ووصل غزة فى أوائل شهر فلوريال الماضى ، وياسين أغا مسكنه بالجامع لاستحكام غيرته ، والمجنون يواجهه مرارا وتكرارا بالنهار والليل مدة عشرة أيام مكثه بغزة يعلمه ، وبعدما أعطاه أربعين غرشا أسديا ، ركبه بعقبية الهجين

الذى وصل مصر بعد ستة أيام ، وممتن بخنجر دخل بأواسط شهرنا فلوريال إلى مصر التى قد سكُنها سابقا ثلاث سنين ، وسكن بموجب ترتيباته بالجامع الكبير ، ويتحضر فيه لـلسيئة التـى هو مبعوث لهـا ، ويستدعي الرب تـعالى بالمناداة ، وكَتّب المناجاة وتعليقها بالـسور مكانه بالجامع المذكور أعلاه ، وتآنس مع الأربـعة مشايخ الذين قروا القرآن مثـله ، وهم مثله مولوديـن ببر الشام ، وسليـمان أخبرهم بسبب مـراسلته ، وكان كل ساعـة معهم متوامـرين به ، لكن ممنوعـين بصعوبة ومخـطرات الوحدة ، محمد الغزى ، والسـيد أحمد الوالى ، وعبدالله الغزى ، وعبـد القادر الغزى ، هم معتمدين بسليمان بارتهان ما نواه ، ولا عامـلوا شيء لممانعته أو لبيانه ، وعن مداومة سكونهم به صاروا مسـامحين ومشتركين فى قبحه القاتل ، هـو منتظر واحد وثلاثين يوما معـدودة بمصر ، فعقبـه جزم توجهه إلى الجـيزة ، وبذاك اليوم اعتـمد سره إلى الشركاء المذكورين أعلاه، وكان كل شيء صار سهل جـزم القاتل بمصنوعته الشنيعة ، وبيوم الـغَدْرة طلع السر عـسكر من الجيزة مـتوجها مصـر ، وسليمان طـوى الطرق ولحقه، هلقدر حتى لزم أن يطردوه مرارا مختلفة ، لكن هو المكار عقيب غدر تعداه، وفى يوم الخامـس والعشرين من شـهرنا الجارى[1] ، وصل واختـفى فى جنينـة السر عـسكر لتقبيـل يده ، فالسر عـسكر لا أبى عن قيافة فقره ، وفـى حال ما السر عسكر ترك له يده ، ضربه سليمان بخنجره ثلاثة جروح ، وقصد الستوين بروتاين الذى هو رئيس المـعمار ، ومصـاحب العرفـاء ، وجاهد لحمايـة السر عـسكر ، لكن مـا نفع جسارته ، فهو بذاته وقع أيضًا مجروح عن يد القاتل المسفور بستة جروحات ، وبقى لامستطـيع شيء ، وهكذا وقع بلا صـيانة ، وهو الذى كان من الأمـاجد فى الحرب ومخاطرات الـغزا ، وهو أول الذين مضـوا برياسة عسكـر دولة الجمهور الفـرنساوى المنصور الرهن الرهين ، وهو فتح ثانيا بر مصر حينئذ بهجوم سحائب من العثمانية ، فكيف اقتـدروا ضم الوجع العميق الجـملة إلى دموع الأجناد إلى لـوعات الرؤساء ، وجميع الجنرالية أصحـابه بالمجاهدة والمماجدة بالمناحة وموالهة العـسكر ، أنتم جميعا تنعوه ، والمحاسنـات تـتأهله وتنبغى لـه ، القاتل سليمان ما قدر يـهرب من مغاشاة الجيوش غـضوبين له الـدم ظاهر فى ثيـابه ، وخنجره ، واضـطرابه ووحشـة وجهه وحاله، كشفوا جرمـه وهو بالذات مقر بذنبه بلسانه ، ومسـمى شركاه ، وهو كمادح نفسه للـقتل الكريه صنع يـديه ، وهو مستريح بجوابـاته للمّسائل ، وينـظر محاضر سياسات عذابه ، بعين رفيعـة، والرفاهية هى الثمر المحصول من الـعصمة والتفاوه ،

(١) ٢٥ محرم ١٢١٥ هـ/ ١٨ يونيه ١٨٠٠ م .

فكيف تظهر بوجوه الآثمين ومسامحينهم شركاء سليمان الأثيم ، كانوا مرتهنين سره للقتل الذى حصل من غفلتهم وسكوتهم ، قالوا : « باطلا إنهم ما صدقوا سليمان هو مستعدد بذا الإثم » ، وقالوا : « باطلا أيضًا » إن لو كانوا صدقوا ذا المجنون ، كانوا فى الحال شايعين خيانته لكن الأعمال شهود تزور ، وتنبئ أنهم قابلوا القاتل وما غيروا له نية إلا خوف مهلكتهم ، ومصممين تهلكة غيرهم ، ولا هم مستعذرين وجها من الوجوه ، لا حكى لهم شىء من مصطفى أفندى ، بما أن لاظهر شىء عند ذاك الشيب يثبت معاقرته بشكل العذاب اللائق للمذنبين ، هو تحت اصطفاكم بموجب الأمر من الذى أنتم مأمورون بعقبيه لمحاكمة السيئين ، وأظن أن يليق أن تصنعوا لهم من العذابات العادية ببلاد مصر ، ولكن عظمة الإثم تستدعى أن يصير عذابه مهيب ، فإن سألتونى أجيب أنه يستحق الخوزقة ، وأن قبل كل شىء تحترق يد ذا الرجل الأثيم ، وأنه هو يموت بإعذابه ، ويبقى جسده لمأكول الطيور ، وبجهة المسامحين له يستحقون الموت ، لكن بغير عقوبة كما قلت ونبهت ، فليعلم الوزير والعثملية الظالمين تحت أمره حد جزاء الآثمين الذين ارتكبوا بقصد انتقامهم ، لعدم المروءة أنهم عدموا من عسكرنا واحد مقدام ، سبب داعى دموعنا ولوعتنا الأبدية ، فلا يحسبوا ولا يأملوا بإقلال جزائنا ، إنما خليفة السر عسكر المرحوم هو رجل قد شهر شجاعة ، ومضى قدماه بصفاء ضمير منير ، وهو مشار إليه بالبنان لمعرفته بتدبير الجنود والجمهور المنصور ، وهو يهدينا بالنصرة ، وأما أؤلئك المعدومين القلب والعرض ، فلا احمرت وجوههم بانتقامهم وانهزامهم باق ، ثم عدم اعتبارهم بالتواريخ لابدانهم باقيين بالرذالة له ، لانفع لهم قدام العالم إلا اكتساب خجالتهم ، ولعدم المبالاة حالا، كشفتها لهم أثبت محاكمات كما يأتى بيانها » .

أولاً : أن سليمان الحلبى مثبت اسمه الكريه بقتل السر عسكر كلهبر ، فلهذا هو يكون مدحوض بتحريق يده اليمنى ، وبتحريقه حتى يموت فوق خازوقه ، وجيفته باقية فيه لمأكولات الطيور .

ثانيًا : إن الثلاثة مشايخ المسمين : محمد الغزى ، وعبدالله الغزى ، وأحمد الغزى ، يكونوا متبينين منكم أنهم شركاء لهذا القاتل ، فلذلك يكونوا مدحوضين بقطع رؤسهم .

ثالثًا : إن الشيخ عبد القادر الغزى يكون مدحوضا بذلك العذاب .

رابعًا : إن إجراء عذابهم يصير بعودة المجتمعين لدفن السر عسكر ، وأمام العسكر وناس البلد ، لذاك الفعل موجودين فيه .

خامسًا : إن مصطفى أفندى تبين غير مثبوت مسامحته ، وهو مطلوق إلى مانوى .

سادسًا : إن ذا الإعلام وبيناته وما جرى يطبع فى خمسة نسخ ويؤول من لسان الفرنساوى بالعربى والتركى ، لتلزيقها بمحلات بلاد مصر بكمالها بموجب المأمور ، حرر بمصر القاهرة فى اليوم السابع وعشرين من شهرنا بريال سنة ثمانية من إقامة الجمهور المنصور ممضى سارتلون .

الفتوى الخارجة من طرف ديوان القضاة المتشرين بأمر سارى عسكر العام منو ، أمير الجيوش الفرنساوية فى مصر ، لأجل شرعية كل من له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كلهبر ، فى السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، وفى اليوم السابع وعشرين من شهر بريال اجتمعوا فى بيت سارى عسكر رينيه المذكور ، وسارى عسكر روبين ، ودفتردار البحر لرو ، والجنرال مارتينه ، والجنرال مورانه ، ورئيس العسكر جوجه، ورئيس المدافع فاور، ورئيس المعمار برترنه، والوكيل رجينه، والدفتردار سارتلون فى رتبة مبلغ ، والوكيل ليهر فى رتبة وكيل الجمهور ، والوكيل بينه فى رتبة كاتم السر ، وهذا ما صار حكم أمر سارى عسكر العام منو أمير الجيوش الفرنساية الذى صدر أمس ، وأقام القضاة المذكورين لكى يشرعوا على الذى قتل سارى عسكر العام كلهبر فى اليوم الخامس والعشرين [1] من الشهر ، ولكى يحكموا عليه بمعرفتهم ، فحين اجتمعوا القضاة المذكورين ، وسارى عسكر رينيه الذى هو شيخهم ، أمر بقراءة الأمر المذكور أعلاه ، الخارج من يد سارى عسكر منو ، ثم بعده المبلغ قرأ كامل الفحص والتفتيش الذى صدر منه فى حق المتهومين ، وهم : سليمان الحلبى ، والسيد عبد القادر الغزى ، ومحمد الغزى ، وعبدالله الغزى ، أحمد الوالى ، ومصطفى أفندى ، فبعد قراءة ذلك أمر سارى عسكر رينيه بحضور المتهومين المذكورين قدام القضاة ، وهم من غير قيد ولارباط ، بحضور وكيلهم ، والأبواب مفتحة قدام كامل الموجودين ، فحين حضروا سارى عسكر رينيه وكامل القضاة ، سألوهم جملة سؤالات ، وهذا بواسطة الخواجا براشويش الترجمان ، فهم ما جاوبوا إلا بالذى كانوا قالوه حين انفحصوا ، فسارى عسكر رينيه سألهم أيضًا إن كان مرادهم تولوا شىء مناسب لتبرئتهم ، فما جاوبوه بشىء ، فحالا سارى عسكر المذكور أمر بردهم إلى الحبس مع الغفراء عليهم ، ثم إن سارى عسكر رينيه التفت إلى القضاة وسألهم إيش رأيهم فى عدم حديث المتهومين ، وأمر بخروج كامل الناس

من الديوان ، وقفل المحل عليهم لأجل يستشاروا بعضهم من غير أن أحدا يسمعهم ، ثم انوضع أول سؤال ، وقال سليمان الحلبى ابن أربعة وعشرين سنة ، وساكن بحلب متهم بقتل سارى عسكر العام ، وجرح السيتوين بروتاين المهندس ، وهذا صار فى جنينة سارى عسكر العام ، فى خمسة وعشرين من الشهر الجارى ، فهل هو مذنب ؟ ، فالقضاة المذكورين ردوا كل واحد منهم لوحده ، والجميع بقول واحد : « إن سليمان الحلبى مذنب » ، السؤال الثانى : السيد عبد القادر الغزى مقرئ قرآن فى الجامع الأزهر ، ولادة غزة وساكن فى مصر متهوم أنه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر العام وما بلغ ذلك ، وقصد الهروب فهل هو مذنب ؟ ، فالقضاة جاوبوا : « تماما إنه مذنب » ، ثم وضع السؤال الثالث : وقال محمد الغزى ابن خمسة وعشرين سنة ، ولادة غزة ، وساكن فى مصر ، مقرى قرآن فى الجامع الأزهر ، متهوم أنه بلغه بالسر فى غدر سارى عسكر ، وأنه حين ذلك الغادر كان نوى الرواح لقضاء فعله بلغه أيضًا ، وهو ما عَرَّف أحدا بذلك ، فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا : « تماما إنه مذنب » ، السؤال الرابع : عبدالله الغزى ابن ثلاثين سنة ، ولادة غزة ، ومقرى قرآن فى الجامع الأزهر ، متهوم أنه كان يعرف فى غدر سارى عسكر وأنه ما بلغ أحدا بذلك ، فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا : « تماما إنه مذنب »، السؤال الخامس : أحمد الوالى ، ولادة غزة ، مقرى قرآن فى جامع الأزهر ، متهوم أن عنده خبر فى غدر سارى عسكر ، وأنه ما بلغ أحدا بذلك ، فهل هو مذنب ؟ فالقضاة جاوبوا : « تماما إنه مذنب » ، السؤال السادس : مصطفى أفندى ، ولادة برصة فى بر أناضول ، عمره واحد وثمانون سنة ، ساكن فى مصر ، معلم كُتَّاب ما عنده خبر بغدر سارى عسكر ، فهل هو مذنب ؟ فالقضاة تماما جاوبوا : « بأنه غير مذنب » ، وأمروا بإطلاقه ، فبعد ذلك القاضى وكيل الجمهور طلب أنهم يفتوا بالموت على المذنبين المشروحين أعلاه ، فالقضاة تشاوروا مع بعضهم ليعتمدوا على جنس عذاب لائق لموت المذنبين أعلاه ، ثم بدءوا بقراءة خامس مادة من الأمر الذى أخرجه أمس سارى عسكر منو ، بسبب ذلك ، والذى بموجبه أقامهم قضاة فى فحص وموت كل من كان له جرة فى غدر وقتل سارى عسكر العام كلهبر ، ثم اتفقوا جميعهم أن يعذبوا المذنبين ، ويكون لائق للذنب الذى صدر ، وأفتوا أن سليمان الحلبى تحرق يده اليمين ، وبعده يتخوزق ويبقى على الخازوق لحين تأكل رمته الطيور ، وهذا يكون فوق التل الذى برا قاسم بيك ، ويسمى تل العقارب ، وبعد

دفن سارى عسكر العام كلهبر ، وقدام كامل العسكر وأهل البلد الموجودين فى المشهد، ثم أفتوا بموت السيد عبد القادر الغزى مذنب أيضًا كما ذكر أعلاه ، وكل ما تحكم يده عليه يكون حلال للجمهور الفرنساوى ، ثم هذه الفتوى الشرعية تكتب وتوضع فوق البيت الذى مختص بوضع رأسه ، وأيضًا أفتوا على محمد الغزى ، وعبدالله الغزى ، وأحمد الوالى ، أن تقطع رؤسهم وتوضع على نبابيت وتجسمهم يحرق بالنار ، وهذا يصير فى المحل المعين أعلاه ، ويكون ذلك قدام سليمان الحلبى قبل أن يجرى فيه شىء ، هذه الشريعة والفتوى لازم ينطبعوا باللغة التركية والعربية والفرنساوية ، من كل لغة قدر خمسمائة نسخة ، لكى يرسلوا ويتعلقوا فى المحلات اللازمة ، والمبلغ يكون مشهل فى هذه الفتوى ، تحريرا فى مدينة مصر ، فى اليوم والشهر والسنة المحررين أعلاه ، ثم إن القضاة حطوا خط يدهم بأسمائهم برفقة كاتم السر ممضى فى أصله ، ثم هذه الشريعة والفتوى ، انقرت وتفسرت على المذنبين بواسطة السيتوين لوماكا الترجمان قبل قصاصهم ، فهم جاوبوا أن ما عندهم شىء يزيدوا ولاينقصوا على الذى أقروا به فى الأول ، فحالا قضوا أمرهم فى ثمانية وعشرين من شهر برريال جكم الاتفاق ، وقبل نصف النهار بساعة واحدة ، حرر بمصر فى ثمانية وعشرين برريال السنة الثامنة من انتشار الجمهور الفرنساوى ، ثم ختموا بأصله ، الدفتردار سارتلون وكاتم السر بينه ، وهذه نسخة من الأصل ، إمضاء بينه كاتم السر اهـ ». وهذا آخر ما كتبوه فى خصوص هذه القضية ، ورسموه وطبعوه بالحرف الواحد ، ولم أغير شيئًا مما رقم ، إذ لست ممن يحرف الكلم، وما فيه من تحريف فهو كما فى الأصل [1] ، والله أعلم وأحكم .

ولما فرغوا من ذلك ، اشتغلوا بأمر سارى عسكرهم المقتول ، وذلك بعد موته بثلاثة أيام كما ذكر ، ونصبوا مكانه عبدالله جاك منو ، ونادوا ليلة الرابع من قتلته ، وهى ليلة الثلاثاء خامس عشرين المحرم [2] ، فى المدينة بالكنس والرش فى جهات حكام الشرطة ، فلما أصبحوا اجتمع عساكرهم وأكابرهم وطائفة عينها القبط والشوام ، وخرجوا بموكب مشهده ركبانا ومشاة ، وقد وضعوه فى صندوق رصاص مسنم الغطاء ، ووضعوا ذلك الصندوق على عربة ، وعليه برنيطته وسيفه والخنجر

(١) كتب أمام هذه العبارة هامش ص ١٣٣ من طبعة بولاق « ونحن أيضًا لم نغير من ألفاظه شيئًا ، وأبقيناها على حالها ، حيث إن المؤلف قصد حكايتها على ركاكتها كما تقدم » .

(٢) ٢٥ محرم ١٢١٥ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠٠ م .

الذى قتل به وهو مغموس بدمه ، وعملوا علـى العربة أربعة بيارق صغار فى أركانها معمولة بشعر أسود ، ويـضربون بطبولهم بغير الطريقة المعـتادة ، وعلى الطبول خرق سود ، والعسـكر بأيديهم الـبنادق ، وهى منكسـة إلى أسفل ، وكل شخـص منهم معصب ذراعه بخرقة حـرير سوداء ، ولبسوا ذلك الصندوق بالقطيـفة السوداء وعليها قصب مخيـش ، وضربوا عند خروج الجنازة مـدافع وبنادق كثيرة وخرجـوا من بيت الأزبكية على باب الخرق إلى درب الجماميز إلى جهة الناصرية ، فلما وصلوا إلى تل العقارب حيث القلعة التى بنوها هناك ، ضربوا عدة مدافع ، وكانوا أحضروا سليمان الحلبى والثلاثة المذكورين ، فأمضوا فيهم ما قدر عليهم[1] ، ثم ساروا بالجنازة إلى أن وصلوا باب قصر العينى ، فرفعوا ذلك الصندوق ، ووضعوه على علوة من التراب ، بوسط تخشيبة صنعوها وأعدوها لذلك ، وعملوا حولها درابزين وفوقه كساء أبيض ، ووزعوا حوله أعواد سرو ، ووقف عند بابها شخصـان من العسكر ببنادقهما ملازمان ليلا ونهارا ، يتناوبان الملازمة على الـدوام ، وانقضى أمره ، واستقر عوضه فى السر عسكرية قائمقام عبدالله جاك منو ، وهـو الذى كان متولى على رشيد من قدومهم ، وقد كان أظهر أنه أسلم ، وتسمى بعبد الله وتزوج بامرأة مسلمة ، وقلدوا عوضه فى قائمقامية بليـار ، فلما أصبح ثانى يوم[2] حضر قائمقـام والأغا إلى الأزهر ، ودخلا إليه وشقا فى جهاته وأروقته وزواياه بحضرة المشايخ .

وفى يوم الخميس[3] ، حضر سارى عسكر عبدالله جـاك منو ، وقائمقام والأغا ، وطافوا به أيضًا ، وأرادوا حفر أمـاكن للتفتيش على السلاح ونـحو ذلك ، ثم ذهبوا فشرعـت المجاورون فى نقل أمتعتهم مـنه ، ونقل كتـبهم وإخلاء الأروقة ، ونـقلوا الكتب الموقوفة بها إلى أماكن خارجـة عن الجامع ، وكتبوا أسماء المجاورين فى ورقة وأمروهم أن لايبـيت عندهم غريـب ، ولا يؤوا إليهم آفاقـيا مطلقا ، وأخـرجوا منه المجاورين من طائفة الترك ، ثم إن الشيخ الشرقاوى والمهدى والصاوى ، توجهوا فى عصريتها عند كبير الفرنسيس منـو ، واستأذنوه فى قفل الجامع وتسميره ، فقال بعض القبطة الحاضرين للأشياخ « هذا لايصح ولايتفق » ، فحنق عليه الشيخ الشرقاوى ، وقـال : « اكـفـونا شر دسائـسكم يا قبـطة » ، وقصد المشـايخ من ذلك منع الـريبة بالكلية ، فـإن للأزهر سعـة لايمكن الإحاطة بمن يدخله ، فربما دس العدو من يبيت

---

(1) كتب أمام هذه العبارة بهامش ص ١٣٤ ، طبعة بولاق « قوله : فأمضوا فيهم ما قدر عليهم ، هذا مخالف لما سبق فى الحكم من أنهم يجرون عليهم ذلك بعد دفن المقتول اهـ » .

(2) ٢٦ محرم ١٢١٥ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠٠ م .   (3) ٢٧ محرم ١٢١٥ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠٠ م .

به ، واحتج بـذلك على إنجاز غرضـه ونيل مراده من المسـلمين والفقهـاء ، ولايمكن الاحتراس من ذلك ، فـأذن كبير الفرنسيس بـذلك لما فيه من موافقة غـرضه باطنا ، فلما أصبحوا قفلوه وسمروا أبوابه من سائر الجهات .

وفي غايته [1] ، جمعوا الوجاقـلية وأمروهم بإحضار ما عنـدهم من الأسلحة ، فأحضروا ما أحضروه فـشددوا عليهم فى ذلك ، فقالوا : « لم يكـن عندنا غير الذى أحضرناه » ، فقالـوا : « وأين الذى كنا نرى لمعـانه عنـد متاريسكم ؟ » ، فقالوا : « تلك أسلحة العساكر العثمانية والأجناد المصرية وقد سافروا بها » .

واستهل شهر صفر بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٥ [2]

فى أوائله [3] ، سافر بعض الأعيان من المشايخ وغيرهم إلى بلاد الأرياف بعيالهم وحريمهم وبعضهم بعث حريمه ، وأقام هو ، فسافر الشيخ محمد الحريرى ، وصحب معه حريم الشيخ السـحيمى ، وصهره الشيخ المهدى ، فلما راهـم الناس عزم الكثير منهم عـلى الرحلة ، وأكثـروا المراكب والجمال وغيـر ذلك ، فلما أشيـع ذلك كتب الفرنسيس أوراقا ونادوا فى الأسواق بعدم انتقال الناس ، ورجوع المسافرين ، ومن لم يرجع بعد خـمسة عشر يوما نهبـت داره ، فرجع أكثر الناس ممن سـافر أو عزم على السفر إلا مـن أخـذ له ورقة بالإذن من مشاهير الناس ، أو احتج بعذر كأن يكون فى خدمة لهم ، أو قبض خراج أو مال أو غلال من التزامه .

وفيه[4] ، قرروا فـردة أخرى وقدرها أربـعة ملايـين ، وقدر الملـيون مائة وسـتة وثمانون ألف فرانسة ، وكأن الناس ما صدقوا قرب تمام الفردة الأولى ، بعدما قاسوا من الشدائد مالا يوصف ، ومات أكثرهم فى الحـبوس وتحت العقوبة ، وهرب الكثير منهم ، وخـرجوا على وجوههم إلى الـبلاد ، ثم دهوا بهذه الداهيـة أيضًا ، فقرروا على العـقار والدور مائتى ألف فـرانسة ، وعلى الملـتزمين مائة وستين ألـفا ، وعلى التجار مائـتى ألف ، وعلى أرباب الحرف المستـورين ستين ألفا ، وأسقطـوا فى نظير المنهوبـات مائة ألف ، وقسموا البـلدة ثمانية أخطـاط ، وجعلوا على كل خطـة منها خمسة وعشريـن ألف ريال ، ووكلوا بقبض ذلك مشايخ الحـارات ، والأمير الساكن

---

(١) غاية محرم ١٢١٥ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠٠ م .
(٢) صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه - ٢٢ يوليه ١٨٠٠ .
(٣) ١ صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠٠ م .
(٤) ١ صفر ١٢١٥ هـ / ٢٤ يونيه ١٨٠٠ م .

بتلك الخطة ، مثل المحتسب بجهة الحنفى [1] وعمر شاه[2] ، وسويقة السباعين[3] ، ودرب الحجر ، ومثل ذى الفقار كتخدا جهة المشهد الحسينى ، وخان الخليلى ، والغورية ، والصنادقية ، والأشرفية ، وحسن كاشف جهة الصليبية[4] والخليفة[5] ، وما فى ضمن كل من الجهات والعطف والبيوت ، فشرعوا فى توزيع ذلك على الدور الساكنة وغير الساكنة ، وقسموها : عال ، وأوسط ، ودون ، وجعلوا العال ، ستين ريالا ، والوسط: أربعين، والدون : عشرين ، ويدفع المستأجر قدر ما يدفع المالك ، والدار التى يجدونها مغلقة وصاحبها غائب عنها ، يأخذون ما عليها من جيرانها .

وفى سادس عشرينه[6] أفرجوا عن الشيخ السادات ، ونزل إلى بيته بعد أن غلق الذى تقرر عليه ، واستولوا على حصصه وأقطاعه ، وقطعوا مرتباته ، وكذلك جهات حريمه ، والحصص الموقوفة على زاوية أسلافه، وشرطوا عليه عدم الاجتماع بالناس ، وأن لايركب بدون إذن منهم ، ويقتصد فى أموره ومعاشه ويقلل أتباعه .

شهر ربيع الأول سنة ١٢١٥ [7]

فيه[8] ، نادوا على الناس الخارجين من مصر من خوف الفردة وغيرها ، بأن من لم يحضر من بعد اثنين وثلاثين يوما من وقت المناداة ، نهبت داره ، وأحيط بموجوده ، وكان من المذنبين ، واشتد الأمر بالناس ، وضاقت منافسهم ، وتابعوا نهب الدور بأدنى شبهة ، ولاشفيع تقبل شفاعته ، أو متكلم تسمع كلمته ، واحتجب سارى عسكر عن الناس ، وامتنع من مقابلة المسلمين ، وكذلك عظماء الجنرالات ، وانحرفت طباعهم عن المسلمين زيادة عن أول ، واستوحشوا منهم ، ونزل بالرعية الذل والهوان ، وتطاولت عليهم الفرنساوية ، وأعوانهم ، وأنصارهم من نصارى البلد الأقباط والشوام والأروام بالإهانة ، حتى صاروا يأمرونهم بالقيام

---

(١) الحنفى : تقع الآن فى المنطقة الممتدة من شارع مجلس الأمة حتى ميدان السيدة زينب .

(٢) عمر شاه : هى منطقة قنطرة عمر شاه التى كانت قائمة على الخليج المصرى ، كان يتم العبور عليها إلى البر الغربى من الخليج .

المقريزى : تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

(٣) سويقة السباعين : شارع سويقة السباعين يبتدئ من اخر درب الحجر وينتهى لشارع الناصرية وطوله ٢٧٠ مترا.

مبارك ، على : المرجع السابق.، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ٣٣٠ .

(٤) الصليبية : شارع الصليبية يبتدئ من جهة المنشية ، وينتهى عند أول شارع حدرة الحناء قبالة حارة الوطاويط وبه عدة دروب وحارات وعطف .

نفس المرجع : جـ ٢ ، ص ٣١٣ .

(٥) الخليفة : منطقة قريبة من القلعة .

(٦) ٢٦ صفر ١٢١٥ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠٠ م .

(٧) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه - ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .

(٨) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه - ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .

إليهم عند مرورهم ، ثم شددوا فى ذلك حتى كان إذا مر بعض عظمائهم بالشارع ، ولم يقم إليه بعض الناس على أقدامه ، رجعت إليه الأعوان ، وقبضوا عليه ، وأصعدوه إلى الحبس بالقلعة وضربوه ، واستمر عدة أيام فى الاعتقال ، ثم يطلق بشفاعة من بعض الأعيان .

وفيه[1] ، أنزلوا مصطفى باشا من الحبس ، وأهدوا إليه هدايا وأمتعة وأرسلوه إلى دمياط ، فأقام بها أياما ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى .

شهر ربيع الثانى سنة ١٢١٥ [2]

فيه[3] ، اشتد أمر المطالبة بالمال ، وعين لذلك رجل نصرانى قبطى يسمى شكر الله، فنزل بالناس منه ما لايوصف ، فكان يدخل إلى دار أى شخص كان ، لطلب المال ، وصحبته العسكر من الفرنساوية والفعلة وبأيديهم القزم ، فيأمرهم بهدم الدار إن لم يدفعوا له المقرر ، وقت تاريخه من غير تأخير إلى غير ذلك ، وخصوصا ما فعله ببولاق ، فإنه كان يحبس الرجال مع النساء ، ويدخن عليهم بالقطن والمشاق، وينوع عليهم العذاب ، ثم رجع إلى مصر يفعل ذلك .

وفيه[4] ، أغلقوا جميع الوكائل والخانات على حين غفلة فى يوم واحد ، وختموا على جميعها ، ثم كانوا يفتحونها وينهبون ما فيها من جميع البضائع والأقمشة والعطر والدخان خانا بعد خان ، فإذا فتحوا حاصلا من الحواصل قَوَّمُوا ما فيه بما أحبوا بأبخس الأثمان ، وحسبوا غرامته ، فإن بقى لهم شىء أخذوه من حاصل جاره ، وإن زاد له شىء أحالوه على جاره الآخر كذلك ، وهكذا ، ونقلوا البضائع على الجمال والحمير والبغال وأصحابها تنظر ، وقلوبهم تتقطع حسرة على مالهم ، وإذا فتحوا مخزنا دخله أمناؤهم ووكلاؤهم ، فيأخذون ما يجدونه من الودائع الخفيفة أو الدراهم ، وصاحب المحل لايقدر على التكلم ؛ بل ربما هرب أو كان غائبا .

وفيه[5] ، حرروا دفاتر العشور ، وأحصوا جميع الأشياء الجليلة والحقيرة ، ورتبوها بدفاتر ، وجعلوها أقلاما يتقلدها من يقوم بدفع ما لها المحرر ، وجعلوا جامع أزبك [6] الذى بالأزبكية سوقا لمزاد ذلك بكيفية يطول شرحها ، وأقاموا على

---

(١) ربيع الأول ١٢١٥ هـ / ٢٣ يوليه - ٢١ أغسطس ١٨٠٠ م .
(٢) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٣) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٤) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٥) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٦) جامع أزبك : انظر ، ص ١٥٦ ، حاشية رقم (٥) .

ذلك أياما كثيرة يجتمعون لذلك فى كل يوم ، ويشترك الاثنان فأكثر فى القلم الواحد ، وفى الأقلام المتعددة .

وفيه[1] ، كثر الهدم فى الدور وخصوصا فى دور الأمراء ، ومن فر من الناس ، وكذلك كثر الاهتمام بتعمير القلاع وتحصينها ، وإنشاء قلاع فى عدة جهات ، وبنوا بها المخازن والمساكن وصهاريج الماء وحواصل الجبخانات حتى ببلاد الصعيد القبلية .

واستهل شهر جمادى الأولى سنة ١٢١٥ [2]

والأمور من أنواع ذلك تتضاعف ، والظلومات تتكاثف ، وشرعوا فى هدم أخطاط الحسينية وخارج باب الفتوح ، وباب النصر من الحارات والدور ، والبيوت والمساكن ، والمساجد والحمامات ، والحوانيت والأضرحة ، فكانوا إذا دهموا دارا وركبوها للهدم ، لايمكنون أهلها من نقل متاعهم ولا أخذ شيء من أنقاض دارهم ، فينهبونها ويهدمونها وينقلون الأنقاض النافعة من الأخشاب والبلاط إلى حيث عمارتهم وأبنيتهم ، وما بقى يبيعون منه ما أحبوا بأبخس الأثمان ولوقود النيران ، وما بقى من كسارات الخشب يحزمه الفعلة حزما ويبيعونه على الناس بأغلى الأثمان لعدم حطب الوقود ، ويباشر غالب هذه الأفاعيل النصارى البلدية ، فهدم للناس من الأملاك والعقار ما لايقدر قدره ، وذلك مع مطالبتهم بما قرر على أملاكهم ودورهم من الفردة ، فيجتمع على الشخص الواحد النهب والهدم والمطالبة فى آن واحد ، وبعد أن يدفع ما على داره أو عقاره ، وما صدق أنه غلق ما عليه إلا وقد دهموه بالهدم فيستغيث فلا يغاث ، فترى الناس سكارى وحيارى ، ثم بعد ذلك كله يطالب بالمنكسر من الفردة ، وذلك أنهم لما قسموا الأخطاط كما تقدم ، وتولى ذلك أمير الخطة ، وشيخ الحارة ، والكتبة والأعوان وزعوا ذلك برأيهم ومقتضى أغراضهم ، فأول ما يجتمعون بديوانهم يشرع الكتبة فى كتابة التنابيه ، وهى أوراق صغار باسم الشخص والقدر المقرر عليه وعلى عقاره ، بحسب اجتهادهم ورأيهم وعلى هامشها كراء طريق المعينين ، ويعطون لكل واحد من أولئك القواسة عدة من تلك الأوراق ، فقبل أن يفتح الإنسان عينيه ما يشعر إلا والمعين واقف على بابه ، وبيده ذلك التنبيه فيوعدوه حتى ينظر فى حاله ، فلا يجد بدا من دفع حق الطريق ، فما هو إلا أن يفارقه حتى يأتيه المعين الثانى بتنبيه آخر ، فيفعل معه كالأول وهكذا على عدد الساعات ، فإن لم يوجد المطلوب ، وقف ذلك القواس على داره ، ورفع صوته وشتم حريمه أو خادمه ، فيسعى الشخص جهده حتى يغلق ما تقرر عليه بشفاعة ذى وجاهة أو نصرانى ، وما يظن أنه خلص إلا والطلب لاحقه أيضاً بمعين

(١) ربيع الثانى ١٢١٥ هـ / ٢٢ أغسطس - ١٩ سبتمبر ١٨٠٠ م .

(٢) جمادى الأولى ١٢١٥ هـ / ٢٠ سبتمبر - ١٩ أكتوبر ١٨٠٠ م .

وتنبيه ، فيقول : « ما هذا » ، فيقال له : « إن الفردة لم تكمل ويقى منها كذا وكذا ، وجعلنا على العشرة خمسة أو ثلاثة » ، أو ما سولت لهم أنفسهم ، فيرى الشخص أن لابد من ذلك ، فما هو إلا أن خلص أيضًا إلا وكرة أخرى ، وهكذا أمرا مستمرا ، ومثل ذلك ما قرر على الملتزمين ، فكانت هذه الكسورات من أعظم الدواهى المغلقة ، ونكسات الحمى المطبقة .

وفى خامسه[1] ، كان عيد الصليب ، وهو انتقال الشمس لبرج الميزان ، والاعتدال الخريفى ، وهو أول سنة الفرنسيس ، وهى السنة التاسعة من تاريخ قيامهم ، ويسمى عندهم هذا الشهر ولدمير ، وذلك يوم عيدهم السنوى ، فنادوا بالزينة بالنهار ، والوقدة بالليل ، وعملوا شكات ومدافع وحراقات ووقدات بالأزبكية والقلاع ، وخرجوا صبح ذلك اليوم بمواكبهم وعساكرهم وطبولهم وزمورهم إلى خارج باب النصر ، وعملوا مصافهم ، فقرئ عليهم كلام بلغتهم على عادتهم ، وكأنه مواعظ حربية ، ثم رجعوا بعد الظهر.

وفى هذه السنة[2] ، زاد النيل زيادة مفرطة لم يعهد مثلها فيما رأينا حتى انقطعت الطرقات ، وغرقت البلدان ، وطف الماء من بركة الفيل ، وسال إلى درب الشمسى ، وكذلك حارة الناصرية[3] ، وسقطت عدة دور من المطلة على الخليج ، ومكث زائدا إلى آخر توت[4] .

واستهل شهر جمادى الثانية سنة ١٢١٥ [5]

فيه[6] ، قرروا على مشايخ البلدان مقررات يقومون بدفعها فى كل سنة ، أعلى وأوسط وأدنى ، فالأعلى : وهو ما كانت بلده ألف فدان فأكثر ، خمسمائة ريال ، والأوسط : وهى ما كانت خمسمائة فأزيد ، ثلثمائة ريال ، والأدنى : مائة وخمسون ريالا ، وجعلوا الشيخ سليمان الفيومى وكيلا فى ذلك ، فيكون عبارة عن شيخ المشايخ ، وعليه حساب ذلك ، وهو من تحت يد الوكيل الفرنساوى الذى يقال له : بريزون[7] ، فلما شاع ذلك ضجت مشايخ البلاد ، لأن منهم من لايملك عشاءه فاتفقوا على أن وزعوا ذلك على الأطيان ، وزادت فى الخراج ، واستملوا البلاد ،

---

(١) ٥ جمادى الأولى ١٢١٥ هـ / ٢٤ سبتمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .
(٣) حارة الناصرية : انظر ، ص ٥٧ ، حاشية رقم (١ ، ٢) .
(٤) أخر توت ١٥١٦ قبطية - ١٩ اكتوبر ١٨٠٠ م .
(٥) جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٦) جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٧) بريزون : Brizon.

والكفور من القبطة ، فأملوها عليهم حتى الكفور التى خربت من مدة سنين ، بل سموا أسماء من غير مسميات .

وفيه[1] ، شرعوا فى ترتيب الديوان على نسق غير الأول من تسعة أنفار متعممين لا غير ، وليس فيهم قبطى ولا وجاقلى ولا شامى ولا غير ذلك ، وليس فيه خصوصى وعمومى ، على ما سبق شرحه ، بل هو ديوان واحد مركب من تسعة رؤساء هم : الشيخ الشرقاوى ، رئيس الديوان ، والمهدى ، كاتب السر ، والشيخ الأمير ، والشيخ الصاوى ، وكاتبه ، والشيخ موسى السرسى ، والشيخ خليل البكرى ، والسيد على الرشيدى نسيب سارى عسكر ، والشيخ الفيومى ، والقاضى الشيخ إسماعيل الزرقانى، وكاتب سلسلة التاريخ السيد إسماعيل الخشاب، والشيخ على كاتب عربى ، وقاسم أفندى كاتب رومى، وترجمان كبير ، القس رفائيل ، وترجمان صغير ، إلياس فخر الشامى ، والوكيل الكمثارى فوريه ، ويقال له مدبر سياسة الأحكام الشرعية ، ومقدم وخمسة قواسة ، واختاروا لذلك بيت رشوان بيك الذى بحارة عابدين ، وكان يسكنه برطلمان ، فانتقل منه إلى بيت الجلفى بالخرنفش، وعمر وبيض وفرشت قاعة الحريم بمجلس الديوان فرشا فاخرا ، وعينوا عشرة جلسات فى كل شهر انتقل إليها فوريه وسكنها بأتباعه ، وأعدوا للمترجمين والكتبة من الفرنساوية مكانا خاصا ، يجلسون به فى غير وقت الديوان على الدوام لترجمة أوراق الوقائع وغيرها ، وجعلوا لها خزائن للسجلات ، وفتحوا أيضًا بجانبها دارا نفذوها إليها ، وشرعوا فى تعميرها وتأنيقها ، وسموها بمحكمة المتجر[2] ، وأخذوا يرتبون أنفارا من تجار المسلمين والنصارى ، يجلسون بها للنظر فى القضايا المتعلقة بقوانين التجار ، والكبير على ذلك كله فوريه ، ولم يتم ذلك المكان الثانى .

وفى خامس عشره[3] ، شرعوا فى جلسة الديوان ، وصورته : « إنه إذا تكامل حضور المشايخ يخرج إليهم الوكيل فوريه ، وصحبته المترجمون فيقومون له ، فيجلس معهم ، ويقف الترجمان الكبير رفائيل ، ويجتمع أرباب الدعاوى فيقفون خلف الحاجز عند آخر الديوان ، وهو من خشب مقفص ، وله باب كذلك ، وعنده الجاويش يمنع الداخلين خلاف أرباب الحوائج ، ويدخلهم بالترتيب الأسبق فالأسبق ، فيحكى صاحب الدعوة قضيته ، فيترجمها له الترجمان ، فإن كانت من القضايا الشرعية ، فإما أن يتمها قاضى الديوان بما يراه العلماء ، أو يرسلوها إلى القاضى

---

(١) جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٢٠ أكتوبر - ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .

(٢) محكمة المتجر : محكمة أنشأها الفرنسيون للنظر فى القضايا المتعلقة بالتجارة والتجار ، وكان تشكيلها كما هو مدون بالنص .

(٣) ١٥ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٣ نوفمبر ١٨٠٠ م .

الكبير بالمحكمة إن إحتاج الحال فيها إلى كتابة حجج أو كشف من السجل ، وإن كانت من غير جنس القضايا الشرعية، كأمور الالتزام أو نحو ذلك، يقول الوكيل: « ليس هذا من شغل الديوان » ، فإن ألح أرباب الديوان فى ذلك يقول : « اكتبوا عرضا لسارى عسكر » ، فيكتب الكاتب العربى ، والسيد إسماعيل يكتب عنده فى سجله كل ما قال المدعى والمدعى عليه وما وقع فى ذلك من المناقشة ، وربما تكلم قاضى الديوان فى بعض ما يتعلق بالأمور الشرعية ومدة الجلسة من قبيل الظهر بنحو ثلاث ساعات إلى الأذان أو بعده بقليل ، بحسب الاقتضاء ، ورتبوا لكل شخص من مشايخ الديوان التسعة أربعة عشر ألف فضة فى كل شهر ، عن كل يوم أربعمائة نصف فضة ، وللقاضى والمقيد والكاتب العربى والمترجمين وباقى الخدم مقادير متفاوتة تكفيهم وتغنيهم عن الارتشاء ، وفى أول جلسة من ذلك اليوم عملت المقارعة لرئيس الديوان ، وكاتب السر ، فطلعت للشرقاوى والمهدى على عادتهما ، وكذلك الجاويشية والترجمان ، وكتبت تذكرة من أهل الديوان خطابا لسارى عسكر يخبرونه فيها بما حصل من تنظيم الديوان وترتيبه ، وسر الناس بذلك لظنهم أنه انفتح لهم باب الفرج بهذا الديوان ، ولما كانت الجلسة الثانية ازدحم الديوان بكثرة الناس ، وأتوا من كل فج يشكون ».

وفى ثالث عشرينه[1] ، أمروا بجمع الشحاذين أى السؤّال بمكان ، وينفق عليهم نظار الأوقاف .

وفيه[2] ، أيضًا أمروا بضبط إيراد الأوقاف ، وجمعوا المباشرين لذلك ، وكذلك الرزق الأحباسية والأطيان المرصدة على مصالح المساجد والزوايا ، وأرسلوا بذلك إلى حكام البلاد والأقاليم .

وفى غايته[3] ، حضر رجل إلى الديوان مستغيث بأهله ، وأنَّ قلق الفرنسيس قبض على ولده وحبسه عند قائمقام وهو رجل زيات ، وسبب ذلك أن امرأة جاءت إليه لتشترى سمنا ، فقال لها : « لم يكن عندى سمن » فكررت عليه حتى حنق منها، فقالت له : « كأنك تدخره حتى تبيعه على العثملى » ، تريد بذلك السخرية ، فقال لها : « نعم رغما عن أنفك وأنف الفرنسيس » ، فنقل عنه مقالته غلام كان معها حتى أنهوه إلى قائمقام فأحضره وحبسه ، ويقول أبوه : « أخاف أن يقتلوه » ، فقال الوكيل : « لا لايقتل بمجرد هذا القول وكن مطمئنا فإن الفرنساوية لايظلمون

---

(١) ٢٣ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٢) ٢٣ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١١ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(٣) غاية جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ١٧ نوفمبر ١٨٠٠ م .

كل هذا الظلم » ، فلما كان في اليوم الثاني ، قتل ذلك الرجل ومعه أربعة لايدرى ذنبهم ، وذهبوا كيوم مضى .

واستهل شهر رجب الفرد سنة ١٢١٥ [١]

والطلب والنهب والهدم مستمر ومتزايد ، وأبرزوا أوامر أيضًا بتقرير مليون على الصنائع والحرف ، يقومون بدفعه في كل سنة ، قدره مائة ألف وستة وثمانون ألف ريال فرانسه.، ويكون الدفع على ثلاث مرات كل أربعة أشهر ، يدفع من المقرر الثلث ، وهو اثنان وستون ألف فرانسة ، فدهى الناس ، وتحيرت أفكارهم ، واختلطت أذهانهم وزادت وساوسهم ، وأشيع أن يعقوب القبطى تكفل بقبض ذلك من المسلمين ، ويقلد في ذلك شكر الله وأضرابه من شياطين أقباط النصارى ، واختلفت الروايات فقيل إن قصده أن يجعلها على العقار والدور ، وقيل بل قصده توزيعها بحسب الفردة ، وذلك عشرها ؛ لأن الفردة كانت عشرة ملايين فالذى دفع عشرة يقوم بدفع واحد على الدوام والاستمرار ، ثم قيدوا لذلك رجلا فرنساويا ، يقال له دناويل[٢] وسموه مدبر الحرف ، فجمع الحرف ، وفرض عليهم كل عشرة أربعة ، فمن دفع عشرة في الفردة يدفع أربعة الآن ، فعورض في ذلك بأن هذا غير المنقول ، فقال هذا باعتبار من خرج من البلد ، ومن لم يدخل في هذه الفردة كالمشايخ والفارين ، فإن الذى جعل عليهم أضيف على من بقى ، فاجتمع التجار وتشاوروا فيما بينهم في شأن ذلك ، فرأوا أن هذا شيء لاطاقة للناس به من وجوه ، الأول : وقف الحال وكساد البضائع ، وانقطاع الأسفار ، وقلة ذات اليد ، وذهاب البقية التى كانت في أيدى الناس في الفرد والدواهى المتتابعة ، الثانى : إن الموكلين بالفردة السابقة ، وزعوا على التجار والمتسببين ، وكل من كان له اسم في الدفتر من مدة سنين ، ثم ذهب ما في يده وافتقر حاله وخلا حانوته وكيسه ، فألزموه بشئ من ذلك ، وكلفوه به ، وكتب اسمه في دفتر الدافعين ، ويلزمه ما يلزمهم ، وليس ذلك في الإمكان ، الثالث : أن الحرفة التى دفعت مثلا ثلاثين ألفا يلزمها ثلاثة آلاف في السنة على الرأى الأول ، وعلى الثانى اثنا عشر ألفا ، وقد قل عددهم وغلقت أكثر حوانيتهم لفقرهم وهجاجهم ، وخصوصا إذا ألزموا بذلك المليون فيفر الباقى ، ويبقى من لايمكنه الفرار ولا قدرة للبعض بما يلزم الكل .

---

(١) رجب ١٢١٥ هـ / ١٨ نوفمبر - ١٧ ديسمبر ١٨٠٠ م .

(٢) دناويل : وصحة الاسم Doyle .

وفيه[1] ، أمر الوكيل بتحرير قائمة تتضمن أسماء الذين تقلدوا قضاء البلاد من طرف القاضى ، والذين لم يتقلدوا ، وأخبر أن السر فى ذلك أن مناصب الأحكام الشرعية استقر النظر فيها له ، وأنه لابد من استئناف ولايات القضاة حتى قاضى مصر بالقرعة ، من ابتداء سنة الفرنساوية ، ويكتب لمن تطلع له القرعة تقليد من سارى عسكر الكبير ، فكتبت له القائمة كما أشار .

وفى رابعه[2] ، قتل جماعة بالرميلة وغيرها ونودى عليهم هذا جزاء من يتداخل فى الفرنسيس والعثملى .

وفى سادسه [3] ، عملت القرعة على شرطها بل زاد تكرارها ثلاث مرات لقاضى مصر ، واستقرت للعريشى على ما هو عليه ، وخرج له التقليد بعد مدة طويلة .

وفى ثامنه[4] ، قتل غلام وجارية بباب الشعرية ، ونودى عليهما هذا جزاء من خان وغش وسعى بالفساد ، فيقال إنهما كانا يخدمان فرنساويا فدسا له سما وقتلاه.

وفى تاسعه[5] ، حضر جماعة من الوجاقلية إلى الديوان ، وهم يوسف باشا جاويش ، ومحمد أغا سليم كاتب الجاويشية ، وعلى أغا يحيى باشجاويش الجراكسة، ومصطفى أغا أبطال ، ومصطفى كتخدا الرزاز ، وذكروا أنهم كانوا تعهدوا بباقى الفردة المطلوبة من الملتزمين ، وقدرها خمسة وعشرون ألف ريال ، وقد استدانوا لذلك قدرا من البن بخمسة وثلاثين ألف ريال فرانسه ليوفوا ما عليهم من الديون ، وأنهم أرسلوا إلى حصصهم يطالبون الفلاحين بما عليهم من الخراج ، فامتنع الفلاحون من الدفع ، وأخبروا أن الفرنساوية حرجوا عليهم ومنعوهم من دفع المال للملتزمين ، فكتب لهم عرضحال فى شأن ذلك ، وأرسل إلى سارى عسكر ، ولم يرجع جوابه .

وفى رابع عشره[6] ، صنع الجنرال بليار المعروف بقائمقام عزومة لمشايخ الديوان والوجاقلية وأعيان التجار وأكابر نصارى القبط والشوام ، ومد لهم أسمطة حافلة ، وتعشوا عنده، ثم ذهبوا إلى بيوتهم .

وفى ثانى عشرينه[7] ، طيف بامرأتين فى شوارع مصر بين يدى الحاكم ، ينادى

---

(1) ١ رجب ١٢١٥ هـ / ١٨ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(2) ٤ رجب ١٢١٥ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(3) ٦ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٣ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(4) ٨ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٥ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(5) ٩ رجب ١٢١٥ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٨٠٠ م .
(6) ١٤ رجب ١٢١٥ هـ / ١ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(7) ٢٢ رجب ١٢١٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨٠٠ م .

عليهما هذا جزاء من يبيع الأحرار ، وذلك أنهما باعا امرأة لبعض نصارى الأروام بتسعة ريالات .

وفيه[1] ، طلب الخواجه الفرنسيسى المعروف بموسى كافو من الوجاقلية بقية الفردة المتقدم ذكرها ، فأجابوا بأن سبب عجزهم عن غلاقها توقف الفلاحون عن دفع المال بأمر الفرنساوية ، وعدم تحصيلهم المال من بلادهم ، ثم أحيلوا بعد كلام طويل على استيفاء الخازندار لأن ذلك من وظائفه لا من وظائف الديوان .

وفي سابع عشرينه[2] ، حضر الوجاقلية ومعهم بعض الأعيان وحريمات ملتزمات يستغيثون بأرباب الديوان ، ويقولون : « إنه بلغنا أن جمهور الفرنساوية يريدون وضع أيديهم على جميع الالتزام المفروج عنه الذى دفعوا حلوانه ومغارمه ، ولايرفع أيدى الملتزمين عن التصرف فى الالتزام جملة كافية » ، وقد كان قبل ذلك أنهى الملتزمون الذين لم يفرجوا لهم عن حصصهم ، إما لفرارهم وعودهم بالأمان ، وإما لقصر أيديهم عن الحلوان ، وإما لشراقى بلادهم ، وإما لانتظارهم الفرج وعود العثمانيين ، فيتكرر عليهم الحلوان والمغارم ، فلما طال المطال وضاق حال الناس ، عرضوا أمرهم وطلبوا من مراحم الفرنساوية الإفراج عن بعض ما كان بأيديهم ليتعيشوا به ، ووقع فى ذلك بحث طويل ومناقشات يطول شرحها ، ثم ما كفى حتى بلغهم أن القصد نزع المفروج عنه أيضًا ، ونزع أيدى المسلمين بالكلية ، وأنهم يستشفعون بأهل الديوان عند سارى عسكر بأن يبقى عليهم التزامهم يتعيشون به ويقضون ديونهم التى استدانوها فى الحلوان ، ومغارم الفردة ، فقال فوريه الوكيل : « هل بلغكم ذلك من طريق صحيح » ، فقالوا : « نعم بلغنا من بعض الفرنساوية » ، وقال الشيخ خليل البكرى : « وأنا سمعته من الخازندار » ، وقال الشيخ المهدى مثل ذلك ، وأنهم يريدون تعويضهم من أطيان الجمهور ، فقال الملتزمون : « إن بيدنا الفرمانات والتمسكات من سلفكم بونابارته ، ومن السلاطين السابقين ونوابهم ، وقائمون بدفع الخراج ، وأنهم ورثوا ذلك عن آبائهم وأسلافهم وأسيادهم ، وإذا أخذ منهم الالتزام اضطروا إلى الخروج من البلد ، والهجاج وخراب دورهم ، ويصبحون صعاليك ولايأتمنهم الناس » ، وطال البحث فى ذلك ، والوكيل مع هذا كله ينكر وقوع ذلك مرة ، ويناقش أخرى إلى أن انتهى الكلام بقوله : « إن الكلام فى هذا وأمثاله ليس من وظيفتى ، فإنى حاكم سياسة الشريعة لا مدبر أمر البلاد ، نعم من وظيفتى المعاونة والنصح فقط » .

---

(١) ٢٢ رجب ١٢١٥ هـ / ٩ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٢) ٢٧ رجب ١٢١٥ هـ / ١٤ ديسمبر ١٨٠٠ م .

وفى خامس عشرينه [1] ، اتفق أن جماعة من أولاد البلد خرجوا إلى النزهة جهة الشيخ قمر ومعهم جماعة آلاتية يغنون ويضحكون ، فنزل إليهم جماعة من العسكر الفرنساوية المقيمين بالقلعة الظاهرية خارج الحسينية ، وقبضوا عليهم وحبسوهم ، وأرسلوا شخصا منهم إلى شيخ البلد بليار وأخبروه بمكانهم ، ليستفسر عن شأنهم ، فلقيه ، ثم ردّه إلى القلعة الظاهرية ثانيا فبات عند أصحابه ، ثم طلبهم فى ثانى يوم[2] ، فذهبوا وصحبتهم جماعة من العسكر بالبندق تحرسهم ، فقابلوه ومَنَّ عليهم بالإطلاق ، وذهبوا إلى منازلهم .

وفيه[3] ، منعوا الأغا والوالى والمحتسب من عوائدهم على الحرف ، والمتسببين فإنها اندرجت فى أقلام العشور ، ورتبوا لهم جامكية من صندوق الجمهور يقبضونها فى كل شهر .

واستهل شهر شعبان سنة ١٢١٥ [4]

فيه[5] ، أجيب الملتزمون بإبقاء التزامهم عليهم ، وأنكروا ما قيل فى رفع أيديهم ، وعوتب من صدق هذه الأكذوبة ، وإن كانت صدرت من الخازندار ، فإنما كانت على سبيل الهزل ، أو يكون التحريف من الترجمان أو الناقل .

وفيه[6] ، حضر التجار إلى الديوان ، وذكروا أمر المليون ، وأن قصدهم أن يجعلوه موزعا على الرؤوس ، ولايمكن غير ذلك ، وطال الكلام والبحث فى شأن ذلك ، ثم انحط الأمر على تفويض ذلك لرأى عقلاء المسلمين ، وأنهم يجتمعون ويدبرون ويعملون رأيهم فى ذلك ، بشرط أن لايتداخل معهم فى هذا الأمر نصرانى أو قبطى ، وهم الضامنون لتحصيله بشرط عدم الظلم ، وأن لايعملوا على النساء ولا الصبيان والفقهاء ولا الخدامين شيئًا ، وكذلك الفقراء ، ويراعى فى ذلك حال الناس وقدرتهم وصناعتهم ومكاسبهم ، ثم قالوا : « نرجوا أن تضيفوا إلينا بولاق ومصر القديمة » ، فلم يجابوا إلى ذلك لكونهم جعلوهما مستقلين ، وقرروا عليهما قدرا آخر خلاف الذى قرروه على مصر .

---

(١) ٢٥ رجب ١٢١٥ هـ / ١٢ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٢) ٢٦ رجب ١٢١٥ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٣) ٢٦ رجب ١٢١٥ هـ / ١٣ ديسمبر ١٨٠٠ م .
(٤) شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ - ١٥ يناير ١٨٠١ م .
(٥) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٦) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

وفيه[١] ، لخصوا عرضا ولطفوا فيه العبارة لسارى عسكر ، فأجيبوا إلى طلبهم ما عدا بولاق ومصر القديمة ، وأخرجوا من أرباب الحرف الصيارفة والكيالين والقبانية ، وجعلوا عليهم بمفردهم ستين ألف ريال خلاف ما يأتى عليهم من المليون أيضًا ، يقومون بدفعها فى كل سنة ، والسر فى تخصيص الثلاث حرف المذكورة دون غيرها أن صناعتهم من غير رأس مال .

وفيه[٢] ، أفردوا ديوانا لذلك ببيت داود كاشف خلف جامع الغورية[٣] ، وتقيد لذلك السيد أحمد الزرو ، وأحمد بن محمود محرم ، وإبراهيم أفندى كاتب البهار ، وطائفة من الكتبة ، وشرعوا فى تحرير دفاتر بأسماء الناس وصناعاتهم ، وجعلوها طبقات ، فيقولون فلان من نمرة عشرة أو خمسة أو ثلاثة أو اثنين أو واحد ، ومشوا على هذا الاصطلاح .

وفيه [٤] ، أبطلوا عشور الحرير الذى يتوجه من دمياط إلى المحلة الكبرى .

وفيه[٥] ، أرسل سارى عسكر يسأل المشايخ عن الذين يدورون فى الأسواق ، ويكشفون عوراتهم ، ويصيحون ويصرخون ويدعون الولاية وتعتقدهم العامة ، ولايصلون صلاة المسلمين ولايصومون ، هذا جائز عندكم فى دينكم أو هو محرم ؟ فأجابوه : « بأن ذلك حرام ومخالف لديننا وشرعنا وسنتنا » ، فشكرهم على ذلك وأمر الحكام بمنعهم والقبض على من يرونه كذلك ، فإن كان مجنونا ربط بالمارستان ، أو غير مجنون : فإما أن يرجع عن حالته ، أو يخرج من البلد .

وفيه[٦] ، أرسل رئيس الأطباء الفرنساوى نسخا من رسالة ألفها فى علاج الجدرى ، لأرباب الديوان لكل واحد نسخة على سبيل المحبة والهدية ليتناقلها الناس ، ويستعملوا ما أشار إليه فيها من العلاجات لهذا الداء العضال ، فقبلوا منه ذلك وأرسلوا له جواب شكرا له على ذلك ، وهى رسالة لا بأس بها فى بابها .

وفى حادى عشره[٧] وجدت امرأة مقتولة بغيط عمر كاشف بالقرب من قناطر السباع ، فتوجه بسبب الكشف عليها رسول القاضى والأغا ، وأخذوا الغيطانية

---

(١) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٢) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

(٣) جامع الغورية : يقع فى شارع الغورية بين الأشرفية والفحامين ، أنشأ السلطان قانصوه الغورى مدرسة تشتمل على إيوانين كبيرين وآخرين صغيرين ، وعمل لهذا الجامع منبرا عظيما مزتفعا ، وأنشأ خانقاه ، وقبة ومكتبا وسبيلا ، ووقف على جميع ذلك أوقافا جمة ، ورتب مرتبات كثيرة .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٥ ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٤) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٥) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

(٦) ١ شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (٧) ١١ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م .

وحبسوهم ، وكان بصحبتهم أيضًا القبطان الحاكم بالخط ، ولم يظهر القاتل ، ثم أطلقوا الغيطانية بعد أيام .

وفيه[1] ، كمل المكان الذى أنشئوه ، بالأزبكية عند المكان المعروف بباب الهواء ، وهو المسمى فى لغتهم بالكمرى ، وهو عبارة عن محل يجتمعون به كل عشرة ليال ليلة واحدة ، يتفرجون به على ملاعيب يلعبها جماعة منهم بقصد التسلى والملاهى مقدار أربع ساعات من الليل ، وذلك بلغتهم ولايدخل أحد إليه إلا بورقة معلومة ، وهيئة مخصوصة .

وفى سادس عشره[2] ، ذكروا فى الديوان أن سارى عسكر أمر وكيل الديوان أنه يذكر لمشايخ الديوان أن قصده ضبط وإحصاء من يموت ومن يولد من المسلمين ، وأخبرهم أن سارى عسكر بونابارته دان فى عزمه ذلك ، وأن يقيد له من يتصدى لذلك ، ويرتبه ويدبره ويعمل له جامكية وافرة ، فلم يتم مرامه والآن يريد تتميم ذلك ، ويطلب منهم التدبير فى ذلك وكيف يكون ، وذكر لهم أن فى ذلك حكما وفوائد منها : ضبط الأنساب ، ومعرفة الأعمار ، فقال بعض الحاضرين وفيه معرفة انقضاء عدة الأزواج أيضًا ، ثم اتفق الرأى على أن يعلموا بذلك قلقات الحارات والأخطاط ، وهم يقيدون على مشايخ الحارات والأخطاط بالتفحص عن ذلك من خدمة الموتى والمغسلين والنساء القوابل ، وما فى معنى ذلك ، ثم ذكر الوكيل أن سارى عسكر ولد له مولود فينبغى أن تكتبوا له تهنئة المولود الذى ولد له من المرأة المسلمة الرشيدية ، وجوابا عن هذا الرأى ، فكتبوا ذلك فى ورقة كبيرة ، وأوصلها إليه الوكيل فوريه .

وفى خامس عشرينه[3] ، أرسل سارى عسكر إلى مشايخ الديوان كتابا وقرأه الترجمان الكبير رفائيل، وصورته ، ونصه بالحرف الواحد : « بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله محمد رسول الله ، من عبدالله جاك منو سارى عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى حضرة المشايخ والعلماء أهالى الديوان المنيف بمصر القاهرة حالا ، أدام الله تعالى فضائلهم ، وزينهم بلميع النور لإكمال وظائفهم ، ونجاز فرائضهم آمين يامعين ، والآن نخبركم أن الذى حررتموه لنا ملأ نفسنا سرورا ، وقلبنا حبورا ، فثبت عندنا

---

(1) ١٥ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢٨ ديسمبر ١٨٠٠ م . (2) ١٦ شعبان ١٢١٥ هـ / ٢ يناير ١٨٠١ م .

(3) ٢٥ شعبان ١٢١٥ هـ / ١١ يناير ١٨٠١ م .

وتحقق وفور مـا عندكم من المحبة الـتى شهدتم بها ، وما فـيكم من النعمـة والنظام والعدل ، فحقا إنكـم لمستحقون لأن تكونوا فى مثل هذا المحـل الذى اخترتم عليه ، فنحن نـعلم أن القرآن العـظيم الشأن ذلك المصـحف الأكمل ، والكتـاب المفصل ، ويشتمل على مبادئ الحكمة السنية ، والحقوق اليقينية ، وهذه المبادئ المذكورة لايصح بناؤها المتين على الحكـم والحـق اليـقين ، إلا إذا عرضـت على أحسن الآداب وتعليم العلوم بغير ارتياب ، وبهذين تنتج أعظـم الفوائد ، وذلك بمساعى أناس متحدين معا برياضـات الحظ والـسعد ، وبمـثل ذلك عرفت أنـه لمن المستـحيل أن القرآن الـشريف يفصح إلا على ما هو من باب النظام ، لأنه من دون ذلك فكل ما هو فى هذا العالم الفانى ليس إلا معابر وخراب ، ولايسهى عـنا أن كل ما هو من الموجودات الكائنات كقولك تلك المتحركة بطريقة ونظام من قِبَل مـن جعلها للمسير سبحانه ، مبدع الأنام كالنجوم السائرة فـى الأعالى ، وبها يهتدى للـسير الحالى ، ثـم على الخصوص تلك الفصول الأربع المتوالى ، انتقالها باستمرار جـولانها ، ثم اتصال الليل بالنهار والنهار بالليل على حد واحد من المقدار ، ثم وجود المتباينات ، وتمييز النور من الظلمات ، وأنَّ ذاك وما أدراك ، فماذا عسى كـان يحل بنا ، وبحال العالم بـأسره أيضًا لو عدم هذا النظام ولو برهـة فلأن نرجو جناب حضرة المشايخ والعلمـاء يفيدون : كيف ترى كان يصيـر حال القطر المصرى لو يمـتنع عن جريانه كـعادته نهره هذا المبارك المـشتهر لايسمح الله سبحانه بذلك ، فبلا شك أن البلاد قاطبة لايمكن أن تـسكن حين ذاك إلا بيحر سنة واحدة فقط ، وذلك من عدم الماء ورى الأرض ، أراضى هذه المملكة التى أنتـم قاطـنون بها ، وفـى ذلك الحين كـانت تصـعد الرمال عـلى الأطيـان والمزارع والحيضـان ، والناس تهلك جـوعا وتعدم الـسكان فتنشحـن الأرض من الأموات ، فنعـوذ بالله الحفيظ لـسائر المخلوقـات ، وإذا كان الله سبحـانه وتعالى قـد أبدع كل الأشياء بمعرفته القادرة ، وحكمته البـاهرة ، وجعل هذا النظام العجيب ، ورتب هذه الدنيا وما فيها ترتيب معجز غريب ، فقد عرف أنها بدون ذلك تعدم سريعا ، وحالها يغدو مريعا ، فالآن إنما نكون من أشر المذنبين إذا سرنا سيرة كالضالين ، وعلى أوامره عصاة غير منـخضعين ، ومع ذلك فنسأله جـل شأنه أن يقوينا على السـلوك فى ديننا ودنيانا ، وهذا القدر كـفانا ، فيا أيها المشايخ المكرمون ، والعـلماء المحققون ، ومن هم بالعلم موصوفون لايخفاكم أن أجمل ما فى النظام ، فى تدبير هذه الدنيا بأسرها حسن تام ، هو الاحتفال والميل إلى النظام الذى هو صادر ترتيبه عن حكمة الله تعالى بوجه تام ، ثم إن الـبلاد وتلك النواحى التى يطـلق عليها كونها فـى حال النجاح ، والحظ والفـلاح ، لاتعتد هكذا إلا إذا كـان سكانها يهـتدون إلى قواعد الشـريعة ،

والفرائض الصادرة عن أصحاب الفطنة والإدراك ، ويستعدون للسلوك بالعدل والإنصاف خلافا لغيرها من البلاد التعسة الحال ، تلك التى سكانها خاضعون على الدوام لما فيهم من العجرفة والاعتداء ، ولاينعطفون إلا إلى أهواء أنفسهم المنحرفة ، فجناب حضرة بونابارته الشهير النبيل ، الصنديد الشجاع الجليل ، قد تقدم فأمر بأن يحرر دفتر يكتب فيه أسماء كامل الميتين ، والآن حضرتكم قد طلبتم منى دفترا آخر خلافه فيه يتحرر أسماء المولودين أيضًا ، ومن حيث ذلك فلابد أن أعتنى منذ الآن مع جزيل الاهتمام بهذين الأمرين ، وهكذا أيضًا بتحرير دفتر الزواج ، إذ كان ذلك أشد المهمات ، والحوادث الواجبات ، ثم يتبع ذلك بتجديد نظام غير قابل التغيير فى ضبط الأملاك ، والتمييز الكامل عمن ولد ومات من السكان ، وهذا يعرف من اهالى كل بيت ، فعلى هذا الحال يتيسر للحاكم الشرعى بالعدل والإنصاف ، وينقطع الخلف والخصام بين الورثة وتقرر الولادة ، ومعرفة السلالة التى هى الشىء الأجل والأوفر استحقاقا فى الإرث ، وهكذا إن شاء الله لابد من الفحص والتفتيش بالحرص والتدقيق ، وبذل الهمة للحصول لأقرب نوال إلى ما يلزم لإكمال ما قصدناه ، ثم إنْ أراد الله لابد أن أعتنى بالمطالبة على وجه تام ، كل وقت يقتضى لنا أن ندبر أشياء تستفيد بها هذه المملكة التى قد تسلمنا سياستها ، وبهذا نوقن ونتحقق كوننا امتثلنا لأوامر دولة جمهور الفرنساوية ، وحضرة قنصلها الأول بونابارته ، فيا حضرة المشايخ والعلماء الكرام ، إننا نشكر فضلكم على ما أظهرتم لنا تهنئة بولادة ولدى السيد سليمان مراد جاك منو ، فنطلب من الله سبحانه وتعالى واسألوه كذلك بجاه رسوله سيد المرسلين أن يجود به عَلَيَّ زمانا مديدا ، وأن يكون للعدل محبا ، وللإستقامة والحق مكرما ، وموفى وعده صادقا ، وان لايكون من أهل الطمع ، فهذا هو أوفر الغنى الذى أرغبه لولدى ، لأن الرجل الذى لايهتدى إلا بالخير ، فلايصرف اعتناءه إلا فى خير الأدب ، لا فى قنية الفضة والذهب ، فنسأله تعالى أن يطيل بقاءكم والسلام » .

وفى غايته [1] سقطت منارة جامع قوصون ، سقط نصفها الأعلى ، فهدم جانبا من بوائك الجامع ، ونصفها الأسفل مال على الأماكن المقابلة له بعطفة الدرب النافذ لدرب الأغوات ، وبقى مسندا كذلك قطعة واحدة إلى يومنا هذا ، وأظن أن سقوطها من فعل الفرنسيس بالبارود .

---

(١) غاية شعبان ١٢١٥ هـ / ١٥ يناير ١٨٠١ م .

واستهل شهر رمضان سنة ١٢١٥ (١)

ثبت هلاله ليلة الجمعة(٢) ، وعملت الرؤية ، وركب المحتسب ومشايخ الحرف بالطبول والزموز على العادة ، وأطلقوا له خمسين ألف درهم لذلك نظير عوائده التى كان يصرفها فى لوازم الركبة .

وفى خامسه(٣) ، وقع السؤال والفحص عن كسوة الكعبة التى كانت صنعت على يد مصطفى أغا كتخدا الباشا ، وكملت بمباشرة حضرة صاحبنا العمدة الفاضل ، الأريب الأديب الناظم الناثر ، السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ، ووضعت فى مكانها المعتاد بالمسجد الحسينى(٤) ، وأهمل أمرها إلى حد تاريخه ، وربما تلف بعضها من رطوبة المكان ، وخرير السقف من المطر ، فقال الوكيل : « إنَّ سارى عسكر قصده التوجه بصحبتكم يوم الخميس قبل الظهر بنصف ساعة إلى المسجد الحسينى ، ويكشف عنها فإن وجد بها خللا أصلحه ، ثم يعيدها كما كانت ، وبعد ذلك يشرع فى إرسالها إلى مكانها بمكة ، وتكسى بها الكعبة على اسم المشيخة الفرنساوية » ، فقالوا له : « شأنكم وما تريدون » ، وقرئ بالمجلس فرمان بمضمون ذلك .

وفى ذلك اليوم (٥) ، قرئ فرمان مضمونه : « أنه وردت مكاتبات من فرانسا بوقوع الصلح بينهم وبين أهل الجزائر وتونس، بشروط ممضاة مرضية، وقد أطلقوا الإذن للتجار من أهل الجهتين بالسفر للتجارة، فمن سافر له الحماية والصيانة فى ذهابه وإيابه وإقامته باسم دولة الجمهور الفرنساوية إلى آخره »، ولم يظهر لذلك أثر.

وفيه(٦) ، قرئ تقليد الشيخ أحمد العريشى بقضاء مصر ، ووصل أيضًا تقليد القضاء بدمياط لأحمد أفندى عبد القادر ، وأبيار للعلامة الشيخ رضوان نجا ، ومحلة مرحوم للشيخ عبد الرحمن طاهر الرشيدى ، وذلك على موجب القرعة السابقة من مدة شهرين أو أكثر ، وقرئ ذلك بالديوان ، ولم يحصل بعد ذلك غيرهم ، فلما كان صبح ذلك اليوم ، أرسل شيخ البلد بليار إلى العريشى ، ومشايخ

---

(١) رمضان ١٢١٥ هـ / ١٦ يناير - ١٤ فبراير ١٨٠١ م . (٢) ١ رمضان ١٢١٥ هـ / ١٦ يناير ١٨٠١ م .
(٣) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م .
(٤) المسجد الحسينى : عرف بذلك لأنَّ به ضريح الإمام الحسين ، أنشأه الفاطميون ٥٤٩ هـ / ١١٥٤ م على يد طلائع بن رزيك فى خلافة الفائز بنصر الله ، واعتنى الأكابر والأمراء بعمارته وزخرفته ، وفرشه بالفرش النفيسة على مر العصور ، وآخر عمارة له فى عهد الخديوى إسماعيل .
مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٢٨ .
(٥) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م . (٦) ٥ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٠ يناير ١٨٠١ م .

الديوان والوجاقلية ، فلما تكاملوا خلع على القاضي العريشي فروة سمور بولايته القضاء ، وركب بصحبته الجميع ، وجملة من العساكر الفرنساوية ، وشيخ البلد بجانبه ، ومشوا من وسط المدينة إلى أن وصلوا إلى المحكمة بين القصرين ، فجلسوا ساعة من النهار ، وقرئ تقليده بحضرة الجميع ووكيل الديوان فوريه ، ثم رجعوا إلى منازلهم .

وفي يوم الخميس [1] ، الموعود بذكره توجه الوكيل ومشايخ الديوان إلى المشهد الحسيني ، لانتظار حضور سارى عسكر الفرنسيس بسبب الكشف على الكسوة ، وازدحم الناس زيادة على عادتهم في الازدحام في رمضان ، فلما حضر ونزل عن فرسه عند الباب ، وأراد العبور للمسجد رأى ذلك الازدحام فهاب الدخول ، وخاف من العبور ، وسأل ممن معه عن سبب هذا الازدحام ، فقالوا له : « هذه عادة الناس في نهار رمضان يزدحمون دائمًا على هذه الصورة في المسجد ، ولو حصل منكم تنبيه كنا أخرجناهم قبل حضوركم » ، فركب فرسه ثانيا وكر راجعا ، وقال : « نأتي في يوم آخر »، وانصرف حيث جاء وانصرفوا .

وفي ليلة السبت تاسعه[2] حصلت كائنة سيدى محمود وأخيه سيدى محمد ، المعروف بأبي دفية ، وذلك أن سيدى محمود المذكور كان بينه وبين علي باشا الطرابلسي صداقة ومحبة أيام إقامته بالجيزة ، وحج صحبته في سنة تسع ومائتين وألف[3] ، فلما وقعت حادثة الفرنساوية ، وخرج علي باشا المذكور مع من خرج إلى الشام ، ووردت العساكر العثمانية صحبة يوسف باشا الوزير في العام الماضي [4] ، وصحبته علي باشا المذكور ، وله به مزيد الوصلة والعناية والمرجع في المشورة لخبرته بالأقطار المصرية ، ومعرفته أهالي البلاد استشاره في شخص يعرفه يكون عينا بمصر ليراسله ويطالعه بالأخبار ، فأشار عليه بمحمود أفندي المذكور ، فكانوا يراسلونه ويطالعهم بالأخبار سرا ، فلما قدموا إلى مصر في السنة الماضية ، وجرى ما جرى من نقض الصلح ورجوع الوزير ، ولم يزل سيدى محمود تأتيه المراسلات بواسطة السيد أحمد المحروقي أيضًا ، ولأن علي باشا ارتحل إلى الديار الرومية ، فيطالعهم كذلك بالأخبار مع شدة الحذر خوفا من سطوة الفرنساوية ، وتجسس عيونهم المقيدة

---

(١) ٧ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٢ يناير ١٨٠١ م .   (٢) ٩ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠١ م .

(٣) ١٢٠٩ هـ / ٢٩ يوليه ١٧٩٤ - ١٧ يوليه ١٧٩٥ م .

(٤) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م .

لذلك ، فكان يذهب إلى قليوب ، ويتلقى ورود القاصد ، ويرد له الجواب ، فلما كان فى التاريخ ورد عليه رسول ومعه جواب وأربعة أوراق مكتوبة باللغة الفرنساوية ، وفيها الأمر بتوزيعها ووضعها فى أماكن معينة حيث سكن الفرنساوية ، فوزع اثنتين، وقصد وضع الثالثة فى موضع جمعيتهم ، فلم يمكنه ذلك إلا ليلا ، فأعطاها خادمه، وأمره أن يشكها بمسمار فى حائط ذلك المكان ، وهو بالقرب من الحمام المعروف بحمام الكلاب[1] ، ففعل وتلكأ فى الذهاب ، فاطلع عليه بعض الفرنسيس من أعلى الدار ، فنزل إليه وأخذ الورقة وقبضوا على ذلك الخادم ، وصادف ذلك مرور حسن القلق وهو يتوقع نكتة تكون له بها الوجاهة عند الفرنساوية، فاغتنم هذه الفرصة وقبض على الخادم مع الفرنساوية ، وسيده ينظر إليه من بعيد ، وعلم أنه وقع فى خطب لاينجيه منه إلا الفرار ، فرجع إلى داره وتناجى مع أخيه ، واستشاره فيما وقع فيه ، وكيف يكون العمل فأشار عليه بالاختفاء ، ويستمر أخوه بالمنزل مستهدفا للقضاء ، وليكون وقاية على منزله وعرضه ، وليس هو مقصودا بالذات فكان كذلك، وتغيب سيدى محمود ، وأصبح الطلب قاصده ، فلما لم يجدوه قبضوا على أخيه سيدى محمد أفندى ومن كان معه بالبيت ، وهو الشيخ خليل المنير وقرابته إسماعيل چلبى ، ونسيبه البرنوسى ، والسقاء ، وشيخ حارتهم ، وحبسوهم ببيت قائمقام ، وهم سبعة أنفار بالخادم المقبوض عليه أولا ، وأوقفوا حرسا بدارهم ، واجتهدوا فى الفحص عن سيدى محمود وتكرار السؤال عليه من أخيه ورفقائه أياما، فلما لم يقفوا له على خبر أحاطوا بالدار ونهبوا ما فيها، وصحبتهم الخادم يدلهم على المتاع والمخبآت ، ثم أصعدوهم إلى القلعة وضيقوا عليهم وأرسلوا خلف الشواربى شيخ قليوب ، ومن كان ينتقل عندهم ، وألزموهم بإحضاره فأنكروه وجحدوه ، ثم أطلقوا خادمه بعد أن أعطوه خمسين ريالا فرانسة ، وجعلوا له ألفا إن دلهم عليه وقيدوا به عينا يتبعه أينما توجه ، فاستمر أياما يغدو ويروح فى مظناته ، فلم يقع له على خبر فردوه إلى السجن ثانيا عند أصحابه ، ولم يزالوا به حتى فرج الله عنهم ، وأما المطلوب فوقع له مزيد المشقة فى مدة اختفائه ، وتبرأ منه غالب أصحابه ومعارفه من العربان وغيرهم ، وتنكروا منه ، ولم يزل حتى استقر عند شيخ العرب موسى أبى حلاوة وأولاده بناحية أميه[2] بالقليوبية بـاطلاع الشواربى ، فأكرموه

---

(١) حمام الكلاب : لم نعثر على تعريف به ، ولكن مما لاشك فيه أنه كان قائما حتى عصر الجبرتى .

(٢) أميه : قرية قديمة ، ورد اسمها محرفا منذ العصر العثمانى ، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م . تحت اسمها الحالى «إمياى» ، وهو خطأ وصحة الاسم « إميه » ، وهى إحدى قرى مركز طوخ ، محافظة القليوبية . رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٤٤ .

وواسوه وأخفوا أمره ، ولم يزل مقيما عندهم فى غاية الإكرام حتى فرج الله عنه .

ولما كان يوم الخميس رابع عشره[1] ، تقيد للحضور بسبب الكشف على الكسوة ، استوفو خازندار الجمهور وفوريه وكيل الديوان ، فحضر صحبتهما المشايخ والقاضى والأغا والوالى والمحتسب ، بعد ما أخلى المسجد من الناس ، وأحضروا خدامين الكسوة الأقدمين وحلوا رباطاتها ، وكشفوا عليها فوجدوا بها بعض خلل فأمروا بإصلاحه ، ورسموا لذلك ثلاثة آلاف فضة ، وكذلك رسموا للخَدمة الذين يخدمونها ألف نصف فضة ، ولخدمة الضريح ألف نصف ، ثم ركبوا إلى منازلهم ، ثم طويت ووضعت فى مكانها بعد إصلاحها .

وفى رابع عشرينه [2] ، ضربت مدافع كثيرة بسبب ورود مركبين عظيمين من فرانسا فيهما عساكر وآلات حرب وأخبار بأن بونابارته أغار على بلاد النمسه ، وحاربهم وحاصرهم وضايقهم ، وأنهم نزلوا على حكمه ، وبقى الأمر بينهم وبينه على شروط الصلح ، وإنه استغنى عن هذه الأشياء المرسلة ، وسيأتى فى أثرهم مركبان أخران فيهما أخبار تمام الصلح ، ويستدل بذلك على أن مملكة مصر صارت فى حكم الفرنسيس ، لايشركهم غيرهم فيها هكذا قالوا ، وقرءوه فى ورقة بالديوان .

واستهل شهر شوال سنة ١٢١٥ [3]

فيه[4] ، بدأ أمر الطاعون فانزعج الفرنساوية من ذلك وجردوا مجالسهم من الفرش وكنسوها وغَسَلوها وشرعوا فى عمل كرنتيلات ومحافظات .

وفى ثامنه[5] ، قال وكيل الديوان للمشايخ : « إن حضرة سارى عسكر بعث إلىّ كتابا معناه إيضاح ما يتعلق بأمر الكرنتيلة ، ويرى رأيكم فى ذلك وهل توافقون على رأى الفرنساوى أم تخالفون » ، فقالوا : « حتى ننظر ما هو المقصود » ، فقال : « حضرة أرباب الديوان يجب عليهم أن يعملوا الطريق الذى يكون سببا لانقطاع هذه العلة ، فإننا نبغى لهم ولغيرهم الخير ، فإن أجابوا فذاك ، وإلا فليزموا ولو قهرا ، وربما استعملنا القصاص ولو بالموت عند المخالفة ، ومن الذى يتغافل عما يكون سببا

(١) ١٤ رمضان ١٢١٥ هـ / ٢٩ يناير ١٨٠١ م .
(٢) ٢٤ رمضان ١٢١٥ هـ / ٨ فبراير ١٨٠١ م .
(٣) شوال ١٢١٥ هـ / ١٥ فبراير - ١٥ مارس ١٨٠١ م .
(٤) ١ شوال ١٢١٥ هـ / ١٥ فبراير ١٨٠١ م .
(٥) ٨ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٢ فبراير ١٨٠١ م .

لقطع هذا الداء ، فإن رأينا قد انعقد على ذلك ويجب أن يتفق معنا أرباب الديوان ، لأن حفظ الصحة واجب ، ولذا نرى كثيرا من الناس ولاسيما المتشرعون ، يستعمل الطبيب عند المرض ، وغايته حفظ الصحة ، وما نحن فيه من ذلك ، ونذكر لكم أن بلاد المغرب قد اعتمدوا فعل الكرنتيلة الآن فعلماء القاهرة أولى بأن لايتأخروا عن استعمال الوسايط ، إذ قد بطلت الأسباب بالمسببات » ، فقيل له : « وما الذى تأمرون به أن يفعل » ، فقال : « هو الحذر لا غير ، وهو الغاية والنتيجة ، وهو أنه إذا دخل الطاعون بيتا لايدخل فيه أحد ، ولايخرج منه أحد ، مع ما يترتب على ذلك من القوانين المختصة به ، وخدمة المريض وعلاجه ، وسيوضح لكم ذلك فيما بعد ، يعنى أن تذعنوا للطاعة ، وعدم المخالفة » ، وطال البحث والمناقشة فى ذلك بين أرباب الديوان والوكيل ، وانفض المجلس على أن الوكيل سيفاوض سارى عسكر فى ذلك ، ثم يدبرون أمرا وطريقة يكون فيها الراحة للناس البلدية والفرنساوية ، فإن ذلك فيه مشقة على أهل البلد ، لعدم ألفتهم لهذه الأمور .

وفى ثالث عشره [1] ، ضربت عدة مدافع من القلاع لا يدرى سببها .

وفى رابع عشره [2] ، قرئ فرمان من سارى عسكر بالديوان وألصقت منها نسخ فى مفارق الطرق والأسواق .

ونصه : بعد البسملة والجلالة : « من عبدالله جاك منو سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا إلى كامل الأهالى، كبير وصغير غنى وفقير المقيمين حالا بمحروسة مصر وبمملكة مصر ، الناس الذين هم من الأشقياء والمفسدين ، ولايفتشون إلا على الإضرار بالناس وإضراركم ، يُظهِرون فى وسط المدينة بينكم أخبارا رديئة تزويرا ، لتخويفكم وتخويف المملكة ، وكل ذلك كذب وافتراء فإنما نحن نخبركم جميعا أن كلا من الأهالى المذكورة من أى طائفة وملة كان ، الذى يثبت عليه بالإشهاد أو النشر من نفسه بينكم ذلك الأخبار الرديئة المكذوبة تخويفا لكم ، وإضلالا بالناس ، ففى الحال ذلك الرجل يمسك وترمى رقبته بوسط واحدة طرق مصر، ويا أهالى مصر انتبهوا وتذكروا هذه الكلمات، وكونوا مستريحين البال ، ومترهفين الحال ، إنما دولة الجمهور الفرنساوى حاضرة لحمايتكم وصيانتكم ، ولكن ناظر كذلك إلى تعذيب العصاة والسلام على

---

(١) ١٣ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٧ فبراير ١٨٠١ م . (٢) ١٤ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠١ م .

من اتبع الهدى ، والصدق والاستقامة ، تحريرا فى شهر فتور سنة تسع ، الموافق لحادى عشر شهر شوال[1] » ، انتهى ، فعلم الناس من ذلك الفرمان ورود شىء ، وحصول شىء على حد كاد المرتاب أن يقول خذنى ، وليس للناس ذكر ولا فكر إلا فى بواقى الفردة وما لزمهم فى المليون ، ولا شغل لكل فرد إلا بتحصيل ما فرض عليه ، ولعل ذلك بسبب الأوراق الواصلة على يد سيدى محمود أبى دفية باللغة الفرنساوية التى تقدم ذكرها ، واشتهر أيضًا أنه وردت عليهم أخبار بوصول مراكب انكليز جهة أبى قير ، وفى ذلك المجلس سئل الوكيل عن ضرب المدافع لأى شىء ، فقال : « لابد وأن أحيط علمكم ببعض ذلك فى هذا المجلس ، وهو أن الفرنساوية كانت تحارب القرانات ، والآن وقع صلح بينهم وبين القرانات ما عدا الانكليز فإنه الآن مضيق عليه ، وربما كان ذلك سببا لرضاه بالدخول فى الصلح ، وقد خرج من فرانسا عمارة ربما توجهت على الهند وربما أنَّهم يقدمون إلى مصر ، وقد وصل لسارى عسكر أمر من المشيخة بوصول مراكب الموسقو التى تحمل الذخائر الفرنساوية ، وأن يمكنهم من دخول إسكندرية ، وقد خرج ستة غلايين من فرانسا إلى بحر الهند فربما قدموا بعد ذلك إلى جهة السويس ، وبورود هذه الأخبار تعين خلوص مصر إلى جمهور الفرنساوية ، وفى سالف الزمان كانت جميع القرانات التى بالجهة الشمالية ضدا للفرنساوية ، وقد زالت الآن هذه الضدية ، ومتى انقضى أمر الحرب عمت الرحمة والرأفة والنظر بالملاطفة للرعية والذى أوجب الاغتصاب والعسف إنما هو الحرب ، ولو دامت المسألة لما وقع شىء من هذا ، فقال بعض أهل الديوان : « سنة الملوك العفو والصفح وما مضى لا يعاد ، فارحموا واعفوا عما سلف » ، فقال الوكيل : « قد وقع الامتحان ولم يبق إلا السلم والمسامحة »

وفيه[2] ، قبضوا على القلق المعروف بعمر أغا وهو أغات المغاربة المرتبة عندهم عسكرا ، وعلى شخصين آخرين يدعى أحدهما على چلبى ، والآخر مصطفى چلبى وسجنا بالقلعة ، وسبب ذلك أنه حضر إلى مصطفى چلبى مكتوب من نسيبه بجهة الشام يطلب منه بعض حوائج ، فقرئ ذلك المكتوب بحضرة عمر القلق ورفيقه الآخر فوشى بهم رجل قواس فقبضوا على الجميع ، وكان مصطفى چلبى المذكور سكن ببيته محمد أفندى ثانى قلفة ، فدخلوا يفتشون عليه فى الدار فلم يجدوه ، فالزموا به محمد أفندى المذكور وأزعجوه وأحاط به عدة من العسكر ولم يمكنوه من القيام من مجلسه ولا من اجتماعه بأحد ، وبعد أن وجدوا ذلك الإنسان لم يفرجوا عن محمد

---

(1) ١١ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٥ فبراير ١٨٠١ م .   (2) ١٤ شوال ١٢١٥ هـ / ٢٨ فبراير ١٨٠١ م .

أفندى ، بل استمر معهم فى الترسيم ، ووجدوا مكانا بالدار به أسلحة وأمتعة فنهبوه وانتهبت الدار والحارة ، وحصل عندهم غاية الكرب والمشقة حتى أن بعض جيران ذلك المحل كبر عنده الخوف وغلب عليه الوهم فمات فجأة رحمه الله ، ثم فرج الله عن محمد أفندى بعد ثلاثة أيام ، وأطلق عمر القلق لظهور براءته ولم يكن له جرم غير العلم والسكوت ، وانتقل محمد أفندى من تلك الدار ، وما صدق بخلاصه منها ، وبقى على چلبى ومصطفى چلبى فى الحبس .

وفى سابع عشره[1] ، استفيضت الأخبار بوصول مراكب إلى أبى قير كما تقدم .

وفى ثامن عشره[2] خرج جملة من العسكر الفرنساوية وسافروا إلى الجهة البحرية برا وبحرا .

وفى عشرينه[3] ، اجتمع أهل الديوان فيه على العادة ، فبدأ الوكيل يقول : « إنه كان يظن أنه يكون حرب ، ولكن وردت أخبار أنَّ المراكب التى حضرت إلى سكندرية ، وهى نحو مائة وعشرين مركبا قد رجعت » ، فقيل له : « وما هذه المراكب » ، فقال : « مراكب فيها طائفة من الإنكليز وصحبتهم جماعة من الأروام ، ليس فيها مراكب كبار إلا قليل جدا، وباقيها صغار تحمل الذخيرة » ، ثم قال : « إن حضرة سارى عسكر قد كان وجه إليكم فرمانا فى شأن ذلك قبل أن يتبين الأمر ، وهو وإن كان قد فات موضعه من حيث إنه كان يظن أن هناك حرب ، ولكن من حيث كونه قد برز إلى الوجود ، فينبغى أن يتلى على مسامعكم » ، ثم أمر رفائيل الترجمان بقراءته ، ونصه : « من عبدالله جاك منو سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى جميع الكبير والصغير ، والأغنياء والفقراء ، المشايخ والعلماء ، وجميعهم الذين يتبعون الدين الحق ، والحاصل لجميع أهالى بر مصر سلمهم الله بمقام السر عسكر الكبير بمصر ، فى أربعة عشر شهر ونتوز سنة تسع من قيام الجمهور الفرنساوية ، واحد ولاينقسم ، ثم كتب تحت ذلك البسملة ولفظ الجلالة ، وتحته : إنَّ الله هو هادى الجنود ، ويعطى النصرة لمن يشاء ، والسيف الصقيل فى يد ملاكه يسابق دائمًا الفرنساوية ، ويضمحل أعداؤهم ، إنَّ الإنكليزية الذين يطلمون كل جنس للشر فى كل المواضع ، فهم ظهروا فى السواحل ، وإن كانوا يتجرأوا يضعوا أرجلهم فى البر ، فيرتدوا فى الحال على أعقابهم فى البحر ، والعثمانيين متحركين كهؤلاء

---

(1) ١٧ شوال ١٢١٥ هـ / ٣ مارس ١٨٠١ م .

(2) ١٨ شوال ١٢١٥ هـ / ٤ مارس ١٨٠١ م .

(3) ٢٠ شوال ١٢١٥ هـ / ٦ مارس ١٨٠١ م .

الإنكليزية ، يعملون أيضًا بعض حركات ، فإن كان يقدموا ففى الحال يرتدوا وينقلعوا فى غبار وعفار البادية ، فأنتم يا أهالى مملكة ومحروسة مصر ، إنى أنا أخبركم إن كان تسلكوا فى طريق الخائفين الله ، وتبقوا مستريحين فى بيوتكم ومقيمين كما كنتم فى أشغالكم وأغراضكم فحينئذ لا خوف عليكم ، ولكن إن كان واحد منكم يسلك للفساد وإضلالا لكم بالعداوة ضد دولة الجمهور الفرنساوى ، فأقسمت بالله العظيم وبرسوله الكريم ، أنَّ رأس ذلك المفسد ترمى فى تلك الساعة ، فتذكروا فى كل المواقع حين محاصرة مصر الأخيرة ، وجرى دماء آبائكم ونسائكم وأولادكم فى كل مملكة مصر ، وخصوصا محروسة مصر ، وخواصكم انتهبوا تحت الغارات وطرحوا عليكم فردة قوية غير المعتاد ، فأدخلوا فى عقولكم وأذهانكم كل ما قلت لكم الآن ، والسلام على كل من هو فى طريق الخير ، فالويل ثم الويل على كل من يبعد من طريق الخير ، ممضى خالص الفؤاد ، عبدالله جاك منو » .

وفى ذلك اليوم(٢) ، عملوا شنكا وضربوا عدة مدافع من القلاع ، فارتاع الناس لذلك واضطربوا اضطرابا شديدا ، فسئل من الفرنسيس فأخبروا أنَّ ذلك سرور بقدوم مركبين من فرانسه إلى إسكندرية .

وفى ذلك اليوم أيضًا وقع بمجلس الديوان بين الوكيل والمشايخ مفاوضة ومناقشة ، وذلك أنه لما أشيع خبر ورود المراكب إلى أبى قير ، شحت الغلال ، وارتفعت من الرقع على العادة ، وزادت أثمانها فتفاوضوا فى شأن ذلك ، وأنه لابد من الاعتناء من الحكام وزجر الباعة وطواف المحتسب وشيخ البلد على الرقع والسواحل ، ولما قرئ الفرمان المذكور ، قال بعض الحاضرين العقلاء : « لايسعون فى الفساد ، وإذا تحركت فتنة لزموا بيوتهم » ، فقال الوكيل : « ينبغى للعقلاء ولأمثالكم نصيحة المفسدين ، فإن البلاء يعم المفسد وغيره » ، فقال بعضهم : « هذا ليس بجيد ، بل العقاب لايكون إلا على المذنب ، قال تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَة ﴾ (٣) ، وقال آخر من أهل المجلس ﴿ وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ﴾(٤) ، فقال الوكيل: « المفسدون فيما تقدم أهاجوا الفتنة فعمت العقوبة ، والمدافع والبنبات لا عقل لها ، حتى تميز بين المفسد والمصلح ، فإنها لا تقرأ القرآن ، وقال آخر : « المخلص نيته تخلصه » ، فقال الوكيل : « إنَّ المصلح من يشمل صلاحه الرعية ،

---

(١) ٢٠ شوال ١٢١٥ هـ/ ٦ مارس ١٨٠١ م .

(٢) ٢٠ شوال ١٢١٥ هـ / ٦ مارس ١٨٠١ م

(٣) سورة : المدثر ، رقم (٧٤) ، آية رقم (٣٨) .

(٤) سورة : الأنعام ، رقم (٦) ، آية رقم (١٦٤) .

فإنَّ صلاحه فى حد ذاته يخصه فقط ، والثانى أكثر نفعا » ، وطال البحث والمناقشة فى نحو ذلك ، فلما كان عصر ذلك اليوم ، ورد فرمان من سارى عسكر إلى وكيل الديوان ، فأرسل خلف الشيخ إسماعيل الزرقانى ، فاستدعاه وسلمه إليه ، وأمره أن يطوف به على مشايخ الديوان فى بيوتهم ، فيقرءونه وهو مبنى على جواب المناقشة المذكورة .

وصورته بعد البسملة والجلالة : « من عبدالله جاك منو سر عسكر ، أمير عام جيوش دولة جمهور الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها ببر مصر حالا ، إلى كافة المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بمحفل الديوان المنيف ، بمحروسة مصر ، أدام الله تعالى فضائلهم والهممهم الحكمة الواجبة ، لإجراء فرائضهم ، نرسل لحضراتكم يا مشايخ يا علماء [مصر][1] الكرام نداء جديدا خطابا إلى جميع أهالى مملكة مصر وخصوصا أهل محروسة مصر ، ولا شبهة لى فى تقييدكم لتنبيههم بكل ما هو محرر فيها وغير ذلك ، تذكروا أنَّ هذا التنبيه هو غرضكم ، إنما حضراتكم ههنا رجال دولة الجمهور الفرنساوى ، فيبقى فى عقولكم وأذهانكم ، كل ما وقع حين قصاص مصر الأخير ، تفهموا بناء على ذلك ، كيف هو واجب إلى أمنيتكم وراحتكم ضبط الخلائق ، لأنه إن كان يصير أصغر الحركات ، فلابد أثقالها يقع على رؤسكم وغير ذلك ، ورد لنا فى الحال أخبار من فرانسا أنَّه كملت المصالحة مع إمبراطور النيمسا ، وأنَّ قيصر الروسيا بين وأقام المحاربة ضد دولة العثمانية والسلام » .

ولما أصبح ثانى يوم [2] ، اجتمع المشايخ ببيت الشيخ عبدالله الشرقاوى ، وحضر الأغا والوالى والمحتسب ، وأحضروا مشايخ الحارات وكبراء الأخطاط ونصحوهم ، وأنذروهم وأمروهم بضبط من هو دونهم ، وأن لايغفلوا أمر عامتهم وحذروهم وخوفوهم العاقبة ، وما يترتب على قيام المفسدين ، وجهل الجاهلين ، وأنَّهم هم المأخوذون بذلك ، كما أن من فوقهم مأخوذ عنهم ، فالعاقل يشتغل بما يعنيه ، على أنه لم يبق فى الناس إلاَّ رسوم هافتة ، وانفصلوا على ذلك ، هذا وديوان المليون يعملون فيه بالجد والاجتهاد ، وبث المعينين من القواسة والفرنساوية فى المطالبة بالثلث ، والكسرة الباقية من الفردة والتشديد فى أمر الكرنتيلة ، وإزعاج الناس من ذلك ، وخوفهم من حصول الطاعون ، وأشاعوا فيما بينهم أنَّ من أصابه هذا الداء فى مكان كشفوا عليه ، فإن كان مريضا بذلك الداء أخذوا ذلك المصاب إلى

---

(١) لاتوجد فى طبعة بولاق ولايستقيم المعنى إلا بها .

(٢) ٢١ شوال ١٢١٥ هـ / ٧ مارس ١٨٠١ م .

الكرنتيلة عندهم ، وانقطع خبره عن أهله إلا إن كان له أجل باق ، ويشفى من ذلك ويعود إليهم صحيحا ، وإلاّ فلا يراه أهله بعد ذلك أصلا ، ولايدرى خبره لأنه إذا مات أخذه الموكلون بالكرنتيلة ودفنوه بثيابه فى حفرة وردموا عليه التراب ، وأما داره فلا يدخلها أحد ، ولايخرج منها مدة أربعة أيام ، ويحرقون ثيابه التى تختص به ، ويقف على بابه حرس ، فإن مر أحد ولمس الباب أو الحد المحدود قبضوا عليه وأدخلوه الدار وكرتنوه ، وإنْ مات الشخص فى بيته ، وظهر أنه مطعون جمعوا ثيابه وفرشه وأحرقوها ، وغسله الغاسل ، وحمله الحمالون لا غير ، وأخرجوه من غير مشهد ، وأمامه ناس تمنع المارين من التقرب منه ، فإن قرب منه أحد كرتنوه فى الحال ، وبعد دفنه يكرتنون على كل من باشر بغسل أو حمل أو دفن ، فلايخرجون إلا لخدمة أخرى مثها ، بشرط لا مساس ، فهال الناس هذا الفعل ، واستبشعوه وأخذوا فى الهروب والخروج من مصر إلى الأرياف لذلك ، ولتوهم وقوع الفتنة ، بورود أخبار المراكب إلى أبى قير ، وتحذر الفرنساوية ، واستعدادهم وتأهبهم ، ونقل أمتعتهم إلى القلعة .

وفى تاسع عشره[1] خرجت عساكر كثيرة بحمولهم وفرشهم وذهبوا إلى جهة الشرق ، وأشيع حضور عرضى العثمانية ، ووصولهم إلى العريش صحبة يوسف باشا الوزير .

وفيه[2] ، أصعدوا الشيخ السادات إلى القلعة من غير إهانة .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه[3] ، قبضوا أيضًا على حسن أغا المحتسب[4] وأصعدوه إلى القلعة أيضًا بشخص يخدمه فحبسوه بالبرج الكبير ، فأما الشيخ السادات فسأل الموكل به عن ذنبه وجرمه الموجب لحبسه ، فقال له : « لم يكن إلاّ الحذر من إثارة تلك الفتن فى البلد ، وإهاجة العامة لبغضك الفرنسيس لما سبق لك منهم من الإيذاء ، وأما المحتسب فإن الشيخ البكرى والسيد أحمد الزرو ذهبا إلى قائمقام والى سارى عسكر وتكلما فى شأنه ، فأجابهما : « بأن هذا لم يكن من شغلكما » ، وقيل للسيد أحمد : « إنك رجل تاجر وذاك أمير وليس من جنسك حتى تشفع فيه »، فقال: « إننا محتاجون إليه لأجل مساعدته معنا فى قبض المليون ، ولانعرف له ذنبا يوجب حبسه ، لأنه ناصح فى خدمة الفرنسيس » ، فقالا على لسان

---

(١) ١٩ شوال ١٢١٥ هـ / ٥ مارس ١٨٠١ م . (٢) ١٩ شوال ١٢١٥ هـ / ٥ مارس ١٨٠١ م .

(٣) المحتسب : هو الشخص المكلف بمراقبة الأسواق ومنع الغش فى السلع ، أو عدم الالتزام بالأسعار ، والغش فى المكاييل والموازين ، والالتزام بالآداب العامة ، ويضبط المخالفين وينزل بهم العقاب المناسب ، وفى الأصل كان قاضيا ، وواضح من النص أن الذى كان متوليا لهذا المنصب ، كان أحد الأغوات .

(٤) ٢٤ شوال ١٢١٥ هـ / ١٠ مارس ١٨٠١ م .

الترجمان: «الله يعلم ذنبه وساری عسكر وهو أيضا يعلم ذلك من نفسه»، ولما سجنوه لم يقلدوا مكانه غيره، فكان كتخداه يركب مع الأغا وأمامهم الميزان ونوبة الحسبة .

وفيه[1] ، نادوا فى الأسواق بالأمان وعدم الانزعاج من أمر الكرنتيلة ، وأنّ من مات لاتحرق إلاّ ثيابه التى على بدنه لاغير ، وكان أشيع فى الناس ما تقدم ، وزادوا على ذلك حرق الدار التى يموت فيها أيضًا ، وأن قصدهم أيضًا عمل كرنتيلة على البلد بتمامها ، فحصل من هذا المشاع فى الناس كرب عظيم ، ووهم جسيم ، فنودى بذلك ليسكن روع الناس .

وفى يوم الخميس سادس عشرينه[2] ، أرسل كبير الفرنسيس وطلب رؤساء الديوان والتجار فحضروا إلى منزله ، فأعلمهم أنه مسافر إلى بحرى ، وترك بمصر قائمقام بليار وجملة من العسكر والكتبة والمهندسين ، وأوصاهم بأن يكون نظرهم على البلد ، وكان فى العزم حبسهم رهينة ، فاستشار فى ذلك فاقتضى رأيهم تأخير ذلك ، وركب من فوره مسافرا ولم يرجع من هذه السفرة إلى مصر ، وحضر الجماعة إلى الديوان واجتمعوا بالوكيل فوريه ، فأخبرهم أنه حضر إلى ناحية أبى قير طائفة من الإنكليز وصحبتهم طائفة من المالطية، وأخرى نابلطية[3]، وطلعوا إلى قطعة أرض رخوة بين سلسولين من الماء ، وأنّ الفرنساوية محيطون بهم من كل جهة .

وفى سابع عشرينه[4] ، رجعت العساكر التى كانت توجهت إلى جهة الشرق بحمولهم وأثقالهم وصحبتهم سارى عسكر الشرقية رينه فسافروا من يومهم ولحقوا بكبيرهم برا وبحرا ، وأخبروا عنهم أنّهم لم يزالوا سائرين حتى وصلوا إلى الصالحية[5] ، وأرسلوا هجانة إلى العريش ، فلم يجدوا أحدا ، فكروا راجعين ، وأشاعوا أن الجهة الشرقية لم يأت إليها أحد مطلقا ، وأصل الخبر أنّ سارى عسكر رينه ، كاشف القليوبية والشرقية أخبره بعض عربان المويلح[6] بأنّهم شاهدوا مراكب إنكليزية ترددت بالقلزم ، فأرسل بخبر ذلك إلى سارى عسكر منو ، ويقول له فى ضمن ذلك ، ويشير عليه بأن يتوجه صحبة جانب من العسكر ، ويحصن نواحى الإسكندرية ، خوفا من ورود الإنكليز تلك الناحية ، وأنّ رينه يتكفل له بمن يرد إلى ناحية الشرق ، وأكد عليه فى ذلك فأجابه سارى عسكر ، بقوله : « إن الإنكليز لايأتون من هذه الناحية ، وأنهم يأتون من ساحل الشام ، ويأمره بالارتحال والذهاب

(١) ٢٤ شوال ١٢١٥ هـ / ١٠ مارس ١٨٠١ م . (٢) ٢٦ شوال ١٢١٥ هـ / ١٢ مارس ١٨٠١ م .
(٣) نابلطية : إيطاليون . (٤) ٢٧ شوال ١٢١٥ هـ / ١٣ مارس ١٨٠١ م .
(٥) الصالحية : انظر ، ص ٥٤ ، حاشية رقم (٥) .
(٦) عربان المويلح : أى القبائل العربية التى كانت تقطن بالقرب من المويلح الميناء السعودى .

إلى الصالحية يرابط فيها ، فتوانى فى الحركة » ، وأرسل إليه ثانيا بمعنى الجواب الأول ويحثه على تحصين ثغور الإسكندرية ، وترددت بينهما المراسلات فى ذلك ، ومضت أيام فيما بين ذلك ، فورد الخبر للفرنساوية بورود مراكب الإنكليز وترددادها تجاه الإسكندرية ، ثم رجوعها ، فكتب سارى عسكر منوا يقول لرينه : « إنهم تراءوا ليوهموا بأن قصدهم ورود الإسكندرية ، ثم غابوا وأنهم رجعوا ليطلعوا بناحية الطينة[1] ، ويستحثه على الرحلة والذهاب إلى الصالحية ، فلم يسعه إلاَّ الامتثال والارتحال ، وكتب إليه كتابا ، يقول فيه : « إنهم لايريدون إلا ثغر الإسكندرية ، وإنما لم يسعفهم الريح ، فلا تغتر برجوعهم ، وأنه رحل امتثالا للأمر ، ويشير عليه هو أيضًا بعدم تأخره عن الذهاب إلى الإسكندرية ، ويقبل إشارته فلم يستمع وتأخر عن ذلك ، ورحل رينه إلى جهة البركة[2] ، ولم يستعجل الذهاب ، ثم انتقل إلى الزوامل[3] ، ثم إلى بلبيس[4] ، وفى كل يوم ووقت يرسل إليه سارى عسكر منو ، ويأمره بالذهاب إلى الصالحية ، وهو يتلكأ فى الرحيل ، ثم أرسل له آخرا ، يقول له : « إنا وردت علينا أخبار بأن يوسف باشا الوزير متحرك إلى القدوم ويحتم عليه فى الرحيل إلى الصالحية » ، فعند ذلك جمع رينه سوارى عسكره وعرض عليهم ذلك ، وسفه رأيه وأن هذا الخبر لا أصل له ، وأنا أعلم أننا لانصل إلى الصالحية حتى يأتى الخبر بخلاف ذلك ، ويأتينا الأمر بالرجوع والذهاب إلى الإسكندرية ، فلا نستفيد إلا التعب والمشقة ، وارتحل بمن معه من غير استعجال ، فوصلوا إلى القرين[5] فى ثلاثة أيام وإذا بمراسلة سارى عسكر منو إلى رينه يخبره بأن الإنكليز وصلوا إلى أبى قير وطلعو إلى البر ، وتحاربوا مع أمير الإسكندرية ومن معه من الفرنساوية ، وظهروا عليهم ، ويستعجله فى الرجوع والذهاب إلى الإسكندرية ، فقال رينه : « هذا ما كنت أخمنه وأظنه » ، وارتحل راجعا وعدى على بر إنبابة بعساكره ، وتقدم سارى عسكر منو وسبقه إلى الإسكندرية .

---

(١) الطينة : وردت فى معجم البلدان أنها بليدة ، تقع بين الفرما وتنيس من أرض مصر ، كان بها قلعة لحماية الحدود ، لاتزال آثارها باقية على بعد ٣٤ كيلو مترا شرقى مدينة بورسعيد ، وإليها تنسب محطة الطينة إحدى محطات السكة الحديدية بين بورسعيد والقنطرة ، وهى من القرى المندرسة .
رمزى : محمد : المرجع السابق ، ق ١ ص ٨٠ .

(٢) البركة : انظر ، جـ ١ ، ص ٣٢ ، حاشية رقم (١) .

(٣) الزوامل : قرية حديثة ، تكونت فى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م ، من زمام نواحى : الغفارية وسلمنت وشاص الوهيبى التى تسمى اليوم أنشاص الرمل ، وهى إحدى قرى مركز بلبيس ، محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد . المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ١٠٦ .

(٤) بلبيس : انظر ، ص ٢١ ، حاشية رقم (١) .

(٥) القرين قرية قديمة ، وردت فى المصادر العربية القديمة وهى إحدى قرى مركز أبو حماد ، محافظة الشرقية .
رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ١ ، ص ٧٠ - ٧١ . .

شهر القعدة سنة ١٢١٥[١]

في ثالثه[٢] ، أمر وكيل الديوان أرباب الديوان بأن يكتبوا لسارى عسكر مكتوباً بالسلام ، ففعلوا ما أمروا به .

وفي سادسه[٣] ، توفى محمد أغا مستحفظان مطعوناً ، مرض يوم السبت ، وتوفي ليلة الأحد ، فوضعوه في نعش وخرج به الحمالون لاغير وأمامه الطرادون ، ولم يعملوا له مشهداً ولا جماعة وكرتنوا داره وأغلقوها على من فيها، ولم يقلدوا عوضه أحداً بل أذنوا لعبد العال أن يتركب عوضاً عنه، وذلك بمعونة نصر الله النصراني ترجمان قائمقام ، فاستقر عبد العال المذكور أغات مستحفظان ومحتسباً . فكان ذلك من جمله النوادر والعبر ، فإن عبد العال هذا كان من أسافل العامة، وكان أجيرا لبعض نصارى الشوام بخان الحمزاوى[٤] يخدمه ، ثم توسط بمصطفى أغا السابق بسبب معرفته للنصارى المترجمين، حتى تقدم بوساطته وقلدوه الأغاوية، فجعله كتخداه ومشيره، فلما تولى محمد أغا تقيد معه كما كان مع مصطفى أغا، ولكن دون الحالة التي كان عليها مع ذلك لصلاحية محمد أغا عن ذلك المقتول . فلما توفى في هذا الوقت ترك لعبد العال أمر المنصب لاشتغال الفرنساوية بما هو الأهم من انفتاح الحروب ، والطاعون ، وغير ذلك.

وفي يوم الثلاثاء تاسعه[٥]، أشيع في الناس وصول العثمانيين إلى ناحية غزة. وأنّ جواليشهم[٦] وصلوا إلى العريش ، وقدمت الهجانة إلى الفرنساوية بالخبر ، فلما كان عشاء تلك الليلة ، طلبوا المشايخ إلى الديوان ، فلما تكامل حضورهم حضر فوريه الوكيل وصحبته آخر من الفرنسيس من طرف قائمقام ، فتكلم فوريه كلاماً كثيراً ليزيل عنهم الوهم ويؤانسهم بزخرف القول ، كقوله «إنه يحب المسلمين ويميل بطبعه إليهم وخصوصاً العلماء وأهل الفضائل ، ويفرح لفرحهم ويغتم لِغَمّهم ، ولا يحب لهم إلا الخير، وسياسة الأحكام تقتضى بعض الأمور المخالفة للمزاج ، وأن سارى عسكر قبل ذهابه رسم لهم رسوماً ، وأمرهم بإجرائها والمشى عليها في أوقاتها ، أو

---

(١) شهر ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٦ مارس - ١٤ أبريل ١٨٠١ م

(٢) ٣ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٨ مارس ١٨٠١ م . (٣) ٦ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢١ مارس ١٨٠١ م

(٤) خان الحمزاوى : أى الخان الذى كان قائما بشارع الحمزاوى الذى يمتد من أخر شارع البندقانيين إلى أول شارع اللبودية وشارع الحطاب ، وطوله ١١٦ مترا .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٣ .

(٥) ٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٤ مارس ١٨٠١ م .

(٦) جواليش : الجاليش فى الفارسية بمعنى الحرب والمعركة ، وفى العربية العلم الكبير فى أعلاه خصلة من شعر الخيل ، وتعنى كذلك طليعة الجند ، وهو المعنى المقصود هنا .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٥٨ .

أنه عند سفره قصد أن يعوق المشايخ وأعيان الناس ويتركهم في الترسيم رهينة عن المسلمين ، فلما ظهر له وتحقق أن الذين وردوا إلى أبي قير ليسوا من المسلمين ، وإنما هم إنكليزية ونابلطية وأعداء للفرنساوية وللمسلمين أيضاً، وليسوا من ملتهم حتى يخشى من ميلهم إليهم ، أو يتعصبوا من أجلهم، والآن بلغنا أن يوسف باشا الوزير وعساكر العثمانية تحركوا إلى هذا الطرف فلزم الأمر لتعويق بعض الأعيان ، وذلك من قوانين الحروب عندنا بل وعندكم ، ولا يكون عندكم تكدر ولاهم بسبب ذلك ، فليس إلا الإعزاز والإكرام أينما كنتم ، والوكيل دائماً نظره معهم ، ولا يغفل عن تعليل مزاجهم في كل وقت ويوم» ثم انتهى الكلام ، وانقضى المجلس على تعويق أربعة أشخاص من المشايخ وهم : الشيخ الشرقاوى ، والشيخ المهدى ، والشيخ الصاوى ، والشيخ الفيومى ، فأصعدوهم إلى القلعة في الساعة الرابعة من الليل مكرَّمين ، وأجلسوهم بجامع سارية[1] ونقلوا إلى مكانهم الشيخ السادات، فاستمر معهم بالمسجد ، وأمروا الأربعة الباقية من أعضاء الديوان وهم : البكرى، والأمير ، والسرسى ، وكاتبه أن يكون نظرهم على البلد، ويجتمعون بشيخ البلد ولا ينقطعون عنه، وأن المشايخ المحجوزين لا خوف عليهم ولا ضرر، وهم معززون مكرمون ، وأطلقوا لكل شيخ منهم خادماً يطلع إليه وينزل ليقضى له أشغاله وما يحتاج إليه من منزله، والذى يريد من أحبابهم وأصحابهم زيارتهم يأخذ له ورقة بالأذن من قائمقام ويطلع بها فلا يمنع ، وكذلك أصعدوا إبراهيم أفندى كاتب البهار ، وأحمد بن محمود محرم ، وحسين قرا إبراهيم، ويوسف باشجاويش تفكجيان ، وعلى كتخدا يحيى أغات الجراكسة ، ومصطفى أغا أبطال، وعلى كتخدا النجدلى، ومحمد أفندى سليم، ومصطفى أفندى جمليان، ورضوان كاشف الشعراوى وغيرهم، وأمروا المشايخ الباقية والذين لم يحبسوا بتقيدهم ونظرهم إلى البلد والعامة ، وأنهم يترددون على بليار قائمقام ويُعلِمونه بالأمور التى ينشأ عنها الشرور والفتن ، وأهمل ديوان المليون والمطالبة بثلثه، وكذلك كسرة الفردة ، ونفس الله عن الناس ، وكذلك تسوهل فى أمر الكرنتيلة وإجازة الأموات،وعدم الكشف عليهم، وتصديق الناس بما يخبرون به فى مرض من يموت، وذلك لكثرة أشغالهم وحركاتهم وتحصنهم ، ونقل متاعهم وصناديقهم وفرشهم وذخائرهم إلى القلعة الكبيرة على الجمال والحمير ليلاً ونهاراً، والطاعون متعلق فيهم ، ويموت منهم العدة الكثيرة فى كل يوم .

وفى حادى عشره[2]، أفرجوا عن الشيخ سليمان الفيومى وأنزلوه من القلعة ليكون مع من لم يحبس ، وأمرهم الوكيل بالتقيد والحضور إلى الديوان على عادتهم ولا يهملونه، فكانوا يحضرون ويجلسون حصة يتحدثون مع بعضهم، ولا يرد عليهم إلا

---

(١) جامع سارية : ينسب إلى سيدى سارية، وهو بقلعة الجبل، وبقربه زاوية الشيخ محمد الكعكى، وبه منبر خشب ودكة وله منارة ومطهرة وأخلية وله أوقاف دارة. مبارك، على: المرجع السابق، ط٢، جـ٥، ص ٣٩.

(٢) ١١ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٦ مارس ١٨٠١ م .

القليل من الدعاوى، ثم ينصرفون إلى منازلهم، وكذلك أمر والشيخ أحمد العريشى القاضى، بأن يحضر ويجلس من غير سابقة له بذلك، وذلك حفظاً للناموس لاغير .

وفى ثالث عشره[1] ، نقل الكمشارى فوريه الوكيل متاعه إلى القلعة ، وصعد إليها فلم ينزل ، وأرسل إلى الشيخ سليمان الفيومى تذكرة[2] يأمره فيها بأن ينقل فراش المجلس، ويودعه فى مكان بداره ففعل ما أمره به، ولم يتركوا به إلاَّ الحصر، وأمر بحضور أرباب الديوان على عادتهم ، فكانوا يفرشون سجاجيدهم ويجلسون عليها حصة الجلوس، ثم ينصرفون .

وفى رابع عشره[3] ، نقلوا حسن أغا المحتسب من البرج إلى جامع سارية صحبة المشايخ ، وكذلك فوريه الوكيل جعل سكنه الجامع المذكور ، وأظهر أن قصده مؤانستهم، وليس إلا لضيق مساكن القلعة، وازدحام الفرنسيس وكثرة مانقلوه إليها من الأمتعة والذخائر والغلال والأحطاب ، مع ماهدموه من أماكنها حتى أنهم سدوا أبواب الميدان وجعلوه من جملة حقوقها، فكانوا ينزلون إليه ويصعدون منه من باب السبع حدرات .

وفى تاسع عشره[4] ، ورد مكتوب من كبير الفرنسيس من ناحية إسكندرية مؤرخ بثالث عشر القعدة[5] وهو جواب عن المكتوب المرسل إليه السابق ذكره .

وصورته بعد الصدر المعتاد : «من عبد الله جاك منو سر عسكر ، أمير عام جيوش الفرنساوية بالشرق ، ومظاهر حكومتها بير مصر حالاً إلى كامل المشايخ والعلماء الكرام المقيمين بالديوان المنيف بمحروسة مصر أدام الله فضائلهم ، ورد لنا مكتوبكم العزيز ورأينا بكامل السرور كل ما فصلتم لنا به، وثبت من مفهومنا صدق ودادكم لنا ولعساكر دولة جمهور الفرنساوية، ودمتم حضراتكم وكافة أهالى مصر بالحمية والاستقامة الموعودة، ومعلوم على فضائلكم أن الله يهدى كلا، فما النصرة إلا منه، ووضعت عليه اعتمادى وما توفيقى إلا به وبرسوله الكريم عليه السلام الدائم، وإن ابتغيت النصرة فما هو إلا لسهولة خيراتى إلى بر مصر وسكان ولايتها ، وخير أمور أهلها، والله تعالى يكون دائماً معكم ويكرم وجوهكم بالسلامة » .

---

(١) ١٣ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠١ م .
(٢) تذكرة : أى أمر .
(٣) ١٤ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٩ مارس ١٨٠١ م .
(٤) ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٣ أبريل ١٨٠١ م .
(٥) ١٣ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، سمع ونقل عن بعض الفرنسيس ، أنه وقع الحرب بين الفرنساوية والإنكليزية وكانت الهزيمة على الفرنساوية ، وقتل بينهم مقتلة كبيرة، وانحازوا إلى داخل الإسكندرية ، ووقع بينهم الاختلاف، واتهم منو سارى عسكر رينه وداماص ورأَيَه منهما مارأبه ، وكان سبباً لهزيمته فيما يظن ويعتقد ، فقبض عليهما وعزلهما من إمارتهما، وذلك أن رينه وداماص لما ذهبا على الصورة المتقدمة، ونظر رينه ، وأرسل من كشف على متاريس الإنكليز فوجدها في غاية الوضع والاتقان ، فاجتمعوا للمشورة على عادتهم، ودبروا بينهم أمر المحاربة، فرأى سارى عسكر منو رأيه، فلم يعجب رينه ذلك الرأى، وأن فعلنا ذلك وقعت الغلبة علينا وإنما الرأى عندى كذا وكذا ووافقه على ذلك داماص وكثير من عقلائهم ، فلم يرض بذلك منو ، وقال : « أنا سارى عسكر، وقد رأيت رأيى »، فلم يسعهم مخالفته، وفعلوا ما أمر به، فوقعت عليهم الهزيمة وقتل منهم في تلك الليلة خمسة عشر ألفاً ، وتنحى رينه وداماص ناحية، ولم يدخلا في الحرب بعسكرهما فاغتاظ منو ونسبهما للخيانة والمخامرة عليه، وتسفيههم لرأيه، وأكد ذلك عنده أنهما لما حضر إلى الإسكندرية أخذا معهما أثقالهما، وما كان لهما بمصر لعلمهما عاقبة الأمر وسوء رأى كبيرهما فاشتد إنكاره عليهما، وعزل عنهما العسكر وحبسهما، ثم أطلقهما ونزلا إلى المراكب مع عدة من أكابرهم وسافرا إلى بلادهما، وكان منو أرسل إلى بونابارته يخبر عن ورود الإنكليز ويستنجده ، فأرسل إليه عسكراً فصادفوا الجماعة المذكورين في الطريق، فأخبروهم عن الواقع وردوهم من أثناء الطريق ، وقد أشاروا لذلك في بعض مكاتباتهم، وأخبر أيضاً المخبرون أن الإنكليز أطلقوا حبوس المياه الملحة حتى أغرقت طرق الإسكندرية، وصارت جميعها لجة ماء، ولم يبق لهم طريق مسلوك إلا من جهة العجمى[2] إلى البرية، وأن الإنكليز ترسوا قبالهم من جهة الباب الغربى .

وفيه[3] ، ورد الخبر بأن حسين باشا القبطان، ورد بعساكره جهة أبى قير ، وطلع عسكره من المركب إلى البر ، وقويت القرائن الدالة على صحة هذه الأخبار، وظهرت لوائح ذلك من الفرنسيس مع شدة تجلدهم وكتمان أمرهم وتنميق كلامهم .

وفيه[4] ، سدوا باب البرقية المعروف بباب الغريب[5] ، وبنوه فضاق خناق الناس بسبب الخروج إلى القرافة بالأموات، فكان الذى مدفنه ببستان المجاورين يخرج بجنازته من باب النصر، ويمرون بها من خلف السور المسافة الطويلة حتى ينتهو إلى مدفنهم ، فحصل للناس مشقة شديدة وخصوصاً مع كثرة الأموات فكلم يوم الأحد

---

(١) ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٣ أبريل ١٨٠١ م . (٢) العجمى : انظر، ص ٢ ، حاشية رقم (٤) .

(٣) ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٣ أبريل ١٨٠١ م . (٤) ١٩ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٣ أبريل ١٨٠١ م .

(٥) باب البرقية المعروف بباب الغريب : انظر ، ص ٤٢ ، حاشية رقم (٤) .

حادى عشرينه[1] ، بعض المشايخ قائمقام فى شأن ذلك فأرسل إلى قبطان الخطة ، ففتح بابا صغيراً من حائط السورجهة كفر الطماعين[2] على قدر النعش والحمالين والمشاة .

وفى ثانى عشرينه[3] ، سافر جماعة من أعيان الفرنساوية إلى جهة بحرى ، وهم استوف[4] الخازندار العام، ومدبر الحدود، وفوريه وكيل الديوان، وشنانيا ومدبر أملاك الجمهور، وبرنار وكيل دار الضرب، ورِيج[5] خازندار دار الضرب ولا برت رئيس مدرسة المكتب ، وحافظ سجلاتهم وكتبهم، وأخذوا معهم طائفة من رؤساء القبط وفيهم جرجس الجوهرى، واشيع فى الناس بأن سفرهما لتقرير الصلح وليس كذلك.

وفى ثالث عشرينه[6] ، توكل بحضور الديوان كمثارى يقال له جيرار[7] .

وحضر يوم الجمعة سادس عشرينه[8] ، بصحبة كاتب سلسلة التاريخ محبنا الفاضل العمدة السيد إسماعيل المعروف بالخشاب ، وحضرة قاسم أفندى أمين الدين، كاتب الديوان فلما استقر به الجلوس أخبر أنه ورد كتاب من كبيرهم جاك منو باللغة الفرنساوية مضمونه : « أنه مقيم بسكندرية وهو مؤرخ بعشرين القعدة »[9] ومثل ذلك من الكلام الفارغ

وفيه[10] ، قدم ثلاثة أنفار من العرب صحبة جماعة من الفرنسيس ، وذهبوا بهم إلى بيت قائمقام، فاستفسر منهم فاختل كلامهم وتبين كذبهم فأمر بحبسهم .

وفيه[11] ، حضر جماعة من الفرنسيس من جهة الشرق ومعهم دواب كثيرة وآلات حرب، ومروا فى شارع المدينة ومنعوا الناس من شرب الدخان خوفاً على البارود من النار، ولم يعلم سبب قدومهم، ثم تبين أنهم الذين كانوا محافظين بالصالحية ، وبعد أيام حضر أيضًا الذين كانوا بالقرين ، وكذلك الذين كانوا ببلبيس ، وناحية الشرق شيئاً بعد شئ.

---

(١) ٢١ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

(٢) كفر الطماعين : حارة تقع على يسار شارع العلوة ، وكانت تعرف فى القرن الحادى عشر بالكفر الجديد ، وبها اربع حارات .

مبارك ، على : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٤٠

(٣) ٢٢ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٦ أبريل ١٨٠١ م .

(٤) أستوف : وصحة الاسم Esteve .

(٥) ريج : وصحة الاسم Rigo

(٦) ٢٣ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٧ أبريل ١٨٠١ م .

(٧) جيرار : Jirard .

(٨) ٢٦ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠١ م .

(٩) ٢٦ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠١ م .

(١٠) ٢٦ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠١ م .

(١١) ٢٠ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ٤ أبريل ١٨٠١ م .

شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٥[1]

فيه[2] ، حصل الاجتماع بالديوان ، وأخبر الوكيل أن كبيرهم قد بعث أخباراً بالأمس . منها : أنه قد مات جماعة من كبراء الإنكليز وأنَّ أكثر عساكرهم مريضون بمرض الزحير والرمد ، وربما يحصل الصلح عن قريب ويرجعون إلى بلادهم ، وأنَّ العطش مضارهم ، وبعثوا عدة مراكب لتأتيهم بالماء فتعذر عليهم ذلك ، ثم سأل عن أحوال البلد وسكون الرعية والغلال والأقوات، فأجيب . « بأنَّ البلد مطمئنة والرعية ساكنة والغلال موجودة » ، فقال : «لابد من اعتنائكم بجميع هذه الأمور الموجبة للراحة» .

وفيه[3] ، أشيع أن الإنكليز ومن معهم من العثمانية ملكوا ثغر رشيد[4] وأبراجها وحاربوا من كان بها من الفرنسيس حتى أجلوهم عنها ودخلوها .

وفى ذلك اليوم[5] ، قبضوا على نيف وستين من مغاربة الفحامين وطولون والغورية ونفوهم[6] ، وذلك من فعل عبد العال الأغا .

وفيه أمر بليار قائمقام بركوب أحد المشايخ صحبة عبد العال ويمرون بشوارع المدينة فكان يركب معه مرة الشيخ محمد الأمير ومرة الشيخ سليمان الفيومى وذلك لتطمئن الرعية .

وفى سادسه[7] ، قرئ مكتوب زعموا أنه حضر من سارى عسكر منو من جهة الإسكندرية

وصورته بعد البسملة والجلالة والصدر المعتاد : « إلى حضرات كافة المشايخ والعلماء الكرام المستشيرين بمحفل الديوان المنيف بمحروسة مصر ، ادام الله تعالى فضائلهم ، وما النصرة إلا من الله وبشفاعة رسوله الكريم عليه السلام الدائم، العساكر الفرنساوية والإنكليزية هما إلى هذا الآن حصيران قبلهما ، فحصنا أطرافنا بمتاريس وخنادق لا تغلب ولا تهجن وغير ذلك ، يلزم نخبر حضراتكم لتهدية تمشياتكم ، ولأجل انتظامها أن سلطان الروسية المحمية أعلن بواسطة مرسله إلى حضرة السلطان سليم أذعن الأمر إلى عساكره لأجل ما يتجانبوا ويتراووا، ويخلو من

---

(١) ذو الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل - ١٣ مايو ١٨٠١ م . (٢) ١ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١ م .
(٣) ١ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١ م . (٤) ثغر رشيد : ثغر مصرى على البحر الأبيض المتوسط .
(٥) ١ ذى القعدة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١ م .
(٦) مغاربة الفحامين وطولون والغورية .
(٧) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢ أبريل ١٨٠١ م .

بر مصر جميعاً ، وإلا لابد من السلطان الروسيات الجمعية الإقامة بالمحاربة بمعية مائة ألف عسكرية ضد العثمانية وضد قسطنطينية ، فبناء على ذلك أرسل السلطان سليم أوامره بفرمانه خطابه إلى عساكره لتخلية بر مصر، ولكامل من بالبر المذكور لكى ، وثم ولكن ذهب الإنكليزية كفا للارتشاء بعض من مقدار العسكر العثمانية ، وبتقديم امتثالهم إلى أوامر سلطانهم فأعلنوا وأخبروا كل ذلك إلى أهالى مصر، فانتظموا كما كنتم دائماً بالخير ، فاعمدوا واعتنوا بحماية وصيانة دولة الجمهور الفرنساوية ، والله تعالى يديم فضائلكم عن الإلهام بالخير والسلامات ، حرر فى الخامس والعشرين شهر جرمنيال سنة تسعة الموافق لثلاثة ذى الحجة سنة ألف ومائتين وخمسة عشر »[1] وكتب بألفاظه وحروفه من خط منشئه لوماكا الترجمان ، ثم قال الترجمان : « إن الفرنساوى الذى حمل هذا الكتاب نقل لى عن سر عسكر أنه ناشر لكم ألوية الشكر على قيامكم بوظائفكم فدوموا على ذلك » ، فأجيب بالسمع والطاعة، ثم إنّ بعض الحاضرين من المشايخ أخبر بأن رجلاً من المنوفية يقال : « له موسى خالد ، كان الفرنساوية أحسنوا إليه وقدموه على أقرانه ، فلما خرجوا من المنوفية أفسد فى البلاد وقطع الطريق، ولا يتمكن أحد من أهل هذه الجهة أن يخرج من بلده لتحصيل معاشه، وأنّه قبض على الشيخ عابدين القاضى ، وصادره فى نحو ثلاثة آلاف ريال ، وكذلك صادر كثيراً من أغنياء منوف وغيرها ، وأخذ أموالهم ، فقال الوكيل «ستسكن الفتنة ويعاقب المفسدون» ثم أمر بكتابة مكاتيب ممضاة من مشايخ الديوان خطابا للتجار والمتسببين ولمشايخ البلاد يأمروهم بإرسال الغلال والأقوات إلى مصر فكتبوا للمحلة الكبرى ومنوف والمنصورة والفشن وبنى سويف .

وفيه[2] ، كتبوا جواباً من مشايخ الديوان لكبير الفرنسيس جواباً عن المكتوب المذكور آنفاً .

وفيه[3] ، ذكر قائمقام بليار لبعض الرؤساء أنّه إذا رجع سارى عسكر منصورا ، ودامت أهل البلد على طاعتهم وسكونهم رفع عنهم نصف المليون والظلم .

وفى عاشره[4] أفرجوا عن ابن محرم التاجر بتوسل والديه بقائمقام بليار على مصلحة ألفين ريال فرانسه .

وفيه[5] ، خرج عبد العال إلى ناحية أبى زعبل ، ورجع ومعه ثلاثة أشخاص من الفلاحين ضرب عنق أحدهم .

---

(١) ٣ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٧ أبريل ١٨٠١ .

(٢) ١٠ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠١ م

(٣) ١٠ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٤ أبريل ١٨٠١ م

(٤) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١ م .

(٥) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١ م .

وفى ثانى عشره[1] ، قبض عبد العال على أناس من السغورية ، والصاغة ، ومرجوش وغيرهم ، وألزمهم بمال وسئل عن ذلك، فقال : « لم أفعله من قبل نفسى بل عن أمر من الفرنسيس » .

وفيه[2] ، حفروا خندقاً عند تلال البرقية[3] ، فكان الذين يخرجون بالأموات يصعدون بهم من فوق التل ، ثم ينزلون ويمرون على سقاله من الخشب على الخندق المحفور، فحصل للناس غاية المشقة ، واتفق أن ميتاً سقط من على رقاب الحمالين وتدحرج إلى أسفل التل .

وفيه[4]، ورد الخبر بموت مراد بيك بالوجه القبلى بالطاعون وكان موته رابع الشهر[5] ، ودفن بسوهاج عند الشيخ العارف ، وأقيم عزاؤه عند زوجته الست نفيسة ، وبنت له قبرا بمدفن على بيك وإسماعيل بيك بالقرافة بالقرب من قبة الإمام الشافعى رضى الله تعالى عنه ، وأشيع نقله إليه ثم ترك ذلك وبطل ، وكان الفرنساوية عندما اصطلح معهم وأعطوه إمارة الصعيد رتبوا لزوجته المذكورة فى كل شهر مائة ألف فضة ، واستمرت تقبض ذلك حتى أخرج الفرنساوية جوابات إلى الأمراء المرادية يعزونهم فى أستاذهم ، وتقريراً إلى عثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى بأن يكون أميراً ورئيساً على خشداشينه ، وعوضاً عن مراد بيك ويستمرون على أمريتهم وطاعتهم .

وفيه[6] ، حضرت جوابات المراسلات التى أرسلت إلى البلاد ، بسبب الغلال والأقوات بأن المتسببين والتجار ، أجابوا بالسمع والطاعة ، غير أن المانع لهم قطاع الطريق ، وتعدى العرب ومنعهم السبيل، وأن أبواب البلدان مغلوقة بحيث لا يمكن الخروج منها ، فإذا أمنت الطرق حضر المطلوب وكلام هذا معناه، وأما الساعى المرسل إلى المنصورة، فإنه رجع من أثناء الطريق ، ولم يمكنه الوصول إليها لأن العساكر القادمة قد دخلوها وصارت فى حكمهم .

وفيه[7]، أى فى هذا الشهر زاد أمر الطاعون، وطعن مصطفى أغا أبطال بالقلعة، فلما ظهر فيه ذلك رفعوه بطريق مهانة وأنزلوه إلى الكرنتيلة بباب العزب، والقوه بها، ثم تكلم فى شأنه أرباب الديوان ، فأنزلوه إلى داره فمات بها ، وكذلك وقع لحسين قرا إبراهيم التاجر، وعلى كتخدا النجدلى، وذلك فى أوائله[8]، وفى كل يوم يموت من الفرنسيس الكائنين بالقلعة الثلاثون والأربعون، وينزلون بهم من كرنتيلة القلعة على

---

(1) ١٢ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١ م .
(2) ١٢ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١ م .
(3) تلال البرقية : انظر، ص ٤٣، حاشية رقم (٢) .
(4) ١٢ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١ م .
(5) ٤ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠١ م .
(6) ١٢ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٦ أبريل ١٨٠١ م .
(7) أول ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل ١٨٠١ م .
(8) ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ أبريل - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

الأخشاب مثل الأبواب ، كل ثلاثة أو أربعة سواء يحملهم الحمالون وأمامهم اثنان من الفرنسيس يمنعون الناس ويباعدونهم عن القرب منهم إلى أن يخرجوا بهم من باب القرافة ، فيلقونهم في حفر عميقة قد أعدها الحفارون ، ويهيلون عليهم التراب حتى يعلوهم، ثم يلقون صفاً آخر ويغطونهم بالتراب، وهكذا حتى تمتلئ الحفرة ويبقى بينها وبين الأرض نحو الذراع ، فيكبسونها بالتراب والأحجار ، ويحفرون أخرى غيرها كذلك ، فيكون في الحفرة الواحدة اثنا عشر وستة عشر وأكثر فوق بعضهم البعض ، وبينهم التراب ، ويرمونهم بثيابهم وأغطيتهم وتواسيمهم التي في أرجلهم ، وذلك المكان الذي يدفنون به في العلوة الكائنة خارج مزار القادرية بين الطريقين الموصلين إلى جهة مزار الإمام الشافعي ، رضي الله عنه .

وفيه[1] ، أنهى مشايخ الديوان تعرض عبد العال لمصادرة الناس وطلب المال بعد تأمينهم وتبشيرهم برفع نصف المليون عنهم، فأجيبوا بأن ذلك على سبيل القرض لتعطل المال الميرى ، واحتياج العسكر إلى النفقة، وقيل لهم أيضاً إن كان يمكنكم أن تكتبوا إلى البلاد بدفع الميرى رفعنا الطلب عن الناس ، فقالوا : «هذا غير ممكن لحصول البلاد في حيازة القادمين، وقطع الطريق من وقوف العرب بها ، وعدم الانتظام ، وإنما القصد الملاطفة والرفق فإن وظيفتنا النصح والوساطة في الخير » .

وفي يوم الخميس سادس الحجة[2] حضر أستوف الخازندار وجرجس الجوهرى ومن معهما من القبطة وغيرهم ، ما عدا الفرنسيس الذين ذهبوا معهم ، فأرسلت أوراق بحضور مشايخ الديوان والتجار والأعيان من الغد ، فلما كان في صبحها ، حصلت الجمعية وحضر الخازندار والوكيل ، وعبد العال وعلى أغا الوالي ، وبعض التجار كالسيد أحمد الزرو والحاج عبد الله التاودى شيخ الغورية ، والحاج عمر الملطيلي التاجر بخان الخليلي ، ومحمود حسن ، وكليمان الترجمان ، فتكلم إستوف وترجم عنه الترجمان بقوله: « إن سارى عسكر الكبير منو يقرئكم السلام، ويثني عليكم كثيراً ، وسينجلي هذا الحادث إن شاء الله تعالى، ويقدم في خير ويرى أهل مصر ما يسرهم، وقد هلك من الإنكليز خلق كثير ، وباقيهم أكثرهم مرمودون الأعين وبمرض الزحير ، وجاءت طائفة منهم إلى الفرنساوية ، وانضموا إليهم من جوعهم وعطشهم ، ولتعلموا أن الفرنساوية لم يسلموا في رشيد قهراً عنهم ، بل تركوها قصداً وكذلك أخلينا دمياط لأجل أن يطمعوا ويدخلوا إلى البلاد وتتفرق عساكرهم ، فنتمكن عند ذلك من استئصالهم ، ونخبركم أنه قد وردت إلى سكندرية مركب من فرانسا ، وأخبرت أن الصلح قد تم مع كامل القرانات[3] ماعدا الإنكليز فإنهم لم يدخلوا في الصلح ، وقصدهم عدم سكون الحرب والفتن، ليستولوا على

---

(١) ١٢ ذي الحجة ١٢١٥ هـ / ١٠ أبريل ١٨٠١ م . (١) ٦ ذي الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١ م .

(٣) القرانات : الدول المعادية للدولة العثمانية من الدول الأوروبية .

أموال الناس، واعلموا أن المشايخ المحبوسين بالقلعة وغيرهم لابأس عليهم ، وإنما القصد من تعويقهم وحبسهم رفع الفتن والخوف عليهم ، وشريعة الفرنساوية اقتضت ذلك ولا يمكن مخالفتها ، ومخالفتها كمخالفة القرآن العظيم عندكم ، وقد بلغنا أن السلطان العثملى أرسل إلى عسكره بالكف عن الفرنساوية والرجوع عن قتالهم، فخالف عليه بعض السفهاء منهم، وخرجوا عن طاعته، وأقاموا الحرب بدون إذنه » ، فأجابه بعض الحاضرين بقوله : «إن القصد حصول الراحة والصلح والفرنساوية عندنا أحسن حالا من الإنكليز ، لأننا قد عرفنا اخلاقهم ، ونعلم أن الإنكليز إنما يريدون بانضمامهم إلى العثملية تنفيذ أغراضهم فقط ، فإنهم يولون العثملى ويغرونه حتى يوقعوه فى المهالك ثم يتركونه كما فعلوا سابقاً » ، ثم قال الخازندار : « إن الفرنساوية لا يحبون الكذب، ولم يعهد عليهم ، فلازم أن تصدقوا كل ما أخبروكم به» ، فقال بعض الحاضرين : «إنما يكذب الحشاشون والفرنساوية لا يأكلون الحشيش»، ثم قال الخازندار : «إن وقع من أهل مصر فشل أو فساد عوقبوا أكثر من عام أول ، وأعلموا أن الفرنساوية لا يتركون الديار المصرية ولا يخرجون منها أبداً ، لأنها صارت بلادهم وداخلة فى حكمهم ، وعلى الفرض والتقدير إذا غلبوا على مصر فإنهم يخرجون منها إلى الصعيد ، ثم يرجعون إليها ثانياً ، ولا يخطر فى بالكم قلة عساكرهم ، فإنهم على قلب رجل واحد وإذا اجتمعوا كانوا كثيراً» ، وطال الكلام فى مثل هذه التمويهات والخرافات وأجوبة الحاضرين بحسب المقتضيات، ثم قال الخازندار : «القصد منكم معاونة الفرنساوية ومساعدتهم وغلاق نصف المليون ، ونشفع بعد ذلك عند سارى عسكر فى فوات النصف الثانى ، حكم ما عرفكم قائمقام بليار ، فاجتهدوا فى غلاقه من الأغنياء واتركوا الفقراء»، فأجابوا فى آخر الكلام بالسمع والطاعة، فقال : «لكن ينبغى التعجيل فإن الأمر لازم لأجل نفقة العسكر» ثم قال لهم : «ينبغى أن تكتبوا جوابًا لسارى عسكر تعرفونه فيه عن راحة أهل البلد، وسكون الحال ، وقيامكم بوظائفكم، وهو إن شاء الله يحضر إليكم عن قريب »، وانفض المجلس، وكتب الجواب المأمور به وأرسل .

وفيه[1] ، ورد الخبر بوصول طاهر باشا الأرنؤدى بجملة من العساكر الأرنؤدية إلى أبى زعبل .

وفيه[2] ، خرج عدة من عساكر الفرنساوية وضربوا أربع قرى من الريف بعلة موالاة العرب وقطاع الطريق ، فنهبوهم وحضروا إلى مصر بمتاعهم ومواشيهم .

وفيه[3] ، أرسل بليار قائمقام يطلب من الوجاقلية بقية ما عليهم من المال المتأخر

(١) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ ابريل ١٨٠١ م . (٢) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ ابريل ١٨٠١ م .
(٣) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ ابريل ١٨٠١ م .

من فردة الملتزمين ، وقدره اثنا عشر ألف ريال ، وإن تأخروا عن الدفع أحاط العسكر ببيوتـهم ونقلهم إلى أضـيق الحبوس ، بل واستعمـالهم فى شيل الأحجـار فاعتذروا بضيق ذات يدهم وحبسـهم ، فتصدر إليهم السيد أحمد الزرو، وتشـفع عند قائمقام بأن يقـوموا بدفع أربعة آلاف ريـال ، ويؤجلوا بالبـاقى وينزلوا من الـقلعة لتحـصيل ذلك، فأجابه : وأنزل عـلى أغا يحيى أغات الجراكسة ، ويوسـف باشجاويش، إلى بيت عبد الـعال وحبسهم بمكان بداره، وحبـس معهم مصطفى كتـخدا الرزاز، فكان يتهددهم ويرسل إليـهم أعوانه ، يقولون لهم: «شهلوا ما علـيكم وإلا ضربكم الأغا بالكرابيج»، فسبحان الفعال لما يريد ، فإن عبد العال هذا الذى يتهددهم، ربما كان لا يقدر على الوصول إلى الوقوف بين يدى بعض أتباعهم فضلاً عنهم .

وفيه[1] ، أحاط الفرنسيـس بمنزل حسن أغا الوكيل المتوفى قـبل تاريخه ، وذلك بسبب أنه وجـد ببيته غلام فرنساوى مـختف أسلم وحلق رأسه، وقبـضوا على أحد خشداشينه وحبسوه ، لكونه علم ذلك ولم يخبر به .

وفيه[2] ، حضرت رسل من طرف عـرضى الوزير لقائمقام بليارد ، فـاجتمعوا به وخلا بهم ووجههـم من ليلتهم، فلما حـصلت الجمعية بالديوان ، سـئل الوكيل عن ذلك، فقال: «نعم إنهم أرسلوا يطلبون الصلح» .

وفى ثامن عشره[3] ، أفرجوا عن إبراهيـم أفندى كاتب البهار، ليسـاعد فى قبض نصف المليون .

وفى رابع عشـرينه[4] ، قبـضوا على أبـى القاسـم المغربـى شيخ رواق المغـاربة، وحبسوه بالقلعة، بسبب أنه كان يتكلم فى بعض المجالس، ويقول : «أنا شيخ المغاربة وأحكم عليهم»، ويتباهى بمثل هذا القول، فـنقل عنه ذلك إلى عبد العال والفرنسيس وظنوا صحة قوله، وأنه ربمـا أثار فتنة فقبضوا عليه وحبسوه، وكـذلك حبسوا محمد أفندى يوسف ثانى قلفة، وآخر يقال له عبيد السكرى .

وفى خامس عشرينه[5] ، أبرزوا مكتوبـاً وزعموا أنه حضر من سارى عـسكرهم وقرئ بالديوان ، وصـورته بعد الصدر : « خطابـا إلى كافة العلماء والمشايخ الكرام بمعـقل الديـوان المنيف بمـحروسة مـصر حالاً أدام الـله تعـالى فضائـلهم، ورد لـنا مكتـوبكم، وانشـرح قلبى من كـل ما شهدتم لنـا فيه بأنـه يثبت عقـلكم الـسليم، وصدقكم وتقييد قـلوبكم فى طارق الدستور ، فدوموا مهتديـن بهذه المسلكة، ولابد

(١) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١ م .
(٢) ٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢٠ أبريل ١٨٠١ م .
(٣) ١٨ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٢ مايو ١٨٠١ م .
(٤) ٢٤ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٨ مايو ١٨٠١ م .
(٥) ٢٥ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١ م .

لفضائلكم من دولة جمهورنا كامل الوفاء من حسن رضا واطمئنان عليكم منها، ومن طرف عمدة أصحاب الجراءة والشجاعة حضرة القونصل أولها بونابارته، وعلى الخصوص من طرفنا، وكان ضد أوامرى أن الستويان فوريه الذى كنت وصفته قرب فضائلكم، ترك ذلك الموضع توجهاً إلى إسكندرية ، وما تلك الفعلة إلا من نقص جسارته فى ذى الوقعة، فبدلناه جنب فضائلكم بالستويان جيرار ، جل واجب الاستوصاء، لأجل عرضه وفضله ، وخصوصاً لأجل غيره وجسارته فلذلك هو كسب اعتمادى ، فاعتمدوا إلى كل ماهو قائل بفضائلكم من جانبنا ، وبمنه وعونه تعالى عن قريب نواجهكم بمصر بخير وسلامة ، ودوموا حسب تدبيراتكم لتنظيم البلد، ومماسكة الطاعة بين الأمة الخامدة ، والسياسة بين غيرهم، وكذلك نرجو من رب الأجناد، بحرمة سيد العباد أن تشدوا قلوبكم توكلاً له ، لأن عوننا اسمه العظيم حرر فى ثلاثة عشر فلوريال سنة تسعة موافقاً لثمانية عشر ذى الحجة ألف ومائتين. وخمسة عشر[1] ممضى عبد الله جاك منو » انتهى بألفاظ وحروفه .

وفى سادس عشرينه[2] ، أعادوا فرش الديوان بأمر الوكيل جيرار وذلك على حد قول القائل :

وتَجلُّدِى لِلشَّامِتَين أُرِيهِمُ ... أنى لِرِيبِ الدهْرِ لاَ أتضَعْضَعُ

وفيه[3] ، أفرجوا عن محمد كاشف سليم الشعراوى بشفاعة حسين كاشف، وسافر إلى جهة الصعيد .

وفى ثامن عشرينه[4] ، وردت الأخبار بوصول ركاب الوزير يوسف باشا إلى مدينة بلبيس وذلك يوم الجمعة رابع عشرينه[5] .

وفيه[6] ، أخبر وكيل الديوان أن سارى عسكر أرسل كتاباً إلى الست نفيسة بالتعزية، ورتب لها فى كل شهر مائة ألف نصف وأربعين ، وانقضت هذه السنة بحوادثها وما حصل فيها .

فمنها : توالى الهدم والخراب وتغيير المعالم، وتنويع المظالم، وعم الخراب خطة الحسينية خارج باب الفتوح والخروبى ، فهدموا تلك الأخطاط والجهات والحارات، والدروب والحمامات ، والمساجد والمزارات، والزوايا والتكايا، وبركة جناق[7] ومابها

---

(١) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م . (٢) ٢٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٠ مايو ١٨٠١ م .
(٣) ٢٦ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٠ مايو ١٨٠١ م . (٤) ٢٨ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٢ مايو ١٨٠١ م .
(٥) ٢٤ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٨ مايو ١٨٠١ م . (٦) ٢٨ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٢ مايو ١٨٠١ م .
(٧) بركة جناق : بركة كانت تقع خارج باب الفتوح ، ولما عُمِّرَ خارج باب الفتوح عمر ما حول هذه البركة وسكنها الناس وتعرف ببركة جناق .
المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦٣ .

من الدور والقصور المزخرفة، وجامع الجنبلاطية[1] العظيم بباب النصر ، وما كان به من القباب العظام المعقودة من الحجر المنحوت المربعة الأركان الشبيهة بالأهرام ، والمنارة العظيمة ذات الهلالين، واتصل هدم خارج باب النصر بخارج باب الفتوح، وباب القوس إلى باب الحديد حتى بقى ذلك كله خراباً متصلاً واحدا ، وبقى سور المدينة الأصلى ظاهراً مكشوفاً، فعمروه ورمّوا ما تشعث منه، وأوصلوا بعضه ببعض بالبناء ورفعوا بنيانه فى العلو وعملوا عند كل باب كرانك وبدنات عظاماً، وأبواباً داخلة وخارجة، وأخشابا مغروسة بالأرض مشبكة بكيفية مخصوصة، وركزوا عند كل باب عدة من العسكر مقيمين وملازمين ليلاً ونهاراً، ثم سدوا باب الفتوح بالبناء، وكذلك باب البرقية، وباب المحروق ، وأنشئوا عدة قلاع فوق تلال البرقية ، ورتبوا فيها العساكر وآلات الحرب والذخيرة، وصهاريج الماء، وذلك من حد باب النصر إلى باب الوزير ، وناحية الصوة طولاً ، فمهدوا أعالى التلال وأصلحوا طرقها ، وجعلوا لها مزالق وانحدارات لسهولة الصعود والهبوط بقياسات وتحريرات هندسية على زوايا قائمة ومنفرجة ، وبنوا تلك القلاع بمقادير بين أبعادها وهدموا أبنية رأس الصوة حيث الحطابة وباب الوزير تحت القلعة الكبيرة ، وما بذلك من المدارس القديمة المشيدة والقباب المرتفعة، وهدموا أعالى المدرسة النظامية ومنارتها، وكانت فى غاية من الحسن وجعلوها قلعة، ونبشوا ما بها من القبور فوجدوا الموتى فى توابيت من الخشب فظنوا داخلها دراهم، فكسروا بعضها فوجدوا بها عظام الموتى، فأنزلوا تلك التوابيت وألقوها إلى خارج ، فاجتمع أهل تلك الجهة وحملوها ، وعملوا لها مشهداً بجمع من الناس ودفنوها داخل التكية المجاورة لباب المدرج ، وجعلوا تلك المدرسة قلعة أيضاً بعد أن هدموا منارتها أيضاً ، وكذلك هدموا مدرسة القانبية.والجامع المعروف بالسبع سلاطين وجامع الجركسى[2] وجامع خوند بركة الناصرية خارج باب البرقية، وكذلك أبنية باب القرافة ومدارسها ومساجدها، وسدوا الباب ، وعملوا الجامع

---

(١) جامع الجنبلاطية : يقع بدرب الحجر، بناؤه بالحجر الآلة على هيئة شكل مستطيل، وله بابان عن يمين القبلة وشمالها ، وبه أربعة أعمدة من الرخام، وله منبر من الخشب الخرط ، ودكة للتبليغ ومنارة، وميضأة، وبجواره سبيل يعلوه مكتب . مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، حـ ٤، ص ١٥٤ .

(٢) جامع الجركسى : يقع عند قرة ميدان تحت قلعة الجبل بالقرب من مسجد السيدة عائشة، وبه ضريحان يقال لأحدهما الجركسى ، وله منارة بدورين ، ومطهرة وسبيل ، مبارك، على: المرجع السابق، ط٢، جـ٤، ص ١٥٩ .

الناصرى[1] الملاصق له قلعة، بعد أن هدموا منارته وقبابه، وسدوا أبواب الميدان من ناحية الرميلة ، وناحية عرب اليسار ، وأوصلوا سور باب القرافة بجامع الزمر[2] ، وجعلوا ذلك الجامع قلعة وكذلك عدة قلاع متصلة بالمجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة الكبيرة ، وسدوا عيونها وبواكيها وجعلوها سوراً بذاتها ولم يبقوا منها إلا قوصرة واحدة من ناحية الطيبى جهة مصر القديمة ، جعلوها بابا ومسلكاً وعليها الكرنك والغفر والعسكر الملازمين الإقامة بها ، ولقبض المكس من الخارج والداخل ، وسدوا الجهة المسلوكة من ناحية قنطرة السد بحاجز خشب مقفص ، وعليه باب بقفل مقفص أيضاً، وعليه حرسجية ملازمون القيام عليه ، وذلك حيث سواقى المجراة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة، وحفروا خلف ذلك خندقاً .

وأما ما أنشأوه وعمروه من الأبراج والقلاع والحصون بناحية ثغر الإسكندرية ، ورشيد ، ودمياط ، وبلاد الصعيد فشىء كثير جداً ، وذلك كله فى زمن قليل .

ومنها : تخريب دور الأزبكية وردم رصيفاتها بالأتربة ، وتبديل أوضاعها وهدم خطة قنطرة الموسكى[3] ، وما جاورها من أول القنطرة المقابلة للحمام إلى البوابة المعروفة بالعتبة الزرقاء ، حيث جامع أزبك، وما كان فى ضمن ذلك من الدور والحوانيت والوكائل ، وكوم الشيخ سلامة فيسلك المارمن على القنطرة فى رحبة متسعة ينتهى إلى رحبة الجامع الأزبكى، وهدموا بيت الصابونجى ، ووصلوه بجسر عريض ممتد ممهد حتى ينتهى إلى قنطرة الدكة ، وفى متوسط ذلك الجسر ينعطف جسر آخر إلى جهة اليسار عند بيت الطويل المهدوم، وبيت الألفى ، حيث سكن سارى عسكر ممتد ذلك الجسر إلى قنطرة المغربى ، ومنها يمتد إلى بولاق على خط مستقيم إلى ساحل البحر ، حيث موردة التبن والشون ، وزرعوا بحافتيه السيسبان والأشجار، وكذلك برصيفات الأزبكية ، وهدموا المسجد المجاور لقنطرة الدكة مع ما جاوره من الأبنية والغيطان ، وعملوا هناك بوابة وكرنكا وعسكراً ملازمين الإقامة والوقوف ليلاً ونهاراً ، وذلك عند سكن بليار قائمقام وهى دار جرجس الجوهرى وما جاوره، وكان فى عزمهم إيصال ما انتهوا إلى هدمه بقنطرة الموسكى إلى سور باب

---

(١) الجامع الناصرى عمره القاضى فخر الدين محمد بن فضل الله، ناظر الجيش باسم السلطان الملك الناصر حسن محمد بن قلاوون، وابتدأ فى عمارته ٩ محرم ٧١١ هـ / ٢٨ مايو ١٣١١ م، وانتهت عمارته فى ٨ صفر ٧١٢ هـ / ١٥ يونيه ١٣١٢ م، وله أربعة أبواب، و ٣٧ عموداً ، منها عشرة من صوان فى غاية السمك والطول، ويقع بشاطئ النيل . مبارك، على: المرجع السابق، ط٢، جـ٥، ص ٣٠١ .

(٢) جامع الزمر : يقع بالقرافة الصغرى، وله منارة كبيرة، وفى جهته القبلية مساكن، وتجاهه جملة من المدافن . مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، جـ ٥، ص ١٧ .

(٣) قنطرة الموسكى : انشاها الأمير عز الدين موسك قريب السلطان صلاح الدين على الخليج الكبير ، يتوصل إليها من باب الخوخة وباب القنطرة ، ويمر فوقها إلى بر الخليج الغربى .
المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٧ .

البرقية ، ويهدمون مـن حد حمام الموسكى ، حتى يتصل المهدوم بـناحية الأشرفية ، ثم إلى خان الخلـيلى إلى اسطبل الطارمـة المعروف الآن بالشنوانى ، إلى نـاحية كفر الطماعين ، إلى البرقية ، ويـجعلون ذلك طريـقاً واحداً متسعـاً وبحافتيه الحـوانيت والخانات ، وبها أعمدة وأشجار وتكاعيب وتعاريش وبساتين من أولها إلى آخرها من حد باب البرقية إلى بولاق ، فلما انتهوا فـى الهدم إلى قنطرة الموسكى تركوا الهدم، ونادوا بالمـهلة ثلاثة أشهـر ، وشرعوا فى أبنيـة حوائط بحافـتى القنطرة، ومـعاطف ومزالق إلى حارة الأفرنج وحارة النباقة ، وذلك بالحجر النحت المتقن الوضع وكذلك عمروا قناطر الخليـج المتهدمة داخـل مصر وخارجها على ذلك الـشكل مثل : قنطرة السد ، والقنـطرة التى بين أراضى الناصرية وطـريق مصر القديمة ، وقنطـرة الليمون وقنطرة قديدار[1] ، وقنـطرة الأوز[2] ، وغيـر ذلك ، ثم فاجـأهم حادث الطـاعون، ووصول القادمين، فتركوا ذلك ، واشتغلوا بأمور التحصين ، وسيأتى تتمة ذلك .

ومنها : تـوالى خراب بركة الفيل ، وخـصوصاً بيوت الأمراء التى كـانت بها ، وأخذوا أخشابـهما لعمارة الـقلاع ، ووقود النيران والـبيع، وكذلك ما كـان بها من الرصاص والحديد والـرخام ، وكانت هذه البركة، مـن جملة محاسن مصـر ، وفيها يقول أبو سعيد الأنـدلسى، وقد ذكر القاهرة : « وأعجبنى فى ظاهـرها بركة الفيل ، لأنها كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم ، وعـادة السلطان أن يركب فيها بالليل ، ويسرح أصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم ، فـيكون بذلك لها منظر عجيب ، وفيها أقول :

انظرْ إلى بِركَةِ الفيلِ التى اكْتنفَتْ ... بهـا المناظرُ كالأهْـداب لِلْبصَرِ
كأنما هـى والأبصَارُ تَرمقُهَـــا ... كَواكِبٌ قـدْ أدارُوهَا علـى القَمرِ

ونظرت إليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت :

انظرْ إلى بركَةِ الفيلِ التى نَحَـرَتْ ... لهـا الغزالةُ نحْراً مـــن مَطالعهَا
وخَـلِّ طَرْفَكَ محفُوفًا بِبهْجَتِهَــا ... تهيمُ وجـدًا وحُبا فـــى بَدائعهَـــا

وتخرب أيضـاً جامع الرويعى، وجـعلوه خمارة ، وبعـض جامع عثمان كـتخدا القزدغلى الذى بالقرب من رصـيف الخشاب، وجامع خير بك[3] حديد الذى بدرب

---

(١) قنطرة قـديدار : تقع على الخلـيج الناصرى ، يتوصـل إليها من باب اللـوق ، ويمشى فوقها إلى بـر الخليج الناصرى .

المقريزى ، تقى الدين أبى العباس أحمد بن على : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٢) قنطرة الأوز : قنطرة على الخليج الكبير ، يتوصل إليها من الحسينية ، ويسلك من فوقها إلى أراضى البعل ، أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون سنة ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م .

المصدر نفسه ، جـ ٢ ، ص ١٤٨ .

(٣) جامـع خايربك : أنشـأه الأمير خاير بك فـى سنة ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م ، بالخربـكية جهة باب الـوزير، وبه ضريح منشئه، وبعض قبور . مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، جـ ٤، ص ٢٢٨ .

الحمام[1] بقرب بركة الفيل، وجامع البنهاوى[2] والطرطوشى والعدوى[3] وهدموا جامع عبد الرحمن كتخدا ، المقابل لباب الفتوح حتى لم يبق به إلا بعض الجدران ، وجعلوا جامع أزبك سوقاً لبيع أقلام المكوس .

ومنها : أنهم غيروا معالم المقياس ، وبدلوا أوضاعه ، وهدموا قبته العالية ، والقصر البديع الشاهق، والقاعة التى بها عمود المقياس ، وبنوها على شكل آخر لابأس به، لكنه لم يتم ، وهى على ذلك باقية إلى الآن ، ورفعوا قاعدة العامود العليا ذراعاً، وجعلوا تلك الزيادة من قطعة رخام مربعة، ورسموا عليها من جهاتها الأربع قراريط الذراع .

ومنها : أنهم هدموا مساطب الحوانيت التى بالشارع ، ورفعوا أحجارها مظهرين أن القصد بذلك توسيع الأزقة لمرور العربات الكبيرة التى ينقلون عليها المتاع، واحتياجات البناء من الأحجار والجبس والجير وغيره، والمعنى الخفى الشافى خوفا من المتاريس بها عند حدوث الفتن كما تقدم، وكانوا وصلوا فى هدم المساطب إلى باب زويلة ومن الجهة الأخرى إلى عطفة مرجوش فهدموا مساطب خط قناطر السباع ، والصليبة ، ودرب الجماميز ، وباب سعادة ، وباب الخرق إلى آخر باب الشعرية، ولو طال الحال لهدموا مساطب العقادين، والغورية ، والصاغة ، والنحاسين إلى آخر باب النصر ، وباب الفتوح ، فحصل لأرباب الحوانيت غاية الضيق لذلك، وصاروا يجلسون فى داخل فجوات الحوانيت مثل الفيران فى الشقوق ، وبعض الزوايا والجوامع والرباع التى درجها خارج عن سمت حائط البناء لما هدموا درجه، وبسطته ، بقى باب مدخله معلقاً ، فكانوا يتوصلون إليه بدرج من الخشب مصنوع يضعونه وقت الحاجة ويرفعونه بعدها ، وذلك عمل كثير .

ومنها : تبرج النساء، وخروج غالبهن عن الحشمة والحياء وهو أنه لما حضرا الفرنسيس إلى مصر ومع البعض منهم نساؤهم، كانوا يمشون فى الشوارع مع نسائهم وهن حاسرات الوجوه لابسات الفستانات والمناديل الحرير الملونة، ويسدلن على

---

(١) درب الحمام : درب يتفرع من شارع درب القزازين ، وبآخر درب الحمام زاوية صغيرة تعرف بزاوية الشيخ عطية .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٢) جامع البنهاوى : يقع بشارع الحسينية على يمين السالك من باب الفتوح إلى البغالة والخليج الكبير، وبه ضريح الشيخ على البنهاوى، احترق ١٢١٣ هـ / ٩٨-١٧٩٩ م، وجدده حسن الجميعى رئيس المراكب بالإسكندرية. مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، جـ ٤، ص ٦٤٢ .

(٣) جامع العدوى : يقع خارج باب الشعرية الكبير، بجوار قنطرة الخليج المعروفة بقنطرة العدوى، وبه ضريح الشيخ عيسى العدوى، وضريح الشيخ الحروبى. مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، جـ ٥ ، ص ١١٥ .

مناكبهن الطرح الكشميرى والمزركشات المصبوغة ، ويركبن الخيول والحمير ، ويسوقونها سوقاً عنيفاً مع الضحك والقهقهة، ومداعبة المكارية معهم وحرافيش العامة ، فمالت إليهم نفوس أهل الأهواء من النساء الأسافل والفواحش ، فتداخلن معهم لخضوعهم للنساء وبذل الأموال لهن، وكان ذلك التداخل أولاً مع بعض احتشام وخشية عار ، ومبالغة فى إخفائه ، فلما وقعت الفتنة الأخيرة بمصر، وحاربت الفرنسيس بولاق وفتكوا فى أهلها، وغنموا أموالها وأخذوا ما استحسنوه من النساء والبنات صرن مأسورات عندهم، فزيوهن بزى نسائهم وأجروهن على طريقهن فى كامل الأحوال ، فخلع أكثرهن نقاب الحياء بالكلية، وتداخل مع أولئك المأسورات غيرهن من النساء الفواجر ، ولما حل بأهل البلاد من الذل والهوان وسلب الأموال واجتماع الخيرات فى حوز الفرنسيس ومن والاهم، وشدة رغبتهم فى النساء ، وخضوعهم لهن وموافقة مرادهن ، وعدم مخالفة هواهن ولو شتمته أو ضربته بتاسومتها[1] ، فطرحن الحشمة والوقار والمبالاة والاعتبار، واستملن نظراءهن واختلسن عقولهن لميل النفوس إلى الشهوات، وخصوصاً عقول القاصرات ، وخطب الكثير منهم بنات الأعيان وتزوجوهن رغبة فى سلطانهم ونوالهم فيظهر حالة العقد الإسلام، وينطق بالشهادتين لأنه ليس له عقيدة يخشى فسادها ، وصار مع حكام الأخطاط منهم النساء المسلمات متزييات بزيهم، ومشوا معهم فى الأخطاط للنظر فى أمور الرعية والأحكام العادية، والأمر والنهى والمناداة، وتمشى المرأة بنفسها أو معها بعض أترابها وأضيافها على مثل شكلها ، وأمامها القواسة والخدم، وبأيديهم العصى، يفرجون لهن الناس مثل مايمر الحاكم، ويأمرن وينهين فى الأحكام .

ومنها : أنه لما أوفى النيل أذرعه ودخل الماء إلى الخليج وجرت فيه السفن، وقع عند ذلك من تبرج النساء واختلاطهن بالفرنسيس ومصاحبتهم لهن فى المراكب والرقص والغناء ، والشرب فى النهار والليل فى الفوانيس والشموع الموقدة، وعليهن الملابس الفاخرة، والحلى والجواهر المرصعة، وصحبتهم آلات الطرب وملاحو السفن، يكثرون من الهزل والمجون، ويتجاوبون برفع الصوت فى تحريك المقاديف، بسخيف موضوعاتهم، وكنائف مطبوعاتهم، وخصوصاً إذا دبت الحشيشة فى رؤوسهم، وتحكمت فى عقولهم، فيصرخون ويطبلون ويرقصون ويزمرون ، ويتجاوبون بمحاكاة ألفاظ الفرنساوية فى غنائهم، وتقليد كلامهم شئ كثير .

وأما الجوارى السود فإنهن لما علمن رغبة القوم فى مطلق الأنثى ، ذهبن إليهم أفواجاً، فرادى وأزواجاً، فنطن الحيطان، وتسلقن إليهم من الطيقان ودلوهم على مخبآت أسيادهن، وخبايا أموالهم ومتاعهم، وغير ذلك .

---

(١) التاسومة : الحذاء أو الشبشب .

ومنها : أن يعقوب القبطى ، لما ظاهر مع الفرنساوية، وجعلوه ، سارى عسكر القبطة جمع شبان القبط ، وحلق لحاهم وزياهم بزى مشابه لعسكر الفرنساوية، مميزين عنهم بقبع يلبسونه على رؤوسهم مشابه لشكل البرنيطة ، وعليها قطعة فروة سوداء من جلد الغنم فى غاية البشاعة ، مع ما يضاف إليها من قبح صورهم، وسواد أجسامهم وزفارة أبدانهم ، وصيرهم عسكره وعزوته ، وجمعهم من أقصى الصعيد، وهدم الأماكن المجاورة لحارة النصارى التى هو ساكن بها خلف الجامع الأحمر[1] وبنى له قلعة وسورها بسور عظيم ، وأبراج وباب كبير يحيط به بدنات عظام . وكذلك بنى أبراجاً فى ظاهر الحارة جهة بركة الأزبكية ، وفى جميع السور المحيط والأبراج طيقاناً للمدافع وبنادق الرصاص على هيئة سور مصر الذى رمّه الفرنساوية، ورتب على باب القلعة الخارج والداخل عدة من العسكر الملازمين للوقوف ليلاً ونهاراً ، وبأيديهم البنادق على طريق الفرنساوية .

ومنها : قطعهم الأشجار والنخيل من جميع البساتين والجنايس الكائنة بمصر وبولاق ومصر القديمة والروضة وجهة قصر العينى ، وخارج الحسينية ، وبساتين بركة الرطلى وأرض الطبالة[2] ، وبساتين الخليج ، بل وجميع القطر المصرى، كالشرقية، والغربية، والمنوفية، ورشيد، ودمياط ، كل ذلك لاحتياجات عمل القلاع ، وتحصين الأسوار فى جميع الجهات ، وعمل العجل والعربات والمتاريس ووقود النار، وكذلك المراكب والسفن ، وأخذ أخشابها أيضاً مع شدة الاحتياج إليها ، وعدم إنشاء الناس سفناً جديدة لفقرهم، وعدم الخشب والزفت والقار والحديد وباقى اللوازم . حتى أنهم حال حلولهم الديار المصرية ، وسكنهم بالأزبكية كسروا جميع القنج[3] والأغربة[4] التى كانت موجودة تحت بيوت الأعيان بقصد التنزه ، وكذلك ما كان ببركة الفيل ، وبسبب ذلك شَحّت البضائع ، وغلت الأسعار، وتعطلت الأسباب، وضاقت المعايش، وتضاعفت أجر حمل التجارات فى السفن لقلتها .

ومنها : هدم القباب والمدافن الكائنة بالقرافة تحت القلعة ، خوفاً من تترس المحاربين بها ، فكانوا يهدمون ذلك بالبارود على طريقة اللغم، فيسقط المكان بجميع

---

(١) الجامع الأحمر . يقع بالأزبكية فى حارة القيلة، قريباً من ميدان الأزبكية، وهو جامع قديم، جدده الأمير سليمان أغا السلحدار، وبأعلى واجهته لوح رخام فيه آيات قرآنية، وتاريخ التجديد غرة محرم ١٢٢٧ هـ / ١٦ يناير ١٨١٢ م. وأوقف عليه أوقافاً . مبارك، على: المرجع السابق، ط ٢، جـ٤، ص ١١٣-١١٤ .

(٢) أرض الطبالة . كانت تقع على جانب الخليج الغربى بجوار خط المقس ، وكانت من أحسن متنزهات القاهرة ، وموقعها اليوم المنطقة التى تحد من الشمال والغرب بشارع الظاهر ، ومن الجنوب بشارع الفجالة ، ومن الشرق بشارع الخليج المصرى .

زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق ، ص ٩ - ١٠ .

(٣) القنج : نوع من السفن الصغيرة

(٤) الأغربة : نوع من السفن التى كانت تسير بالنيل .

أجزائه من قوة البارود وانحباسه فى الأرض ، فيسمع له صوت عظيم ودوى، فهدموا شيئاً كثيراً على هذه الصورة، وكذلك أزالوا جانباً كبيراً من الجبل المقطم بالبارود من الجهة المحاذية للقلعة، خوفاً من تمكن الخصم منها، والرمى على القلعة .

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة التى لم يعهد منها فى هذه السنين ، حتى غرقت الأراضى ، وحوصرت البلاد ، وتعطلت الطرق ، فصارت الأرض كلها لجة ماء ، وغرق غالب البلاد التى على السواحل ، فتهدم من دورها شئ كثير ، وأما المدينة فإن الماء جرى من جهة الناصرية إلى الطريق المسلوكة، وطفح من بركة الفيل إلى درب الشمسى وطريق قنطرة عمر شاه .

ومنها : استمرار انقطاع الطرق، وأسباب المتاجر ، وغلو البضائع المجلوبة من البلاد الرومية والشامية والهندية والحجازية والمغرب حتى غلت أسعار جميع الأصناف، وانتهى سعر كل شئ إلى عشرة أمثاله، وزيادة على ذلك، فبلغ الرطل الصابون إلى ثمانين نصفاً واللوزة الواحدة بنصفين ، وقس على ذلك، وأما الأشياء البلدية فإنها كثيرة وموجودة وغالبها يباع رخيصاً مثل : السمن والعسل النحل والأرز والغلال وخصوصاً الأرز ، فإنه بيع فى أيامهم بخمسمائة نصف فضة الأردب، وكانت النصارى باعة العسل النحل يطوفون به فى بلاليص محملة على الحمير ، ينادون عليه فى الأزقة بأرخص الأثمان .

ومنها : وقوع الطاعون بمصر والشام، وكان معظم عمله ببلاد الصعيد ، أخبرنى صاحبنا العلامة الشيخ حسن المعروف بالعطار المصرى نزيل أسيوط مكاتبة ونصه : «ونعرفكم ياسيدى أنه قد وقع فى قطر الصعيد طاعون ، لم يعهد ولم نسمع بمثله ، وخصوصاً ما وقع منه بأسيوط، وقد انتشر هذا البلاء فى جميع البلاد شرقاً وغرباً ، وشاهدنا منه العجائب فى أطواره وأحواله، وذلك أنه أباد معظم أهل البلاد، وكان أكثره فى الرجال سيما الشبان والعظماء، وكل ذى منقبة وفضيلة ، وأغلقت الأسواق، وعزت الأكفان ، وصار المعظم من الناس بين ميت ومشيع ومريض وعائد حتى أن الإنسان لا يدرى بموت صاحبه أو قريبه إلا بعد أيام ، ويتعطل الميت فى بيته من أجل تجهيزه ، فلا يوجد النعش ولا المغسل ، ولا من يحمل الميت إلا بعد المشقة الشديدة، وإن أكبر كبير إذا مات لا يكاد يمشى معه مازاد على عشرة أنفار تكترى ، ومات العلماء والقراء ، والملتزمون، والرؤساء ، وأرباب الحرف، ولقد مكثت شهراً بدون حلق رأسى لعدم الحلاق، وكان مبدأ هذا الأمر من شعبان[1] وأخذ فى الزيادة فى شهر ذى القعدة[2] والحجة[3] حتى بلغ النهاية القصوى، فكان يموت كل يوم من

---

(٢) شعبان ١٢١٥ هـ / ١٨ ديسمبر ١٨٠٠ - ١٥ يناير ١٨٠١ م .

(٣) ذو القعدة ١٢١٥ هـ / ١٦ مارس - ١٤ أبريل ١٨٠١ م .(٤) ٢٨ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٢ مايو ١٨٠١ م .

أسيوط خاصة زيادة على الستمائة، وصار الإنسان إذا خرج من بيته لا يرى إلا جنازة أو مريضاً ، أو مشتغلاً بتجهيز ميت ، ولا يسمع إلا نائحة أو باكية، وتعطلت المساجد من الأذان، والإمامة لموت أرباب الوظائف، واشتغال من بقى منهم بالمشى أمام الجنائز والسبح والسهر، وتعطل الزرع من الحصاد، ونشف على وجه الأرض وأبادته الرياح لعدم وجدان من يحصده، وعلى التخمين أنه مات الثلثان من الناس، هذا مع سعى العرب فى البلاد بالفساد والتخويف، بسبب خلو البلاد من الناس والحكام»، إلى أن قال : «ولو شئت أن أشرح لك ياسيدى ما حصل من أمر الطاعون لملأت الصحف مع عدم الإبقاء وتاريخه ثامن عشرين الحجة سنة تاريخه[١] » .

واما من مات فى هذه السنة من الأعيان

مات ، الإمام الألمعى والذكى اللوذعى ، من عجنت طينته بماء المعارف، وتآخت طبيعته مع العوارف ، العمدة العلامة، والنحرير الفهامة ، فريد عصره ، ووحيد دهره الشيخ محمد بن أحمد بن حسن بن عبد الكريم الخالدى الشافعى، الشهير بابن الجوهرى، وهو أحد الأخوة الثلاثة، وأصغرهم ويعرف هو بالصغير ، ولد سنة إحدى وخمسين ومائة وألف[٢] ونشأ فى حجر والده فى عفة وصون وعفاف، وقرأ عليه وعلى أخيه الأكبر الشيخ أحمد بن أحمد وعلى الشيخ خليل المغربى، والشيخ محمد الفرماوى وغيرهم من فضلاء الوقت، وأجازه الشيخ محمد الملوى بمافى فهرسته، وحضر دروس الشيخ عطية الأجهورى فى الأصول والفقه وغير ذلك ، فلازمه وبه تخرج فى الإلقاء، وحضر الشيخ على الصعيدى والبراوى ، وتلقى عن الشيخ الوالد حسن الجبرتى كثيراً من العلوم، ولازم التردد عليه والأخذ منه مع الجماعة ومنفرداً، وكان يحبه ويميل إليه، ويقبل بكليته عليه، وحج مع والده فى سنة ثمان وستين[٣] وجاور معه، فاجتمع بالشيخ السيد عبد الله أميرغنى، صاحب الطائف، واقتبس من أنواره واجتنى من ثماره، وكان آية فى الفهم والذكاء والغوص، والاقتدار على حل المشكلات ، وأقرأ الكتب وألقى الدروس بالأشرفية، وأظهر التعفف والانجماع عن خلطة الناس، والذهاب والترداد إلى بيوت الأعيان والتزهد عما بأيديهم، فأحبه الناس وصار له أتباع ومحبون وساعده على ذلك الغنى والثروة، وشهرة والده، وإقبال الناس عليه ومدحتهم له، وترغيبهم فى زيارته، وتزوج ببنت الخواجا الكريمى، وسكن بدارها المجاورة لبيت والده بالأزبكية، واتخذ له مكاناً خاصاً بمنزل والده يجلس فيه فى أوقات ، وكل من حضر عند أبيه فى حال انقطاعه من الأكابر أو من غيرهم للزيارة أو للتلقى يأمره بزيارة ابنه المترجم ، والتلقى

---

(١) ذو الحجة ١٢١٥ هـ / ١٥ ابريل - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

(٢) ١١٥١ هـ / ٢١ ابريل ١٧٣٨ - ٩ ابريل ١٧٣٩ م .

(٣) ١١٦٨ هـ / ١٨ أكتوبر ١٧٥٤ - ٦ أكتوبر ١٧٥٥ م .

عنه ، وطلبهم الدعـاء منه ويحكي لهم عنه مزايا وكرامات، ومـكاشفات ومجاهدات وزهديـات، فازداد اعتقـاد الناس فيـه ، وعاشر العـلماء والفـضلاء من أهل عـصره ومشايخه ، وقرنائه وتردد عليهم ، ويبيتون عنده ويطعمهم ويكرمهم ويتنزه معهم فى أيام النيل مع الحشمة والكمال ، ومجانبة الأمور المخلة بالمروءة، ولما مات أخوه الكبير الشيخ أحمد، وقد كان تصدر بعد والـده فى إقراء الدروس أجمع الخاص والعام على تقدم المترجم فى إقراء الدروس فى الأزهر ، والمشهد الحسينى فى رمضان ، فامتنع من ذلك ، وواظب على حالـة انجماعه وطريقته وإملائه الدروس بـالأشرفية ، وحج فى سنة سـبع وثمانين ومـائة وألف[1] ، وجاور سـنة وعقـد دروساً بالحـرم، وانتفـع به الطلبة، ثم عاد إلى وطنه، وزاد فى الانجماع والتحجب عن الناس فى أكثر الأوقات، فعظمت رغبة الناس فيه ورد هداياهم مرة بعد أخرى، وأظهر الغنى عنهم، فازداد ميل الناس إلـيه، وجبلـت قلوبهـم على حبـه ، واعتقاده وتـردد الأمراء وسعوا لـزيارته أفواجاً، وربما احـتجب عن ملاقاتهـم ، وقلد بعضهم بـعضاً فى السعى، ولـم يعهد عليه أنه دخـل بيت أمير قط أو أكل من طـعام أحد قط إلا بعض أشياخـه المتقدمين، وكانت شفاعته لا ترد عند الأمراء والأعيان مع الشكيمة والصدع بالأمر والمناصحة فى وجوههم إذا أتوا إليه، وازدادت شهرته وطار صيـته، ووفدت عليه الوفود من الحجاز والمغرب والهند والشام والروم ، وقصدوا زيارته والتبرك به، وحج أيضاً فى سنة تسع وتسعين[2] ، لما حصـلت الفتة بين أمـراء مصر فسافر بـأهله وعياله وقـصد المجاورة، فجاور سنة وأقرأ هنـاك دروسا واشترى كتباً نفيسة ، ثم عاد إلى مـصر واستمر على حالتـه فى انجماعـه وتحجبه عن الـناس، بل بالغ فـى ذلك، ويقرئ ويمـلى الدروس بالأشرفيـة، وأحياناً بزاويتهـم بدرب شمس الدولة ، وأحـياناً بمنزله بالأزبـكية ، ولما توفى الشيخ احمد الـدمنهورى، وتولى مشيخة الأزهر الشيخ عبـد الرحمن العريشى الحنفى باتفاق الأمراء والمتصدرين من الفقهاء وهاجت حفائظ الشـافعية، وذهبوا إليه وطلبـوه للمشـيخة فأبـى ذلك ، ووعدهم بالـقيام لنـصرتهم وتـولية من يـريدونه، فاجتمعوا ببيت الشيخ البكرى، واختاروا الشيخ أحمد العروسى لذلك ، وأرسلوا إلى الأمراء فلـم يوافقوا علـى ذلك ، فركب المتـرجم بصحـبة الجمع إلى ضـريح الإمام الشافعي، ولم يزل حتى نقض ما أبرمه العلماء والأمراء ، ورد المشيخة إلى الشافعية، وتولى الشيخ أحمد العروسى، وتم له الأمر كما تقدم ذلك فى ترجمة العريشى، ولما توفى الشـيخ أحمد العروسـى، كان المترجم غائباً عن مصر فى زيارة سـيدى أحمد البدوى، فأهمل الأمر حـتى حضر ، وتولى الشيخ عبد الله الـشرقاوى بإشارته، ولم

---

(١) ١١٨٧ هـ / ٢٥ مارس ١٧٧٣ - ١٣ مارس ١٧٧٤ م .

(٢) ١١٩٩ هـ/ ١٤ نوفمبر ١٧٨٤ - ٣ نوفمبر ١٧٨٥ .

يزل وافر الحرمة معتقداً عند الخاص والعام حتى حضر الفرنساوية، واختلت الأمور وشارك الناس فى تلقى البلاء، وذهب ما كان له بأيدى التجار ، ونهب بيته وكتبه التى جمعها ، وتراكمت عليه الهموم والأمراض ، وحصل له اختلاط، ولم يزل حتى توفى يوم الأحد حادى عشرين شهر القعدة سنة تاريخه[1] ، بحارة برجوان[2] ، وصلى عليه بالأزهر فى مشهد حافل ، ودفن عند والده وأخيه بزاوية القادرية بدرب شمس الدولة، وبالجملة فكان من محاسن مصر، والفريد فى العصر، ذهنه وقاد ونظمه مستجاد ، وكان رقيق الطبع ، لطيف الذات ، مترفهاً فى مأكله وملبسه .

ومن مؤلفاته : مختصر المنهج فى الفقه وزاد عليه فوائد، واختصر الاسم وسماه المنهج، ثم شرحه وهو بالغ فى بابه، ومنها شرح المعجم الوجيز لشيخه السيد عبد الله أميرغنى، وقد اعتنى به وقرأه درساً، ومنها شرح عقيدة والده المسماة: منقذة العبيد ، فى كراريس أجاد فيه جدا، ورسالة فى تعريف شكر المنعم، وشرح الجزرية والدر النظيم فى تحقيق الكلام القديم، ونظم عقائد النسفى، وعقيدة فى التوحيد ، وشرحها بشرحين، واللمعة الألمعية فى قول الشافعى بإسلام القدرية ، وتحقيق الفرق بين عَلَم الجنس وبين اسمه، وإتحاف الكامل ببيان تعريف العامل، وزهر الافهام فى تحقيق الوضع وماله من الأقسام، وحلية ذوى الافهام، بتحقيق دلالة العام، واتحاف الطرف فى بيان متعلق الظرف، والروض الأزهر فى حديث من رأى منكم منكراً، ورسالة فى تعريف الشكر العرفى، وثمرة غرس الاغتناء بتحقيق أسباب البناء، والدر المنثور فى الساجور، وإتحاف الآمال بجواب السؤال فى الحمل والوضع لبعض الرجال، وإتحاف الأحبة فى الضبة أى المفضضة، ورسالة فى التوجه وإتمام الأركان، ورسالة فى زكاة النابت، ورسالة فى ثبوت رمضان، ورسالة فى أركان الحج، ورسالة فى مدعجوة ودرهم، ورسالة فى مسألة الغضب، وحاشية على شرح ابن قاسم العبادى إلى البيوع، والروض الوسيم فى المفتى به من المذهب القديم، ورسالة فى النذر للشريف، ورسالة فى إهداء القرب للنبى عليه السلام، ورسالة فى الأصولى والأصول، ورسالة فى مسألة ذوى الأرحام، وإتحاف اللطيف بصحة النذر للموسر والشريف، وله غير ذلك منظومات وضوابط وتحقيقات ، رحمه الله تعالى .

ومات، الأجل الأمثل ، العمدة الوجيه ، السيد عبد الفتاح بن أحمد بن الحسن

---

(١) ٢١ القعدة ١٢١٥ هـ / ٥ أبريل ١٨٠١ م .

(٢) حارة برجوان : تقع فى الجهة اليمين من شارع الخرنفش ، ويسلك إليها من حارة سيدى على الأتربى ، وهى منسوبة إلى الأستاذ أبى الفتوح برجوان الخادم ، الخصى الأبيض الذى ربى فى دار الخليفة العزيز بالله ، وتكفل بالحاكم بأمر الله بعد العزيز ولازمه إلى أن قتله .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

الجوهرى، أخو المترجم المذكور، وهو أسن منه وأصغر من أخيه الشيخ أحمد، ولد سنة إحدى وأربعين ومائة وألف[1] ، ونشأ فى حجر أبيه، وحضر الشيخ الملوى، وبعض دروس أبيه وغيره، ولم يكن معتنياً بالعلم، ولم يلبس زى الفقهاء، وكان يعانى التجارة، ويشارك ويضارب، ويحاسب ويكاتب، فلما توفى أخوه الأكبر الشيخ أحمد، وامتنع أخوه الأصغر الشيخ محمد من التصدر للإقراء فى محله، اتفق الحال على تقدم المترجم حفظاً للناموس، وبقاء لصورة العلم الموروث، فعند ذلك تزيا بزى الفقهاء، ولبس التاج والفراجة الواسعة، وأقبل على مطالعة العلم وخالط أهله ، وصار يطالع ويذاكر وأقرأ دروس الحديث بالمشهد الحسينى فى رمضان مع قلة بضاعته، وذلك بمعونة الشيخ مصطفى ابن الشيخ محمد الفرماوى، فكان يطالع الدرس الذى عليه من الغد، ويتلقى عنه مناقشات الطلبة، وثبت على ذلك حتى ثبتت المشيخة وتقررت العالمية، كل ذلك مع معاناته التجارة، وتردد إلى الحرمين، وأثرى واقتنى كتباً نفيسة، وعروضاً وحشماً، واشترى المماليك والعبيد والجوارى والأملاك والالتزام، ولم يزل حتى حصلت حوادث الفرنساوية، وصادروه، وأخذوا منه خمسة عشر ألف فرانسة، وداخله من ذلك كرب وانفعال زائد فسافر إلى بلدة جارية فى التزامه يقال لها كوم التجار[2] ، فأقام بها أشهرا، ثم ذهب إلى شبين الكوم[3] بلدة أقاربه، وأقام بها إلى أن مات فى هذه السنة[4]، وذلك بعد وفاة أخيه الشيخ محمد بنحو خمسة أيام، ودفن هناك، رحمه الله تعالى .

ومات، الإمام العلامة، الثقة الهمام النحرير، الذى ليس له فى فضله نظير، أبو محمد أحمد بن سلامة الشافعى، المعروف بأبى سلامة، اشتغل بالعلم، وحضر العلوم النقلية والنحوية والمنطقية، وتفقه على كثير من علماء الطبقة الأولى كالشيخ على قايتباى، والحفنى، والبراوى، والملوى وغيرهم، وتبحر فى الأصول والفروع، وكان مستحضرا للفروع الفقهية، والمسائل الغامضة فى المذاهب الأربع، ويغوص بذهنه وقياسه فى الأصول الغريبة، ومطالعة كتب الأصول القديمة التى أهملها المتأخرون، وكان الفضلاء يرجعون فى ذلك إليه، ويعتمدون قوله، ويعولون فى

(١) ١١٤١ هـ / ٧ اغسطس ١٧٢٨ - ٢٦ يوليه ١٧٢٩ م .

(٢) كوم التجار : قرية قديمة من قرى مركز كفر الزيات، محافظة الغربية. رمزى، محمد المرجع السابق، ق ٢، جـ ٢، ص ١٣٠

(٣) شبين الكوم : كانت قرية قديمة، اسمها الأصلى «شبين السرى»، وفى تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م وردت باسمها الحالى، وفى ١٨٢٩م، أصبحت قاعدة لقسم شبين الكوم، ثم فى ١٨٧٠م، قاعدة لمركز شبين الكوم، وهى الآن قاعدة محافظة المنوفية .

(٤) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

الدقائق عليه، إلا أن الـدهر لم يصافه على عادته، وعاش فى خـمول وضيق عيش، وخشونة ملـبس، وفقد رفاهية بحيث أن مـن يراه لا يعرفه لرثاثة ثيابـه، وكان مهذباً حسن المعاشرة، جمـيل الخلق والنادرة، مطبوعاً فيه صلاح وتـواضع، ونزل مؤقتاً فى مسجد عبد الرحمـن كتخدا الذى أنشأه تجاه باب الفتوح بمعلـوم قدره ثمانية أنصاف، يتعيش بها مع ما يرد عليه من بعض الفقـهاء والعامة الذين يحتاجون إليه فى مراجعة المسائل والـفتاوى، فلما خرب المـسجد المذكور فى حـادثة الفرنسيس وجـهات أوقافه انقطع عـنه ذلك المعلوم، وكـان ذا عائلة ومع ذلك لا يـسأل شيئاً، ولا يظـهر فاقة، توفى يوم الأحد حادى عشريـن جمادى الآخرة من السنة[1] عن خمس وسبعين سنة تقريباً ، رحمه الله .

ومات، الأمـير مراد بـيك محـمد مات بسـهاج ، قادمـاً إلى مصـر باستـدعاء الفرنسيس ودفن بها عند الشـيخ العارف، وكان موته رابع شهر الحجة[2] كما تقدم ، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب ، ومحمد بيك مملوك على بيك ، وعلى بيك مملوك إبراهيم كتخدا القازدغلى ، اشترى محمد بيك مراد بيك المذكور فى سنة اثنتين وثمانين ومائة وألف[3] ، وذلك فى اليوم الذى قتل فيه صالـح بيك الكبير ، فأقام فى الرق أياماً قـليلة ، ثم أعتقـه وأمّره ، وأنعم عليه بالإقـطاعات الجليلة، وقـدمه على أقرانه ، وتزوج بالست فـاطمة زوجة الأمير صالح بيك ، وسكن داره الـعظيمة بخط الكبـش، ولما مات على بيـك تزوج بسريته أيـضاً وهى الست نفـسية الشهيـرة الذكر بالخير، ولما انفرد محـمد بيك بإمارة مصر، كان هو وإبراهيم بيـك أكبر أمرائه المشار إليهما دون غيرهما، فلما سافر محمد بيـك إلى الديار الشامية محارباً للظاهر عمر ، أقام عوضه فى إمارة مصر إبراهيم بيك ، وأخذ صحبته مراد بيك وباقى أمرائه، فلما مات محمد بـيك بعكا ، اجتمع أمراؤه عـلى رأى مماليكه فى رآسة مراد بـيك فتقدم وقدمه عليهم، وحملوا جثة سيدهم وحضروا بأجمعهم إلى مصر، فاتفق رأى الجميع على إمارة من استخـلفه سيدهم وقدمه دون غيره وهو إبراهيـم بيك ، ورضى الجميع بتقدمه ورياسـته لوفور عقله وسكون جأشه، فـاستقر بمشيخة مصر وريـاستها ونائب نوابها ووزرائهـا ، وعكف مراد بيك على لـذاته وشهواته، وقضى أكثـر زمانه خارج المدينة ، مرة بقـصره الذى أنشأه بالروضة ، وأخرى بجزيرة الـذهب ، وأخرى بقصر قايماز جـهة العادليـة، كل ذلك مع مشاركـته لإبراهيم بـيك فى الأحكام، والـنقض

(١) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٥ هـ / ٩ نوفمبر ١٨٠٠ م . (٢) ٤ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠١ م .
(٣) ١١٨٢ هـ / ١٨ مايو ١٧٦٨ - ٦ مايو ١١٦٩ م .

والإبرام، والإيراد والإصدار، ومقاسمة الأموال والدواوين ، وتقليد مماليكه وأتباعه الولايات والمناصب، وأخذ فى بذل الأموال وإنفاقها على أمرائه وأتباعه ، فانضم إليه بعض أمراء على بيك وغيرهم ممن مات أسيادهم كعلى بيك المعروف بالملط ، سليمان بيك الشابورى ، وعبد الرحمن بيك عثمان، فأكرمهم وواساهم ورخص لمماليكه فى هفواتهم، وسامحهم فى زلاتهم، وحظى عنده كل جرئ غشوم ، عسوف ذميم ظلوم فانقلبت أوضاعهم، وتبدلت طباعهم وشرهت نفوسهم ، وعلت رؤوسهم فتناظروا أو تفاخروا ، وطمعوا فى أستاذهم وشمخت آنافهم عليه، وأغاروا حتى على ما فى يده ، واشتهر بالكرم والعطاء فقصده الراغبون، وامتدحه الشعراء والغاوون، وأخذ الشئ من غير حقه، وأعطاه لغير مستحقه كما قال القائل :

وإنها خَطَواتٌ مِن وسَاوِسِه   يُعطِى ويمنَعُ لا بُخْلاً ولا كَرمَا

فلما ضاق عليه المسلك، ورأى أن رضا العالم غاية لا تدرك ، أخذ يتحجب عن الناس، فعظم فيه الهاجس والوسواس، وكان يغلب على طبعه الخوف والجبن مع التهور والطيش والتورط فى الإقدام مع عدم الشجاعة، ولم يعهد عليه أنه انتصر فى حرب باشره أبدا على ما فيه من الادعاء والغرور ، والكبر والخيلاء والصلف والظلم والجور، كما قال القائل :

أسَدٌ عليَّ وفى الحرُوبِ نَعامةٌ   فَتخَاءُ تَنفِرُ مِن صَفِيرِ الصَّافِرِ

ولما قدم حسن باشا إلى مصر ، وخرج المترجم مع خشداشينه وعشيرته هاربين إلى الصعيد حتى انقضت أيام حسن باشا وإسماعيل بيك ومن كان معه ، ورجعوا ثانياً بعد أربع سنين وشئ من الشهور، من غير عقد ولا عهد ولا حرب تعاظم فى نفسه جدا، واختص بمساكن إسماعيل بيك ، وجعل إقامته بقصر الجيزة وزاد فى بنائه وتنميقه، وبنى تحته رصيفاً محكماً، وأنشأ بداخله بستاناً عظيماً نقل إليه أصناف النخيل والأشجار والكروم ، واستخلص غالب بلاد إقليم الجيزة لنفسه شراء ومعاوضة وغصباً ، وعمَّر أيضاً قصر جزيرة الذهب ، وجعل بها بستاناً عظيماً، وكذلك قصر ترسا وبستان المجنون، وصار يتنقل فى تلك القصور والبساتين ، ويركب للصيد فى غالب أوقاته ، واقتنى المواشى من الأبقار والجواميس الحلابة والأغنام المختلفة الأجناس، فكان عنده بالجيزة من ذلك شئ كثير جداً ، وعمل له ترسخانة عظيمة، وطلب صناع آلات الحرب من المدافع والقنابر والبنب والجلل والمكاحل، واتخذ بها أيضاً معامل البارود خلاف المعامل التى فى البلد ، وأخذ جميع الحدادين والسباكين والنجارين، فجمع الحديد المجلوب والرصاص والفحم والحطب حتى شحت جميع

هذه الأدوات ، لكونه كان يأخذ كل ما وجده منها، وكذلك حطب القرطم والترمس والذرة لحرق قمام الجير والجبس للعمارة ، وأوقف الأعوان فى كل جهة يحجزون المراكب التى تأتى من البلاد بالأحطاب يأخذونها ويجمعونها للطلب، ويبيعون لأنفسهم ما أحبوا ، ويأخذون الجعالات على ما يسمحون به أو يطلقونه لأربابه بالوسايط والشفاعات ، وأحضر أناساً من القليونجية ونصارى الأروام وصناع المراكب، فانشأوا له عدة مراكب حربية وغلايين ، وجعلوا بها مدافع وآلات حرب على هيئة مراكب الروم، صرف عليها أموالاً عظيمة ورتب بها عساكر وبحرية وأدر عليهم الجماكى والأرزاق الكثيرة، وجعل عليهم رئيساً كبيراً رجلاً نصرانياً، وهو الذى يقال له نقولا ، بنى له داراً عظيمة بالجيزة، وأخرى بمصر ، وله عزوة وأتباع من نصارى الأروام المرتبين عسكراً ، وكان نقولا المذكور يركب الخيل، ويلبس الملابس الفاخرة، ويمشى فى شوارع مصر راكباً وأمامه وخلفه قواسة يوسعون له الطريق فى مروره على هيئة ركوب الأمراء ، كل ذلك خطرات من وساوسه لا يدرى لأى شئ هذا الاهتمام، ولأى حاجة إنفاق هذا المال فى الخشب والحديد وإعطائه لنصارى الأروام ، واختلفت آراء الناس فى ذلك، فمن قائل : «إن ذلك خوفاً من خشداشينه»، وقائل : «من مخافة العثمانية كما تقدم فى قضية حسن باشا » ، والبعض يظن خلاف ذلك، وليس غير الوهم والتخيل الفاسد ، والخوف شئ، وبقيت آلات الحرب جميعها والبارود بحواصله والجلل والبنبات حتى أخذ جميعه الفرنسيس، فيقال: « إنه كان بحواصل الترسخانة من جنس الجلل أحد عشر ألف جلة » كذا نقل عن معلم الترسخانة أخذ جميع ذلك الفرنسيس يوم استيلائهم على الجيزة والقصر .

ومما اتفق، أنه وقعت مشاجرة فى بعض الأيام بين بعض نصارى الأروام القليونجية وبعض السوقة بمصر القديمة، فتعصب النصارى على أهل البلد، وحاربوهم وقتلوا منهم نيفا وعشرين رجلاً ، وانتهت الشكوى إلى الأمير ، فطلب كبيرهم فعصى عليه وامتنع من مقابلته ، وعمر مدافع المراكب ووجهها جهة قصره ، فلم يسعه إلا التغافل، وراحت على من راح واستوزر رجلاً بربرياً ، وهو المسمى بإبراهيم كتخدا السنارى، وجعله كتخداه ومشيره ، وبلغ من العظمة ونفوذ الكلمة بإقليم مصر مالم يبلغه أعظم أمير بها، وبنى له دارا بالناصرية، واقتنى المماليك الحسان والسرارى البيض والحبوش والخدم، وتعلم اللغة التركية والأوضاع الشيطانية ، واختص ذلك السنارى أيضاً ببعض من رعاع الناس، وجعله كتخداه يأتمر بأمره ، ويتوسل به أعاظم الناس فى قضاء أشغالهم، ولما حسن لمراد بيك الإقامة بالجيزة، واختار السكن بها وزين له شيطانه العزلة عن خشداشينه وأقرانه ، وترك لإبراهيم بيك أمر الأحكام

والدواوين ومقتضيات نواب السلطنة العثمانية مع كونه لا ينفذ أمراً دون رأيه ومشورته، واحتجب هو عن الاجتماع بالناس بالكلية حتى عن الأمراء الكبار من أقرانه، كان السفير بينه وبينهم إبراهيم كتخدا المذكور ، فكان هو عبارة عنه، وربما نقض القضايا الى انبرم أمرها عند إبراهيم بيك أو غيره بنفسه أو عن لسان مخدومه ، وأقام المترجم على عزلته بالبر الغربى نحو الست سنوات متوالية ، لا يعدى إلى البر الشرقى أبداً ، ولا يحضر الديوان، ولا يتردد إلى الأقران ، وإذا حضر الباشا المولى على مصر ووصل إلى برإنبابة ركب وسلم عليه مع الأمراء ، ورجع إلى قصره فلا يراه بعد ذلك أبداً ، وتعاظم فى نفسه، وتكبر على أقرانه وأبناء جنسه، فتزاحمت على سُدته الطلاب، وتكالبت على جيفته الكلاب، فانزوى من نبشهم، وتوارى من نهشهم، فإذا بلغه قدوم من يختشيه أو وصول من يرتجيه، وكان يستحى من رده، أو يخشى عاقبة صده، ركب فى الحال وصعد إلى الجبال، وربما وصله الغريم على غفلة، فيجده قد شمع الفتلة، فإن صادفه واجتمع عليه، أعطاه ما فى يديه أو وعده بالخير أو وهبه ملك الغير ، فما يشعر الميسور إلا ولقمته قد اختطفتها النسور ، ثم أخذ يعبث بدواوين الأعشار والمكوسات والبهار فيحول عليهم الحوالات ، ويتابع لمماليكه ختم الوصولات. فتجاذب هو وإبراهيم بيك ذلك الإيراد، وتعارضت أوراقهما، وخافا فى المعتاد، ثم اصطلحا على أن تكون له الدواوين البحرية ولقسيمه ما يرد من الأصناف الحجازية، وما انضاف إلى قلم البهار ، وحُسب فى دفاتر التجار، فانفرد كل منهما بوظيفته، وفعل بها من الإجحاف ما سطر فى صحيفته ، فأحدث المترجم ديوانا خاصا بثغر رشيد على الغلال التى تحمل إلى بلاد الإفرنج ، وسموه ديوان البدعة، وأذن ببيع الغلال لمن يحملها إلى بلاد الإفرنج أو غيرها، وجعل على كل أردب ديناراً خلاف البرانى ، وألزم بذلك رجل سراج من أعوانه الموصوفين بالجور ، وسكن برشيد وبقيت له بها وجاهة وكلمة نافذة فجمع من ذلك أموالاً وإيرادا عظيماً، وكانت هذه البدعة السيئة من أعظم أسباب قوة الفرنسيس وطمعهم فى الإقليم المصرى ، مع ما أضيف إلى ذلك من أخذ أموالهم ونهب تجاراتهم وبضاعاتهم من غير ثمن ، واقتدى به أمراؤه وتناظروا فى ذلك ، وفعل كل منهم ما وصلت إليه همته، واستخرجته فطنته واختص بالسيد محمد كريم السكندرى، ورفع شأنه بين أقرانه ، فمهد له الأمور بالثغر وأجرى أحكامه به، وفتح له باب المصادرات والغرامات ودله على مخبآت الأمور ، وأخذ أموال التجار من المسلمين وأجناس الإفرنج حتى تجسمت العداوة بين المصريين والفرنسيس، وكان هو من أعظم الأسباب فى تملك الفرنسيس للثغر كما ذكر ذلك فى قتلته، وذلك أنه لما خرجت مراكب الفرنساوية وعمارتهم لايدرى أحد لأى جهة يقصدون تبعهم طائفة

الإنكليز إلى الإسكندرية، فلم يجدوهم ، وكانوا ذهبوا أولاً إلى جهة مالطة ، فوقف الانكليزية قبالة الاسكندرية، وأرسلوا قاصدهم إلى الثغر يسألون عن خبر الفرنساوية، فردهم المذكور رداً عنيفاً ، فأخبروه الخبر على جليته وأنهم أخصامهم ، وعلموا بخروجهم فاقتفوا أثرهم، ونريد أن تعطونا الماء والزاد بثمنه ، ونقف لهم على ظهر البحر ، فلا نُمكنهم من العبور إلى ثغركم، فلم يقبل منهم ، ولم يأذن فى تزويدهم، فذهبوا ليتزودوا من بعض الثغور، فما هو إلا أن غابوا فى البحر نحو الأربعة أيام ، إلا والفرنسيس قد حضروا ، وكان ما كمان.

ومما سولت به نفس المترجم بإرشاد بعض الفقهاء عمارة جامع عمرو بن العاص وهو الجامع العتيق ، وذلك أنه لما خرب هذا الجامع بخراب مدينة الفسطاط ، وبقيت تلالاً وكيمانا ، وخصوصاً ما قرب من ذلك الجامع، ولم يبق بها بعض العمار إلا من الأماكن التى على ساحل النيل، وخربت فى دولة القزدغلية ، وأيام حسن الباشا ، لما سكنتها عساكره، ولم يبق بساحل النيل إلا بعض أماكن جهة دار النحاس ، وفم الخليج يسكنها أتباع الأمراء ونصارى المكوس ، وبها بعض مساجد صغار ، يصلى بها السواحلية والنواتية وسكان تلك الخطة من القهوجية والباعة ، والجامع العتيق لا يصل إليه أحد لبعده وحصوله بين الأتربة والكيمان ، وكان فيما أدركنا الناس يصلون به آخر جمعة فى رمضان، فتجتمع به الناس على سبيل التسلى من القاهرة ومصر وبولاق، وبعض الأمراء أيضاً والأعيان، ويجتمع بصحنه أرباب الملاهى من الحواة والقرداتية وأهل الملاعيب والنساء الراقصات المعروفات بالغوازى، فبطل ذلك أيضاً من نحو ثلاثين سنة لهدمه وخراب ما حوله ، وسقوط سقفه وأعمدته ، وميل شقته اليمنى بل وسقوطها بعد ذلك ، فحسن ببال المترجم هده وتجديده بإرشاد بعض الفقهاء ليرقع به دينه الْخَلِق، كما قال شاعرهم :

ومسْجدٌ فى فضاء ما عمَارتُه فوقَ الصِّيانة إلا لَهوٌ مُخْتلق
كأن عَمْرا دعا يا عَاص هُمَّ به ورمُّهُ رقْعةٌ فى دينكِ الخلِقِ

فاهتم لذلك وقيد به نديمه الحاج قاسم المعروف بالمصلى، فجعله مباشراً على عمارته، وصرف عليه أموالاً عظيمة، أخذها من غير حلها ووضعها فى غير محلها. ، وأقام أركانه، وشيد بنيانه، ونصب أعمدته، وكَمَّل زخرفته، وبنى به منارتين وجدد جميع سقفه بالخشب النقى، وبيضه جميعه فتم على أحسن ما يكون ، وفرشه بالحصر الفيومى، وعلق به القناديل، وحصلت به الجمعية آخر جمعة برمضان سنة اثنتى عشرة ومائتين وألف[1] ، فحضر الأمراء والأعيان والمشايخ وأكابر الناس

(١) ١٢١٢ هـ / ٢٦ يونيه ١٧٩٧ - ١٤ يونيه ١٧٩٨ م .

وعامتهم وبعد إنقضاء الصلاة عقد له الشيخ عبد الله الشرقاوى مجلساً ، وأملى حديث من بنى لله مسجداً ، وآية ﴿إنما يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾[1] وعند فراغه ألبس فروة من السمور، وكذلك الخطيب ، فلما حضرت الفرنساوية فى العام القابل جرى عليه ما جرى على غيره من الهدم والتخريب ، وأخذ أخشابه حتى أصبح بلقعا أشوه مما كان، فياليتها لم تَزْنِ ولم تتصدق ، وبالجملة فمناقب المترجم لا تحصى ، وأوصافه لا تستقصى، وهو كان من أعظم الأسباب فى خراب الإقليم المصرى، بما تجدد منه ومن مماليكه وأتباعه من الجور والتهور ومسامحته لهم، فلعل الهم يزول بزواله .

وكان صفته أشقر، مربوع القامة، كث اللحية، غليظ الجسم والصوت، بوجهه أثر ضربة سيف، ظالما غشوما متهوراً مختالاً معجباً متكبرًا، إلا انه كان يحب العلماء، ويتأدب معهم، وينصت لكلامهم، ويقبل شفاعهتم ويميل طبعه إلى الإسلام والمسلمين، ويحب معاشرة الندماء والفصحاء ، وأهل الذوق والمتكلمين ويشاركهم ويباسطهم ، ولا يمل من مجالستهم ومنادمتهم ، ويناقل فى الشطرنج ، ويطلب أهل المعرفة فيه ، ويحب سماع الآلات والأغانى ، وكانت عطاياه جمة، ومواهبه وهمته فوق كل همة، ولم يخلف ولداً ولا بنتًا، وصناجقه الذين مات عنهم : الأمير محمد بيك المعروف بالألفى ، وعثمان بيك الجوخدار المعروف بالطنبرجى، وعثمان بيك المعروف بالبرديسى، ومحمد بيك المنفوخ، وسليم بيك أبو دياب، وأصله مملوك مصطفى بيك الإسكندرانى، ولما مات دفن بسهاج كما تقدم عند الشيخ العارف، غفر الله له .

ومات، الأمير حسن بيك الجداوى ، مملوك على بيك وهو من خشداشين محمد بيك أبى الذهب مات بغزة بالطاعون ، وكان من الشجعان الموصوفين والأبطال المعروفين، ولما انفرد على بيك بمملكة مصر ولاه إمارة جدة، فلذلك لقب بالجداوى ، وذلك سنة أربع وثمانين ومائة وألف[2] وابتلى فيها بأمور ظهرت بها شجاعته ، وعرفت فروسيته ، ولذلك خبر يطول شرحه، ولما حصلت الوحشة بين إسماعيل بيك والمحمديين، كان المترجم ممن نافق معه وعضده هو وخشداشينه رضوان بيك وعبد الرحمن بيك، وكانت لهم الغلبة ، ونما أمره عند ذلك، وظهر شأنه بعد أن كان خمل ذكره، وهو الذى تجاسر على قتل يوسف بيك فى بيته وبين مماليكه وعزوته، ثم خامر على إسماعيل بيك، وانقلب مع المحمديين عندما خرج لمحاربتهم بالصعيد، فخادعوه وراسلوه وانضم إليهم بمن معه، ورجعوا إلى مصر وفر إسماعيل بيك بمن معه إلى الشام ، واستقر هو وخشداشينه فى مملكة مصر ، مشاركين لهم مظهرين عليهم الشمم طامعين فى خلوص الأمر لهم ، متوقعين بهم الفرصة مع

(١) سورة : التوبة ، رقم (٩) ، آية رقم (١٨) . (٢) ١١٨٤ هـ / ٢٧ ابريل ١٧٧٠ - ١٥ ابريل ١٧٧١ م .

التهور الموجب لتحذر الآخرين منهم ، إلى أن استعجلوا إشعال نار الحرب، فجرى ما جرى بينهم من الحروب والمحاصرة بالمدينة ، وانجلت عن خذلانهم وهزيمتهم ، وظهور المحمديين عليهم ، وقتل بها عدة من أعيانهم ومواليهم ومن انضم إليهم ، وربما عوقب من لا جناية له كما سطر ذلك في محله ، وفر المترجم مع بعض من بقي من عشيرته إلى القليوبجية فقبض عليه ، وأتى به إلى مصر ففر إلى بولاق ، بمفرده ، والتجأ إلى بيت الشيخ الدمنهوري ؛ فأحاط به العساكر فنَطَّ من سطح الدار وخلص إلى الزقاق وسيفه مشهور في يده ، فصادف جندياً فقتله وأخذ فرسه فركبه وفرّ والعساكر خلفه تريد أخذه ، وتتلاحق به من كل جهة وهو يراوغهم ويقاتلهم حتى خلص إلى بيت إبراهيم بيك فأمنه ، واتفقوا على إرساله إلى جدة، فلما أقلع به في القلزم أمر رئيس المركب أن يذهب به إلى القصير وخوفه القتل إن لم يفعل ، فذهب به إلى القصير فتوجه منها إلى إسنا ، وعلمت به عشيرته وخشداشينه ومماليكه، فتلاقوا به واستقر أمرهم بها بعد وقائع يطول شرحها ، فأقام نيفا وعشر سنين ، حتى رجع إليهم إسماعيل بيك بعد غيبته الطويلة ، وانضم إليهم واصطلح معهم إلى أن كان من وصول حسن باشا إلى الديار المصرية ، وإخراج المحمديين وإدخاله للمذكور مع إسماعيل بيك ورضوان بيك وأتباعهم، وتأميرهم بمصر واستقرارهم بها بعد رجوع حسن باشا إلى بلاده ، ووقوع الطاعون الذي مات به إسماعيل بيك ، ورضوان بيك وغيرهم من الأمراء ، فاستقل بمن بقي من الأمراء ، وفعل معهم من التهور والحمق والشر ما أوجب لهم بغض النعيم والحياة معه، وخامر عليه من كان يأمن إليه ، فلم يسعه ومن معه إلا الفرار ، ورضى ذلك لنفسه بالذل والعار ، ودخلت المحمديون إلى مصر المحمية، واستقر هو كما كان بالجهة القبلية ، فأقام على ذلك سبع سنين وبعض أشهر إلى أن وقعت حادثة الفرنسيس ، واستولوا على الإقليم المصرى، وحضرت العساكر بصحبة الوزير يوسف باشا ، ووقع ما وقع من الصلح ونقضه، وانحصر المترجم مع من انحصر بالمدينة من المصرلية، والعثمانية، فقاتل وجاهد وأبلى بلاء حسناً شهد له بالشجاعة والإقدام كل من العثمانية والفرنساوية والمصرلية ، فلما انفصل الأمر وخرجوا إلى الجهة الشامية ، لم يزل محرضاً ومرابطاً ومجتهداً حتى مات بالطاعون في هذه السنة[1] ، وفاز بالشهادتين، وقدم على كريم ﴿ يَغفرُ الذنوبَ جَميعًا إنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمِ﴾[2] وأمراؤه الموجودون الآن هـ عثمان بيك المعروف بالحسيني، وأحمد بيك أمَّره الوزير عوضاً عن أستاذه .

ومات، الأمير عثمان بيك المعروف بطبل ، وهو من مماليك إسماعيل بيك ، أمَّره في سنة اثنتين وتسعين[3] ، ثم خرج مع سيده وتغرب معه في غيبته الطويلة، فلما

---

(١) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م . (٢) سورة : الزمر ، رقم (٣٩) ، آية رقم (٥٣) .
(٣) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م .

رجع إلى مصر فى أيام حسن باشا تولى إمارة الحج فى سنة خمس ومائتين وألف[1]، وكان سيده يقدمه على أقرانه ، ويظن به النجاح، ولما طعن وعلم أنه مفارق الدنيا أحضره وأوصاه وحذره من أعدائه، وقال له : «إنى حصنت لك مصر وسورتها، وصيرتها بحيث تملكها بنت عمياء، فلما مات سيده تشوق للإمارة حسن بيك الجداوى، وعلى بيك الدفتردار ، فلم يرض كل منهما بالآخر ، وتخوفاً من بعضهما، فاتفق رأيهما على تأمير عثمان بيك المذكور كبيراً عوضاً عن سيده ، وسكن داره ، وعقدوا الدواوين عنده ، فنزل عن إمارة الحج لحسن بيك تابع حسن بيك قصبة رضوان ، واشتغل هو بأمور الدولة ومشيخة مصر ، فلم يفلح وخامر مع أخصامه وأخصام سيده والتف عليهم سراً وصدق تمويهاتهم، وخذل نفسه ودولته ، وذلك غيظاً من حسن بيك كما سبقت إليه الإشارة، وكل من حسن بيك وعثمان بيك الجداوى وعلى بيك الدفتردار يتخوف نفاق صاحبه لتكرر ذلك منهما فى الوقائع السابقة ، وانحراف طبع كل عن صداقة الآخر الباطنية، ولم يخطر ببالهما بل ولا ببال أحد من المجانين فضلاً عن العقلاء ركون المشار إليه إلى أعدائه وأعداء سيده العداوة الموروثة ، فكانا كلما شرعا فى تدبير أو شئ من مكايد الحرب ثبطهما وأقعدهما، وهما يظنان نصحه ويعتقدان خلوصه ومعرفته، ولكونه تعلم سياسة الحروب من سيده لكثرة تجاربه وسياحته، ولم يعلما أنه يمهد لنفسه طريقاً مع الأعداء إلى أن كان ما كان من مساعداته لهم بالتغافل والتقاعد حتى تحولوا إلى الجهة الشرقية، وخلص إليهم بمن انضم إليه من عشيرته ، فلم يسع الباقين إلا الهرب ، وأسلم هو نفسه لأعدائه ، فأظهروا له المحبة وولوه إمارة الحج حكم عهدهم بذلك وأن تكون له إمارة الحج مادام حياً ، فخرج فى تلك السنة أميراً على الحج ، أعنى سنة ست ومائتين وألف[2] ، وكذلك سنة سبع[3] ، ونهب الحج فى تلك السنة ، وفر المترجم إلى غزة ، فصودرت زوجاته ، واقتسمت أقطاعه ، ورجع بعد حين إلى مصر ، وأهمل أمره ، وأقام بطالاً واستمر كآحاد الطائفة من الأجناد ويغدو ويروح إليهم ويرجو رفدهم ، إلى أن حدثت حادثة الفرنسيس ، فخرج مع من خرج إلى الشام ، ولم يزل هناك حتى مات بالطاعون فى السنة المذكورة[4] ، وكان دائماً يقول عند تذكره الدولة والنعيم، ﴿ ذَلِكَ تقديرُ العزيزِ العليم ﴾.

ومات، الأمير عثمان بيك المعروف بالشرقاوى، وهو من مماليك محمد بيك أبى

---

(1) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

(2) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩٢ - ٨ أغسطس ١٧٩٣ م .

(3) ١٢٠٧ هـ / ١٩ أغسطس ١٧٩٢ - ٨ أغسطس ١٧٩٣ م .

(4) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .

الذهب أيضاً الكبار، وتأمر فى أيامه وعرف بالشرقاوى لكونه تولى الشرقية ، ووقع منه ظلم وجبروت بعد موت أستاذه ، وصادر كثيراً من الناس فى أموالهم ، ثم انكف عن ذلك ، وزعم أن ذلك كان باغراء مقدمه فشهره وقتله ، ولم يزل فى إمارته حتى مات فى الشام بالطاعون .

ومات، أيوب بيك الكبير ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، وكان من خيارهم ، يغلب عليه حب الخير والسكون، ويدفع الحق لأربابه، وتأمر على الحج وشكرت سيرته ، واقتنى كتباً نفيسة، واستكتب الكثير من المصاحف والكتب بالخطوط المنسوبة ، وكان لين الجانب مهذب النفس ، يحب أهل الفضائل ذا ثروة وعزوة وعفة ، لا يعرف إلا الجد ، ويجتنب الهزل ، ويلوم ويعترض على خشداشينه فى أفعالهم ، ولا يعجبه سلوكهم ، ولا يهمل حقاً توجه عليه ، وإذا ساوم شيئاً وقال له البائع : «هذا بعشرة» يقول له : «بل هو بخمسة مثلا وهذا ثمنها حالاً» ، وقد يكون ذلك رأس مالها أو بزيادة قليلة، ويرضى البائع بذلك، ويقبض الثمن فى المجلس، وهكذا كان شأنه وطريقته .

ومات، الأمير مصطفى بيك الكبير، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك ، تولى الصعيد وإمارة الحج عدة مرار ، وكان فظاً غليظاً متمولا بخيلا شحيحاً ، وفى إمارته على الحج ترك زيارة المدينة لخوفه من العرب ، وشحه بعوائدهم ، وقلة اعتنائه بشعائر الدين ، وانتقد ذلك على المصريين من الدولة وغيرها ، وكان ذلك من أعظم ما اجترمه من القبائح .

ومات، الأمير سليمان بيك المعروف بالأغا ، توفى بأسيوط بالطاعون ، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك الكبير ، وهو أخو إبراهيم بيك المعروف بالوالى ، صهر إبراهيم بيك الكبير ، وهو الذى مات غريقاً فى وقعة الفرنسيس الأولى بإنبابة مدبرا فارا ، فسقط فى البحر وغرق ، وكان هو وأخوه المترجم قبل تقلدهما الصنجقية أحدهما والى الشرطة ، والآخر أغات مستحفظان، فلم يزالا يلقبان بذلك حتى ماتا، وكان المترجم محباً لجمع المال ، وله أقطاع واسعة وخصوصاً بجهة قبلى، وفى آخر أمره استوطن أسيوط ، لأنها كانت فى أقطاعه ، وبنى بها قصراً عظيماً ، وأنشأ بعض بساتين وسواقى ، واقتنى أبقاراً وأغناماً كثيرة ، ومما اتفق له أنه جز صوف الأغنام وكانت أكثر من عشرة آلاف ، ثم وزعه على الفلاحين وسخرهم فى غزله بعد أن وزنه عليهم ثم وزعه على القزازين فنسجوه أكسية ، ثم جمع التجار وباعه عليهم بزيادة عن السعر الحاضر ، فبلغ ذلك مبلغاً عظيماً .

ومات، الأمير قائد أغا ، وهو من مماليك محمد بيك أيضاً، وكان يلقب أيام كشوفيته بقائد نار لظلمه وتجبره ، وولى أغات مستحفظان فى سنة ثمان وتسعين ومائة

وألف[1] فأخاف العامة وكان يتنكر ويتزيا بأشكال مختلفة ، ويتجسس على الناس ، وذلك أيام خروج إبراهيم بيك إلى قبلى ووحشته من مراد بيك ، وانفراد مراد بيك بإمارة مصر ، فلما تصالحا ورجع إبراهيم بيك رد الأغاوية لعلى أغا ، فحنق المترجم لذلك ، وقلق قلقاً عظيماً وترامى على الأمراء ، وصار يقول : «إن لم يردوا إلى منصبى قتلت على أغا أو قتلت نفسى » ، فلما حصل منه ذلك عزلوا على أغا ، وقلدوا سليم أغا أمين البحرين أغاوية مستحفظان ، ولم يبلغ غرضه ولم ترض نفسه بالخمول، وأكثر عنده من الأعوان والأتباع، فيحضرون بين يديه الشكاوى والدعاوى، ويضرب الناس ويحبسهم ويصادرهم فى أموالهم ، ويركب وبين يديه العدة الوافرة من القواسة والخدم ، يحملون بين يديه الحراب والقرابين والبنادق ، وخلفه الكثير من الأجناد والمماليك ، واتخذ له جلساء وندماء يباسطونه ويضاحكونه ، ولم يزل كذلك حتى خرج مع عشيرته إلى الصعيد عند حضور حسن باشا ، فاستولى على كثير من حصص الإقطاع ، فلما رجعوا فى أواخر سنة خمس بعد المائتين[2] ، سكن دار جوهر أغا دار السعادة سابقاً بالخرنفش[3]، وقد كان مات فى الطاعون ، وتزوج سريته قهراً، واستكثر من المماليك والجند ، وتاقت نفسه للإمارة وتشوف إلى الصنجقية ، وسخط على زمانه ، والأمراء الذين لم يلبوا دعوته، ولم يبلغوه أمنيته، وصارت جلساؤه وندماؤه لا يخاطبونه إلا بالإمارة، ويقولون له : «يابيك» ويكره من يخاطبه بدون ذلك، وكان له من الأولاد الذكور اثنا عشر ولدا لصلبه يركبون الخيول، ماتوا فى حياته ، وكان له أخ من أقبح خلق الله فى الظلم ، اتخذ له أعواناً وأتباعاً، وليس عنده ما يكفيهم ، فكان يخطف كل ما مر بخطته بباب الشعرية من قمح وتبن وشعير وغير ذلك، ولا يدفع له ثمناً ، هلك قبله بنحو ست سنين بناحية قبلى ، وأتوا بجيفته إلى مصر مقرفصاً ، ودفن بمدفن أخيه بتربة المجاورين ، ومن جملة أفاعليه القبيحة أنه كان يجرد سيفه ويضرب رقاب الحمير، ويزعم أنه يقطعها فى ضربة واحدة، ولم يزل المترجم أخوه على حالته حتى خرج من مصر عند مجئ الفرنسيس ، وعاد بصحبة عرضى العثملى، ومات قاسم بيك مع من مات من الأمراء والصناجق بالشام، فقلده الوزير الصنجقية فيمن تقلد ، وأدرك أمنيته ، فأقام قليلاً ، وهلك بالطاعون ، فكان كما قال القائل :

فكَانَ كالمتمنى أنْ يرى فَلَقًا ... مِن الصباحِ فَلَمّا أنْ رآه عَمِي

---

(1) ١١٩٨ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٣ نوفمبر ١٧٨٤ م .

(2) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ أغسطس ١٧٩١ م .

(3) الخرنفش : شارع يبتدئ من آخر شارع الأمشاطية ، وينتهى لشارع خميس العدس بحارة الشعرانى وطوله ٣٩٠ مترا ، وبه عدة عطف وحارات .

مبارك ، على : المرجع السابق ، ط ٢ ، جـ ٣ ، ص ١٣١ .

ومات، أيضاً حسن كاشف المعروف بجركس، وهو أيضاً من مماليك محمد بيك، وإشراق[1] عثمان بيك الشرقاوى، وكان من الفراعنة، وهو الذى عمر الدار العظيمة بالناصرية، وصرف عليها أموالاً عظيمة، فما هو إلا أن تمم بناءها ولم يكمل بياضها حتى وصلت الفرنسيس، فسكنها الفلكيون والمدبِّرون وأهل الحكمة والمهندسون، فلذلك صينت من الخراب كما وقع بغيرها من الدور، لكون عسكرهم لم يسكنوا بها، وتقلد المذكور الصنجقية بالشام أيضاً، ثم هلك بالطاعون.

ومات، الأمير حسن كتخدا المعروف بالجربان بالشام أيضاً، وأصله من مماليك حسن بيك الأزبكاوى، وكان ممتهناً فى المماليك فسموه بالجربان لذلك، فلما قتل أستاذه بقى هو لا يملك شيئاً، فجلس بحانوت جهة الأزبكية يبيع فيها تنباكا وصابوناً، ثم سافر إلى المنصورة، فأقام بها مدة تحت قصر محمود جربجى، ثم رجع إلى مصر فى أيام دولة على بيك، وتنقلت به الأحوال، فأنعم عليه على بيك بإمرية بناحية قبلى، فلما حصلت الوحشة بين على بيك ومحمد بيك، وخرج محمد بيك من مصر إلى قبلى خرج إليه المترجم ولاقاه، وقدم بين يديه ما كان عنده من الخيام والبرق والخيول وانضم إليه، ولم يزل حتى تملك محمد بيك واستوزر إسماعيل أغا الجلفى، وكان يبغض المترجم لأمور بينهما، فلم يزل حتى أوغر عليه صدر مخدومه، وأدى به الحال إلى الإقصاء والبعد إلى أن انضم إلى مراد بيك وتقرب منه، وكان مفوها لينا مشاركا قد حنكته الأيام والتجارب، فجعله كتخداه ووزيره، واشتهر ذكره وعمر دارا بناحية باب اللوق بالقرب من غيط الطواشى، وصار من الأعيان المعدودين، وقصدته أرباب الحاجات، واحتجب فى غالب الأوقات، واتحد به محمد أغا البارودى فقربه من مراد بيك، وبلغ إلى ما بلغ معه، وكان يعترى المترجم مرض شبيه بالصرع، ينقطع به أياماً عن السعى والركوب، ولم يزل حتى مات مع من مات بالشام.

ومات، الأمير قاسم بيك المعروف بالموسقو، وكان من مماليك إبراهيم بيك وكان لَيِّنَ الجانب، قليل الأذى إلا أنه كان شحيحاً لا يدفع حقاً توجه عليه، ولما مات خشداشه حسن بيك الطحطاوى تزوج بزوجته، وشرع فى بناء السبيل المجاور لبيته بحارة قوصون بالقرب من الداودية، فما قرب إتمامه إلا وقدمت الفرنسيس لمصر فخربوه وشعثوا بنيانه، وخرقوا حيطانه، وأخذوا عواميده، وبقى على حالته مثل ما فعلوه بدور تلك الخطة وغيرها، ومات أيضاً المترجم بالشام.

(١) إشراق : أى التابع .

ومات، على أغا كتخدا الجاويشية، وهو من مماليك الدمياطى، ونسب إلى محمد بيك وأخيه إبراهيم بيك، ورقاه واختص به وولاه أغات مستحفظان فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف[1] فلم يزل إلى سنة ثمان وتسعين[2] ، فخرج مع إبراهيم بيك إلى المنية عندما تغاضب مع مراد بيك ، فلما تصالحا قُلد الأغاوية كما كان فحتق قائد أغا، وكان ما كان من عزله وولاية سليم أغا كما سبق الإلماع بذلك عند ذكر قائد أغا ، ثم تقلد كتخدا الجاويشية فى سنة ست ومائتين وألف[3] ، ولم يزل متقلداً ذلك حتى خرج مع من خرج فى حادثة الفرنسيس، وكان ذا مال وثروة مع مزيد شح وبخل ، واشترى دار عبد الرحمن كتخدا القازدغلى العظيمة التى بحارة عابدين وسكنها ، وليس له من المآثر إلا السبيل والكتاب الذى أنشأه بجوار داره الأخرى بدرب الحجر ، وهو من أحسن المبانى، وقد حماه الله من تخريب الفرنسيس ، وهو باق إلى يومنا هذا ببهجته ورونقه .

ومات، الأمير يحيى كاشف الكبير ، وهو من مماليك إبراهيم بيك الأقدمين ، وكان لطيف الطباع، حسن الأوضاع، وعنده ذوق وتودد عطارديا يحب الرسومات، والنقوش والتصاوير والأشكال، ودقائق الصناعات والكتب المشتملة على ذلك مثل كليلة ودمنة[4] ، والنوادر والأمثال ، واهتم فى بناء السبيل المجاور لداره بخطة عابدين، فرسم شكله قبل الشروع فيه فى قرطاس بمعونة الأسطا حسن الخياط، ثم سافر إلى الإسكندرية، وأحضر ما يحتاجه من الرخام والأعمدة المرمر الكبيرة والصغيرة، وأنواع الأخشاب ، وحفر أساسه وأحكم وضعه ، واستدعى الصناع والمرخمين فتأنقوا فى صناعته ونقش رخامه على الرسم الذى رسمه لهم كل ذلك بالحفر بالآلات فى الرخام، وموهوه بالذهب فما هو إلا أن ارتفع بنيانه، وتشيدت أركانه، وظهر للعيان حسن قالبه، وكاد يتم ما قصده من حسن مآربه حتى وقعت حادثة الفرنسيس، فخرج مع من خرج قبل إتمامه ، وبقى على حالته إلى الآن ، ولما خرج سكن داره برطلمين ، واستخرج مخبأة بين داره والسبيل فيها ذخائره ومتاعه، فأوصلها للفرنسيس .

ومات، الأمير رشوان كاشف ، وهو من مماليك مراد بيك ، وكان له إقطاع بالفيوم فكان معظم إقامته بها، فاحتكر الورد وما يخرج من مائه والخل المتخذ من العنب والخيش واتجر فى هذه البضائع بمراده واختياره، وتحكم فى الإقليم تحكم الملاك فى أملاكهم وعبيدهم ، وذلك قوة واقتداراً .

(١) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩م .
(٢) ١١٩٨ هـ / ٢٦ نوفمبر ١٧٨٣ - ١٣ نوفمبر ١٧٨٤م .
(٣) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢ م .
(٤) كليلة ودمنة : تأليف عبدالله بن المقفع ، وطبع طبعات عديدة

ومات، الأمير سليم كاشف بأسيوط مطعوناً ، وهو من مماليك عثمان بيك المعروف بالجرجاوى من البيوت القديمة ، وخشداش عبد الرحمن بيك عثمان المتوفى فى سنة خمس ومائتين وألف[1] بالطاعون الذى مات به إسماعيل بيك وخلافه ، وتزوج ابنته بعد موته ، وكان هذا ما يخصه من أسيوط وشرق الناصرى ، واستوطن بأسيوط وبنى بها داراً عظيمة وعدة دور صغار أنشأ بها عدة بساتين ، وغرس بها وبشرق الناصرى أشجاراً كثيرة ، وعمر عدة قناطر وحفر تُرعًا ، وصنع جسوراً وأسبلة فى مفاوز الطرق ، وأنشأ داراً بمصر بالمناخلية بسوق الأنماطيين ، واشترى دارا جليلة كانت لسليمان بيك المعروف بأبى نبوت بحارة عابدين ، وعمرها وزخرفها ، وأنشأ بأسيوط جامعاً عظيماً ومكتباً، فما هو إلا أن أكمل بنيانه حتى قدمت الفرنسيس فاتخذوه سجناً يسجنون به، ثم لما قابل المذكور الفرنسيس وأمنوه ، أخذ فى إصلاح ما تشعث من البناء وتتميم العمارة ، ولم يساعده الوقت إذ ذاك لقلة الأخشاب وآلات البناء فاشتغل بذلك على قدر طاقته، فلما فرغ البناء وقارب التمام ، ولم يبق إلا اليسير وقع الطاعون بأسيوط ، فمات والمسجد باق على ماهو عليه الآن، وهو من المبانى العظيمة المزخرفة على هيئة مساجد مصر، وكان المذكور ذا بأس وشدة وإقدام وشجاعة وتهور مشابه لحسن بيك الجداوى فى هذه الفعال ، وموائده مبسوطة وطعامه مبذول ، وداره بأسيوط مقصد للوارد والقاصد ، والصادر من الأمراء وغيرهم ، وله إغداقات وصدقات وأنواع من البر ومحبة فيى العمارة، وغراس الأشجار واقتناء الأنعام ، وكان متزوجاً بثلاث زوجات ، إحداهن إبنة سيده عثمان بيك توفيت بعصمته ، والثانية ابنة خشداشه عبد الرحمن المذكور آنفاً ، والثالثة زوجة على كاشف المعروف بجمال الدين ، وكان ذا بأس وله صولة وظلم وتجارؤ على سفك الدماء ، فبذلك خافته عرب الناحية وأهل القرى وقاتل العرب مراراً وقتل منهم الكثير، وبسكناه بأسيوط كثرت عمارتها وأمنت طرقها براً وبحراً ، واستوطنها الكثير من الناس لحمايتها وعدم صولة أحد على أهلها ، وله مهاداة مع الأمراء المصرية وأرباب الحل والعقد بها والمتكلمين عندهم ، فيرسل إليهم الغلال والعبيد والجوارى السود والطواشية.وغير ذلك ، وله عدة مماليك بيض وسود ، أعتق كثيراً من جملتهم عزيزنا الأمير أحمد كاشف المعروف بالشعراوى ، رقيق حواشي الطبع ، مهذب الأخلاق ، ذو فروسية فى ركوب الخيل ، ومحبة فى العلماء واللطفاء ، وهو من جملة محاسن سيده .

ومات ، كل من الأمير باكير بيك ، والأمير محمد بيك تابع حسين بيك كشكش كلاهما بالشام .

ومات ، غير هؤلاء ممن لم يحضرنى أسماؤهم .

---

(١) ١٢٠٥ هـ / ١٠ سبتمبر ١٧٩٠ - ٣٠ اغسطس ١٧٩١ م .

واستهلت سنة ست عشرة ومائتين وألف بيوم الخميس[1]

وباستهلالها خف أمر الطاعون ، وفى ليلة الجمعة تلك أرسل عبد العال الأغا ، وأحضر الشيخ محمد الأمير ليلاً إلى منزله، فبيته عنده ولما أصبح النهار طلع به إلى القلعة، وحبسه عند المشايخ بجامع سارية، والسبب فى ذلك أن ولد الشيخ المذكور كان من جملة من يستحث الناس على قتال الفرنسيس فى الواقعة السابقة بمصر، فلما انقضت هرب إلى جهة بحرى، ثم حضر بعد مدة إلى مصر، فأقام أياماً ، ثم رجع إلى فوة بإذن من الفرنسيس، فلما حصلت هذه الحركة، وتحذروا شدة التحذر ، وأخذوا الناس بأدنى شبهة ، وتقرب إليهم المنافقون بالتجسس والإغراء ، ذكر بعضهم ذلك لقائمقام وأدخل فى مسامعه أن ابن الشيخ المذكور ذهب إلى محرضى الوزير والتف عليهم فأرسل قائمقام إلى الشيخ قبل تاريخه ، فلما حضر سأله عن ولده المذكور ، فأخبره أنه مقيم بفوة ، فقال : «لم يكن هناك وإنما هو عند القادمين» ، قال له : «لم يكن ذلك وإن شئتم أرسلت إليه بالحضور» ، فقال له : «أرسل إليه وأحضره»، فقام من عنده على ذلك، وأمهله ثمانية أيام مدة مسافة الذهاب والمجئ ، ثم خاطبه على لسان وكيل الديوان أيضاً فوعده بحضوره ، أو حضور الجواب بعد يومين ، واعتذر بعدم أمن الطريق ، فلما انقضى اليومان أمروا عبد العال بطلبه وإصعاده إلى القلعة ففعل .

وفيه[2] ، حضر جملة من عساكر الفرنساوية من جهة بحرى ، وتواترت الأخبار بوصول القادمين من الإنكليز والعثمانية إلى الرحمانية ، وتملكهم القلعة ، وما بالقرب منها من الحصون الكائنة بالعطف وغيره، وذلك يوم السبت خامس عشرين الحجة[3] .

وفيه[4] ، حضرت زوجة سارى عسكر كبير الفرنسيس، بصحبة أخيها السيد على الرشيدى أحد أعضاء الديوان ، وكان خرج بها من رشيد حين ما ملكها القادمون ، ونزل بها فى مركب وأرسى بها قبالة الرحمانية فلما حصلت واقعة الرحمانية ، وأخذت قلعتها حضر بها إلى مصر بعد مشقة وخوف من العربان وقطاع الطريق وغير ذلك، فأقامت هى وأخوها ببيت الألفى بالأزبكية نحو ثلاثة أيام ، ثم صعدا إلى القلعة .

وفيه[5] ، قربت العساكر القادمة من الجهة الشرقية، وحضرت طوالعهم إلى القليوبية والمنير[6] والخانكة ، لأخذ الكلف فتأهب قائمقام بليار للقائهم ، وأمر العساكر بالخروج من أول الليل ، ثم خرج هو فى آخر الليل، فلما كان يوم الأحد

---

(١) ١٢١٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ - ٣ مايو ١٨٠٢ م .

(٢) ١ محرم ١٢١٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ م .

(٣) ٢٥ ذى الحجة ١٢١٥ هـ / ٩ مايو ١٨٠١ م .

(٤) ١ محرم ١٢٢٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ م .

(٥) ١ محرم ١٢١٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ م .

(٦) المنير : انظر ، ص ٦٥ ، حاشية رقم (٣) .

رابعه[1] رجع قائمقام ومن معه ووقع بينه وبينهم مناوشة ، فلم يثبت الفرنسيس لقلتهم ورجعوا مهزومين ، وكتموا أمرهم ولم يذكروا شيئاً .

وفى خامسه[2] رفعوا الطلب عن الناس بباقى نصف المليون ، وأظهروا الرفق بالناس والسرور بهم ، لعدم قيامهم عند خروجهم للحرب ، وخلو البلد منهم ، وكانوا يظنون منهم ذلك .

وفيه[3] ، أخذت جملة من عدد الطواحين وأصعدت إلى القلعة ، وأكثروا من نقل الماء والدقيق والأقوات إليها، وكذلك البارود والكبريت والجلل والقنابر والبنب ، ونقلوا ما فى الأسوار والبيوت من الأمتعة والفرش والأسرة ، وحملوه إليها ، ولم يبقوا بالقلاع الصغار إلا مهمات الحرب .

وفيه[4] ، طلبوا الزياتين وألزموهم بمائتى قنطار شيرج ، وسمروا جملة من حوانيتهم ، وخرج جماعة من الجزارين لشراء الغنم من القرى القريبة ، فقبض عليهم عساكر العثمانية القادمة ومنعوهم من العود بالغنم والبقر، وكذلك منعوا الفلاحين الذين يجلبون الميرة والأقوات إلى المدينة ، فانقطع الوارد من الجهات البحرية والقليوبية، وعزت الأقوات وَشَحَّ اللَّحم والسمن جداً ، وأغلقت حوانيت الجزارين ، واجتهد الفرنساوية فى وضع متاريس خارج البلد من الجهة الشرقية والبحرية ، وحفروا خنادق ، وطلبوا الفعلة للعمل ، فكانوا يقبضون على كل من وجدوه ويسوقونهم للعمل ، وكذلك فعلوا بجهة القرافة ، وألقوا الأحجار العظيمة والمراكب ببحر إنبابة ، لتمنع المراكب من العبور ، وابتدأوا المتاريس البحرية من باب الحديد ممدودة إلى قنطرة الليمون ، إلى قصر إفرنج أحمد، إلى السبتية، إلى مجرى البحر .

وفى ثامنه[5] بعث قائمقام بليار فاحضر التجار وعظماء الناس وسألهم عن سبب غلق الحوانيت ، فقالوا له : «من وقف الحال والكساد والجلاء والموت»، فقال لهم : «من كان موجوداً حاضراً فألزموه بفتح حانوته وإلاَّ فأخبرونى عنه» ، ونزلت الحكام فنادت بفتح الحوانيت والبيع والشراء .

وفى عاشره[6]، شرعوا فى هدم جانب من الجيزة من الجهة البحرية، وقربت عساكر الإنكليز القادمة من البر الغربى إلى البلد المسماة بنادر[7] عند رأس ترعة الفرعونية .

---

(١) ٤ محرم ١٢١٦ هـ / ١٧ مايو ١٨٠١ م .
(٢) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م .
(٣) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م .
(٤) ٥ محرم ١٢١٦ هـ / ١٨ مايو ١٨٠١ م .
(٥) ١٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠١ م .
(٦) ٨ محرم ١٢١٦ هـ / ٢١ مايو ١٨٠١ م .
(٧) بنادر : قرية تقع عند رأس ترعة الفرعونية، كما ذكر فى النص، ولم يرد لها ذكر فى القاموس الجغرافى .

رفيه[1] ، تواترت الأخبار بأن العساكر الشرقيـة وصلت أوائلها إلى بنها وطحلا[2] بساحل النيل، وأن طـائفة من الإنكليز رجعوا إلى جهة سـكندرية ، وأن الحرب قائم بها وأن الفرنساوية محصورون بداخل الإسكندرية ، والإنكليز ومن معهم من العساكر يحاربـون من خارج ، وهى فى غـاية المنعة والـتحصين وأن الإنكـليز بعد قـدومهم وطلوعهم إلى البر ومـحاربتهم لهم المرات السابقة ، أطلقوا الحبـوس عن المياه السائلة من البحر المـالح منه إلى الجسر المقطـوع، حتى سالت المياه وعمـت الأراضى المحيطة بالإسكندرية وأغرقت أطياناً كثيرة وبلاداً ومزارع ، وأنهم قعدوا فى الأماكن التى يمكن الفرنسيس النفوذ منها ، بحيث إنهم قطعوا عليهم الطرق من كل ناحية .

وفى ثانـى عشره[3] نزلت امـرأة من القلـعة بمتاعـها واختفـت بمصر ، فأحـضر الفرنسـيس حكام الشرطـة وألزموهم بإحضـارها ، وهذه المرأة اسمهـا هوى، كانت زوجة لبعض الأمراء الكشاف ، ثم إنها خرجت عن طورها وتزوجت نقولا، وأقامت معه مدة ، فلما حدثت هذه الحوادث جمعت ثيابها واحتالت حتى نزلت من القلعة ، وهى على حمـار ، ومتاعها محمول علـى حمار آخر، فنزلت عند بـعض العطف ، وأعطت المكارية الأجرة وصرفـتهم من خارج ، واختفت ، فلما وقع عليـها التفتيش وأحضروا المكـارية، قالوا : «لانعلـم غير المكان الذى أنـزلناها به، وأعطـتنا الأجرة عنـده» فشددوا عـلى المكاريـة ومنعـوهم من الـسروح ، وقبضـوا على أهـل الحارة وحبسـوهم ، ثم أحـضروا مشـايخ الحارات وشددوا عـليهـم وعلى سكـان الدور، وأعلموهم أنه إن وجدت المرأة فى حارة من الحارات ولم يخبروا عنها نهبوا جميع دور الحارة ، وعاقبـوا سكانها ، فحصل لـلناس غاية الضجـر والقلق بسبب اختـفائها ، وتفتيش أصحاب الشـرطة وخصوصاً عبد العال، فإنه كان يتنـكر ويلبس زى النساء، ويدخل البيوت بحجة التفتيش عليهـا ، فيزعج أرباب البيوت والنساء ، ويأخذ منهن مصالح ومصاغاً ويفعل ما لا خير فيه ، ولا يخشى خالقاً ولا مخلوقا .

وفى خامس عشره[4] ، قبضوا على ألطون أبى طاقية النصرانى القبطى ، وحبسوه بالقلعة وألزموه بمبلغ دراهم تأخرت عليه من حساب البلاد .

وفى سادس عشره[5] ، أفرجـوا عن محمـد أفندى يوسـف ، ونزل إلى بيـته ، وكذلك الشيخ مصطفى الصاوى لمرضه .

---

(1) ١٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٣ مايو ١٨٠١ م .

(2) طحلا : وصحة الرسم «طَلْحه» وهى من القرى القديمة، وهى إحدى الـقرى التابعة، لقسم الزقازيق، محافظة الشرقية. رمزى، محمد : المرجع السابق، ق ٢، جـ ١ ، ص ٨٦ .

(3) ١٢ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠١ م .

(4) ١٥ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠١ م .

(5) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، انقضت دعوة تهمة الشيخ خليل البكرى ، ومحصلها أن خادم مملوكه ذهب عن لسان المملوك إلى بليار قائمقام، وأخبره أنه وصل إلى أستاذه الشيخ خليل البكرى المذكور فرمان من عرضى الوزير بالأمان ، وكان هذا بإغراء عبد العال ليوقعه فى الوبال ويحرك عليه الفرنسيس لحزازة بينه وبينه ، فلما حضر الشيخ خليل على عادته عند قائمقام سأله عن ذلك فجحده ، فأحضروا الخادم الذى بلغ ذلك ، فصدق على ذلك وأسند إلى المملوك سيده ، فأحضروا المملوك وسألوه ، فقال : «نعم»، فقالوا له : « وأين الفرمان »، فقال : « قرأه وقطعه »، فقال الفرنساوية : « وكيف يقطعه هذا دليل الكذب لأنه لا يصح أن يتلقاه بالقبول ثم يقطعه ؟»، فقيل له : «ومن أتى به ؟»، قال : «فلان» فألزموا الشيخ بإحضار ذلك الرجل، وحبس المملوك عند عبد العال يومين وحضر الرجل فسألوه فجحد ولم يثبت عليه، وظهر كذب الغلام والخادم ، فعند ذلك طلب الشيخ غلامه، فقال قائمقام : «إن قصاصه فى شريعتنا أن يقطع لسانه»، فتشفع فيه سيده ، وأخذه بعد أمور وكلام قبيح قاله الغلام فى حق سيده .

وفيه[2] ، حضر حسين كاشف اليهودى إلى قائمقام ، وأخبره أن الأمراء الذين بالصعيد خرجوا عن طاعة الفرنساوية ، ووردوا مكاتبتهم التى أرسلوها لهم بعد موت مراد بيك، وأنهم مروا وتوجهوا إلى بحرى من البر الغربى ، وعثمان بيك الأشقر ذهب من خلف الجبل إلى جهة الشرق، فلما حصل ذلك ركب قائمقام وذهب للست نفيسة وأمنها وطيب خاطرها ، وأخبرها أنها فى أمان هى وجميع نساء الأمراء والكشاف والأجناد ، ولامؤاخذة عليهن بما فعله رجالهن .

وفى عشرينه[3] توكل رجل قبطى يقال له عبد الله من طرف يعقوب بجمع طائفة من الناس لعمل المتاريس، فتعدى على بعض الأعيان وأنزلهم من على دوابهم ، وعسف وضرب بعض الناس على وجهه حتى أسال دمه ، فتشكى الناس من ذلك القبطى ، وأنهوا شكواهم إلى بليار قائمقام ، فأمر بالقبض على ذلك القبطى، وحبسه بالقلعة، ثم فردوا على كل حارة رجلين، يأتى بهما شيخ الحارة ، وتدفع لهما أجرة من شيخ الحارة .

وفيه[4] ، وردت الأخبار بأن الوزير وصل دجوة .

وفى يوم الإثنين ، سمع عدة مدافع علـى بعد وقت الضحوة ، وفى ذلك اليوم، قبل العصر طلبوا مشايخ الديوان، فاجتمعوا بالديوان ، وحضر الوكيل والترجمان ، وطلبهم للحضور إلى قائمقام ، فلما حصلوا عنده قال لهم على لسان الترجمان :

---

(١) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .
(٢) ١٦ محرم ١٢١٦ هـ / ٢٩ مايو ١٨٠١ م .
(٣) ٢٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) ٢٠ محرم ١٢١٦ هـ / ٢ يونيه ١٨٠١ م .

«نخبركم أن الخصم قد قرب منا ، ونرجوكم أن تكونوا على عهدكم مع الفرنساوية ، وأن تنصحوا أهل البلد والرعية بأن يكونوا مستمرين على سكونهم وهدوهم ، ولا يتداخلوا فى الشر والشغب ، فإن الرعية بمنزلة الولد ، وأنتم بمنزلة الوالد ، والواجب على الوالد نصح ولده وتأديبه وتدريبه على الطريق المستقيم التى يكون فيها الخير والصلاح ، فإنهم إن داموا على الهدو حصل لهم الخير، ونجوا من كل شر، وإن حصل منهم خلاف ذلك نزلت عليهم النار، وأحرقت دورهم، ونهبت أموالهم ومتاعهم، ويتمت أولادهم، وسبيت نساؤهم، وألزموا بالأموال والفرد التى لا طاقة لهم بها ، فقد رأيتم ما حصل فى الوقائع السابقة، فاحذروا من ذلك ، فإنهم لا يدرون العاقبة ولا نكلفكم المساعدة لنا ولا المعاونة لحرب عدونا ، وإنما نطلب منكم السكون والهدو لا غير» ، فأجابوه : «بالسمع والطاعة»، وقولهم كذلك ، وقرئ عليهم ورقة بمعنى ذلك ، وأمروا الأغا وأصحاب الشرطة بالمناداة على الناس بذلك ، وأنهم ربما سمعوا ضرب مدافع جهة الجيزة، فلا ينزعجوا من ذلك فإنه شنك وعيد لبعض أكابرهم، وأن يجتمع من الغد بالديوان الأعيان والتجار وكبار الأخطاط ومشايخ الحارات ويتلى عليهم ذلك، فلما كان ضحوة يوم الثلاثاء اجتمعوا كما ذكر ، وحصلت الوصية والتحذير، وانتهى المجلس، وذهبوا إلي محلاتهم .

وفى ذلك اليوم ، أشيع حضور الوزير إلى شلقان ، وكذلك عساكر الإنكليز بالناحية الغربية وصلوا إلى أول الوراريق .

وفى يوم الجمعة غايته[1] ، اجتمع المشايخ والوكيل بالديوان على العادة ، وحضر استوف الخازندار ، وترجم عنه رفاييل بقوله : « إنه يثنى على كل من القاضى والشيخ إسماعيل الزرقانى ، باعتنائهما فيما يتعلق بأمر المواريث وبيت المال ، والمصالح على التركات المختومة ، لأن الفرنساوية لم يبق لهم من الإيراد إلا ما يتحصل من ذلك، والقصد الاعتناء أيضاً بأمر البلاد والحصص التى انحلت بموت أربابها ، فلازم أيضاً من المصالحة والحلوان ، والمهلة فى ذلك ثمانية أيام ، فمن لم يصالح على الالتزام الذى له فيه شبهة فى تلك المدة ضبطت حصته ولا يقبل له عذر بعد ذلك ، واعلموا أن أرض مصر استقر ملكها للفرنساوية فلازم من اعتقادكم ذلك ، وأركزوه فى أذهانكم كما تعتقدون وحدانية الله تعالى ، ولا يغرنكم هؤلاء القادمون وقربهم ، فإنه لا يخرج من أيديهم شئ أبدا ، وهؤلاء الإنكليز ناس خوارج حرامية وصناعتهم إلقاء العداوة والفتن ، والعثملى مغترٌ بهم ، فإن الفرنساوية كانت

(١) غاية محرم ١٢١٦ هـ/ ١٢ يونيه ١٨٠١ م .

من الأحباب الخلص للعثملى ، فلم يزالوا حتى أوقعوا بينه وبينهم العداوة والشرور ، وأن بلادهم ضيقة وجزيرتهم صغيرة ، ولو كان بينهم وبين الفرنساوية طريق مسلوك من البر لا نمحى أثرهم، ونسى ذكرهم من زمان مديد ، وتأملوا فى شأنهم وأى شئ خرج من أيديهم ، فإن لهم ثلاثة أشهر من حين طلوعهم إلى البر وإلى الآن لم يصلوا إلينا ، والفرنسيس عند قدومهم وصلوا فى ثمانية عشر يوماً ، فلو كان فيهم همة أو شجاعة لوصلوا مثل وصولنا ، وكلام كثير من هذا النمط فى معنى ذلك من بحر الغفلة ، ثم ذكر البكرى والسيد أحمد الزرو أنه حضر مكتوب من رشيد على يد رجل حناوى لآخر من منية كنانة[1] ، يذكر فيه أنه حضر إلى سكندرية مراكب وعمارة من فرانسا ، وأن الأنكليز رجعت إليهم، وأن الحرب قائمة بينهم على ظهر البحر. فقال الخازندار : « يمكن ذلك وليس ببعيد » ، ثم نقلوا ذلك إلى بليار قائمقام ، فطلب الرجل الراوى لذلك ، فأحضر الزرو رجلاً شرقاوياً حلف لهم أنه سمع ذلك بأذنه من الرجل الواصل إلى منية كنانة من رشيد .

شهر صفر الخير سنة ١٢١٦ استهل بيوم السبت[2]

وفى ذلك اليوم قبل المغرب مشى عبد العال الأغا وشق فى شوارع المدينة، وبين يديه منادى يقول : «الأمن والأمان على جميع الرعايا ، وفى غد تضرب مدافع وشنك من القلاع فى الساعة الرابعة ، فلا تخافوا ولا تنزعجوا ، فإنه حضرت بشارة بوصول بونابارته بعمارة عظيمة إلى الإسكندرية وأن الإنكليز رجعوا القهقرى ».

فلما أصبح يوم الأحد[3] ، فى الساعة الرابعة من الشروق ضربت عدة مدافع وتابعوا ضربها من جميع القلاع ، وصعد أناس إلى المنارات ، ونظروا بالنظارات فشاهدوا عساكر الإنكليز بالجهة الغربية وصلوا إلى آخر الوراريق وأول إنبابة، ونصبوا خيامهم أسفل إنبابة ، وعند وصولهم إلى مضاربهم ضربوا عدة مدافع ، فلما سمعها الفرنساوية ضرب الآخرون تلك المدافع التى ذكروا أنها شنك ، وأما العساكر الشرقية، فوصلت أوائلهم إلى منية الأمراء المعروفة بمنية السيرج ، والمراكب فيما بينهما من البرين بكثرة ، فعند ذلك عزت الأقوات ، وشحت زيادة على قلتها ، وخصوصاً السمن والجبن ، والأشياء المجلوبة من الريف، ولم يبق طريق مسلوكة إلى المدينة إلا من جهة باب القرافة، وما يجلب من جهة البساتين من القمح والتبن فيأتى ذلك إلى

(١) منية كنانة : من القرى القديمة، وقد حرف اسمها إلى «ميت كنانة»، وهى إحدى قرى مركز طوخ، محافظة القليوبية. رمزى، محمد : المرجع السابق، ق ٢، جـ ١، ص ٤٨ .

(٢) صفر ١٢١٦ هـ / ١٣ يونيه - ١١ يوليه ١٨٠١ م .

(٣) ٢ صفر ١٢١٦ هـ / ١٤ يونيه ١٨٠١ م .

عرصة الغلة بالرميلة ، ويزدحم عليه النساء والرجال بالمعاطف ، فيسمع لهم ضجة عظيمة ، وشح اللحم أيضاً وغلا سعره لقلة المواشى والأغنام ، فوصل سعر الرطل تسعة أنصاف ، والسمن خمسة وثلاثين نصفاً ، والبصل بأربعمائة فضة القنطر . والرطل الصابون بثمانين فضة ، والسيرج عشرون نصفاً ، وأما الزيت فلا يوجد البتة ، وغلت الأبزار جداً .

واتفق لى غريبة ، وهو أنى احتجت إلى بعض أنيسون ، فأرسلت خادمى إلى الأبزارية على العادة يشترى لى منه بدرهم فلم يجده ، وقيل له إنه لا يوجد إلا عند فلان ، وهو يبيع الوقية بثلاثة عشر نصفاً. ثم أتانى منه بأوقيتين بعد جهد فى تحصيله ، فحسبت على ذلك سعر الأردب فوجدته يبلغ خمسمائة ريال أو قريباً من ذلك ، فكان ذلك من النوادر الغريبة .

وفى يوم الإثنين ثالثه[1] حصلت الجمعية بالديوان ، وحضر التجار ومشايخ الحارات والأغا ، وحضر مكتوب من بليار قائمقام خطابا لأرباب الديوان والحاضرين، يذكر فيه : «أنه حضر إليه مكتوب من كبيرهم منو بالاسكندرية صحبة هجانة فرنسيس وصلوا إليهم من طريق البرية ، مضمونه : أنه طيب بخير والأقوات كثيرة عندهم يأتى بها العربان إليهم ، وبلغهم خبر وصول عمارة مراكب الفرنساوية إلى بحر الخزر ، وأنها عن قريب تصل الإسكندرية ، وأن العمارة حاربت بلاد الإنكليز واستولت على شقة كبيرة منها ، فكونوا مطمئنين الخاطر من طرفنا . ودوموا على هدوكم وسكونكم إلى آخر ما فيه من التمويهات» ، وكل ذلك لسكون الناس وخوفاً من قيامهم فى هذه الحالة، وكان وصول هذا المكتوب بعد نيف وأربعين يوماً من انقطاع أخبار من فى إسكندرية ولا أصل لذلك.

وفى ذلك اليوم[2] ، قتل عبد العال رجلاً ذكروا أنه وجد معه مكتوب من بعض النساء مرسل إلى بعض أزواجهن بالعرضى ، قتل ذلك الرجل بباب زويلة ونودى عليه هذا جزاء من ينقل الأخبار إلى العثملى والإنكليز .

وفيه[3] ، وصلت العساكر الشرقية إلى العادلية، وامتد العرضى منها إلى قبلى منية السيرج، وكذلك الغربية إلى إنبابة ، ونصبوا خيامهم بالبرين والمراكب بينهم فى النيل وضربوا عدة مدافع ، وخرج عدة من الفرنساوية خيالة فترامحوا معهم وأطلقوا

---

(١) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ٣ صفر ١٢١٦ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠١ م .

بنادق، ثم انفصلوا بعد حصة من الليل ، ورجع كل إلى مأمنه ، واستمر هذا الحال على هذا المنوال يقع بينهم فى كل يوم.

وفى سادسه[1] زحفت العساكر الشرقية حتى قربوا من قبة النصر ، وسكن إبراهيم بيك زاوية الشيخ دمرداش ، وحضر جماعة من العسكر وأشرفوا على الجزارين من حائط المذبح ، وطلبوا شيخ الجزارين ، ووجدوا ثلاثة أنفار من الفرنسيس فضربوا عليهم بنادق ، فأصيب أحدهم فى رجله فأخذوه ، وهرب الإثنان وأصيب جزار يهودى ، ووقع بين الفريقين مضاربة على بعد ، وقتل بعض قتلى وأسر بعض أسرى ، ولم يزل الضرب بينهم إلى قريب العصر ، والفرنسيس يرمون من القلعة الظاهرية وقلعة نجم الدين والتل ولا يتباعدون عن حصونهم .

وفى سابعه[2] وقعت مضاربة بين الفريقين ببنادق ومدافع من الصباح إلى العصر أيضاً .

وفيه[3] ، أشيع موت السيد أحمد المحروقى بدجوة وكان مريضاً بها ، وامتنع الوارد من الجهة البحرية بالكلية .

وفيه[4]، قبضوا على رجل شبه خدام ظنوه جاسوساً فأحضروه عند قائمقام فسألوه فلم يقر بشئ ، فضربوه عدة مرار حتى ذهل عقله، وصار كالمختل ، وكرروا عليه الضرب والعقاب، وضربوه بالكرابيج على كفوفه ووجهه ورأسه، حتى قيل إنهم ضربوه نحو ستة آلاف كرباج، وهو على حاله، ثم أودعوه الحبس .

وفيه[5] ، أطلقوا محبوساً يقال له الشيخ سليمان حمزة الكاتب ، وكان محبوساً بالقلعة من مدة أشهر ، فأطلق على مصلحة ألفى ريال .

وفى ثامنه[6] ، وقعت مضاربة أيضاً بطول النهار ،ودخل نحو خمسة وعشرين نفراً من عسكر العثمانية إلى الحسينية ، وجلسوا على مساطب القهوة وأكلوا كعكاً وخبزاً وفولاً مصلوقاً[7] ، وشربوا قهوة ، ثم انصرفوا إلى مضربهم ، وأخذ الفرنساوية عسكرياً من أتباع محمد باشا والى غزة والقدس المعروف بأبى مرق ، فحبسوه ببيت قائمقام ، وأغلقوا فى ذلك اليوم باب النصر، وباب العدوى .

---

(١) ٦ صفر ١٢١٦ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ٧ صفر ١٢١٦ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠١ م .
(٣) ٦ صفر ١٢١٦ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) ٦ صفر ١٢١٦ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠١ م .
(٥) ٦ صفر ١٢١٦ هـ / ١٨ يونيه ١٨٠١ م .
(٦) مصلوقاً : أى مسلوقا .
(٧) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، زحفت عساكر البر الغربي إلى تحت الجيزة ، فحضر في صبحها ينى ، وأخبر قائمقام ، فركب من ساعته وعدى إلى بر الجيزة ، فسمع الضرب أيضاً من ناحية الجيزة وسمعت طبول الأمراء ونقاقيرهم ، واستمر الأمر إلى يوم الثلاثاء حادى عشره[2] ، فبطل الضرب فى وقت الزوال ، ولما حصلوا جهة الجيزة انتشروا إلى قبلى منها ، ومنعوا المعادى من تعدية البر الشرقى ، فانقطع الجالب من الناحية القبلية أيضاً ، فامتنع وصول الغلال والأقوات والبطيخ والعجور والخضروات والخيار والسمن والجبن والمواشى فعزت الأقوات ، وغلت الأسعار فى الأشياء الموجودة منها جدا ، واجتمع الناس بعرصة الغلة بالرميلة يريدون شراء الغلة فلم يجدوها فكثر ضجيجهم ، وخرج الأكثر منهم بمقاطفهم إلى جهة البسلتين ، ورجع الباقون من غير شئ ، فأحضر عبد العال القبانية، وألزمهم بإحضار السمن، وضرب البعض منهم ، فأحضروا له فى يومين أربعة عشر رطلاً بعد الجهد فى تحصيلها ، وبيعت الدجاجة بأربعين نصفاً ، وامتنع وجود اللحم من الأسواق ، واستمر الأمر على ذلك الأربعاء والخميس[3] والمضاربة بين الفريقين ساكنة ، وأشيع وقوع المسالمة والمراسلة بينهما ، والمتوسط فى ذلك الإنكليز وحسين قبطان باشا فانسر الناس ، وسكن جأشهم لسكون الحرب .

وفى ذلك اليوم[4] أغلقوا باب القرافة وباب المجراة ، ولم يعلم سبب ذلك ، ثم فتحوهما عند الصباح من يوم الجمعة[5] ورفعوا عشور الغلة .

وفى يوم الإثنين سابع عشره[6] ، أطلقوا المحبوسين بالقلعة من أسرى العثمانية ، وأعطوا كل شخص مقطع قماش وخمسة عشر قرشاً ، وأرسلوهم إلى عرضى الوزير وكان بلغ بهم الجهد من الخدمة والفعالة ، وشيل التراب والأحجار ، وضيق الحبس والجوع ، ومات الكثير منهم ، وكذلك أفرجوا عن جملة من العربان والفلاحين .

وفى ليلة الإثنين المذكور[7] ، سمع صوت مدفع بعد الغروب عند قلعة جامع الظاهر[8] خارج الحسينية، ثم سمع منها أذان العشاء والفجر ، فلما أضاء النهار ، نظر الناس فإذا البيرق العثمانى بأعلاها والمسلمون على أسوارها فعلموا بتسليمها ، وكان ذلك المدفع إشارة إلى ذلك ففرح الناس وتحققوا أمر المسالمة، وأشيع الإفراج عن الرهائن من المشايخ وغيرهم ، وباقى المحبوسين فى الصباح ، وأكثر الفرنساوية من النقل والبيع فى أمتعتهم وخيولهم ونحاسهم وجواريهم وعبيدهم، وقضاء أشغالهم .

---

(١) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١م .

(٢) ١١ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠١ م .

(٣) ١٣ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٥ يونيه ١٨٠١ م .

(٤) ٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٠ يونيه ١٨٠١ م .

(٥) ١٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٦ يونيه ١٨٠١ م .

(٦) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .

(٧) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .

(٥) قلعة جامع الظاهر : قلعة كانت قائمة بجامع الظاهر .

وفـى ذلك اليوم[١] ، أنزلوا عـدة مدافع مـن القلعـة ، وكذلك من قلـعة باب البرقية ، وأمتعة وفروش وبارود .

وفى يوم الثلاثاء[٢] عمل الديوان وحـضر الوكيل وأعلن بوقوع الصـلح والمسالمة ووعد أن فى الجلسة الآتية يـأتى إليهم فرمان الصلح ، وما يشتمـل عليه من الشروط ويسمعونه جهاراً .

وفى ذلك اليوم[٣] ، كثر اهتمام الفرنساوية بنقل الأمـتعة من القلعة الكبيرة وباقى القلاع بقوة السخى .

وفيه[٤] ، أفرجوا عن محمد جـلبى أبى دفية ، وإسماعيل القلـق ، ومحمد شيخ الحارة بباب الـلوق، والبرنوسى نـسيب أبى دفية ، والشـيخ خليل المنـير، وآخرين ، تكملة ثمانية أنفار، ونزلوا إلى بيوتهم .

وفيه[٥] ، سافر عثمان بيك البرديسى إلى الصعيد وعلى يده فرمانات للبلاد بالأمن والأمان ، وسوق المراكب بالغلال والأقوات إلى مـصر، ويلاقى ستة آلاف من عسكر الإنكليز حضروا من القلزم إلى القصير .

وفيه[٦] شنق الفرنساوية شخصاً منهم على شجرة ببركة الأزبكية قبل إنه سرق .

وفيه[٧] ، أرسل الفرنساوية إلى الوزير وطلبوا منه جـمالاً ينقلون عليها متاعهم ، فأمر لهم بإرسـال مائتى جمل وقيل أربعمـائة مساعدة لهم ، وفيها مـن جمال طاهر باشا وإبراهيم بيك .

وفى يوم الخميس عشرينه[٨] ، أفرجوا عن بقية المسجـونين والمشايخ وهم : شيخ السادات ، والشيخ الشرقاوى ، والشيخ الأمير ، والشيخ محمد المهدى ، وحسن أغا المحتسب ، ورضوان كـاشف الشبعراوى وغيرهم ، فـنزلوا إلى بيت قائمـقام وقابلوه وشكروه، فقال للمشايخ : «إن شئتم اذهبوا فسـلموا على الوزير فإنى كلمته ووصيته عليكم» .

وفيه[٩] ، حضر الوزير ومن معه من العساكر إلـى ناحية شبرا ، وكذلك الإنكليز وصحبتهم قبطان باشـا إلى الجهة الغربية والعسـاكر تجاهم، ونصبوا الجـسر فيما بينهم على البحر ، وهو مـن مراكب مرصوصة مثل جسر الجيزة بل يـزيد عنه فى الإتقان، بكونه من ألواح فى غاية الثخن وله داربزين من الجهتين أيضاً، وهو عمل الإنكليز .

---

(١) ١٧ صفر ١٢١٦ هـ / ٢٩ يونيه ١٨٠١ م .
(٢) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٣) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٤) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٥) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٦) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٧) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .
(٨) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .
(٩) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليه ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، ألصقوا أوراقاً بالطرق مكتوبة بالعربى والفرنساوى ، وفيها شرطان من شروط الصلح التى تتعلق بالعامة .

ونصها : « ثم إنه أراد الله تعالى بالصلح ما بين عسكر الفرنساوية وعساكر الإنكليز وعساكر العثمانية ، ولكن مع هذا الصلح أنفسكم وأديانكم ومتاعكم ، ما أحدا يقارشكم ورؤس عساكر الثلاثة جيوش قد اشترطوا بهذا كما ترونه .

الشرط الثانى عشر : كل واحد من أهالى مصر المحروسة ، من كل ملة كانت الذى يريد أن يسافر مع الفرنساوية يكون مطلق الإرادة ، وبعد سفره كامل ما يبقى عياله ومصالحه ما أحد يعارضهم .

الشرط الثالث عشر : « لا أحد من أهالى مصر المحروسة من كل ملة كانت ، يكون قلقا من قبل نفسه ولا من قبل متاعه، جميع الذين كانوا بخدمة الجمهور الفرنساوى بمدة إقامة الجمهور بمصر، ولكن الواجب أن يطيعوا الشريعة ، ثم يا أهالى مصر وأقاليمها جميع الملل ، أنتم ناظرون لحد آخر درجة الجمهور الفرنساوى ناظر لكم ولراحتكم، فيلزم أنتم أيضاً تسلكون فى الطريق المستقيمة ، وتفتكرون أن الله جل جلاله هو الذى يفعل كل شئ ، وعليه إمضاء بليار قائمقام ».

وفى يوم الجمعة[2] عملوا الديوان، وحضر المشايخ والوكيل، فقال الوكيل : «هل بلغكم بقية الشروط الثلاثة عشر»، فقالوا : «لا» ، فأبرز ورقة من كمه بالقلم الفرنساوى، فشرع بقرؤها والترجمان يفسرها وهى تتضمن الأحد عشر شرطاً الباقية، فقال : «إن الجيش الفرنساوى يلزم أن يخلوا القلاع ومصر، ويتوجهون على البر بمتاعهم إلى رشيد ، وينزلون فى مراكب ويتوجهون إلى بلادهم ، وهذا الرحيل ينبغى أن يشرع به وأقل ما يكون فى خمسين يوماً ، وأن يساق الجيش من طريق مختص، وسر عسكر الإنكليز ، والمساعد يلزم أن يقوم لهم بجميع ما يحتاجونه من نفقة ومؤنة وجمال ومراكب ، والمحل الذى يبدأ منه السعى يكون بالتراضى بين الجمهور والإنكليز ، والمساعد وكامل الأمتعة والأثقال تتوجه من البحر، ومعهم جيش من الفرنساوى لأجل الحراسة ، ولابد من كون المؤنة التى تترتب لهم كالمؤنة التى كانوا يعطونها هم لجيش الأنكليز ورؤسائهم ، وعلى رؤساء عساكر الإنكليز وحضرة العثملى القيام بنفقة الجميع ، والحكام المتقيدون بذلك يحضرون لهم المراكب ليسفروهم إلى فرانسا من جهة البحر المحيط، وأن يقدم كل من حضرة العثملى

---

(١) ٢٠ صفر ١٢١٦ هـ / ٢ يوليو ١٨٠١ م . (٢) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ / ٣ يوليو ١٨٠١ م .

والإنكليز أربع مراكب للعليق والعلف للخيل التى يأخذونها فى المراكب، وأن يسيروا معهم مراكب للمحافظة عليهم إلى أن يصلوا فرانسا، وأن الفرنساوية لا يدخلون مينة الإمينة فرانسا ، والأمناء والوكلاء يقدمون لهم ما يحتاجون إليه نظراً لكفاية عساكرهم والمدبزون والأمناء والوكلاء والمهندسون الفرنساوية، يستصحبون معهم ما يحتاجونه من أوراقهم وكتبهم ولو التى شروها من مصر ، وكل من أهل الأقليم المصرى إذا أراد التوجه معهم فهو مطلق السراح مع الأمن على متاعه وعياله، وكذلك من داخل الفرنساوية من أى ملة كانت فلا معارضة له ، إلا أن يجرى على أحواله السابقة ، وجرحى الفرنساوية يتخلفون بمصر ويعالجهم الحكماء وينفق عليهم حضرة العثملى، وإذا عوفوا توجهوا إلى فرانسا بالشروط المتقدم ذكرها ، وحكام العثملى يتعهدون من بمصر منهم ولابد من حاكمين من طرف الجيشين يتوجهان بمركبين إلى طولو[1] ، فيرسلون خبراً إلى فرانسا ليطلعوا حكامها على الصلح وسائر الرسوم ، وكل جدال وخصام صدر بين شخصين من الفرنساوية، فلابد أن يقام شخصان حاكمان من الطائفتين ليتكلما فى الصلح ، ولا يقع فى ذلك نقض عهد الصلح ، وعلى كل طائفة معين من العثملى والفرنساوى، أن تسلم ما عندها من الأسرى ، ولابد من رهائن من كل طائفة واحد كبير يكون عند الطائفة الأخرى حتى يتوصلوا إلى فرانسا »، ثم قال الوكيل : «وقد علمنا بالشروط وما ندرى ماذا يكون ؟ » فقيل له : «هذه شروط عليها علامة القبول، وهذا الصلح رحمة للجميع وسيكون الصلح العام»، فقال الوكيل : «إنى أرجو أن يكون هذا الصلح الخصوصى مبدأ للصلح العمومى ».

وفيه[2] ، كثر خروج الناس ودخولهم من الأتباع والباعة والمتنكرين من نقب البرقية المعروف بالغريب، فصار الحرسجية من الفرنساوية يأخذون من الداخل والخارج دراهم ولا يمنعونهم، فلما علم الناس بذلك كثر ازدحامهم، فلما أصبحوا منعوهم فدخلوا وخرجوا من باب القرافة ، فلم يمنعهم الواقفون به من الفرنسيس بل كانوا يفتشون البعض، ويمنعون البعض ، وكل ذلك حذرا من أفعال الطموش وسوء أخلاقهم ، تولد الشر بسببهم ، وقد دخل بعض أكابر الإنكليز وصحبتهم فرنساوية، يفرجونهم على البلدة والأسواق، وكذلك دخل بعض أكابر العثمانية فزاروا قبر الإمام الشافعى، والمشهد الحسينى، والشيخ عبد الوهاب الشعراوى ، والفرنساوية ينتظرونهم بالباب .

وفى ليلة الإثنين رابع عشرينه[3] ، نادوا فى الأسواق برمى مدافع فى صبحه،

---

(١) طولو : أى ميناء طولون الفرنسى .
(٢) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ٢٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٦ يوليو ١٨٠١ م .

وذلك لنقل رمة كلهبر ، فلا يرتاع الناس من ذلك ، فلما كان فى صبح ذلك اليوم ، أطلقوا مدافع كثيرة ساعة نبش القبر بالقرب من قصر العينى، وأخرجوا الصندوق الرصاص الموضوع فيه رمته ، ليأخذوه معهم إلى بلادهم .

وفيه[1] ، أرسلوا أوراقاً ورسلاً للاجتماع بالديوان ، وهو آخر الدواوين ، فاجتمع المشايخ والتجار ، وبعض الوجاقلية ، وإستوف الخازندار ، والوكيل والترجمان، فلما استقر بهم الجلوس أخرج الوكيل كتاباً مختوماً وأخبر أن ذلك الكتاب من سارى عسكر منو بعث به إلى مشايخ الديوان، ثم ناوله لرئيس الديوان ففضه وناوله للترجمان، فقرأه والحاضرون يسمعون .

وصورته : بعد البسملة والجلالة والصدر : « نخبركم أنا علمنا بكثرة الانبساط أنكم تهتدون بكثرة الحكمة والإنصاف فى الموضع الذى أنتم مستمرون فيه ، وإن لم تقدروا لتنظيم أهالى البلد بالهدى والطاعة الموجبة منه لحكومة الفرنساوى، فالله تعالى بسعادة رسوله الكريم عليه السلام الدائم، ينعم عليكم فى الدارين عواض خيراتكم، وأخبرنا المقدام الجسور، بونابارته المشهور، عن كل ما فعلتم حاكماً ونافعاً بوصايا لأجلكم سارة ، رضى واستراح لتلك الفعال الجيدة، وعرفنى أيضاً أنه عن قريب يرسل لكم بذاته جواب جميع مكاتيبكم إليه، فدمتم إلى الآن بخير الهدى، وبقوته تعالى نرى فضائلكم عن قريب، ونواجه سكان محروسة مصر كما هو مأمولنا ، لكن يسركم أن جمهور المنصور غلب فى أقاليم الروم جميع أعدائه، وبعون الله هادى كل شئ سيغلب كذلك العدا فى مصر، واعتمدوا بأكثر الاعتماد على الستويان جيرار ، هذا الذى وضعناه قربكم ، لإنه هو رجل مشهور بالعدل والاستقامة، ونوجه إلى هممكم النصيحة إلى زوجتنا الكريمة السيدة زبيدة وولدنا العزيز سليمان مراد ، أنّ كليهما حالا كائنان فى حصننا فى مصر، وتأسفنا جداً برحلة المرحوم مراد بيك فى انتقاله إلى البقاء ومعلوم فضائلكم أننا أرضينا بإنعام علوفة توجه على عمدة العفائف حضرة الست نفيسة خاتون ، لما جرت الحكومة الفرنساوية إلى أصدقائه وقولوا للقوم إن مأمنيتى ومرامى وإبرامى إلا تقيدى بيمنه وخيره ، واعتمدوا أيضاً إلى كل ما سيقول لكم الستويان إستيو المأمور بتدبير الأمور وكمال العوائد، والله تعالى ينعم عليكم وعلى عيالكم فى الأيام بالبشرى والإقبال، وحرر فى إحد عشر سيدور سنة تسعة من قيام دولة جمهور الفرنساوية ، الموافق لثامن عشر صفر»[2] وتحته الوحدة الغير المنقسمة بمضى عبد الله جاك منو بخطه وختمه ، ونقل بألفاظه وحروفه ، وهو

---

(١) ٢٤ صفر ١٢١٦ هـ / ٦ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) ١٨ صفر ١٢١٦ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠١ م .

من تراكيب لوماكا الترجمان ، وكأنه كتب قبل وصول خبر الصلح إلى الإسكندرية ، ثم أخذ الوكيل يقول : «إن الجنرال منو انسر بسلوككم حتى الآن ، وراحة البلد حظ الفقراء ، وأن الحكام القادمين لابد وأن يسلكوا معكم هذا الموضوع، ولابد من وصول مكاتيب بونابارته بعد أربعة أيام أو خمسة. وأنه لا ينسى أحبابه كما لا ينسى أعداءه»، ولو لم يكن له من الحسن إلا جعلكم وسايط لإغاثة الناس لكان كافياً ، وأنكم تعلمون أنه كان نظر إلى أحوال المارستان ومصالح المرضى، وكان قصده أن يبنى جامعاً، ولكن عاقه توجهه إلى الشام ، وذكر كثيراً من أمثال هذه الخرافات والتمويهات ، ثم أخرج ورقة بالفرنساوى وقرأها بنفسه حتى فرغ منها ، ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان رفاييل ومضمونها : « حصول الصلح وتمويهات وهلسيات ليس فى ذكرها فائدة » ، ولما انتهى من قراءتها أبرز أيضاً أستوف الخازندار ورقة وقرأها بالفرنساوى. ثم قرأ ترجمتها بالعربى الترجمان ، وهى فى معنى الأولى .

وصورتها : « خطاب محبة من حضرة أستوف مدبر الحدود العام فى مجلس الديوان العالى فى سبعة عشر سيدور سنة تسع من المشيخة الفرنساوية : «يا مشايخ ويا علماء وغيرهم ، أعلمكم أن ما على أنى أكلمكم فى أسباب خروجنا من الديار المصرية ، بل وظيفتى تدبير أمور السياسة فقط ، ومجيئى عندكم لأجل أن أعرفكم قدر ماهو من الصعوبة ، كل واحد منكم رأى المحبة والأخوة التى كانت موجودة ما بين الفرنساوية وما بين أهل الديار المصرية ، قد كان الجيش والأهل المذكورون مثل الرعية الواحدة ، واسم حضرة بونابارته القنصل الأول من جمهور الفرنساوية فى عز الكفالة عندكم وعندنا ، كم مرة يا مشايخ ويا علماء فقد تمت صحبتنا لأجل سيرة هذا الشجاع الأعظم المعان بقوة الله الذى عقله ماله مثيل، كان يستحق أنه يكون حاكماً عليكم دائماً عرفتمونى عن المحبة والشفقة الذى مضت منه لكم ، ومن وقت ما التزم بسبب التعب الذى حصل له فى بلده أن يتوجه إليه ، ما ضاع منكم العشم ، أن يترتب فى الديار المصرية التدبير العدل والمنافقة الذى كان وعدكم به وقت ما كان عندكم ، وصحيح يا مشايخ وعلماء أن حكم الفرنساوى كان يتم ما عاهدكم به الذى هو كبيرهم بونابارته دائماً ، رأى لكم فى الخير والمحبة إلى رعاية الديار المصرية لما لها نظير ، كم مرة كرر إلى حضرة سر عسكر منو أنه ينظر إليكم فى كامل الأمور بالخير، وكام نوبة حضرة منو المذكور أثبت أن الحكام والجيوش ما أمنوه أعطوه الأمان فى أحسن محل، وفى حكم سر عسكر منو صار أن كثرة الظلم والجور الذى كان مستقلينه الرعية قد أبطله ، والعدل الذى كان ممنوعاً عنكم فى الأحكام السابقة قد وصل إليكم بواسطته ، وأيضاً فى مدة حكمه ، رأيتم أن نقضى تحصيل الأموال

بالشفقة إلى الرعايا ، ولما كان التزم بسبب الحرب ، أنه يرتب تدبير فى تحصيل الأموال ، وهذا التدبير يكون فى حد العدل والخير لأهل الديار المصرية ، ونحن كنا صحبته فى تدبير هذا الشغل العمومى ، وأنتم تعرفون إن خير أو خراب الرعايا من تدبير مثل هذا، وكذلك حضرة سر عسكر منو قبل ما يتوجه إلى السفر بمدة، كان أمر بمسح الديار المصرية، وكان وكَّل لذلك مدبرين ونحن من جملتهم ، والمدبرون المذكورون كانوا بدأوا فى إتمام هذا الأمر الذى هو كنز لكامل الناس ، لكن كل ذلك ما كان يكفى له ، وكان صعبان عليه من أمور الفلت الذى يقع من العربان الذين حواليكم ، وأيضاً من الخوف الذى عندكم بسببهم ، وكان فى عقله أن يزيلهم من على وجه الأرض لأجل راحة الفلاحين ، ولأجل إتمام الخير والصلاح ، وكذلك مراده يا مشايخ ويا علماء أن يسَفّر فى هذه السنة الخج الشريف، ويفتح زيارة طنطا لأجل حفظ مقام السيد أحمد البدوى، ويظهر جميع ما تشهرونه . وكامل ما تمشون فيه من اللازم أنكم تعرفون جميع ما صدر لكم من الخيرات بواسطة حكم الفرنساوية هذا ، ورعاية الديار المصرية جربه بعض منهم ، وفى عشمى أنهم لم ينسوه أبداً، صحيح أن حكم الفرنساوى حقق الكل، والذى يعجب الأكثر إلى الرعايا بسبب ذلك ذات الفرنساوية، قتلوا فيه لأجل منع الظلم والتعب الذى كانوا فيه، والقرانات فى بلاد العرب خافوا أن رعاياهم يقبلون الحكم المذكور ، وبسبب ذلك ارتبطوا مع بعضهم لأجل ما يمنعوه منا لكن كل جهاتهم صارت بطالة ، وقد حاربونا حربا شديداً مدة عشر سنين متوالية، وفى جميع المطارح وقعت لهم الهزيمة، وحكمنا قد بقى محله، وكذلك هو الباقى دائماً أبدا فلا يحتاج أننا نعرفكم فى الذى تعرفوه ، ويكفينا الآن أننا نحقق لكم من عند حضرة القنصل الأول فى الجمهور الفرنساوى بونابارته ، ومن عند حضرة سر عسكر منو المحبة والشفقة الصادقة التى واقعة من الفرنساوية إلى الرعايا المصرية ، وهذه المحبة والعشم لم ينقطعا أبداً ، بسبب سفر جانب من الجيش ، وهلبت أن يصادف يوم أننا نرجع إلى عندكم لأجل تمام الخير الذى يصدر من حكم الفرنساوى، والذى ما أمكننا تتميمه ، فلا تتوهموا يا مشايخ وياعلماء أن فراقنا لم يقع إلا عن مدة ، وذلك محقق عندى ، ولابد أن دولتنا يربطون ثانياً فى مدة قريبة المحبة القديمة التى كانت بينهم وبينكم ، وهل بت أن دولة العثمانية لما تسير على الجرف الخالى الذى عمل لهم الإكليز ، يرون أن الفرنساوية فى طلب الديار المصرية ليس لهم إلا ربط زيادة محبة صحبتهم ، لأجل كسر نفس وطيش الإنكليز الذين مرادهم نهب جميع البحور ومتاجر الدنيا» انتهى ، وهو من تعريب أبى ديف وإنشاء أستوف بالفرنساوى ، ولما فرغوا من قراءته قيل له : «إن

الأمر لله والملك له الذى يمكن منه من شاء» ، وانفض الديوان ، وركب المشايخ وخرجوا للسلام على الوزير يوسف باشا الذى يقال له الصدر الأعظم ، والسلام على القادمين معه أيضاً من أعيان دولتهم والأمراء المصرية ، وكانوا عزموا على الذهاب فى الصباح فعوقوا لبعد الديوان، وأما الشيخ السادات فإنه خرج للسلام من أول النهار، وكتب لهم قائمقام أوراقاً للحرسجية لأنهم مستمرون على منع الناس من الدخول والخروج ، وأبواب البلد مغلقة ، وكان خروجهم من طريق بولاق ، فلما وصلوا إلي العرضى سلموا على إبراهيم بيك ، وتوجه معهم إلى الوزير، فلما وصلوا إلى الصيوان أمروهم برفع الطيلسان التى على أكتافهم ، وتقدموا للسلام عليه فلم يقم لقدومهم فجلسوا ساعة لطيفة وخرجوا من عنده ، وسلموا أيضاً على محمد باشا المعروف بأبى مرق، وعلى المحروقي والسيد عمر مكرم، وباتوا تلك الليلة بالعرضى، ثم عادوا إلى بيوتهم .

وفى ثانى يوم[1] عدوا إلى البر الغربى وسلموا على قبطان باشا ، ورجعوا إلى منازلهم .

وفيه[2] ، أرسل إبراهيم بيك أمانا لأكابر القبط فخرجوا أيضاً وسلموا ورجعوا إلى دورهم ، وأما يعقوب فإنه خرج بمتاعه وعازقه وعدى إلى الروضة ، وكذلك جمع إليه عسكر القبط وهرب الكثير منهم واختفى ، واجتمعت نساؤهم وأهلهم وذهبوا إلى قائمقام ، وبكوا وولولوا ، وترجوه فى أبقائهم عند عيالهم وأولادهم، فإنهم فقراء وأصحاب صنائع ما بين نجار وبناء وصائغ وغير ذلك ، فوعدهم أنه يرسل إلى يعقوب أنه لا يقهر منهم من لا يريد الذهاب والسفر معه .

وفيه[3] ، ذهب بيار قائمقام وصحبته ثلاثة أنفار من عظماء الفرنسيس إلى العرضى، وقابلوا الوزير ، فخلع عليهم وكساهم فراوى سمور ورجعوا .

وفى يوم الأربعاء تاسع عشره[4] ، خرج المسافرون مع الفرنساوية إلى الروضة والجيزة بمتاعهم وحريمهم ، وهم جماعة كثيرة من القبط ، وتجار الإفرنج والمترجمين وبعض المسلمين ممن تداخل معهم وخاف على نفسه بالتخلف، وكثير من نصارى الشوام ، والأروام مثل ينى وبرطلمين ويوسف الحموى وعبد العال الأغا أيضاً ، طلق زوجته وباع متاعه وفراشه وما ثقل عليه حمله من طقم وسلاح وغيره، فكان إذا باع أشياء يرسل خلف المشترى ويلزمه بإحضار ثمنه فى الحال قهراً ، ولم يصحب معه إلا ما خف حمله وغلا ثمنه .

---

(١) ٢٥ صفر ١٢١٦ هـ / ٧ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) ٢٥ صفر ١٢١٦ هـ / ٧ يوليه ١٨٠١ م .

(١) ٢٥ صفر ١٢١٦ هـ / ٧ يوليه ١٨٠١ م .

(٤) ١٩ صفر ١٢١٦ هـ / ١ يوليه ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، حضر وكيل الديوان إلى الديوان ، وأحضر جماعة من التجار ، وباع لهم فراش المجلس بثمن قدره ستة وثلاثون ألف فضة على ذمة السيد أحمد الزرو .

وفي ذلك اليوم، أيضاً فتحوا باب الجامع الأزهر وشرعوا في كنسه وتنظيفه ، وفي ذلك اليوم وما بعده دخل بعض الانجليز ومروا بأسواق المدينة يتفرجون وصحبتهم اثنان أو واحد من الفرنسيس يعرفونهم الطرق، وأشيع في ذلك اليوم ارتحال الفرنساوية ونزولهم من القلاع ، وتسليمهم الحصون من الغد وقت الزوال ، فلما أصبح يوم الخميس، ومضى وقت الزوال لم يحصل ذلك ، فاختلفت الروايات فمن الناس من يقول ينزلون يوم الجمعة ، ومنهم من يقول إنهم أخذوا مهلة ليوم الإثنين ، وبات الناس يسمعون لغط العساكر العثمانية وكلامهم ووطء نعالاتهم، فنظروا فإذا الفرنساوية خرجوا بأجمعهم ليلاً وأخلوا القلعة الكبيرة، وباقي القلاع والحصون والمتاريس ، وذهبوا إلى الجيزة والروضة وقصر العيني ، ولم يبق منهم شبح يلوح بالمدينة وبولاق ومصر العتيقة والأزبكية ، ففرح الناس كعادتهم بالقادمين ، وظنوا فيهم الخير ، وصاروا يتلقونهم ويسلمون عليهم ويباركون لقدومهم ، والنساء يلقلقن بألسنتهن من الطيقان وفي الأسواق وقام للناس جلبة وصياح ، وتجمع الصغار والأطفال كعادتهم ، ورفعوا أصواتهم بقولهم : «نصر الله السلطان» ونحو ذلك ، وهؤلاء الداخلون دخلوا من نقب الغريب المثقوب في السور ، وتسلقوا أيضاً من ناحية العطوف والقرافة ، وأما باب النصر والعدوى فهما على حالهما مغلوقان ، لم يأذنوا بفتحهما خوفاً من تزاحم العسكر ودخولهم المدينة دفعة واحدة ، فيقع فيهم الفشل والضرر بالناس ، وباب الفتوح مسدود بالبناء ، فلما تضحى النهار حضر قبي قول[2] ، وفتح باب النصر والعدوى وأجلس بهما جماعة من الينكجرية ، ودخل الكثير من العساكر مشاة وركبانا أجناساً مختلفة ودخلت بلوكات الينكجرية وطافوا بالأسواق ، ووضعوا نشاناتهم وزنكهم على القهاوي والحوانيت والحمامات ، فامتعض أهل الأسواق من ذلك ، وكثر الخبز واللحم والسمن والشيرج بالأسواق ، وتواجدت البضائع، وانحلت الأسعار وكثرت الفاكهة مثل: العنب والخوخ والبطيخ ، وتعاطى بيع غالبها الأتراك والأرنؤد ، فكانوا يتلقون من يجلبها من الفلاحين بالبحر والبر ويشترونها منهم بالأسعار الرخيصة يبيعونها على أهل المدينة وبولاق بأغلى الأثمان ، ووصلت مراكب من جهة بحرى ، وفيها البضائع الرومية واليميش من البندق واللوز والجوز والزبيب والتين والزيتون الرومي ، فلما كان قبل صلاة الجمعة، وإذا بجاويشية وعساكر وأغوات ، وتلا ذلك حضرة يوسف باشا الصدر فشق من

---

(١) قبي قول : تعني الحرس السلطاني ، وتطلق كذلك على الإنكشارية ، لأنهم أهم أصناف الحرس ، والمصريون كانوا يطلقون « قبي قول » على شخص واحد هو كتخدا الإنكشارية .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٦٥ .

وسط المدينة، وتوجه إلى المسجد الحسينى فصلى فيه الجمعة وزار المشهد الحسينى ، ودعاه حضرة الشيخ السادات إلى داره المجاورة للمشهد، فأجابه ، فدخل معه وجلس هنيهة، ثم ذهب إلى الجامع الأزهر فتفرج عليه وطاف بمقصورته وأروقته وجلس ساعة لطيفة، وأنعم على الكناسين والخدمة بدراهم، وكذلك خدمة المسجد الحسينى، ثم ركب راجعاً إلى وطاقه بناحية الحلى بشاطئ النيل، وعملوا فى ذلك الوقت شنكا وضربوا مدافع كثيرة من العرضى والقلعة، ودخل قلقات[1] الينكجرية ، وجلسوا برؤوس العطف والحارات، وكل طائفة عندها بيرق ونادوا بالأمان البيع والشراء وطلب أولئك القلقات من أهل الأخطاط المآكل والمشارب والقهوات والزموهم بذلك ، وانحاز الفرنساوية إلى جهة قصر العينى والروضة والجيزة إلى حد قلعة الناصرية وفم الخليج وعليها بنديراتهم[2] ، ووقف حرسهم عند حدهم يمنعون من يأوى إلى جهتهم من العثمانية ، فلا يمر العثمانى إلا إلى الجهة الموصلة إلى بولاق، وأما إذا كان من أهل البلد فيمر حيث أراد ، وفى مدة إقامة المشار إليه بساحل الحلى ببولاق، خرب عساكره ما قرب منهم من الأبنية والسواقى والمتريز الذى صنعه الفرنساوية من حد باب الحديد إلى البحر، وأخذوا ما بذلك من الأفلاق الكثيرة المتهدمة ، والأخشاب المنجرة المرصوصة فوق المتريز وتحته ، وفى الخندق ، فخربوا ذلك جميعه فى هذه المدة القليلة، وذلك لأجل وجود النار والمطابخ .

وفى يوم السبت[3]، دخل قبى قول وهو المسمى عند المصريين كتخدا الينكجرية ، وشق المدينة ، وأمر بمحونشانات الإنكشارية من الحوانيت ، ولم يترك إلا القهاوى .

واستهل شهر ربيع الأول بيوم الأحد سنة ١٢١٦[4]

فيه[5] ، ركب أغات الينكجرية الكبير العثملى ، وشق وخلفه سليم أغا المصرى، ودخل الكثير من العساكر والأجناد المصرية بمتاعهم وعازقهم وأحمالهم ، وطلبوا البيوت وسكنوها ، ودخل محمد باشا المعروف بأبى مرق الغزى ، وهو المرشح لولاية مصر، وسكن ببيت السهياتم بالقرب من مشهد الأستاذ الحنفى، وأرسل إلى المشايخ وكبار الحارات ، وطلب منهم التعريف عن البيوت الخالية بالأخطاط .

وفى يوم الثلاثاء ثالثه[6] ، حضر حسين باشا القبطان من الجيزة، ودخل المدينة ، وتوجه إلى المشهد الحسينى فزاره وذبح به خمس جواميس وسبعة كباش واقتسمتها خدمة الضريح ، وحلّق تاج المقام بأربعة شيلان كشميرى، وأخذ قياس المقام ليصنع له

---

(١) قلقات : انظر ، ص ١٧ ، حاشية رقم (٦) . (٢) بنديرات : انظر ، ص ٢ ، حاشية رقم (٥) .
(٣) غاية صفر ١٢١٦ هـ / ١١ يوليه ١٨٠١ م (٤) ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٢ يوليه - ١٠ أغسطس ١٨٠١ م .
(٥) ١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠١ م . (٦) ٣ ربيع الاول ١٢١٦ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠١ م .

سترا جديداً ، وفرق عليهم وعلى الفقراء نحو ألفى محبوب ذهب إسلامبولى ، وامتدحه صاحبنا العلامة أحد أدباء مصر وفضلائها فى العلوم الأدبية ، الشيخ على الشرنفاشى بقصيدة مطلعها :

بَدْرُ المسَرةِ بالمعَالى أمَّنَـــا والوقتُ مِن بعدِ المخَاوف أمنَـا

وهى طويلة يقول فى بيت التاريخ منها :

ولمصْرِنا نادى السُّرورُ مُؤرخاً صَدْرُ الكَمالِ حُسَينهُ شَرفُ الهنَا

وقدمها إليه وهو جالس للزيارة فأعطاه جائزة سنية، ثم ركب وعاد إلى مُخَيمه بالجيزة .

وفى ذلك اليوم[1] ، وقعت حادثة ، وهو أن شخصاً من العسكر بالجماليَّة شرب من العرقسوسى شربة عرقسوس ، ولم يدفع له ثمنها فكلم العرقسوسى القلق الإنكشارى ، فأحضره وأمره بدفع ثمنها ونهره وأراد ضربه، فاستل ذلك العسكرى الطبنجة وضرب ذلك الحاكم فقتله ، وهرب إلى حارة الجوانية[2] ، ودخل إلى دار وامتنع فيها ، وصار يضرب بالرصاص على كل من قصده فقتل خمسة أنفار، ومر شخصان من الأرنؤد بتلك الخطة فقتلهما الإنكشارية ، لكون الغريم أرنؤدياً من جنسهما، فلما أعياهم أمره حرقوا عليه الدار فخرج هارباً من النار ، فقبضوا عليه وقتلوه ، ومات تسعة أشخاص فى شربة عرقسوس .

ووقع فى ذلك اليوم أيضاً ، أن شخصين من القليونجية[3] ، دخلا إلى دار رجل نصرانى فأخذا من بيته بقجتين من الثياب وخرجا ، فوجدا شخصين مارين من الفلاحين فسخراهما فى حمل البقجتين ، فخرج النصرانى وشكا إلى القلق ، فأمر بالقبض على الشخصين العسكريين فتخلصا وهربا بعد أن انجرح أحدهما ، وأخذوا الشخصين المسخرين فقطعوا رؤوسهما ظلماً وعدواناً ، وذلك من مبادئ قبائحهم .

وفى يوم الأربعاء رابعه[4] ، ارتحل الفرنساوية وأخلوا قصر العينى والروضة والجيزة، وانحدروا إلى بحرى الوراريق ، وارتحل معهم قبطان باشا ومعظم الإنكليز ، ونحو الخمسة آلاف من عسكر الأرنؤد ، ومن الأمراء المصرية عثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وأحمد بيك الكلارجى ، وأحمد بيك حسن ، فكانت مدة الفرنساوية وتحكمهم بالديار المصرية ثلاث سنوات واحدا وعشرين يوماً ، فإنهم

---

(١) ٣ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٤ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) حارة الجوانية : انظر، ص ٣٥، حاشية رقم (٦) .

(٣) القليونجية : انظر ، ص٣ ، حاشية رقم (٢) .

(٤) ٤ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٥ يوليه ١٨٠١ م .

ملكوا برإنبابة والجيزة ، وكسروا الأمراء المصرية يوم السبت تاسع شهر صفر سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف[1] ، وكان انتقالهم ونزولهم من القلاع وخلوا المدينة منهم وانخلاعهم عن التصرف والتحكم ليلة الجمعة الحادى والعشرين من شهر صفر سنة ست عشرة ومائتين وألف[2] ، فسبحان من لا يزول ملكه ولا يتحول سلطانه .

وفى ذلك اليوم[3] ، حضر السيد عمر أفندى نقيب الأشراف ، وصحبته السيد أحمد المحروقى شاهبندر التجار بمصر وعليهما خلعتا سمور وتوجها إلى دورهما .

وفيه[4] ، نبهوا على موكب حضرة الوزير يوسف باشا من الغد ، فلما أصبح يوم الخميس خامسه[5] ، اجتمع الناس من جميع الطوائف وسائر الأجناس ، وهرع الناس للفرجة ، وخرجت البنت من خدرها ، واكتروا الدور المطلة على الشارع بأغلى الأثمان ، وجلس الناس على السقائف والحوانيت صفوفاً، وانجر الموكب من أول النهار إلى قريب الظهر، ودخل من باب النصر ، وشق من وسط المدينة، وأمامه العساكر المختلفة من الأرنؤد وأرط الينكجرية والعساكر الشامية ، والأمراء المصرلية والمغاربة والقليونجية وطاهر باشا باشة الأرنؤد ، وإبراهيم باشا والى حلب ومحمد باشا والى مصر ، والكتبة ورئيس الكتاب ، وكتخدا الدولة والأغوات الكبار بالطبول والتقرزانات، وقاضى العسكر ونواب القضاء ، والعلماء المصرية ، ومشايخ التكايا والدراويش ، وأقبل المشار إليه ، وأمامه الملازمون بالبراقع والجاويشية والسعاة والجوخدارية، وعليه كرك صوف سنجابى مطرز مخيش، وعلى رأسه شلج[6] بفصوص الماس، وخلفه اثنان عن يمينه وشماله ، ينثرون دراهم الفضة البيضاء ضربخانة إسلامبول على المتفرجين من النساء والرجال ، وخلفه أيضاً العدة الوافرة من أكابر أتباعه ، وبعدهم الكثير من عسكر الأرنؤد وموكب الخازندار، وخلفه النوبة التركية المختصة به، ثم المدافع وعربات الجبخانات وعملوا وقت الموكب شنكا ضربوا فيه مدافع كثيرة ، فكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً، وموسماً وبهجة وعيدا، عمت المسلمين فيه المسرات، ونزلت فى قلوب الكافرين الحسرات، ودقت البشائر، وقرت النواظر، وأمروا بوقود المنارات سبع ليال متواليات، فلله الحمد والمنة على هذه النعمة، ونرجو من فضله أن يصلح فساد القلوب، ويوفق أولى الأمر للخير والعدل المطلوب، ويلهمهم سلوك سواء السبيل القويم ، ويهديهم إلى الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين آمين، وممن قدم بصحبة

---

(١) ٩ صفر ١٢١٣ هـ / ٢٠ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) ٢١ صفر ١٢١٦ هـ / ٣ يوليه ١٨٠١ م .

(٣) ٤ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٥ يوليو ١٨٠١ م .

(٤) ٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٦ يوليو ١٨٠١ م

(٥) ٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٦ يوليو ١٨٠١ م .

(٦) شلج : من التركية « تجلنك » ، وهى حلية للرأس مرصعة بالأحجار الكريمة ونوع من الشراريب أو الريش يكافأ به المحاربون .

ركاب المشار إليه من أكـابر دولتهم : إبراهيم باشا والى حلب ، وإبـراهيم باشا شيخ أوغلى ، ومـحمد باشـا المعروف بأبى مـرق ، وخليل أفنـدى الرجائى الـدفتردار ، ومحمود أفندى رئيس الكتاب ، وشريـف أغا نزله أمين ، ومحمد أغا جبجى[1] باشا الشهير بطوسون ، ووقع الاختيار بأن يكون سـكن المشار إليه ببيت رشوان بيك بحارة عابدين تجاه بيت عبد الرحمن كتخدا القازدغلى .

وفي يوم الجمعة[2] نودى بإبطال كـلف القلقات ، وإبطال شرك الـعسكر لأرباب الحرف ، إلا من شارك برضاه وسماحة نفسه ، فلم يمتثلوا لذلك واستمر أكثرهم على الطلب من الناس .

وفى يوم الأحد[3] نودى بأن لا أحد يتعرض بالأذيـة لنصرانى ولا يهودى ، سواء كان قبطياً أو روميـاً أو شامياً ، فإنهم من رعايا السلطان والمـاضى لا يعاد ، والعجب أن بعض نصارى الأروام الذين كانـوا بعسكر الفرنسيس تزيوا بزى العثـمانية وتسلحوا بالأسلـحة واليطقـانات ، ودخلوا فـى ضمنهم وشـمخوا بآنافـهم وتعرضـوا بالأذية للمسلمـين فى الطرقات بالضرب والسب بالـلغة التركية ، ويقولون فـى ضمن سبهم للمسلم فرنسيس كافر ، ولا يميزهم إلا الفطن الحاذق أو يكون له بهم معرفة سابقة .

وفيه[4] ، أرسلوا هـجاناً إلى الحـجاز ومعه فرمـان بخبر الـفتح والنـصر وارتحال الفرنساوية من أرض مصر ، ودخول العثمانية ومكاتبات من التجار لشركائهم بإرسال المتاجر إلى مصر .

وفيه[5] ، أرسلوا فرمانات أيـضاً إلى الأقاليم المصرية والقـرى بعدم دفع المال إلى الملتزمين، ولا يدفعون شيئاً إلا بفرمان من الوزير .

وفى يوم الإثنين[6] قتلوا شـخصاً بالرميلة يـسمى حجاجاً، كان متـولى الأحكام ببولاق أيام الفرنسيس، وجار وعسف وقتل معه آخر يقال إنه أخوه .

وفيه[7] ، ركب الوزير بثيـاب التخفيف وشق المدينة، وتـأمل فى الأسواق ، وأمر بمنع العـسكر مـن الجـلوس على حوانيـت الباعة وأرباب الصـنائع ومشاركتـهم فى أرزاقهم ، ثم توجه إلى المشهد الحسينى فزاره ، ثم عبر إلى دار السـيد أحمد المحروقى وشرفه بدخوله إليه، فجلس ساعة ، ثم ركب وأعطى أتباعه عشرين ديناراً ، وذكر له أنه إنما قصد بـحضوره إليه تشريفه وتشـريف أقرانه، وتكون له منقبـة وذلك على ممر

---

(١) جبجى : صفة تطلق على صانع الأسلحة والقائم على حفظها .

(٢) ٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٧ يوليه ١٨٠١ م .

(٣) ٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠١ م .

(٤) ٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠١ م .

(٥) ٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٩ يوليه ١٨٠١ م .

(٦) ٩ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٠ يوليه ١٨٠١ م .

(٧) ٩ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٠ يوليه ١٨٠١ م .

الأزمان، وأما العسكر فلم يمتثلوا ذلك الأمر إلا أياماً قليلة ، ووقع بسبب ذلك شكاوى ومشاكلات ومرافعات عند العظماء .

وفى يوم الثلاثاء[1] وصل قاصد من دار السلطنة وعلى يده شال شريف من حضرة الهنكار السلطان سليم خان ، خطابا لحضرة الوزير ، ومعه خنجر مرصع بفصوص الماس ، وهو جواب عن رسالته بدخوله بلبيس .

وفيه[2] ، نودى بتزيين الأسواق من الغد تعظيماً ليوم المولد النبوى الشريف ، فلما أصبح يوم الأربعاء[3] كررت المناداة والأمر بالكنس والرش فحصل الاعتناء وبذل الناس جهدهم وزينوا حوانيتهم بالشقق الحرير[4] والزردخان[5] ، والتفاصيل الهندية مع تخوفهم من العسكر ، وركب المشار إليه عصر ذلك اليوم وشق المدينة وشاهد الشوارع ، وعند المساء أوقد المصابيح والشموع ومنارات المساجد ، وحصل الجمع بتكية الكاشنى[6] ، على العادة وتردد الناس ليلاً للفرجة، وعملوا مغانى ومزامير فى عدة جهات وقراءة قرآن وضجت الصغار فى الأسواق، وعم ذلك سائر أخطاط المدينة العامرة ، ومصر ، وبولاق ، وكان من المعتاد القديم أن لا يعتنى بذلك إلا بجهة الأزبكية، حيث سكن الشيخ البكرى لأن عمل المولد من وظائفه، وبولاق فقط.

وفى يوم الخميس ثانى عشره[7] ، سافر سليمان أغا وكيل دار السعادة وصحبته عدة هجانة إلى ناحية الشام، لإحضار المحمل الشريف، وحريمات الأمراء إلى مصر .

وفيه[8] ، افتتحوا ديوان مزاد الأعشار والمكوس وذلك ببيت الدفتردار وله الأمر من قبل ومن بعد .

وفيه[9] ، حضر اليسرجى[10] الذى جلب مملوك الشيخ البكرى الذى تقدم ذكره إلى بيت القاضى، وأحضروا الشيخ خليل البكرى وادعى عليه أنه قهره فى أخذ المملوك بالفرنسيس، وأخذه منه بدون القيمة ، وأنه كان أحضره على ذمة مراد بيك ، وطال بينهما النزاع وآل الأمر بينهما إلى انتزاع المملوك من المذكور، وقد كان أعتقه وعقد له على ابنته، فأبطلوا العتق ، وفسخوا النكاح ، وأخذ المملوك عثمان بيك الطنبرجى المرادى ، ودفع للشيخ دراهمه وللجلابه باقى الثمن وتجرع فراقه .

---

(١) ١٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠١ م . (٢) ١٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢١ يوليه ١٨٠١ م .
(٣) ١١ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٢ يوليه ١٨٠١ م . (٤) الشقق الحرير : أى قطع الحرير .
(٥) الزردخان : أى القماش المطرز .
(٦) تكية الكلشنى : أنشأها الشيخ إبراهيم الجلشنى سنة ٨٩٠ هـ / ١٤٨٥ م ، وجعل بها بيوتا للصوفية ومحلا للصلاة والأذكار ولما توفى دفن تحتها .
زكى ، عبد الرحمن : المرجع السابق : ص ٥١
(٧) ١٢ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٨٠١ م . (٨) ١٢ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٨٠١ م .
(٩) ١٢ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٣ يوليه ١٨٠١ م . (١٠) اليسرجى : تاجر الرقيق الأبيض .

وفي يوم الجمعة[1] ، ركب الوزير وحضر إلى الجامع الأزهر، وصلى به الجمعة، وخلع على الخطيب فرجية صوف ، وفي ذلك اليوم احترق جامع قايتباى[2] الكائن بالروضة المعروف بجامع السيوطي ، والسبب في ذلك أن الفرنسيس، كانوا يصنعون البارود بالجنينة المجاورة للجامع ، فجعلوا ذلك الجامع مخزناً لما يصنعوه ، فبقى ذلك بالمسجد ، وذهب الفرنسيس وتركوه كما هو ، وجانب كبريت فى أنخاخ أيضاً ، فدخل رجل فلاح ومعه غلام وبيده قصبة يشرب بها الدخان ، وكأنه فتح ماعونا من ظروف البارود ليأخذ منه شيئاً ، ونسى المسكين القصبة بيده، فأصابت البارود فاشتعل جميعه ، وخرج له صوت هائل ، ودخان عظيم ، واحترق المسجد ، واستمرت النار في سقفه بطول النهار، واحترق الرجل والغلام .

وفي يوم الأحد خامس عشره[3] ، أشيع بأنه كتب فرمان على النصارى ، أنهم لا يلبسون الملونات، ويقتصرون على لبس الأزرق والأسود فقط، فبمجرد الإشاعة وسماع ذلك، ترصد جماعة القلقات[4] لمن يمر عليهم من النصارى ، ومن يجدوه بثياب ملونة يأخذوا طربوشه ومداسه الأحمر، ويتركوا له الطاقية والشد الأزرق، وليس القصد من أولئك القلقات الانتصار للدين ، بل استغنام السلب وأخذ الثياب ، ثم إن النصارى صرخوا إلى عظمائهم، فأنهوا شكواهم ، فنودى بعدم التعرض لهم ، وأن كل فريق يمشى على طريقته المعتادة .

وفي يوم الإثنين[5] طلب الوزير من التجار مائة كيس وعشرة أكياس سلفة من عشور البهار ، وألزمهم بإحضارها من الغد ، فاجتمع المستعدون لجمع الفردة في أيام الفرنساوية كالسيد أحمد الزرو ، وكاتب البهار ، وأرادوا توزيعها على المحترفين كعادتهم ، فاجتمع أرباب الحرف الدنية ، وذهبوا إلى بيت الوزير والدفتردار واستغاثوا وبكوا ، فرفعوا عنهم الطلب ، وألزموا بها المياسير .

وفيه[6] ، قلدوا محمد أغا تابع قاسم بيك موسقو الإبراهيمى، وجعلوه والياً عوضاً عن علي أغا الشعراوى .

---

(١) ١٣ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٤ يوليه ١٨٠١ م .

(٢) جامع قايتباى : هذا الجامع بمنيل الروضة، كان يعرف بجامع الفخر، ثم عرف بجامع المقس، جدده الملك الأشرف قايتباى، وعرف به، وعمله أولاً برسم مدرسة، وهو مبنى بالحجر الآلة ، ويشتمل على إيوانين كبيرين وآخرين صغيرين، واحترق في زمن الحملة الفرنسية كما في النص. مبارك ، على : المرجع السابق، ط ٢، جـ ٥، ص ١٦٢-١٦٣ .

(٣) ١٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٦ يوليه ١٨٠١ م .

(٤) القلقات : جمع قلق . انظر ، ص ١٧ ، حاشية رقم (٦) .

(٥) ١٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠١ م . (٦) ١٦ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٢٧ يوليه ١٨٠١ م .

وفى ثامن عشرينه[1] الموافق لثالث مسرى القبطى كان وفاء النيل المبارك، وركب محمد باشا المعروف بأبى مرق المرشح لولاية مصر فى صبحها إلى قنطرة السد، وكسروا جسر الخليج بحضرته، وفرق العوائد وخلع الخلع، ونثر الذهب والفضة .

وفيه[2] ، عزل الوزير القاضى ، وهو قاضى العرضى الذى كان ولاه الوزير قاضى العسكر بمصر ، نائباً عمن يؤل إليه القضاء بإسلامبول ، فلما تولى ذلك، حصل منه تعنت فى الأحكام ، وطمع فاحش ، وضيق على نواب القضاء بالمحاكم ومنعهم من سماع الدعاوى، ولم يجرهم على عوائدهم ، وأراد أن يفتح باباً فى الأملاك والعقار ، ويقول : « إنها صارت كلها ملكاً للسلطان ، لأن مصر قد ملكها الحربيون ، وبفتحها صارت ملكاً للسلطان، فيحتاج أن أربابها يشترونها من الميرى ثانياً» ووقع بينه وبين الفقهاء المصرية مباحثات ومناقشات وفتاوى وظهروا عليه، ثم تحامل عليه بعض أهل الدولة وشكوه إلى الوزير فعزله، وقلد مكانه قدسى أفندى نقيب الأشراف بحلب سابقاً ، ونقل المعزول متاعه من المحكمة ، فكانت مدة ولايته خمسة عشر يوماً .

وفى ذلك اليوم[3] ، أيضاً خلع الوزير على الأمير محمد بيك الألفى فروة سمور ، وقلده إمارة الصعيد ، وليرسل المال والغلال ، ويضبط مواريث من مات بالصعيد بالطاعون، فبرز خيامه من يومه إلى ناحية الآثار، وأسكن داره بالأزبكية رئيس أفندى.

وفى يوم الجمعة[4] ، حضر الوزير إلى الجامع المؤيد[5] وصلى به الجمعة .

وفيه[6] ، قبضوا على عرفة بن المسيرى ، وحبس بيبت الوزير بسبب أخيه إبراهيم كان شيخ مرجوش، وتقيد بقبض فردة الفرنسيس ، ثم ذهب إلى المحلة ، وتوفى بها فغمزوا على أخيه عرفة المذكور وقبضوا عليه وحبسوه ، وأرسلوا فرماناً إلى المحلة بضبط ماله وما يتعلق به وبأخيه عند شركائهما، ثم نهبوا بيت المذكور .

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرينه[7] طلبت ابنة الشيخ البكرى، وكانت ممن تبرج مع الفرنسيس بمعينين من طرف الوزير ، فحضروا إلى دار أمها بالجودرية بعد المغرب، وأحضروها ووالدها فسألوها عما كانت تفعله ، فقالت : «إنى تبت من ذلك»، فقالوا لوالدها : «ما تقول أنت»، فقال : «أقول إنى برئ منها فكسروا رقبتها»، وكذلك المرأة التى تسمى هوى التى كانت تزوجت نقولا القبطان، ثم أقامت بالقلعة، وهربت

---

(1) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٨ اغسطس ١٨٠١ م . (2) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٨ اغسطس ١٨٠١ م .
(3) ٢٨ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٨ اغسطس ١٨٠١ م . (4) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٣١ يوليه ١٨٠١ م .
(5) جامع المؤيد : انظر ، جـ ١ ، ص ٤٥ ، حاشية رقم (٣) .
(6) ٢٠ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٣١ يوليه ١٨٠١ م . (7) ٢٤ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٤ اغسطس ١٨٠١ م .

بمتاعها وطلبها الفرنساوية، وفتش عليها عبد العال ، وهجم بسببها عدة أماكن كما تقدم ذكر ذلك ، فلما دخل المسلمون وحضر زوجها مع من حضر ، وهو إسماعيل كاشف المعروف بالشامي أمنها وطمنها، وأقامت معه أياماً فاستأذن الوزير فى قتلها فأذنه فخنقها فى ذلك اليوم ومعها جاريتها البيضاء أم ولده، وقتلوا أيضاً امرأتين من أشباههن .

وفى يوم الأربعاء[1] ، أرسلوا طائفة معينين من طرف محمد باشا أبى مرق إلى أخى الشواربى شيخ قليوب ، فأحضروه على غير صورة ماشياً مكتوفاً مسحوباً مضروباً من قليوب إلى مصر، فحبسوه ببيت الوزير ، ثم أحضر أخوه وصالح عليه بعشرة أكياس قام بدفعها وأطلق، قيل إن السبب فى ذلك أن جماعة من أتباع محمد باشا ذهبوا إلى قليوب، وطلبوا تبنا فطردهم وشتمهم وردهم من غير شئ ، وقيل إن ذلك بإغراء ابن المحروقى لضغين بينه وبينه قديم .

وفى آخره[2] ، تحرر ديوان العشور فكان المتحصل ستة عشر ألف كيس .

وفيه[3] ، تشاجر طائفة من الينكجرية مع طائفة من الإنكليز بالجيزة ، وقتل بينهما أشخاص فنودى على الينكجرية، ومنعوا من التعدى إلى بر الجيزة .

وفيه[4] ، كثر اشتغال طائفة العسكر بالبيع والشراء فى أصناف المأكولات ، وتسلطوا على الناس بطلب الكلف ، ورتبوا على السوقة وأرباب الحوانيت دراهم يأخذونها منهم فى كل يوم ، ويأخذون من الخابز الخبز من غير ثمن، وكذلك يشربون القهوة من القهاوى ، ويحتكرون ما يريدون من الأصناف ويبيعونها بأغلى الأثمان، ولا يسرى عليهم حكم المحتسب وكذلك تسلطوا على الناس بالأذية بأدنى سبب ، وتعرضوا للسكان فى منازلهم ، فتأتى منهم الطائفة ويدخلون الدار ويأمرون أهلها بالخروج منها ليسكنوها فإن لاطفهم الساكن وأعطاهم دراهم ذهبوا عنه وتركوه، وإن عاند سبوه وضربوه ولو عظيماً ، وإن شكا إلى كبيرهم قوبل بالتبكيت، ويقال له : «ألاّ تفسحون لإخوانكم المجاهدين الذين حاربوا عنكم وأنقذوكم من الكفار الذين كانوا يسومونكم سوء العذاب، ويأخذون أموالكم، ويفجرون بنسائكم وينهبون بيوتكم ، وهم ضيوفكم أياماً قليلة»، فما يسع المسكين إلا أن يكلفهم بما قدر عليه ، وإن أسعفته العناية وانصرفوا عنه بأى وجه فيأتى إليه خلافهم ، وإن سكنوا داراً أخربوها ، وأما القلقات والينكجرية الذين تقيدوا بحارات النصارى، فإنهم كلفوهم

(١) ٢٥ ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ٥ أغسطس ١٨٠١ م .(٢) آخر ربيع الأول ١٢١٦ هـ / ١٠ أغسطس ١٨٠١م
(٣) آخر ربيع الأول ١٢١٦ هـ/ ١٠ أغسطس ١٨٠١ م (٤) آخر ربيع الأول ١٢١٦ هـ/ ١٠ أغسطس ١٨٠١ م

أضعاف ما كلفوا به المسلمين ، ويطلبون منهم بعد كلف المآكل واللوازم مصروف الجيب وأجرة الحمام وغير ذلك ، وتسلطت عليهم المسلمون بالدعاوى والشكاوى على أيدى أولئك القلقات ، فيخلصون منهم ما لزمهم بأدنى شبهة، ولا يعطون المدعى إلا القليل من ذلك ، والمدعى يكتفى بما حصل له من التشفى والظفر بعدوه، وإذا تداعى شخص على شخص أو امرأة مع زوجها ذهب معهم أتباع القلق إلى المحكمة إن كانت الدعوى شرعية، فإذا تمت الدعوى أخذ القاضى محصوله، ويأخذ مثله أتباع القلق على قدر تحمل الدعوى .

واستهل شهر ربيع الثانى بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٦[١]

فيه[٢] ، أفرج عن عرفة بن المسيرى، وصولح عليه بخمسة عشر كيساً، وكتب له فرمان برد منهوباته، وعدم التعرض لتعلقاته بالمحلة .

وفى يوم الأربعاء ثانيه[٣] ، أمر الوزير الوجاقلية بلبس القواويق على عادتهم القديمة فأخبروا إبراهيم بيك ، فقال : «الأمر عام لنا ولكم أولكم فقط ؟»، فقالوا : «لاندرى»، فسأل إبراهيم بيك الوزير المشار إليه، فقال له : «بل ذلك عام»، فما كان يوم الجمعة حادى عشره[٤] ، لبس الوجاقلية والأمراء المصرية زيهم من القواويق المختلفة الأشكال على عادتهم القديمة حسب الأمر بذلك، وكذلك الأمراء الصناجق، وحضروا فى يوم الجمعة بديوان الوزير ، ونظر إليهم وأعجب بهيئاتهم واستحسن زيهم ودعا لهم وأثنى عليهم ، وأمرهم أن يستمروا على هيئتهم ، وذلك على ماهم فيه من التفليس وغالبهم لا يملك عشاء ليلته فضلاً عن كونه يقتنى حصاناً وشنشارا وخدماً ولوازم لابد منها ، ولا غنى للمظهر عنها .

وفيه[٥] ، حضرت جماعة من عسكر القبط الذين كانوا ذهبوا بصحبة الفرنساوية فتخلفوا عنهم ورجعوا إلى مصر .

وفيه[٦] ، أرسلوا تنابيه للملتزمين بطلب بواقى مال سنة ثلاث عشرة[٧] وأربع عشرة[٨] فاعتذروا بأنهم ممنوعون من التصرف ، فمن أين يدفعون البواقى .

وفى يوم الخميس[٩]، نبهوا على العساكر المتداخلة فى الينكجرية وغيرهم بالسفر.

---

(١) ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١١ أغسطس - ٨ سبتمبر ١٨٠١ م .

(٢) ١ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١١ اغسطس ١٨٠١ م . (٣) ٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠١ م .

(٤) ١١ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢١ اغسطس ١٨٠١ م .(٥) ٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠١ م .

(٦) ٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٢ اغسطس ١٨٠١ م . (٧) ١٢١٣ هـ / ١٥ يونيه ١٧٩٨ - ٤ يونيه ١٧٩٩ م .

(٨) ١٢١٤ هـ / ٥ يونيه ١٧٩٩ - ٢٤ مايو ١٨٠٠ م . (٩) ٣ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٣ اغسطس ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، كتبت فرمانات باللغة العربية بترصيف صاحبنا العلامة السيد إسماعيل الوهبى المعروف بالخشاب ، وأرسلت إلى البلاد الشرقية والمنوفية والغربية، مضمونها : « الكف عن أذية النصارى واليهود أهل الذمة ، وعدم التعرض لهم ، وفى ضمنه آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، والاعتذار بأن الحامل لهم على تداخلهم مع الفرنساوية صيانة أعراضهم وأموالهم » .

وفى يوم الجمعة[2] ، أحضروا رمة زوجة إبراهيم بيك ، وعملوا لها قبرا بجانب أخيها محمد بيك أبى الذهب بمدرسته المقابلة للجامع الأزهر ودفنوها به .

وفى يوم السبت خامسه[3] ورد الخبر بوفاة أحمد بيك حسن أحد الأمراء الذين توجهوا صحبة حسين باشا القبطان، والفرنساوية، وكان القبطان وجهه إلى عرب الهنادى الذين يحملون الميرة إلى الفرنسيس المحصورين بسكندرية ، وضم إليه عدة من العسكر فحاربهم وقاتلهم عدة مرار، فأصابته رصاصة دخلت فى جوفه، فرجع إلى مخيمه ومات من ليلته، وكان يضاهى سيده فى الشجاعة والفروسية .

وفيه[4] ، أطلقوا للملتزمين التصرف فى سنة خمس عشرة[5] ، ليقضوا مالهم وما عليهم من البواقى ومال الميرى والمضاف[6] ، ويدفعوا جميع ذلك إلى الخزينة بأوراق مختومة من إبراهيم بيك وعثمان بيك ، والقصد من ذلك اطمئنانهم بالجباية والرجاء بالتصرف فى المستقبل ، ووعدهم بذلك سنة تاريخه[7] ، بعد دفعهم الحلوان مع أن الفرنساوية لما استقر أمرهم بمصر، ونظروا فى الأموال الميرية والخراج، فوجدوا ولاة الأمور يقبضون سنة معجلة ، ونظروا فى الدفاتر القديمة ، واطلعوا على العوائد السالفة ، ورأوا أن ذلك كان يقبض أثلاثا مع المراعاة فى رى الأراضى وعدمه ، فاختاروا الأصلح فى أسباب العمار، وقالوا : «ليس من الإنصاف المطالبة بالخراج قبل الزراعة بسنة » وأهملوا وتركوا سنة خمس عشرة[8] فلم يطالبوا الملتزمين بالأموال الأميرية ولا الفلاحين بالخراج ، فتنفست الفلاحون وراج حالهم ، وتراجعت أرواحهم مع عدم تكليفهم كثرة المغارم ، والكلف وحق طرق المعينين ونحو ذلك .

وفى يوم الثلاثاء ثامنه[9] وصلت قافلة شامية ، وبها بضائع وصابون ودخان وحضر السيد بدر الدين المقدسى ، والحاج سعودى الحناوى وآخرون ، وتراجع سعر الصابون والقناديل الخليلى والدخان .

---

(١) ٣ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٣ أغسطس ١٨٠١ م . (٢) ٤ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٤ أغسطس ١٨٠١ م .
(٣) ٥ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٥ أغسطس ١٨٠١ م . (٤) ٥ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٥ أغسطس ١٨٠١ م .
(٥) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .(٦) المضاف : انظر جـ ١ ، ص ، حاشية رقم ( ) .
(٧) ١٢١٦ هـ / ١٤ مايو ١٨٠١ - ٣ مايو ١٨٠٢ م . (٨) ١٢١٥ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠ - ١٣ مايو ١٨٠١ م .
(٩) ٨ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١٨ أغسطس ١٨٠١ م .

وفيه [1] ،ورد الخبر بسفر الفرنساوية ونزولهم المراكب من ساحل أبي قير .

وفي يوم الأحد[2] حبس حسن أغا محرم المنفصل عن الحسبة ، وطولب بمائتي كيس، وذلك معتاد الحسبة في الثلاث سنوات التي تولاها أيام الفرنساوية ، فإنه لما تقلد أمر الحسبة في أيامهم ، منعوه من أخذ العوائد والمشاهرات من السوقة، وجعلوا له مرتباً في كل يوم يأخذه من الأموال الديوانية نظير خدمته وكذلك أتباعه وطالبوه أيضاً بأربعة آلاف غرش، كان أعطاها له نزله أمين عند حضورهم في العام الماضي ، لمشتروات الذخيرة ، ثم نقض الصلح عقيب ذلك، وخرجوا من مصر ، وبقيت بذمته فأخبر أن الفرنساوية علموا بها وأخذوها منه وأعطوه ورقة بوصول ذلك إليهم ، فلم يقبلوا منه ذلك، وبقي معتقلاً وادعوا عليه أيضاً بتركة الأغا الذي كان نزيله ، ومات عنده ، واحتوى على موجوده فأخبر أيضاً أن الفرنسيس أخذوا منه ذلك أيضاً ، وأعطوه سنداً ، فلم يقبلوا منه ذلك ، واستمر محبوساً .

وفي يوم الإثنين رابع عشره[3] ، نودي على أن أهل البلده لا يصاهرون العساكر العثمانية ولا يزوجونهم النساء، وكان هذا الأمر كثر بينهم وبين أهل البلد ، وأكثرهم النساء اللاتي دُرْنَ مع الفرنساوية، ولما حضر العثمانية تحجبن وتنقبن وتوسط لهن أشباههن من الرجال والنساء وحسنوهن للطلاب ورغبوا فيهن الخطاب، فأمهروهن المهور الغالية وأنزلوهن المناصب العالية، وفي ذلك اليوم أيضاً نودي على أهل الذمة بالأمن والأمان ، وأن المطلوب منهم جزية أربع سنوات .

وفيه[4] ، قبض على جربجي موسى الجيزاوي وعمل عليه عشرون كيساً .

وفيه[5] ، قبض محمد باشا أبو مرق على مقدمه مصطفى الطاراتي وضربه علقة وحبسه وألزمه بمبلغ دراهم .

وفيه[6] ، سافر الإنكليزية الذين بالجيزة والروضة إلى جهة الإسكندرية ، وأشيع أن الحرب قائم بين العساكر والفرنسيس الإسكندرانية من يوم الإثنين سابعه[7] ، فطلبوا المراكب حتى شح وجودها ، وضاق الحال بالمسافرين ، واستمر طلبهم ونزولهم عدة أيام ، وكذلك نبهوا على الكثير من العساكر الإسلامية بالسفر .

وفي يوم الخميس[8] ،نقضت الأوامر بتصرف الملتزمين في البلاد، وقيدت صيارف من نصارى القبط بالنزول إلى البلاد ، لقبض الأموال في غير أوانها لطرف الدولة .

---

(1) ٨ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ١٨ أغسطس ١٨٠١ م . (2) ١٣ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٣ أغسطس ١٨٠١ م .
(3) ١٤ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨٠١ م (4) ١٤ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨٠١ م .
(5) ١٤ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨٠١ م (6) ١٤ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٤ أغسطس ١٨٠١ م .
(7) ٧ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ١٧ أغسطس ١٨٠١ م (8) ١٧ ربيع الثاني ١٢١٦ هـ / ٢٧ أغسطس ١٨٠١ م

وفي يوم الجمعة ثامن عشره[1] ، لبس الأمراء الكبار القواويق على رؤوسهم .

وفيه[2] ، قبض مـــن مصطفى الطاراتي المعتقل المتقدم ذكره خمسة عشر ألف ريال ولم يـزل معتقلاً ، وقـيل : « إنه غمز عـليه»، فوجـد له في مكان صـندوقان ضمنهما ذهب نـقد عين ، ومصطفى هذا كان كلارجيا عند قـائد أغا حين كان بمصر فلما خـرج الأمراء تقيد مقـدماً عند بونابارتـه ، ثم عند كلهبـر ، فلما وقعت الـفتنة السابقة، وظهر يعقوب القبطي ، وتولى أمـر الفردة وجمع المال تقيد بخدمته، وتولى أمر اعتقال المسلمين وحبسهم وعقوبتـهم وضربهم ، فكان يجلس على الكرسي وقت القائلة ، ويأمر أعوانه بإحضار أفراد المحبـوسين من التجار وأولاد الناس ، فيمثل بين يديه ويطالـبه بإحضار ما فرض عليـه مما لا طاقة له به، ولا قدرة له علـى تحصيله ، فيعتذر بخلو يده ويترجى إمهاله . فيزجره ويـسبه ويأمر بضربه فيبطحونه ويضرب بين يديه، ويرده إلى السجن بعد أن يأمر احد أعوانه أن يذهب إلى داره وصحبته الجماعة من عسكر الفرنسيس، ويهجمون على حريمه وأمثال ذلك :

وفي يـوم الأحد[3] ، وردت أخبـار من سكنـدرية بتمـلك العـساكر الإسلامـية والإنجليزية متاريس الـفرنساوية ، وأخذهم المتاريس التي جهة الـعجمي وباب رشيد[4] وجانباً من سكنـدرية القديمة ، وتخطت المراكب وعبرت إلى الميـنة ، وأن الفرنساوية انحصروا داخل الأبراج وأخذ منهم نحو المائـة وسبعين أسيراً ، وقتل منهم عدة وافرة ووقعت بين الفريقين مقتـلة عظيمة لم يقـع نظيرها ، وقتـل الكـثير من عسكر قبطان باشا ، وكـذلك من الإنجليز ، ثـم انجلت الحرب عمـا ذكر ، فلما ورد الخبـر بذلك ضربوا عدة مدافع وسر الناس بذلك .

وفيه[5] ، ورد الخبـر بوصول سـليمـان صالح إلـى بلبـيس ، وصحـبته المحـمل والحريمات ، وأحضر معه رمة سيده صالح بيك لـيدفنها بمصر بالقرافة ، فخرج أناس لملاقاتهم ؛ وأخذوا معهم حمير مكارية لكراوى النساء وهدية .

وفي يوم الإثنين[6] ، وصل سليمان أغا إلى بركة الحـاج ، وصحبته المحمل ونساء الأمراء القادمين مـن الشام ومعه أيضاً رمة صالح بـيك ليدفنها بقرافـة مصر ، فخرج الناس لملاقاتـهم ، وأخذوا معهم حميـر مكارية لركوب النسـاء وهديات، ونودى في عصريته بعمل موكب من الغد ، وطاف الآى جاويش بزيه المعتاد ، وخلفه القابجية[7] وهم ينـادون باللغة التـركية بقولـهم : «يارن الآى» ، فلمـا أصبح يوم الثلاثـاء ثاني

(١) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨٠١ م (٢) ١٨ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٢٨ أغسطس ١٨٠١ م .
(٣) ٢٠ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٠١ م . (٤) باب رشيد : أحد أبواب سور الإسكندرية .
(٥) ٢٠ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٣٠ أغسطس ١٨٠١ م (٦) ٢١ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٨٠١ م .
(٧) القابجية: تركية وتعنى حراس باب الديوان الحكومى الذين يفتحون الباب ويقفلونه ويقبلون الآتين إلى الديوان. سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

عشرينه[١] ، عمل الموكب وانجر الالاى ودخل المحمل من باب النصر ، وشقوا به من الشارع الاعظم، وصادف ذلك اليوم يوم مولد المشهد الحسينى والأسواق منزينة ، وعلى الحوانيت الشقق الحرير والزردخان والتفاصيل وتعاليق القناديل ، ومشى فى الموكب رسوم الوجاقلية والأوده باشية، وأكثر الأمراء والمشايخ والعلماء ، ونقيب الأشراف ، ونبه على جميع الأشراف تلك الليلة بالحضور فى صبح ذلك اليوم للمشى فى ذلك الموكب ، فمشى كل من كان له عمامة خضراء يكبرون ويهللون فكانوا عدداً كثيراً، وكل من وجدوه بالطريق وعلى رأسه خضار جذبوه وسحبوه قهراً وامروه بالمشى ، وإن أبى ضربوه وسبوه وبكتوه بقولهم : «ألست من المسلمين»، وكذلك تجمع أرباب الأشاير ومشوا على عادتهم بطبولهم وزمورهم وخباطهم وخرقهم وخورهم وصياحهم، فلم يزالوا حتى وصلوا إلى قراميدان، وتسلم المحمل محمد باشا أبو مرق من سليمان أغا الذى وصل به ، ولكونه عوضاً عن سيده أمير الحاج صالح بيك ، ثم صعدوا به إلى القلعة وأودعوه هناك ، وعملت وقدة وشنك تلك الليلة .

وفى ذلك اليوم[٢] ، شرعوا فى فتح باب الفتوح ، وكان القصد إدخال المحمل منه لضيق باب الاستناء الثانى الذى جدده الفرنساوية عند باب النصر ، فلم يتأت ذلك لمتانة البناء ، واستمروا ثلاثة أيام يهدمون فى البناء الذى على الباب من داخل ، فلم يمكن ودفنوا صالح بيك بتربة أعدت له بقرافة المجاورين ، والعجب أن الناس من القديم يتمنون أن يقبروا بالأرض المقدسة لكونها عش الأنبياء والصديقين ، وهؤلاء الثلاثة بالعكس ، فماهو إلا لتطهيرها منهم .

وفيه[٣] ، ورد خبر بإسكندرية بانقضاء الحرب ، وطلب الفرنسيس الصلح بعد وقوع الغلبة عليهم وهزيمتهم ، وأخذ منهم عدة أسرى ، وانحصروا فى الأبراج فأمنوهم وأجلوهم خمسة أيام آخرها يوم الخميس سابع عشرينه[٤] .

وفيه[٥] ، ألزموا حسن أغا المحتسب بالنقلة من داره وهو فى الحبس ، فأرسل إلى حريمه وأتباعه فانتقلوا إلى مكان آخر .

وفيه[٦] ، ورد الخبر أيضاً بورود عثمان كتخدا الدولة الذى كان بمصر فى العام

---

(١) ٢٢ ربيع ' انى ١٢١٦ هـ / ١ سبتمبر ١٨٠١ م .

(٢) ٢٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١ سبتمبر ١٨٠١ م .

كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ١٩٠ من طبعة بولاق «قوله وهؤلاء الثلاثة يعنى رمة صالح بيك ومن معه ممن مات بالشام» .

(٣) ٢٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١ سبتمبر ١٨٠١ م . (٤) ٢٧ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٦ سبتمبر ١٨٠١ م .

(٥) ٢٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١ سبتمبر ١٨٠١ م . (٦) ٢٢ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ١ سبتمبر ١٨٠١ م .

السابق ، وباشر الحروب بمصر وصحبته آخر يقال له شريف أفندى .

وفى سادس عشرينه[1] قدم محمد أفندى المعروف بشريف أفندى الدفتردار ، وقدم بصحبته كتخدا الدولة ، وسكن شريف أفندى بدرب الجماميز ، وسكن الكتخدا بمنزل حسن أغا المحتسب سابقاً بسويقة اللالا[2] .

وفى غايته[3] ، عمل شنك ومدافع كثيرة ، وذلك لوصول خبر بتسليم الإسكندرية، وسبب تأخرهم إلى هذه المدة بعد وقوع الصلح انتظار الأمر بالانتقال من بونابارته، وذلك أنه لما وقع الصلح المتقدم أرسل سارى عسكر منو تطريدة إلى فرانسا بالخبر إلى بونابارته وانتظر الجواب ، فورد عليه الأمر بالانتقال والحضور ، فعند ذلك أنزلوا متاعهم إلى المراكب، وسافروا إلى بلادهم .

شهر جمادى الأولى استهل بيوم الخميس سنة ١٢١٦[4]

فيه[5] ، قرئت فرمانات صحبة عثمان كتخدا ، وفيها التنويه بذكر أعيان الكتبة الأقباط والوصية بهم مثل : جرجس الجوهرى ، وواصف وملطى ، ومقدمهم فى تحرير الأموال الميرية .

وفيه[6] ، انفصل مولانا السيد محمد المعروف بقدسى أفندى عن القضاء ، وسافر ذلك اليوم ، وذلك بمراده واستعفائه وطلبه، وتقلد القضاء عوضه عبد الله أفندى قاضى الميرى وكاتب الجمرك ، وحضر فى ذلك اليوم إلى المحكمة .

وفى يوم السبت ثالثه[7] أفرج عن حسن أغا المحتسب بشفاعة عثمان كتخدا ، وحسن أغا وكيل قبطان باشا من غير شئ ، وتوجه إلى دار بجوار داره .

وفيه[8] ، تجمع النساء والفلاحون والملتزمون والوجاقلية ببيت الوزير بسبب الالتزام والمنع من التصرف ، وحضور الفلاحين للضيق عليهم بطلب المال إلى ملتزميهم ، ومطالبتهم إياهم بما قبضوه منهم ، فلما اجتمعوا وصرخوا سأل الوزير عن ذلك ، فأخبروه فأمر بكتابة فرمان بالإطلاق والإذن للملتزمين بالتصرف ، ووجهوا الأمر إلى الدفتردار فكتب عليه ، ثم إلى الروزنامجى كذلك ثم توجهوا به

---

(١) ٢٦ ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٥ سبتمبر ١٨٠١ م . (٢) انظر ، ص ٣٠٧ ، حاشية رقم (١) .

(٣) غاية ربيع الثانى ١٢١٦ هـ / ٨ سبتمبر ١٨٠١ م .

(٤) جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر - ٨ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٥) ١ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر ١٨٠١ م . (٦) ١ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٩ سبتمبر .

(٧) ٣ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ/ ١١ سبتمبر ١٨٠١ م (٨) ٣ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١١ سبتمبر ١٨٠٢ م .

إلى دفتردار الدولة ، فتوقف وبقى الأمـر زجاجاً أياماً ، وذلك أن القوم يريدون أموراً مبطونة فى نفوسهم ، وأطماعا مركوزة فى طباعهم .

وفى يوم الإثنين[1] ، نودى بالزينة ثلاثـة أيام أولها الأربعاء[2] ، وآخرها الجمعة تاسعه[3] ، سروراً بتـسليم الإسكنـدرية فزينت المديـنة ، وعملت الوقـدات بالأسواق والمغانى لـلفرجة ليلاً ونهـاراً ، وكل ليلة يعمـل شنك نفوط وسواريخ وبـارود ببركة الغرابين ، المطل عليها بيت الوزير .

وفيه[4] ، حضر نـحـو ستـة أنفـار مـن أعيان الإنكلـيز وصحبـتهم جمـاعة من العثمانيـة ، يفرجونهم على مواطن مـزارات المسلمين ، فدخلوا إلى المشـهد الحسينى وغيره بمداساتهم فتفرجوا وخرجوا .

وفيه[5] ، تحاســب السيد أحمــد المحروقى مع السـيد أحمد الزرو علـى شركة بينهما ، فتأخـر على الزرو إحدى وعشرون كيساً ، فألزمه بإحضـارها وحبسه بسجن قواس باشا[6] وأمره بالتضـييق عليه ولما أصبـح يوم السبت[7] ، لغط الناس بـاستمرار الزينة سبعة أيام ، وانتظروا الإذن فى رفع التعـاليق ، فلم يؤذن لهـم بشئ ، فاستمروا طول النهار فى اختلاف وحل وربط ، ثم أذن لهم قبيل الغروب برفعها بعد ما عمروا القناديل ، وكان الناس يبيتون سهارى بالحـوانيت والقلقات ، يطوفون بالأسواق فمن وجدوه نائماً نبهوه بإزعاج .

وفى يوم الإثنين ثـانى عشره[8] ، وقع من طـوائف العسـكر عربدة بـالأسواق ، وتخطفوا أمتعة الناس، ومن باعة المآكل كالشواء والفطير والبطيخ والبلح ، فانزعجت الناس ، ورفعوا متاعهم من الحوانيت وأخلوا مـنها ، وأغلقوها ، فحضر إليهم بعض أكابرهم وراطنهم فـانكفوا وراق الحال ، وتبين أن السبب فى ذلك تـأخير علائقهم ، وذلك أن مـن عادتهـم القبيحة أنه إذا تأخرت عنهم علائقهم فعلوا مثل ذلك بالرعية، وأثاروا الشرور، فعند ذلك يطلبون خواطرهم، ويوعدونهم أو يدفعون لهم.

وفيه[9]، ورد الخبر بتولية محمد باشا خسرو على مصر ، وهو كتخدا حسين باشا القبودان ، فألبس الوزير وكيله خلعة عوضاً عنه ، وأشيع عزل محمد باشا أبو مرق ،

---

(١) ٥ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ/ ١٣ سبتمبر ١٨٠١ م (٢) ٧ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٥ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٣) ٩ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ/ ١٧ سبتمبر ١٨٠١ م (٤) ٥ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٥) ٥ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٣ سبتمبر ١٨٠١ م . (٦) قواس باشا : أى رئيس القواسين .
(٧) ١٠ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ١٨ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٨) ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٩) ١٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢٠ سبتمبر ١٨٠١ م .

وسفره إلى بلاده ، وحضر السفار أيضاً من جهة رشيد وسكندرية ، وأخبروا بأن الفرنساوية لم يزالوا بسكندرية وبنديراتهم على الأبراج ، وأن القبطان ومن معه لم يدخلوها وإنما يدخلها معهم الإنكليزية ، وأنهم ينتظرون إلى الآن الجواب، والإذن من شيختهم ، وما أشيع قبل ذلك فلا أصل له ، وأما الطائفة الأخرى التى سافرت من مصر فإنهم نزلوا وسافروا على وفق الشرط من أبى قير كما تقدم .

وفى يوم الخميس ثانى عشرينه[1] ، وردت مكاتبة من قبطان باشا بطلب عثمان بيك المرادى ، وعثمان بيك البرديسى ، وإبراهيم كتخدا السنارى ، والحاج سلامة تابعه وآخرين ، فسافروا فى يوم السبت رابع عشرينه[2] .

وفى ليلة السبت المذكور[3] ، قتلوا شخصاً يسمى مصطفى الصيرفى من خط الصاغة ، قطعوا رأسه تحت داره عند حانوته ، وسبب ذلك أنه كان يتداخل فى نصارى القبط الذين يتعاطون الفرد ويوزعونها ، وتولى فردة أهل الصاغة ، وسوق السلاح ، وتجاهر بأمور نقمت عليه ، وأضر أشخاصاً ، وأغرى به فحبس أياماً ، ثم قتل بأمر الوزير، وترك مرمياً ثلاث ليال، ثم دفن ، وفى صبيحة قتله طاف المشاعلى بالخطة ودوائرها مثل : الجمالية ، والضببية والنحاسين ، وباب الزهومة ، وخان الخليلى ، فجبى من أرباب الحوانيت دراهم ما بين خمسة أنصاف فضة وعشرة ، وعند شيله جبى القلقات أيضاً ما يزيد على المائة قرش ، وذلك من جملة عوائدهم القبيحة .

وفيه[4] ، هرب السيد أحمد الزرو ، فلم يعلم له خبر ، وذلك بعد ما أطلق بضمانة السيد أسعد وابن محرم ، فكتب الوزير عدة فرمانات وأرسلها صحبة هجانة إلى جهة الشام ، وختموا على دوره ، ولم يعلم هروبه إلا بعد أربعة أيام لما داخله من الخوف بقتل الصيرفى المذكور .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه[5] ، عقد إبراهيم بيك الكبير عقد ابنته عديلة هانم التى كانت تحت إبراهيم الصغير ، المعروف بالوالى الذى غرق بواقعة الفرنسيس بإنبابه على الأمير سليمان كاشف مملوك زوجها الأول ، على صداق ألفين ريال وحضر العقد الشيخ السادات ، والسيد عمر النقيب ، والفيومى ، وبعض الأعيان .

---

(١) ٢٢ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٣٠ سبتمبر ١٨٠١ م .
(٢) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٣) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٤) ٢٤ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٢ أكتوبر ١٨٠١ م .
(٥) ٢٩ جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٧ أكتوبر ١٨٠١ م .

وفي يوم الجمعة غايته[1] ، قتل شخص أيضاً بسوق السلاح، وهو من ناحية المنصورة ، وجبى المشاعلية والقلقات دراهم من أرباب الحوانيت مثل ذلك المذكور فيما تقدم .

وانقضى هذا الشهر وحوادثه التى منها : الارتباك فى أمر حصص الالتزام والمزاد فى المحلول ، وعدم الراحة والاستقرار على شئ يرتاح الناس عليه ، ومثل ذلك الرزق الأحباسية والأوقاف ، وحضر شخص تولى النظر والتفتيش على جميع الأوقاف المصرية السلطانية وغيرها ، وبيده دفاتر ذلك فجمع المباشرين واستملاهم ، وكذلك كاتب المحاسبة ، وبث المعينين لإحضار النظار بين يديه، وحسابهم على الإيراد والمصرف ، وأظهر أنه يريد بذلك تعمير المساجد ، وإجراء مشروطات الأوقاف وآخر مثله لتحرير الأوقاف ، والمساجد الكائنة بالقرى المصرية، وانضمت إليه الأغوات ، وطلب كل من كان له أدنى علاقة بذلك ، واستمروا على ذلك بطول السَّنة ، ثم إنكشف الأمر ، وظهر أن المراد من ذلك ليس إلا تحصيل الدراهم فقط ، وأخذ المصالحات والرشوات بقدر الإمكان بعد التعنت فى التحرير، والتعلل بإثبات المدعى فى الإيراد والمصرف خصوصاً إذا كان الشخص ضعيفاً، وليس من أرباب الوجاهة ، والمتوجهين ، أو بينه وبين الكتبة حزازة باطنية ، ثم يحررون دفتراً ، ويحررون الفايظ ، ثم يطلبون منه إيراد ثلاث سنوات أو أربعة ، ولم يزل حتى يصالح على نفسه بما أمكنه، ثم يختمون له ذلك الدفتر ويتركونه وما يدين، إن شاء عمَّر، وإن شاء أخَّر، فإن انتهت إليهم بعد ذلك شكوى فى ناظر وقف سبقت له مصالحة لا تسمع شكوى الشاكى ولا يلتفت إليها، ويفعلون هذا الفعل فى كل سنة.

ومنها : زيادة النيل الزيادة المفرطة عن المعتاد ، وعن العام الماضى أيضاً حتى غطى الذراع الذى زاده الفرنساوية على عامود المقياس ، فإن الفرنساوية لما غيروا معالم المقياس رفعوا الخشبة المركبة على العامود ، وزادوا فوق العامود قطعة رخام مربعة مهندمة ، وجعلوا ارتفاعها مقدار ذراعٌ مقسوم بأربعة وعشرين قيراطاً ، وركبوا عليها الخشبة فسترها الماء أيضاً ، ودخل الماء بيوت الجيزة ومصر القديمة وغرقت الروضة ، ولم يقع فى هذا النيل حظوظ ولا نزهة للناس كعادتهم فى البرك والخلجان والمراكب ، وذلك لاشتغال الناس بالهموم المتوالية، وخصوصاً الخوف من أذى العسكر وانحراف طباعهم وأوضاعهم وعدم المراكب، وتخريب الفرنسيس أماكن النزاهة ، وقطع الأشجار ، وتلف المقاصف التى كانت تجلس بها أولاد البلد ، مثل دهليز الملك والجسر والرصيف وغير ذلك مثل : الكازرونى ، والمغربى ، وناحية قنطرة السد ، وقصر العينى ، والقصور .

---

(١) غاية جمادى الأولى ١٢١٦ هـ / ٨ أكتوبر ١٨٠١ م .

ومنها : أن محمد بيك المعروف بالمنفوخ المرادى حصل عنده وحشة من قبطان باشا ، فحضر إلى ناحية الأهرام بالجيزة ، وطلب الحضور عند الوزير يستجير به فذهب إليه خشداشه عثمان بيك البرديسي ، وحادثه وأشار عليه بالرجوع إلى جهة القبطان ، فأقام أياماً ، ثم رجع إلى ناحية سكندرية ، والسبب في ذلك ما حصل في الواقعة التي قتل بها أحمد بيك الحسيني ، قيل : « إن ذلك بنفاقه عليه ، واتضح ذلك لقبطان ، وأحضرت العرب مراسلته إليهم بذلك » ، فانحرف عليه القبطان ، فلما علم ذلك داخله الخوف ، ثم أرسل إليه الأمراء والقبطان أمانا فرجع بعد أيام .

ومنها : حضور الجمع الكثير من أهالي الصعيد هروباً من الألفى ، وما أوقعه بهم من الجور والمظالم والتقارير والضرائب والغرائم ، وحضر أيضاً الشيخ عبد المنعم الجرجاوى ، والشيخ العارف وخلافهم ، يتشكون مما أنزله على بلادهم ، وطلب متروكات الأموات ، وأحضر ورثتهم وأطفالهم ، ومن توسط أو ضبط أو تعاطى شيئاً من القضاة والفقهاء ، وحبسهم وعاقبهم وطالبهم وطلب استئصال ما بأيديهم ونحو ذلك ، كل ذلك بأمر من الدولة ، وغير ذلك معين ، فحضروا فصالحوا على تركة سليم كاشف باثنين وعشرين ألف ريال ، بعد أن ختموا على دوره ، بعد أن أزعجوا حريمه وعياله ونطوا من الحيطان، ثم حضروا إلى مصر وأمثال ذلك .

ومنها : كثرة تعدى العسكر بالأذية للعامة وأرباب الحرف ، فيأتي الشخص منهم ويجلس على بعض الحوانيت ، ثم يقوم فيدعي ضياع كيسه أو سقوط شئ منه ، وإن أمكنه اختلاس شئ فعل ، أو يبدلون الدنانير الزيوف الناقصة النقص الفاحش بالدراهم الفضة قهراً ، أو يلاقشون النساء[1] في مجامع الأسواق، من غير احتشام ولا حياء ، وإذا صرفوا دراهم أو أبدلوها اختلسوا منها ، وانتشروا في القرى والبلدان ففعلوا كل قبيح ، فتذهب الجماعة منهم إلى القرية وبيدهم ورقة مكتوبة باللغة التركية ، ويوهمونهم أنهم حضروا إليهم بأوامر إما برفع الظلم عنهم أو ما يبتدعونه من الكلام المزور ، ويطلبون حق طريقهم[2] مبلغاً عظيماً ، ويقبضون على مشايخ القرية ويلزمونهم بالكلف الفاحشة ، ويخطفون الأغنام ويهجمون على النساء وغير ذلك مما لا يحيط به العلم ، فطفشت الفلاحون ، وحضر أكثرهم إلى المدينة حتى امتلأت الطرق والأزقة منهم أو يركب العسكرى حمار المكارى قهراً ويخرج به إلى جهة الخلاء ، فيقتل المكارى ويذهب بالحمار فيبيعه بساحة الحمير[3] ، وإذا انفردوا بشخص أو بشخصين خارج المدينة أخذوا دراهمهم ، أو شلحوهم ثيابهم أو قتلوهم بعد ذلك، وتسلطوا على الناس بالسب والشتم ويجعلونهم كفرة وفرنسيس وغير

---

(١) يلاقشون النساء : أى يعاكسون النساء ويغازلونهن .

(٢) حق الطريق : ضريبة كان يفرضها الجند على الشعب المصرى ، نظير طلبهم لأفراد الشعب أو جمعهم للفرد التي تفرض على أفراد الشعب .

(٣) ساحة الحمير : الساحة التي كانت تباع فيها الحمير أى سوق الحمير .

ذلك، وتمنى أكثر الناس وخصوصاً الفلاحين أحكام الفرنساوية .

ومنها : أن أكثرهم تسبب فى المبيعات ، وسائر أصناف المأكولات والخضارات ، ويبيعونها بما أحبوا من الأسعار ، ولا يسرى عليهم حكم المحتسب ولا غيره ، وكذلك من تولى منهم رياسة حرفة من الحرف كالمعمارجية أو غيرهم ، قبض من أهل الحرفة معلوم أربع سنوات ، وتركهم وما يدينون فيسعّرون كل صنف بمرادهم وليس له هو التفات لشئ سوى ما يأخذه من دراهم الشكاوى، فغلا بسبب ذلك الجبس والجير وأجر الفعلة والبنائين ، خصوصاً وقد احتاج الناس لبناء ما هدمه الفرنسيس ، وما تخرب فى الحروب بمصر وبولاق وجهات خارج البلد حتى وصل الأردب الجبس إلى مائة وعشرين نصف فضة ، والجير بخمسين نصف فضة ، وأجرة البناء أربعين فضة ، والفاعل عشرين ، وأما الغلة فرخيصة ، وكذلك باقى الحبوب بكثرتها مع أن الرغيف ثلاثة أواق بنصف ، لما ذكر من عدم الالتفات إلى الأحكام والتسعيرات .

واستهل جمادى الثانية بيوم السبت سنة ١٢١٦[١]

فيه[٢] ، تفكك الجسر الكبير المنصوب من الروضة إلى الجيزة ، وذلك من شدة الماء وقوته ، فتحللت رباطاته ، وانتزعت مراسيه ، وانتشرت أخشابه ، وتفرقت سفنه، وانحدرت إلى بحرى .

وفى ليلة الأحد ثانيه[٣] حصلت زلزلة فى ثالث ساعة من الليل .

وفى يوم الإثنين ثالثه[٤] ، قطعوا رأس مصطفى المقدم المعروف بالطاراتى بين المفارق بباب الشعرية ، وذلك بعد حبسه أياماً عديدة وضربه وعقابه حتى تورمت أقدامه ، وطاف مع المعينين عدة أيام يتداين بواقى ما قرر عليه ، ودخل دارا نافذة وأجلس الملازمين له ببابها وهم لا يعلمون بنفوذها ، وأوهم أنه يريد التداين من صاحب الدار ونفذ من الجهة الأخرى واختفى فى بعض الزوايا فاستعوقه الجماعة ، ودخلوا إلى الدار فلم يجدوه وعلموا بنفوذها فقبضوا على خدمة الدار وضربوهم ، فلم يجدوا عندهم علماً منه فأطلقوهم ، وأوقعوا عليه الفحص والتفتيش ، فرآه شخص ممن صادره فى أيام الفردة ، فصادفه فى صبحها خارج باب القرافة فقبض

---

(١) جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٩ أكتوبر - ٦ نوفمبر ١٨٠١ م .

(٢) ١ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٩ أكتوبر ١٨٠١ م . (٣) ٢ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٠ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٤) ٣ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١١ أكتوبر ١٨٠١ م .

عليه وأحضره بين يدى جماعة القلق ، فدل عليه ، فقبضوا عليه وقتلوه بعد القبض عليه بثلاثة أيام وتركوه مرمياً تحت الأرجل وسط الطريق وكثرة الازدحام ثلاث ليال ، وفعلوا عادتهم فى جبى الدراهم من تلك الخطة .

وفيه[١] ، ورد فرمان من محمد باشا والى مصر بأن يتأهبوا لموكبه على القانون القديم ، فكتبوا تنابيه للوجاقلية والأجناد بالتهيؤ للموكب .

وفي يوم الثلاثاء[٢] ، وصل شمس الدين بيك أميرأخور[٣] كبير ، ومرجان أغا دار السعادة ، فأرسلوا تنابيه إلى الوجاقلية والأمراء ، والمشايخ ، ومحمد باشا ، وإبراهيم باشا فاجتمعوا ببيت الوزير ، وحضر المذكوران بعد الظهر فخرج الوزير ولاقاهما من المجلس الخارج ، فسلماه كيساً بداخله خط شريف فأخذه وقبله ، وأحضرا له بقجة بداخلها خلعة سمور عظيمة فلبسها وسيفا تقلد به، وشلنج جوهر، وضعه على رأسه ، ودُخل صحبتهما إلى القاعة حيث الجمع ففتح الكيس وأخرج منه الفرمان ، ففتحه وأخرج منه ورقة صغيرة ، فسلمها لرئيس أفندى فقرأها باللغة التركية ، والقوم قيام على أقدامهم مضمونها : « الخطاب لحضرة الوزير الحاج يوسف باشا ، وحسين باشا القبطان ، والباشا ، والأمراء العساكر المجاهدين ، والثناء عليهم والشكر لصنيعهم ، وما فتحه الله على يديهم وإخراجهم الفرنسيس ونحو ذلك »، ثم وعظ بعض الأفندية بكلمات معتادة، ودعوا للسلطان والوزير والعساكر الإسلامية، وتقدم إبراهيم باشا ، ومحمد باشا ، وطاهر باشا وباقى الأمراء ، فقبلوا ذيل الخلعة وانصرفوا ، وضربوا مدافع كثيرة من القلعة فى ذلك الوقت ، وفى ذلك اليوم ألبس الوزير الأمراء والبلات فراوى وخلعا وشلنجات ذهب على رؤوسهم .

وفيه[٤] ، حضرت أطواخ[٥] بولاية جدة محمد باشا توسون أغاة الجبجية وهو إنسان لابأس به .

وفيه[٦] ، حضر القاضي الجديد من الروم ، ووصل إلى بولاق ، وهو صاحب المنصب ، فأقام ثلاثة أيام وصحبته عياله وحريمه ، فلما كان يوم السبت ثامنه[٧] ، حضر بموكبه إلى المحكمة، وذهب إليه الأعيان فى صبحها وسلموا عليه ، وله مسيس بالعلم .

---

(١) ٣ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١١ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٢) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٣) أمير أخور : هو الناظر فى أمور الإسطبلات والمناخات السلطانية ، وأمير أخور البريد هو الذى يعنى بدواب حمل البريد .

سليمان ، أحمد السيد ، المرجع السابق ، ص ١١ .

(٤) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م . (٥) الأطواخ: انظر جـ ٢، ص ٢٧٣ حاشية رقم (٣) .

(٦) ٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٢ أكتوبر ١٨٠١ م . (٧) ٨ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٦ أكتوبر ١٨٠١ م .

وفي يوم الثلاثاء حادى عشره[1] ، عمل الوزير الديوان ، وحضر عنده الأمراء ، فقبض على إبراهيم بيك الكبير وباقي الأمراء الصناجق وحبسهم، وأرسل طاهر باشا بطائفة من العسكر الأرنؤد إلي محمد بيك الألفي بالصعيد ، وكان أشيع هرويه إلى جهة الواحات ، وذهبت طائفة إلى سليم بيك أبى دياب، وكان مقيماً بالمنيل فلما أخذ الخبر طلب الهرب ، وترك حملته ، فلما حضرت العسكر إليه فلم يجدوه ، فنهبوا القرية، وأخذوا جماله وهي نحو السبعين، وهجنه وهى نيف وثلاثون هجيناً ، وذهبت إليه طائفة بناحية طرا فقاتلهم ، ووقع بينهم بعض قتلى ومجاريح ، ثم هرب إلى جهة قبلى من على الحاجر، ووقفت طائفة العسكر والأرنؤد بالأخطاط والجهات وخارج البلد ، يقبضون على من يصادفونه من المماليك والأجناد ، ونودى فى ذلك اليوم بالأمن والأمان على الرعية والوجاقلية ، وأطلق الوزير مرزوق بيك ، ورضوان كتخدا بيك ، وسليمان أغا كتخداه المسمى بالحنفى ، وأحاطت العسكر بالأمراء المعتقلين واختفى باقيهم ، ونودى عليهم وبالتوعد لمن أخفاهم أو آواهم ، وباتوا بليلة كانت أسوأ عليهم من ليلة كسرتهم وهزيمتهم من الفرنسيس، وخاب أملهم وضاع تعبهم وطمعهم ، وكان فى ظنهم أن العثملي يرجع إلى بلاده، ويترك لهم مصر، ويعودون إلى حالتهم الأولى يتصرفون فى الأقاليم كيفما شاءوا، فاستمروا فى الحبس، ثم تبين أن سليم بيك أبا دياب ذهب إلى عند الإنكليز والتجأ إليهم بالجيزة، وألبس الوزير سليمان أغا صالح أغا زى العثمانيين ، وجعله سلخور[2] ، وأمره أن يتهيأ ليسافر إلى إسلامبول فى عرض الدولة .

وفي يوم الإثنين سابع عشره[3] ، سافر إسماعيل أفندى شقبون ، كاتب حوالة إلى رشيد ، باستدعاء من الباشا والى مصر .

وورد الخبر بوصول كسوة للكعبة من حضرة السلطان ، فلما كان يوم الأربعاء[4] حضر واحد أفندى وآخرون وصحبتهم الكسوة ، فنادوا بمرورها فى صبحها يوم الخميس[5]، فلما أصبح يوم الخميس المذكور ركب الأعيان والمشايخ والأشاير وعثمان كتخدا المنوه بذكره لإمارة الحج ، وجمع من الجاويشية ،

---

(١) ١١ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١٩ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٢) سلخور : فارسية بمعنى الرأس ، وآخور بمعنى المعلف أو الفروذ ، وهو المسئول عن علف الدواب من الخيل وغيرها .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(٣) ١٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م (٤) ١٩ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٧ أكتوبر ١٨٠١ م .

(٥) ٢٠ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٨ أكتوبر ١٨٠١ م .

والعساكر ، والقاضي ، ونقيب الأشراف ، وأعيان الفقهاء ، وذهبوا إلى بولاق وأحضروها وهم أمامها ، وفردوا قطع الحزام المصنوع من المخيش ثلاث قطع ، والخمسة مطوية ، وكذلك البرقع ، ومقام الخليل كل ذلك مصنوع بالمخيش العال والكتابة غليظة مجوفة متقنة وباقي الكسوة في سحاحير على الجمال وعليها أغطية جوخ أخضر ففرح الناس بذلك وكان يوماً مشهوداً ، وأخبر من حضر أنه عندما وصل الخبر بفتح مصر، أمر حضرة السلطان بعملها فصنعت في ثلاثين يوماً ، وعند فراغها أمرهم بالسير بها ليلاً وكان الريح مخالفاً فعندما حلوا المراسي اعتدل الريح بمشيئة الله تعالى ، وحضروا إلى سكندرية في أحد عشر يوماً .

وفيه[1] ، وردت الأخبار بأن حسين باشا القبطان، لم يزل يتحيل وينصب الفخاخ للأمراء الذين عنده، وهم محترزون منه وخائفون من الوقوع في حبائله فكانوا لا يأتون إليه إلا وهم متسلحون ومحترزون وهو يلاطفهم ويبش في وجوههم إلى أن كان اليوم الموعود به، عزم عليهم في الغليون الكبير الذي يقال له أزج عنبرلي ، فلما طلعوا إلي الغليون وجلسوا، فلم يجدوا القبودان فأحسوا بالشر، وقيل إنه كان بصحبتهم ، فحضر إليه رسول وأخبره أنه حضر معه ثلاث من السعاة بمكاتبة، فقام ليرى تلك المراسلة، فماهو إلا أن حضر إليهم بعض الأمراء ، وأعلمهم أنه ورد خط شريف باستدعائهم إلى حضرة مولانا السلطان، وأمرهم بنزع السلاح فأبوا ونهض محمد بيك المنفوخ وسل سيفه وضرب ذلك الكبير فقتله ، فما وسع البقية إلا أنهم فعلوا كفعله ، وقاتلوا من بالغليون من العساكر ، وقصدوا الفرار ، فقتل عثمان بيك المرادي الكبير ، وعثمان بيك الأشقر ، ومراد بيك الصغير ، وعلى بيك أيوب ، ومحمد بيك المنفوخ ، ومحمد بيك الحسيني الذي تأمر عوضاً عن أحمد بيك الحسيني ، وإبراهيم كتخدا السناري، وقبض على الكثير منهم وأنزلوهم المراكب ، وفر البقية مجروحين إلى عند الإنكليز ، وكانوا واقعين عليهم من ابتداء الأمر ، فاغتاظ الإنكليز وانحازوا إلى إسكندرية ، وطردوا من بها من العثمانيين ، وأغلقوا أبواب الأبراج ، وحضر منهم عدة وافرة وهم طوابير بالسلاح والمدافع ، واحتاطوا بقبطان باشا من البر والبحر، فتهيأ عساكره لحربهم فمنعهم ، فطلب الإنجليز بروزه بعساكره لحربهم، فقال : «لم يكن بيننا وبينكم حرب»، واستمر جالساً في صيوانه، فحضر إليه كبير الإنكليز وتكلم معه كثيراً ، وصمم على أخذ بقية الأمراء المسجونين، فأطلقهم له فتسلمهم وأخذ أيضاً المقتولين ونقل عرضى الأمراء من محطتهم إلى جهة الإسكندرية، وعملوا مشهداً للقتلى مشى به عساكر الانجليز على طريقتهم في موتى عظمائهم ووصل الخبر إلى من بالجيزة من الإنكليز ، وذلك ثاني يوم[2] من قبض

(١) ١٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م (٢) ٢١ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٩ أكتوبر ١٨٠١ م .

الوزير على الأمراء ففعلوا كفعلهم ، وأخذوا حذرهم وضربوا بعض مدافع ليلاً ، وشمروا في ترتيب آلة الحرب .

وفي ذلك اليوم[1] ، طلع محمد باشا طوسون والى جدة الساكن ببيت طرا إلى القلعة ، وصعد معه جملة من العسكر وشرعوا فى نقل قمح ودقيق وقومانية وملئوا الصهاريج ، وشاع ذلك بين الناس فارتاعوا وداخلهم الوسواس من ذلك ، واستمروا ينقلون إلى القلعة مدافع وبارود وآلات حرب .

وفي يوم الإثنين رابع عشرينه[2] ، حضر كبير الإنجليز الذى بالجيزة فألبسه الوزير فروة وشلنجا .

وفي ذلك اليوم ، خلع الوزير على عثمان أغا المعروف بقبى كتخدا ، وقلده على إمارة الحج .

وفي ذلك اليوم ، وقع بين عسكر المغاربة والإنكشارية فتنة ووقفوا قبالة بعضهم ما بين الغورية والفحامين ، وأغلق الناس حوانيتهم بسوق الغورية والعقادين والصاغة والنحاسين ولم يزالوا على ذلك حتى حضر أغات الإنكشارية ، وسكنت الفتنة بين الفريقين .

وفي يوم الخميس سابع عشرينه[3] ، مروا بزفة عروس بسوق النحاسين وبها بعض إنكشارية ، فحصلت فيهم ضجة ، ووقع فيهم فشل ، فخطفوا ما على العروس ، وبعض النساء من المصاغ المزينات به، وفي أثناء ذلك مر شخص مغربى فضربه عسكرى رومى ببارودة فسقط ميتاً عند الأشرفية ، فبلغ ذلك عسكر المغاربة فأخذوا سلاحهم وسلوا سيوفهم وهاجت حماقتهم وطلعوا يرمحون من كل جهة ، وهم يضربون البندق ويصرخون ، فأغلقت الناس الحوانيت وهرب قلق الأشرفية بجماعته، وكذلك قلق الصنادقية، وفزعت الناس ، ولم يزالوا على ذلك من وقت الظهر إلى الغروب، ثم حال بينهم الليل، وقتل من المغاربة أربعة أشخاص، وأصبحوا محترسين من بعضهم ، فحضر أغات الإنكشارية على تخوف ، وجلس بسبيل الغورية ، وحضر الكثير من عقلاء الإنكشارية ، وأقاموا بالغورية وحوالى جهة الكعكيين[4] والشوائين حيث سكن المغاربة ، واستمر السوق مغلوقاً ذلك اليوم ، ورجعت القلقات إلى مراكزها ، وبردت القضية ، وكأنهم اصطلحوا وراحت على من راح .

وانقضى هذا الشهر بحوادثه التى منها : استمرار نقل الأدوات إلى القلعة ، وكذلك مراكز باقى القلاع مع أنهم خربوا أكثرها .

---

(١) ١٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٢٥ أكتوبر ١٨٠١ م .(٢) ٢٤ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ١ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٣) ٢٧ جمادى الثانية ١٢١٦ هـ / ٤ وفمبر ١٨٠١ م (٣) الكعكيين : عطفة تتفرع من شارع الدرب الإبراهيمى .

ومنها : زيادة تعدى العسكر على السوقة والمحترفين والنساء ، وأخذ ثياب من ينفردون به من الناس فى أيام قليلة .

ومنها : استمرار مكث النيل على الأرض وعدم هبوطه حتى دخل شهر هاتور وفات أوان الزراعة ، وعدم تصرف الملتزمين وهجاج الفلاحين من الأرياف لما نزل بهم من جور العسكر وعسفهم فى البلاد ، حتى امتلأت المدينة من الفلاحين ، ونودى عليهم عدة مرات بذهابهم إلى بلادهم .

ومنها: أن الوزير أمر المصرلية بتغيير زيهم وأن يلبسوا زى العثمانية ، فلبس أرباب الأقلام والأفنديه والفلقات القواويق الخضر، والعنتريات ، وضيقوا أكمامهم ، ولبس مصطفى أغا وكيل دار السعادة سابقاً، وسليمان أغا تابع صالح أغا وخلافهما.

واستهل شهر رجب الفرد سنة ١٢١٦[1]

فكان أوله يوم الأحد[2] ، فى ثانيه[3] ، سافر سليمان أغا تابع صالح أغا إلى إسلامبول .

وفيه[4] ، أمر الوزير الأمراء المحبوسين بأن يكتبوا كتاباً إلى الإنكليز بأنهم أتباع السلطان وتحت طاعته وأمره ، إن شاء أبقاهم فى إمارتهم ، وإن شاء قلدهم مناصب فى ولايات أخرى ، وإن شاء طلبهم يذهبون إليه ، فلا دخل لكم بيننا وبينه ، وكلام فى معنى ذلك ، فأرسلوا ، يقولون : «إن هذا الكلام لا عبرة به، فإنهم مسجونون وتحت امركم»، ومكتوب المقهور المكره لا يعمل به ، فإن كان ولابد فأرسلوهم إلينا لنخاطبهم ونعلم ضميرهم وحقيقة حالهم، فلما كان ليلة الإثنين تاسعه[5] أحضر الوزير إبراهيم بيك والأمراء ، وأعلمهم أن قصده إرسالهم إلى بر الجيزة عند الإنجليز ليتفسحوا ذلك اليوم ، ويخبروهم أنهم مطيعون للسلطان وتحت أوامره ، وأن المراسلة التى أرسلوها عن طيب قلب منهم ، وليسوا مكرهين فى ذلك ، فأظهر إبراهيم بيك التمنع عن الذهاب، وأنه لا غرض له فى الذهاب إلى مخالفى الدين، فجزم عليه ووعده خيراً وعاهدهم وحلفهم ، فنزلوا وركبوا من عنده فى الصباح ، وما صدقوا بالخلاص، وعدوا إلى الجيزة ، وذهبوا إلى عند الإنجليز ، فتبعهم أتباعهم ومماليكهم يرمحون إليهم ويلحقون بهم ، فأقاموا هناك ولم يرجعوا فانتظر الوزير رجوعهم

---

(١) رجب ١٢١٦ هـ / ٧ نوفمبر - ٦ ديسمبر ١٨٠١ م . (٢) ١ رجب ١٢١٦ هـ / ٧ نوفمبر ١٨٠١ م.
(٣) ٢ رجب ١٢١٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٠١ م . (٤) ٢ رجب ١٢١٦ هـ / ٨ نوفمبر ١٨٠١ م.
(٣) ٩ رجب ١٢١٦ هـ / ١٥ نوفمبر ١٨٠١ م .

خمسة أيام، وأرسل إليهم يدعوهم إلى الرجوع حكم عهدهم ، فامتنع إبراهيم بيك وتكلم بما فى ضميره من قهره من الوزير وخيانته له .

وفى يوم السبت[1] عملوا جمعية ببيت الشيخ السادات ، واجتمع المشايخ والوجاقلية ، وذلك بأمر من الوزير، وأرسل إليهم مكاتبة ، وفى ضمنها: النصيحة والرجوع إلى الطاعة، فأرسلوا فى جواب الرسالة ، يقولون : «إنهم ليسوا مخالفين ولا عاصين وأنهم مطيعون لأمر الدولة، وإنما تأخرهم بسبب خوفهم وخصوصاً ما وقع لإخوانهم بسكندرية، وأنهم لم يذهبوا إلى عند الإنجليز إلا لعلمهم أنهم عسكر السلطان ، ومن المساعدين له على أعدائه ، ومتى ظهر لهم أمر يرتاجون فيه ، رجعوا إلى الطاعة ، ونحو ذلك من الكلام » .

وفى يوم الجمعة سابع عشرينه[2] ، حضر عابدى بيك نسيب مولانا الوزير ، فخرج إليه غالب أعيان العثمانية ، والجاويشية ، وطاهر باشا ، وعسكر الأرنؤد ، وتلقوه ، ودخل بحمولة فى موكب جليل ، وكان حضرة الوزير حاصلاً عنده توعك ، وغالب أوقاته محتجب عن ملاقاة الناس .

وفيه[3] ، ورد الخبر بسفر قبطان باشا من ساحل أبى قير إلى الديار الرومية فى منتصف الشهر[4] ، وأما محمد باشا الوالى على مصر فإنه لم يزل مقيماً بأبى قير، وحضر لخازنداره وسكن ببيت البكرى بالأزبكية .

واستهل شهر شعبان بيوم الثلاثاء سنة ١٢١٦[5]

فيه[6] ، حضر يوسف أفندى وبيده مرسوم بولايته على نقابة الأشراف ، فبات ببولاق ، وأرسل إناساً يعلمون بحضوره فلم يخرج لملاقاته أحد ، ثم إن بعض الناس أحضر إليه فرساً فركبه فى ثانى يوم[7] وحضر إلى مصر وأشاع أنه متولى نقابة الأشراف ومشيخة المدرسة الحبانية ، وخبر ذلك الإنسان أنه كان يبيع الخردة[8] واليميش بحانوت بخان الخليلى ، وهو من متصوفة الأتراك الذى يتعاطون الوعظ والإقراء باللغة التركية ، فمات شيخ رواق الأروام بالأزهر ، فاشتاقت نفسه للمشيخة على الرواق المذكور ، فتولاها بمعونة بعض سفهائهم فنقم عليه الطائفة أموراً واختلاسات

---

(١) ٧ رجب ١٢١٦ هـ / ١٣ نوفمبر ١٨٠١ م . (٢) ٢٧ رجب ١٢١٦ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٠١ م .
(٣) ٢٧ رجب ١٢١٦ هـ / ٣ ديسمبر ١٨٠١ م . (٤) ١٥ رجب ١٢١٦ هـ / ٢١ نوفمبر ١٨٠١ م .
(٥) شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ - ٤ يناير ١٨٠٢ م . (٦) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر .
(٧) ٢ شعبان ١٢١٦ هـ / ٨ ديسمبر ١٨٠١ م .
(٨) الخردة : فى الفارسية تعنى الشىء الصغير وغير الهام ، والشىء الدقيق اللطيف ، وتستعمل كذلك كاسم للأدوات المعدنية القديمة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٨٦ - ٨٧ .

من الوقف فتعصبوا عليه وعزلوه ، وولوا مكانه السيد حسين أفندى المولى الآن ، فحنق من ذلك وداخله قهر عظيم ، وحقد على حسين أفندى المذكور وأضمر له فى نفسه المكروه ، فدعاه يوماً إلى داره ودس له سماً فى شرابه فنجاه الله من ذلك ، وشربت إبنة يوسف أفندى الداعى تلك الكاسة المسمومة غلطاً وماتت ، وشاع ذلك وتواترت حكايته بين الناس ، ورجع كيده عليه ، وذاق وبال أمره ، كما قيل :

وَمَنْ يَحْتَفِرْ بئرا لِيُوقِعَ غَيرَهُ سَيُوقَعُ بالبئرِ الذى هُوَ حَافِرُ

ثم إنه ، سافر إلى إسلامبول ، وأقام هناك مدة إقامة الفرنسيس بمصر، ولم يزل يتحيل ويتداخل فى بعض حواشى الدولة، وأعرض بطلب النقابة ومشيخة الحبانية، فأعطوه ذلك لعدم علمهم بشأنه ، وظنهم أنه أهل لذلك بقوله لهم : « إنه كان شيخاً على الأزهر، ومعرفته بالعلم »، فلما حصل بمصر، وظهر أمره تجمعت أعيان الأشراف ، وقالوا : «لا يكون هذا حاكماً ولا نقيباً علينا أبداً»، وتنوقل خبره وظهر حاله لأكابر الدولة، وحضرة الصدر الأعظم ، فلم يصغوا إليه ولم يسعفوه وأهمل أمره ، وهكذا شأن رؤساء الدولة أدام الله بقاءهم ، إذا تبين لهم الصواب فى قضية لا يعدلون إلى خلافه .

وفيه[1] ، من الحوادث ، أنه تقيد بأبواب القاهرة بعض من نصارى القبط ، ومعهم بعض من العسكر فصاروا يأخذون دراهم من كل من وجدوا معه شيئًا ، سواء كان داخلاً أو خارجاً بحسب اجتهادهم ، وكذلك ما يجلب من الأرياف وزاد تعديهم فعم الضرر وعظم الخطب ، وغلت الأسعار وكل من ورد بشئ يبيعه يشتط فى ثمنه ، ويحتج بأنه دفع كذا وكذا من دراهم المكس ، فلا يسع المشترى إلا التسليم لقوله، والتصديق له وقبول عذره ، والسبب فى ذلك أن الذين تقيدوا بديوان العشور بساحل بولاق دس عليهم بعض المتقيدين معهم من الأقباط ، بأن كثيراً من المتاجر التى يؤخذ عليها العشور ، يذهب بها أربابها من طريق البر ، ويدخلون بها فى أوقات الغفلة تحاشياً عن دفع ما عليها ، وبذلك لا يجمع المال المقرر بالديوان ، فيلزم أن يتقيد بكل باب من يترقب لذلك ويرصده ويأخذ ما يخص الديوان من ذلك ، فأذن كبراء الديوان بذلك ، فانفتح لهم بذلك الباب فولجوه ولم يحسبوا للعاقبة من حساب، وزادوا فى الجور والفضائح، وأظهروا ما فى نفوسهم من القبائح فساءت الظنون واستغاث المستغيثون، وأكثر سخاف الأحلام مما لا طائل تحته من الكلام ، كما قيل فى هذا المعنى .

وكُنا نَسْتَطِبُ إذا مَرِضْنا فصَارَ الداءُ مِن قِبَلِ الطبيبِ

إلى أن زاد التشكى، وانهى الأمر إلى الوزير فأمر بإبطال ذلك، وانجلت تلك الغمة.

---

(١) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م .

وفيه[1] ، أيضاً أعرض طائفة القبانية وتشكوا مما رتب عليهم من الجمرك السنوى ، فاطلق لهم الأمر برفعه عنهم .

وفيه[2] ، قبضوا على رجل من المفسدين بإقليم المنوفية يقال له راضى النجار، واحضروه إلى مصر ، وقطعت رأسه بالرميلة .

وفيه [1] ، كتب فرمان إلى ناحية البحيرة .

وصورته : « صدر الفرمان العالي السلطانى، وأمرنا الجليل الخاقانى إلى قدوة النواب المتشرعين نائب البحيرة زيد علمه ، والى كامل المشايخ من عربان الهنادى ، والأفراد، والجمعيات، والبهجة، وبنى عونة عموماً زيد فى عشيرتهم، بعد وصول التوقيع الرفيع الهمايونى الحكمى ، تحيطون علماً أنكم أنهيتم إلى ديوان الهمايونى ، أنكم من قديم الزمان ، منازلكم أباً عن جد فى فيافى البحيرة وفدافدها، وأنكم تحت قدم الطاعة والمحافظة للرعايا والطرقات الواقعة بناحية البحيرة ، والتمستم من عواطف مراحم سلطنتنا السنية، ودولتنا الخاقانية، استقراركم فى منازلكم القديمة كما كنتم حكم السنين الخوالى ، فحيث أنه جرت العادة أن قبائل العربان فى الديار المصرية كل قبيلة لها منزلة مخصوصة بهم لاينازعهم فيها غيرهم ، ومنزلة البحيرة من قديم الزمان منزلكم ، فبحسب التماسكم من مراحم دولتنا العلية ، قد أقررناكم فى منازكم المزبورة كما كنتم قديماً نازلين بها من غير منازع لكم بالشروط التى تعهدتم بها، وقبلتموها فى حضور صدرنا الأعظم ، وكتبتم بها سندا عليكم ، وهى أن توفوا بعدم التعدى ، وإيصال الرزية والمضرة ولو مقدار ذرة إلى الرعايا وديعة خالق البرايا ، والمحافظة على الطرقات ، وعدم إتلاف شئ من مزروعات أهل البلاد ، وإضاعة مواشيهم ، وأن لا تسكنوا عندكم شقياً من اللصوص ، وقطاع الطريق ، ونهب أموال الناس ، وقتل النفوس بغير حق شرعى ، وقد نذرتم على أنفسكم أنه متى اختل شرط من هذه الشروط المذكورة تقومون بدفع مائتى ألف قرش إلى خزينة مصر ، فبناء على ذلك أصدرنا فرماننا الشريف، وأمرنا العالى المنيف ليكون معلومكم أنه من قاعدة الديار المصرية ، كل قبيلة من العربان لها منزلة تنزلها مخصوصة بها ، وقد أقررنا كم فى منازلكم القديمة فى فيافى البحيرة، وفدافدها بالشروط السابقة الذكر التى التزمتموها، والنذور التى قبلتموها، وتعهدتم به وكتبتم على أنفسكم سنداً أنه متى اختل شرط من الشروط المذكورة بعد بيان دفعكم المائتى ألف قرش ، يكون إخراجكم من البحيرة وبلادها وفيافيها والطلوع من حقكم ، فاعملوا بموجب مضمون أمرنا الشريف كما هو مشروح ، وتجنبوا خلاف ماهو

---

(١) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م . (٢) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م .

(٣) ١ شعبان ١٢١٦ هـ / ٧ ديسمبر ١٨٠١ م .

مسطور وموضوح، اعلموه واعتمدوه غاية الاعتماد ، والحذر ثم الحذر من المخالفة» ، وكتب بمضمونه حجة ، وأمضى عليها قاضي العسكر ، وقيدت بالسجل ، وهي من إنشاء صاحبنا اللبيب الأديب الناظم الناثر، جامع فضائل المآثر ، السيد إسماعيل الشهير بالخشاب ونصه : « لما ورد الفرمان الشريف ، الواجب القبول والإجلال والإعظام والتشريف ، اليانعة أزاهر رياض فصاحته ، المحلاة بعقود البلاغة أجياد معاني عبارته، المشتمل على فصول من الترغيب والترهيب التي يعجز كل بليغ لبيب عن سلوك أسلوبها العجيب، من حضرة مولانا الصدر الأعظم، والمشير المفخم، عضد الدولة العلية ولسانها وحسامها الماضي وسنانها ، من انجلى عنا ظلام الشرك بصباح غرته السنية، وإشراق ضياء حسن سيرته المرضية، مولانا الوزير يوسف باشا، بلغه الله من المرادات ماشا، خطابا إلى سائر الحكام والمتشرعين والنواب وسكان إقليم البحيرة من قبائل الأعراب . ومن التحق بهم من الأبناء والذراري والعشائر المتجمعين معهم في تلك الفدافد والبراري، وما تضمنه من تأمينهم في منازلهم وأوطانهم وعشيرهم وجيرانهم ، والنظر إليهم بعين الإحسان والرعاية ، وإدخالهم سرادق الحفظ والوقاية بشرط أن يكونوا على قدم الطاعة ، وأن يسلكوا سبيل السنة والجماعة، وأن يتجنبوا الخلاف ويعاملوا من يمر بهم بالاحترام والإعزاز والإنصاف، واردين مشرب الوفاق بالاتفاق، غير مثيرين للفتن والنزاع والشقاق، وأن لا يتجمعوا على الضلال ويتحزبوا، ولا يقطعوا الطريق على من يمر بهم ويتعصبوا ﴿ إنما جزاءُ الذينَ يُحَارِبُونَ اللهَ ورَسُولَهُ ويسْعَونَ في الأرضِ فسَاداً أنْ يُقَتّلُوا أو يُصَلّبوا ﴾ وأقطع حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه خلد الله جزيل نعمه وفضله عليه - كل قبيلة منهم منازلهم المخصوصة بهم المعهودة، وأظلهم بظلال أمانه الظليلة الممدودة، حين التمسوا ذلك من مراحم دولته، وعوارف عواطف رأفته، بعد التزامهم بما سلف من الشروط، على الوجه المشروح المحرر المضبوط ، وعلى أنهم إن عصوا أمره وخالفوه، ونسوا ماتلي عليهم أو نسخوه، أو قطعوا الطريق ونهبوا الأموال، أو آووا شقيا ممن يفعل ذلك بحال من الأحوال، أخذتهم صاعقة العذاب الهون، وحل بهم من البلاء مالا يطيقون، ووقعوا من غضب هذه الدولة العلية عليهم في العذاب الشديد ﴿ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمتْ أيْدِيهِم وأنَّ اللَّهَ ليس بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدْ ﴾ بعد أن تسلب أموالهم ، ويتلاشى حالهم حتى يصيروا لاعين ولا أثر ، ولا مخبر ولا خبر، ولا معالم ولا معاهد، ولا مشارع ولا موارد، جزاء بما أسلفوا وعقابا على ما اقترفوا إذا خالفوا، وعاهد رؤساؤهم حضرة مولانا الصدر الأعظم المشار إليه على ما تقدم ذكره ، وكتب لهم بذلك التوقيع السلطاني والأمر الخاقاني، المتضمن ما تقدم من المعاني ، المتوج بالعلامة الشريفة، والطرة السلطانية المنيفة، المبدأ بذكره المؤرخ بتاريخه ، وحضر به إلى حضرة مولانا شيخ الإسلام المومى إليه أعلاه، كل من فلان وفلان ، وهم مشايخ عربان البحيرة المرقومون ، ولما تأمل فيه، وأحاط علمه الكريم ببديع معانيه، ونزه

طَرْفه فى رياض فصوله، ورآه جارياً على قواعد الشرع وأصوله، والتمس منه الجماعة المذكورون كتابة حجة متضمنة لفحواه ، مؤكدة له مقوية لمعناه ، أمر بكتابة هذا المرسوم على الوجه المشروح المرقوم، وقيد ذلك بالسجل المحفوظ ليراجع عند الاحتياج إليه ، والاحتجاج به » ، انتهى .

وفى خامسه[1] نزل محمد باشا توسون والى جدة من القلعة فى موكب ، وتوجه إلى العادلية ، قاصداً السفر إلى جدة .

وفى يوم الأربعاء تاسعه[2] ، قبضوا على ثلاثة من النصارى الأروام المتزيين بزى العساكر الإنكشارية ويعملون القبائح بالرعية ، فرموا رقابهم أحدهم بالدرب[3] الأحمر ، والثانى بسوق السلاح عند الرفاعى ، والثالث بالرميلة .

وفى يوم الخميس عاشره[4] ، أيضاً ، قطعوا رأس على جلبى تابع حسين أغا شنن بباب الخرق بين المفارق بأمر من الوزير ، والسبب فى ذلك أن المرحوم يوسف باشا المذكور الكبير المتوفى بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، كان أودع عند حسين أغا شنن وديعة فلما ملك الفرنسيس مصر وجرى ما جرى من ورود العرضى والصلح ونقضه ، فاعتقد قصار العقول أن الأمر انتهى للفرنسيس ، فتجاوزوا الحد وأغروا ببعضهم وتتبعوا العورات، وكشفوا عن المستورات، ودلوا الفرنسيس على المخبآت، وتقربوا إليهم بكل ما وصلت إليه همتهم وراجت به سلعتهم، والمسكين المقتول مد يده إلى بعض ودائع سيده فاختلس منها وتوسع فى نفسه وركب الخيول واتخذ له خدماً ، وتداخل مع الفرنسيس وحواشيهم ، فاستخفوا عقله فاستفسروا منه ، فأخبرهم بالودائع والخبايا فاستخرجوها ونقلوها وكانت شيئاً كثيراً جداً ، وأظهر أن ذلك لم يكن بواسطته ليوارى ما اختلسه لنفسه، ويكون له عذر فى ذلك ، فلما حضر له سيده صحبة العرضى ذهب إليه وتملق له وربط فى رقبته منديلاً ، فأهمل أمره إلى هذا الوقت حتى اطمأن خاطره ، ثم إنه أخبر بقصته الوزير لعلمه أنه سيطالب بوديعة يوسف باشا، فأمره بأن يرفع قصته إلى القاضى ويثبت تلك الدعوى لتبرأ ساحته عند الدولة ففعل ، ثم أمر الوزير بقتل على جلبى المذكور ، فقتل وترك مرمياً ثلاثة أيام بلياليها .

---

(١) ٥ شعبان ١٢١٦ هـ / ١١ ديسمبر ١٨٠١ م . (٢) ٩ شعبان ١٢١٦ هـ / ١٥ ديسمبر ١٨٠١ م .

(٣) الدرب الأحمر: انظر، جـ ١ ص٧٨، حاشية رقم (٥) . (٤) ١٠ شعبان ١٢١٦ هـ / ١٦ ديسمبر ١٨٠١ م .

شهر رمضان المعظم سنة ١٢١٦[١]

استهل بيوم الأربعاء[٢] ، ولم يعمل فيه شنك الرؤيـا على العادة خوفاً من عربدة العساكر، والمحتسب كان غائباً، فركب كتـخدا بدلاً عنه بموكبه فقط، ولم يركب معه مشايخ الحرف، فذهب إلـى المحكمة، وثبت الهلال تلك الليـلة، ونودى بالصوم من الغد .

وفيه[٣] ، أمر الوزير محمد بـاشا العربى بالسفر إلى البلاد الشامـية ، فبرز خيامه إلى خارج باب الـنصر، وخرج هو فى ثـالثه[٤] وسافر ، وأشـيع سفر الوزيـر أيضاً، وذلك بعد أن حضرت أجوبة من الباب الأعلى .

وفى ثالثه[٥] ارتحل محمد باشا المذكور .

وفى خامسه[٦] ،انتقل رئيس أفندى من بيت الألفى وسكن فى بيت إسماعيل بيك وشرعوا فى تعميره وإصلاحه لسكن والى مصر .

وفى ثانى عشره[٧] ، وصل محمد باشا والى مصر إلى شلقان[٨] .

وفى ثالث عشره[٩] ، ضربت عده مدافع من الجيزة صـباحاً ومساء، فقيل : « إنه حضر ستة قناصل إلى الجيزة ».

وفى خامس عشره[١٠] ، حضر القناصل المذكورون إلى بيت الوزير وقابلوه فخلع عليهم خلعاً ، ورجعوا إلى أماكنهم بالجيزة .

وفى ذلك اليوم، وصل محمد باشا والـى مصر إلى جهة بولاق ، ونصب وطاقه بالقرب مـن المكان المعروف بالحلـى، ثم انتقل إلى جهـة قبة النصر ، فلـما كان يوم الجمعة سابع عشره[١١] وصل إلى المدينة مـن باب النصر فى موكبه وطوائـفه على غير الهيئة المعتادة، ولـم يلبس الطلخان تأدباً مع الوزير ، لحصوله بمـصر فتوجه إلى بيت الوزير، وأفطر معه .

وفى تلك الليلـة، عزل خليل أفندى الرجائى من دفترداريـة الدولة، وقلد عوضه حسن أفندى باش محاسب ، وسببه أن الوزير طلـب خلعاً ليخلعها على والى مصر، وقناصل الإنـكليز ، فتأخر حـضورها فحنق وسأل عـن سبب تأخير المطـلوب، فقال

---

(١) رمضان ١٢١٦ هـ / ٥ يناير - ٣ فبراير ١٨٠٢ م .

(٢) ١ رمضان ١٢١٦ هـ / ٥ يناير ١٨٠٢ م .

(٣) ١ رمضان ١٢١٦ هـ / ٥ يناير ١٨٠٢ م .

(٤) ٣ رمضان ١٢١٦ هـ / ٧ يناير ١٨٠٢ م .

(٥) ٣ رمضان ١٢١٦ هـ / ٧ يناير ١٨٠٢ م .

(٦) ٥ رمضان ١٢١٦ هـ / ٩ يناير ١٨٠٢ م .

(٧) ١٢ رمضان ١٢١٦ هـ / ١٦ يناير ١٨٠٢ م .

(٨) شلقان : انظر جـ ٤ ص ٤٨٨ حاشية رقم (٢) .

(٩) ١٣ رمضان ١٢١٦ هـ / ١٧ يناير ١٨٠٢ م .

(١٠) ١٥ رمضان ١٢١٦ هـ / ١٩ يناير ١٨٠٢ م .

(١١) ١٧ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢١ يناير ١٨٠٢ م .

الرسول : «إن الخازندار قال حتى أستأذن الدفتردار»، فحنق الوزير وأمر بحبس الخازندار ، وعزل الدفتردار ، وهرب السفير الذى كان بينهما .

وفيه[1] ، انتقل الأمراء المصرلية المرادية من الجيزة إلى جزيرة الذهب، ونصبوا وطاقهم بها ، وأرسلوا ما كان عندهم من الحريم إلى دورهم بمصر ، واستمر إبراهيم بيك ، وعثمان بيك الحسينى ، ومحمد بيك المبذول ، وقاسم بيك أبو سيف بالجيزة، ولم يعلم حقيقة حالهم، ثم فى ثانى[2] يوم لحق إبراهيم بيك وباقى الجماعة بالآخرين، وخرج إليهم طلبهم ومتاعهم وأغراضهم ، فلما كان ليلة الإثنين تاسع عشره[3] ، ركبوا ليلا بأجمعهم إلى الصعيد من الجهة الغربية ، وتخلف عنهم قاسم بيك أبو سيف لمرضه ، وكذلك تخلف عنهم محمد أغا أغات المتفرقة وآخرون .

وفى عشرينه[4] نودى بالأمن على المماليك وأتباعهم ومن تخلف عنهم أو انقطع منهم ، وكذلك فى ثانى[5] يوم .

وفيه[6] ، قلد محمد باشا والى مصر حسن أغا وألبسه على جرجا .

وفى ثامن عشرينه[7] ، عزل الباشا محمد أغا المعروف بالزربة من الكتخدائية ، وهو من الصرلية ، وولاه كشوفية الغربية ، وتقلد عوضه فى الكتخدائية يوسف أغا أمين الضربخانة سابقاً ، وتقلد كشوفية المنوفية، وتقلد كشوفية القليوبية .

وفى ليلة الأربعاء تاسع عشرينه[8] ،ذهب يوسف أفندى إلى عند والى مصر فقلده نقابة الأشراف ، وألبسه فروة بعد أن كان أهمل أمره .

وفيه[9] ، عزل أغات الإنكشارية وتولى أخر عوضه من العثمانية ونزل المعزول إلى بولاق ليسافر إلى جهة الصعيد .

شهر شوال سنة ١٢١٦[10]

استهل بيوم الخميس[11] ، فى ثالثه يوم السبت[12] ، خرج چاليش[13] الوزير إلى قبة النصر، ونودى بخروج العساكر ، ويكون آخر خروجهم يوم

(١) ١٧ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢١ يناير ١٨٠٢ م .
(٢) ١٨ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢٢ يناير ١٨٠٢ م .
(٣) ١٩ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢٣ يناير ١٨٠٢ م .
(٤) ٢٠ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٢ م .
(٥) ٢١ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢٥ يناير ١٨٠٢ م .
(٦) ٢٠ رمضان ١٢١٦ هـ / ٢٤ يناير ١٨٠٢ م .
(٧) ٢٨ رمضان ١٢١٦ هـ / ١ فبراير ١٨٠٢ م .
(٨) ٢٩ رمضان ١٢١٦ هـ/ ٢ فبراير ١٨٠٢ م .
(٩) ٢٩ رمضان ١٢١٦ هـ / ١ فبراير ١٨٠٢ م .
(١٠) شوال ١٢١٦ هـ / ٤ فبراير - ٤ مارس ١٨٠٢ م .
(١١) ١ شوال ١٢١٦ هـ / ٤ فبراير ١٨٠٢ م .
(١٢) ٣ شوال ١٢١٦ هـ/ ٦ فبراير ١٨٠٢ م .
(١٣) چاليش : فى الفارسية تعنى الحرب والمعركة ، وتستعمل فى العربية بمعنى علم كبير فى أعلاه خصلة من شعر الخيل .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٧ - ٥٨ .

الإثنين[1] ، فشرعوا فى الخروج بأحمالهم ودوابهم ، فلما كان يوم الإثنين خامسه[2] ، خرج الوزير على حين غفلة إلى قبة النصر، وتتابع خروج الأثقال والأحمال والعساكر، وحصل منهم فى الناس عربدة وأذية، وأخذ بعضهم من عطارين القصرين ثلاثة أرطال بن ثمنها مائة وعشرون نصف، فرمى له عشرين نصفاً ، فصرخ الرجل وقال : «أعطنى حقى»، فضربه وقتله فأغلق الناس الحوانيت، وانكفوا فى دورهم ، فاستمرت جميع حوانيت البلدة مغلوقة حتى سافرت العساكر، وانتقلت من قبة النصر، ولازم حضرة محمد باشا والى مصر وطاهر باشا على المرور والطواف بالشوارع بالتبديل، وثياب التخفيف ليلاً ونهاراً ، ولولا ذلك لحصل من العسكر مالا خير فيه .

وفيه[3] ، كتبت فرمانات وألصقت بالشوارع ومفارق الطرق، مضمونها : « بأن لا أحد يتعرض بالأذية لغيره ، وكل من كان له دعوة أو شكية فليرفع قصته إلى الباشا، وكل إنسان يمشى فى زيه وقانونه القديم، ويلازموا[4] على الصلوات بالجماعة فى المساجد ، ويوقدوا[5] قناديل ليلاً على البيوت والمساجد والوكائل والخانات التى بالشوارع »، ولا يمر أحد من العسكر من بعد الغروب، والذى يمشى بعد الغروب من أهل البلد يكون معه فانوس أو سراج، ويبيعون ويشترون بالحظ والمصلحة ، ولا أحد يخفى عنده أحداً من عسكر العرضى والذى يبقى منهم بعد سفر الوزير من غير ورقة بيده يعاقب وأن القهاوى المحدثة جميعها تغلق ، ولا يفتح إلا القهاوى القديمة الكبار، ولا يبيت أحد من العسكر فى قهوة ، ولا يبيعون المسكرات ولا يشترونها إلا الكفرة سراً، وأمثال ذلك » ، فانسرت القلوب بتلك الفرمانات، واستبشروا بالعدل .

وفيه[6] ، خرجت عساكر وسافرت إلى جهة قبلى، وعدتهم ستة آلاف ، وذلك بسبب الأمراء المصرلية الهربانين، وقرر لهم بأن من أتى برأس صنجق فله ألف دينار، أو كاشف فله ثلثمائة ، أو جندى أو مملوك فله مائة .

وفى يوم السبت[7] ، ركب الوزير من قبة النصر وارتحل العرضى إلى الخانكة ، وعند ركوبه حضر إليه السيد عمر أفندى النقيب ، وبعض المتعممين لوداعه ، فأعطاهم صرراً وقرءوا له الفاتحة وركب ، وخرج أيضاً فى ذلك اليوم بقية المشايخ وذهبوا إلى الخانكة أيضاً وودعوه ورجعوا .

وفى يوم الإثنين ثانى عشره[8] ، أحضر الباشا محمد آغا الوالى ، وسليم أغا

---

(1) ٥ شوال ١٢١٦ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٢ م .
(2) ٥ شوال ١٢١٦ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٢ م .
(3) ٥ شوال ١٢١٦ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٢ م .
(4) هكذا بالأصل وصحتها « يلازمون » .
(5) هكذا بالأصل وصحتها « يوقدون » .
(6) ٥ شوال ١٢١٦ هـ / ٨ فبراير ١٨٠٢ م .
(7) ١٠ شوال ١٢١٦ هـ / ١٣ فبراير ١٨٠٢ م .
(8) ١٢ شوال ١٢١٦ هـ / ١٥ فبراير ١٨٠٢ م .

المحتسب، وأمر برمى رقابهما ، فقطعوا رأس الوالى تحت بيت الباشا على الجسر والمحتسب عند باب الهواء، وختم على دورهما فى تلك الساعة، وشاع خبر ذلك فى البلد ، فارتاع الناس لذلك، واستعظموه وداخل الخوف أهل الحرف مثل : الجزارين والخبازين وغيرهم، وعلقوا اللحم الكثير بحوانيتهم وباعوه بتسعة أنصاف بعد أن كانوا يبيعوه بأحد عشر مع قلته واحتكاره، وكانوا نبهوا عليهم قبل ذلك فلم يستمعوا .

وفى صبحها يوم الثلاثاء[1] ، قلد على أغا الشعراوى الزعامة عوضاً عن محمد أغا المقتول، وزين الفقار كتخدا أمين احتساب عوضاً عن سليم أغا أرنؤد المقتول أيضاً، واجتمعوا ببيت القاضى ، وحضر أرباب الحرف ، وعملوا قائمة تسعيرة لجميع المبيعات من المأكولات، وغيرها فعملوا : اللحم الضانى بثمانية أنصاف، والماعز بسبعة ، والجاموسى بستة، وأن لا يباع فيه شئ من السقط مثل : الكبدة والقلب وغير ذلك، والسمن المسلى بمائة وثمانين نصفاً العشرة أرطال ، بعد أن كانت بثلثمائة وأربعين والزبد العشر بمائة وستين ، بعد أن كانت بمائتين وأربعين ، وجميع الخضروات تباع بالرطل حتى الفجل والليمون ، والجبن الذى بخيره بثلاثة أنصاف بعد عشرة، والخبز رطل بنصف فضة، وكذلك جميع الأشياء العطرية، والأقمشة العشرة أحد عشر، والراوية الماء بعشرة أنصاف بعد عشرين، وغير ذلك، ورسموا بأن الرطل فى الأوزان مطلقاً يكون قبانى اثنى عشر وقية، وأبطلوا الرطل الزياتى الذى يوزن به الأدهان والأجبان والخضروات، وهو أربعة عشر وقية، فلم يستمر من هذه الأوامر بعد ذلك سوى نقص الأرطال، ولما برزت هذه الرسوم هرع الناس لشراء اللحم والمأكولات حتى فرغ الخبز من الأفران، وشق المحتسب فقبض على جماعة من الخبازين وخزم آنافهم ، وعلق فيها الخبز وكذلك الجزارون خزمهم وعلق فى آنافهم اللحم ، وأكثر حضرة الباشا وعظماء أتباعه من التجسس، وتبديل الشكل والملبوس والمرور والمشى فى الأزقة والأسواق حتى أخافوا الناس ، وانكف العسكر عن الأذية ولزموا الأدب ، ومشى كل أحد فى طريقته وأدبه، ومشت النساء كعادتهن فى الأسواق لقضاء أشغالهن، فلم يتعرض لهن أحد من العسكر، كما كانوا يفعلون .

وفى يوم الخميس خامس عشره[2] ، ارتحل الوزير من بلبيس .

وفى يوم السبت سابع عشره[3] ، سافر خليل أفندى الرجائى الدفتردار المعزول فى البحر من طريق دمياط ، وانتقل شريف أفندى الدفتردار إلى الدار التى كان بها الأول ، وهى دار البارودى بباب الخرق .

(1) ١٣ شوال ١٢١٦ هـ / ١٦ فبراير ١٨٠٢ م . (2) ١٥ شوال ١٢١٦ هـ / ١٨ فبراير ١٨٠٢ م .
(3) ١٧ شوال ١٢١٦ هـ / ٢٠ فبراير ١٨٠٢ م .

وفى يوم الإثنين تاسع عشره[1] ، كان موكب أمير الحاج عثمان بيك ، وصحبته المحمل على العادة ، وخرج فى أبهة ورونق وانسرت القلوب فى ذلك اليوم إلى لقائه، ونجز له جميع اللوازم مثل الصرة وعوائد العربان وغير ذلك، وكان المتقيد بتشهيل ذلك وبجميع اللوازم حضرة شريف محمد أفندى الدفتردار .

وفى يوم الثلاثاء سابع عشرينه[2] ، شنقوا ثلاثة أنفار فى جهات مختلفة تزيوا بزى العسكر ، يقال إنهم من الفرنسيس ، افتقدوهم من العسكر المتوجه إلى الحج .

وفى ذلك اليوم ، عمل حضرة الباشا ديواناً ، وأرسل الجاويشية إلى جميع المشايخ والعلماء وخلع عليهم خلعاً سنية زيادة على العادة أكثر من سبعين خلعة ، وكذلك على الوجاقلية والأفندية وجبر خاطر الجميع ، وكانت العادة فى هذا التلبيس أن يكون عند قدومه ، والسبب فى تأخيره لهذا الوقت تعويق حضور المراكب التى بها تلك الخلع .

وفى يوم الخميس تاسع عشرينه[3] ، انتقل أمير الحاج بالركب من الحصوة إلى البركة .

وفيه[4] ، ركب حضرة محمد باشا إلى الإمام الشافعى فزاره وأنعم على الخَدَمَة بستين ألف فضة ، وألبسهم خلعاً ، وفرق دنانير ودراهم كثيرة فى غير محلها، وكذلك يوم الجمعة[5] ، ركب وتوجه إلى المشهد الحسينى فصلى الجمعة ، وخلع على الإمام الراتب والخطيب وكبير الخدَمة فراوى ، وفرق دراهم كثيرة فى طريقه ، ورجع من ناحية الجمالية، وكان فى موكب جليل على الغاية .

وفيه[6] ، أمر المشار إليه بنصب عدة مشانق عند أبواب المدينة برسم الباعة والمتسببين والخبازين وغيرهم، وأكثر أرباب الدرك من المرور والتجسس والتخويف ، وعلقوا عدة أناس من الباعة على حوانيتهم وخزموهم من آنافهم، فرخص السعر، وكثرت البضائع والمأكولات ، وحصل الأمن فى الطرق ، وانكفت العربان وقطاع الطرق، فحضرت الفلاحون من البلاد وكثر : السمن والجبن والأغنام ، وكبر العيش، وكثر وجوده وانحط سعر السمن عن التسعيرة عشرين نصفاً لكثرته، ولله الحمد ، وهاب الناس هذا الباشا وخافوه ، وصاروا يترغمون به فى البلاد والأرياف، ويغنون بذكره حتى الصبيان فى الأسواق، ويقولون : « سيدى يامحمد باشا يا صاحب الذهب الأصفر » وغير ذلك ، وكان فى مبتدأ أمره يظنه الظمآن ماء .

---

(١) ١٩ شوال ١٢١٦ هـ / ٢٢ فبراير ١٨٠٢ م .

(٢) ٢٧ شوال ١٢١٦ هـ / ٢ مارس ١٨٠٢ م .

(٣) ٢٩ شوال ١٢١٦ هـ / ٣ مارس ١٨٠٢ م .

(٤) ٢٩ شوال ١٢١٦ هـ / ٣ مارس ١٨٠٢ م .

(٥) ٣٠ شوال ١٢١٦ هـ / ٤ مارس ١٨٠٢ م .

(٦) ٣٠ شوال ١٢١٦ هـ / ٤ مارس ١٨٠٢ م .

شهر القعدة سنة ١٢١٦[1]

استهل بيوم السبت[2] ، فيه نهبت العربان قافلة التجار الواصلة من السويس .

وفي ثانيه[3] ، حضر السيد أحمد الزرو الخليلي التاجر بوكالة الصابون بديوان الباشا ، وتداعى على جماعة من التجار، وثبت له عليهم عشرة آلاف ريال، فأمر الباشا بسجنهم .

وفي رابعه[4] يوم الثلاثاء، حضر السيد أحمد المذكور إلى بيت الباشا، فأمر بقتله، فقبض عليه جماعة من العسكر وقطعوا رأسه عند المشنقة حيث قنطرة المغربي على قارعة الطريق، وختموا على موجوده وأخذ الباشا ما ثبت له على المحبوسين، والسبب في ذلك أن بعضهم أوشى إلى الباشا أنه كان يحب الفرنسيس ويميل إليهم ويسالمهم ، وعند خروجهم هرب إلى الطور خوفاً من العثمانية، ثم حضر بأمان من الوزير .

وفي يوم الجمعة[5] ، حضر المشار إليه إلى الجامع الأزهر بالموكب فصلى به الجمعة، وخلع على الخطيب فروة سمور ، وفرق ونثر دراهم ودنانير على الناس في ذهابه وإيابه، وتقيد قبي كتخدا[6] ، وإسماعيل أفندي شقبون بتوزيع دراهم على الطلبة والمجاورين بالأروقة، والعميان والفقراء، ففرقوا فيهم نحو خمسة أكياس .

وفيه[7] ، عمل الشيخ عبد الله الشرقاوي وليمة لزواج ابنه ، ودعا حضرة المشار إليه ، فحضر في يوم الأحد ثانيه[8] ، وحضر أيضاً شريف أفندي ، وعثمان كتخدا الدولة فتغدوا عنده، وأنعم على ولد الشيخ بخمسة أكياس رومية وألبسه فروة سمور، وفرق على الخدم والفراشين والقراء دنانير ودراهم بكثرة، وكذلك دفع عثمان كتخدا، وشريف أفندي كل واحد منهم كيساً وانصرفوا .

وفي يوم الأربعاء خامسه[9] ، أحضر الباشا محمد أغا المعروف بالوسيع ، أغاة المغاربة وأمر بقتله ، فقطعوا رأسه على الجسر ببركة الأزبكية قبالة بيت الباشا لأمور نقمها عليه ، وكتبت في ورقة وضعت عند رأسه .

---

(١) ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٥ مارس - ٣ أبريل ١٨٠٢ م. (٢) ١ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٥ مارس ١٨٠٢ م .

(٣) ٢ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٦ مارس ١٨٠٢ م . (٤) ٤ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٨ مارس ١٨٠٢ م .

(٥) ٧ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ١١ مارس ١٨٠٢ م .

(٦) قبي كتخدا : أي وكيل الباب ، فمعنى « قبي » الباب ، وكتخدا بمعنى الوكيل .

(٧) ٧ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ١١ مارس ١٨٠٢ م . (٨) ٢ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٦ مارس ١٨٠٢ م .

(٩) ٥ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ٩ مارس ١٨٠٢ م .

وفى يوم الخميس سادسه[1] ، توفى قاسم بيك أبو سيف على فراشه .

وفى منتصفه[2] ، وردت الأخبار من الجهة البحرية بضياع نحو الخمسين مركباً حلت مراسيها من ثغر سكندرية مشحونة بمتاجر وبضائع، وكانت معوقة بكرنتيلة الإنكليز، فلما أذنوا لهم بالسراح، فما صدقوا بذلك فصادفتهم فرتونة[3] خرجت عليهم ، فضاعوا بأجمعهم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

وفيه[4] ، طلب الباشا المشايخ وتكلم معهم فى شأن الشيخ خليل البكرى، وعزله عن وظيفته وسأل رأيهم فى ذلك، فقالوا له : «الرأى لحضرتكم»، فقال : «إن الشيخ خليل لا يصلح لسجادة الصديق، وأريد عزله عنها من غير ضرر عليه، بل أعطيه إقطاعاً لنفقته، والقصد أن تروا رأيكم فيمن يصلح لذلك، ومن يستحق» ، فطلبوا المهلة إلى غد وانحط الرأى بعد اختلاف كبير على تقليد ذلك لمحمد سعد من أولاد جلال الدين، فلما حضروا فى اليوم الثانى، أخبروه بذلك، وأنه يستحقها إلا أنه فقير، فقال : «إن الفقر ليس بعيب»، فأحضروه وألبسه فروة سمور وأركبه فرساً بعباءة مزركشة، وأنعم عليه بثمانين ألف درهم، وكان من الفقراء المحتاجين للدرهم الفرد، ولما ذهب للسلام على الشيخ السادات خلع أيضاً فروة سمور عليه .

وفى يوم الإثنين رابع عشرينه[5] ، توفى إلى رحمة الله الشيخ مصطفى الصاوى الشافعى، وكان عالماً نجيباً وشاعراً لبيباً وقد ناهز الستين .

وفيه[6] ، جهزت عدة من العسكر إلى قبلى .

وفيه[7] ، نودى بأن خراج الفدان مائة وعشرون نصفاً، وكذلك نودى برفع عوائد القاضى والأفندى التى كانت تؤخذ على إثبات الجامكية[8] ، والجراية ، والرفق بعوائد تقاسيط الالتزام والإقطاع، وكتبوا بذلك أوراقاً، وألصقت بالأسواق ، وفى أخرها لا ظلم اليوم ، أى مما تقرر إلا قبل اليوم، فإن الفدان بلغ فى بعض القرى بمصاريفه ومغارمه أربعة آلاف نصف فضة، وأما بدعة القاضى وعوائد التقاسيط، فزادت عن أيام الوزير ، وزاد على ذلك إهمال الأوراق ببيت الباشا لأجل العلامة شهرين وأربعة حتى يسأم صاحبها، وتحفى أقدامه من كثرة الذهاب والمجئ ومقاسات الذل من الخدم والأتباع، ودفع البقشيش والرشوة على التعجيل أو يتركها ، وربما ضاعت بعد طول المدة، فيحتاج إلى استئناف العمل .

---

(١) ٦ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ١٠ مارس ١٨٠٢ م .

(٢) ١٥ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٢ م .

(٣) فرتونة : الريح الشديدة المهلكة .

(٤) ١٥ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ١٩ مارس ١٨٠٢ م .

(٥) ٢٤ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٢ م .

(٦) ٢٤ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٢ م .

(٧) ٢٤ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٢ م .

(٨) الجامكية : من الفارسية « جامعة » ، والمعنى هنا الراتب الشهرى من الغلال ، فهى أجر ومنحة .
سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ٥٩ .

شهر ذى الحجة الحرام سنة ١٢١٦[١]

استهل بيوم الأحد[٢] ، فى رابعه[٣] ، حضر خمسة أشخاص من الكشاف القبالى من أتباع إبراهيم بيك الوالى إلى مصر بأمان ، فقابلوا حضرة والى مصر ، وأنعم عليهم وألبسهم خلعاً .

وفيه[٤] ، أنعم على خدامهم، وفيه عمل الإنكليز كرنتيلة بالجيزة ومنعوا من يدخلها ومن يخرج منها ، وذلك لتوهم وقوع الطاعون ، وورود الأخبار بكثرته فى جهة قبلى، وبعض البلاد البحرية، وأما المدينة ففيها بعض تنقير .

وفى يوم الإثنين تاسعه[٥] ، كان يوم الوقوف بعرفة، وعملوا فى ذلك اليوم شنكا ومدافع، وحضرت أغنام وعجول للأضحية حتى امتلأت منها الطرقات ، وازدحمت الناس وأفراد العسكر على الشراء، وغيمت السماء فى ذلك اليوم، وأمطرت مطراً كثيراً حتى توحلت الأزقة، ونودى بفتح الحوانيت والقهاوى والمزينين ليلاً ، وإظهار الفرح والسرور، وإظهار بهجة العيد، واستمر ضرب المدافع فى الأوقات الخمسة، ونودى أيضاً بالمواظبة على الاجتماع للصلوات فى المساجد، وحضور الجمعة من قبل الصلاة بنصف ساعة، وأن يسقوا العطاش من الأسبلة، ولا يبيعون ماءها ، وأشيع سفر الإنكليز ، وسفر عثمان كتخدا الدولة ، وتشهيل الخزينة .

وفى خامس عشره[٦] ، حضر قاصد من الديار الرومية بمكاتبات وتقرير نقابة الأشراف للسيد عمر ، وعزل يوسف أفندى، فلما كان فى صبحها يوم الأحد ، ركب السيد عمر المذكور، وتوجه إلى عند الباشا، فألبسه خلعة سمور ثم حضر إلى عند الدفتردار كذلك ، وكانت مدة ولاية يوسف أفندى المعزول شهرين ونصفاً .

وفى يوم الأربعاء ثامن عشره[٧] ، خرج أحمد أغا خورشيد أمير الإسكندرية إلى بولاق قاصداً السفر إلى منصبه، وركب الباشا لوداعه فى عصريته، وضربوا عدة مدافع من بولاق وبر إنبابة ، ونودى فى ذلك اليوم بأن لا أحداً يوارى أحداً من الإنكليز أو يخبيه ، وكل من فعل ذلك عوقب .

وفى خامس عشرينه[٨] ، قبضوا على امرأة سرقت أمتعة من حمام وشنقوها عند باب زويلة .

---

(١) ذو الحجة ١٢١٦ هـ / ٤ أبريل - ٣ مايو ١٨٠٢ م . (٢) ١ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ٤ أبريل ١٨٠٢ م .
(٣) ٤ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ٧ أبريل ١٨٠٢ م . (٤) ٤ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ٧ أبريل ١٨٠٢ م .
(٥) ٩ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ١٢ أبريل ١٨٠٢ م . (٦) ١٥ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ١٨ أبريل ١٨٠٢ م .
(٧) ١٨ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ٢١ أبريل ١٨٠٢ م . (٨) ٢٥ ذى الحجة ١٢١٦ هـ / ٢٨ أبريل ١٨٠٢ م .

وانقضت هذه السنة ، وما تجدد بها من الحوادث التى من جملتها أن شريف أفندى الدفتردار ، أحدث على الرزق الأحباسية المرصدة على الخيرات والمساجد وغيرها مال حماية ، على كل فدان عشرة أنصاف فضة وأقل وأكثر فى جميع الأراضى المصرية القبلية والبحرية، وحرروا بذلك دفاتر ، فكل من كان تحت يده شئ من ذلك قل أو كثر يكتب له عرضحال ، ويذهب به إلى ديوان الدفتردار، فيعلم عليه علامته ، وهى قوله : « قيد » بمعنى أنه يطلب قيود من محله التى تثبت دعواه، ثم يذهب بذلك العرضحال إلى كاتب الرزق فيكشف عليها فى الدفاتر المختصة بالإقليم الذى فيه الأرصاد بموجب الإذن بتلك العلامة، فيكتب له ذلك تحتها بعد أن يأخذ منه دراهم، ويطيب خاطره بحسب كثرة الطين وقلته، وحال الطالب، ويكتب تحته علامته، فيرجع به إلى الدفتردار ، فيكتب تحته علامة غير الأولى ، فيذهب به إلى كاتب الميرى فيطالبه حينئذ بسنداته وحجج تصرفه، ومن أين وصل إليه ذلك فإن سهلت عليه الدنيا ، ودفع له ما أرضاه كتب له تحت ذلك عبارة بالتركى لثبوت ذلك ، وإلا تعنت على الطالب بضروب من العلل وكلفه بثبوت كل دقيقة يراها فى سنداته، وعطل شغله، فما يسع ذلك الشخص إلا بذل همته فى تتميم غرضه بأى وجه كان ، إما أن يستدين أو يبيع ثيابه، ويدفع ما لزمه ، فإن ترك ذلك وأهمله بعد اطلاعهم عليه حلُّوه عنه، ورفعوه وكتبوه لمن يدفع حلوانه ثلاث سنوات أو أكثر، وكتبوا له سنداً جديداً يكون هو المعول عليه بعد ، ويقيد بالدفاتر ، ويبطل اسم الأول وما بيده من الوقفيات والحجج والإفراجات القديمة، ولو كانت عن أسلافه، ثم يرجع كذلك إلى الدفتردار ، فيكتب له علامة لكتابة الإعلام ، فيذهب به إلى الإعلامجى[1] فيكتب له عبارة أيضاً فى معنى ما تقدم ، ويختم تحتها بختم كبير فيه اسم الدفتردار، ويأخذ على ذلك دراهم أيضاً ، وبعد ذلك يرجع إلى الدفتردار، فيقرر ما يقرره عليها من المال الذى يقال له مال الحماية، ثم يذهب بها إلى بيت الباشا ليصحح عليها بعلامته، ويطول عند ذلك انتظاره لذلك ، ويتفق إهمالها الشهرين والثلاثة عند الفرمانجى[2] ، وصاحبها يغدو ويروح فى كل يوم حتى تحفى قدماه، ولا يسهل به تركها بعد ما قاساه من التعب، وصرفه من الدراهم، فإذا تمت علامتها دفع أيضاً المعتاد الذى على ذلك ، ورجع بها إلى بيت الدفتردار ، فعند ذلك يطلبون منه ما تقرر عليها، فيدفعه عن تلك السنة ، ثم يكتبون له سنداً جديداً، ويطالب بمصروفه أيضاً، وهو شئ له صورة أيضاً ، فلا يجد بداً من دفعه ، ولا يزال كذلك يغدو ويروح مدة أيام حتى يتم له المراد .

(١) الإعلامجى : أى الذى يعلن الحق من عدمه ، أى يعلم بالأمر الواقع .

(٢) الفرمانجى : الشخص الذى يقوم بإكمال إجراءات التوقيع ، ويصدر على يديه الفرمان ، أى الذى يعد الفرمان قبل التوقيع .

ومنها : المعروف بالجامكية ، ومرتبات الغلال بالأنبار[1] ، وذلك أن من جملة الأسباب فى رواج حال أهل مصر المتوسطين وغناهم ومدار حال معاشهم وإيرادهم فى السابق ، هذان الشيئان وهما الجامكية والغلال التى يقال لها الجرايات ، رتبها الملوك السالفة من الأموال الميرية للعساكر المنتسبة للوجاقات والمرابطين بالقلاع الكائنة حوالى الإقليم .

ومنها : ماهو للأيتام والمشايخ والمتقاعدين ونحوهم، وكانت من أروج الإيراد لأهل مصر، وخصوصاً أهل الطبقة الذين ليس لهم إقطاع ولا زراعات ولاتجارات ، كأهل العلم ومساتير أولاد البلد والأرامل ونحوهم ، وثبت وتقرر إيرادها وصرفها فى كل ثلاثة أشهر من أول القرن العاشر إلى أواخر الثانى عشر[2] ، بحيث تقرر فى الأذهان عدم اختلالها أصلاً، ولَمّا صارت بهذه المثابة تناقلوها بالبيع والشراء والفراغ وتغالوا فى أثمانها ورغبوا فيها ، وخصوصاً لسلامتها من عوارض الهدم والبناء كما فى العقار ، وأوقفوها وأرصدوها ورتبوها على جهات الخيرات والصهاريج والمكاتب، ومصالح المساجد ، ونفقات أهل الحرمين ، وبيت أهل المقدس ، وأفتى العلماء بصحة وقفها لعلة عدم تطرق الخلل ، فلما اختلت الأحوال ، وحدثت الفتن ، وطمع الحكام والولاة فى الأموال الميرية ضعف شأنها ، ورخص سعرها وانحط قدرها، وافتقر أربابها ، ولم تزل فى الانحطاط والتسفل حتى بيع الأصل والإيراد بالغبن الفاحش جداً ، وتعطل بسبب ذلك متعلقاتها ، ولم يزل حالها فى اضطراب إلى أن وصل هؤلاء القادمون وجلس شريف أفندى الدفتردار المذكور ، ورأى الناس فيه مخايل الخير لما شاهدوه فيه من البشاشة وإظهار الرفق والمكارم، عرض الناس عليه شأن العلوفة المذكورة والغلال فلم يمانع فى ذلك، وكتب الإذن على الأوراق كعادته، وذهب بها أربابها إلى ديوان الكتبة ، وكبيرهم يسمى حسن أفندى باش محاسب، وهو من العثمانيين عارض فى حسابها، وقال : «إن العثمانى اسم لواحد الأقجة[3] وصرفه عندنا بالروم كل ثلاث أقجات بنصف فضة ومافى دفاتركم يزيد فى الحساب الثلث»، فعورض وقيل له : « إن الأقجة المصرى كل اثنين بنصف بخلاف اصطلاح الروم وهذا أمر تداولنا عليه من قديم الزمان ولم يزل حتى فقد ذلك المشروع » ، ومشوا على فقد الثلث، ورضى الناس بذلك لظنهم رواج الباقى ، وعند استقرار الأمر بذلك أخذوا يتعنتون على الناس فى الثبوت ، وقد كان الناس اصطلحوا فى أكثرها عند فراغها على عدم تغيير الأسماء التى رقمت بها ، وخصوصاً بعد ضعفها ، فيبيعها البائع ويأخذها المشترى بتمسك البيع فقط ، ويترك سند الأصل

---

(١) غلال الأنبار : أى شون الغلال الأميرية .

(٢) أول القرن العاشر - آخر القرن الثانى عشر / ٢١ سبتمبر ١٤٩٥ - ٢٣ أكتوبر ١٧٨٦ م .

(٣) الأقجة : عملة عثمانية تعنى البارة .

بما فيه من الاسم القديم عنده، أو تكون باسم الشخص، ويموت وتبقى عند أولاده، فجعلوا معظمها بهذه الصورة، وأخذوه لأنفسهم وأعطوا منهم لأغراضهم بعد رفع الثلث الأصل وثلث الإيراد، وضاعت على أربابها مع كونهم فقراء، وكذلك فعلوا في أوراق الغلال وجعلوها بدراهم عن كل أردب خمسون نصفاً غلا أو رخص، وزادوا في القيود التي تكتب على العرضحالات المصطلحين عليها، بأن يكتب عليها أيضاً قاضي العسكر بعد حسابهم مقدار العلوفة والغلال، ويأخذ على كل عثماني نصفين أو أقل أو أكثر، وعلى كل أردب قرشاً رومياً، وكل ذلك حيلة على أخذ المال بطريق شيطاني، وحرروا ما حرروه، ودفعوا للناس ما دفعوه مقسطاً على الجمع والشهور، ورضوا بذلك، وفرحوا به لظنهم دوامه، واستعوضوا الله فيما ذهب لهم، وختموا الدفتر على مقدار ما عرض عليهم، وما ظهر بعد ذلك لا يعمل به ويذهب في المحلول ولما انقضت هذه السنة الأخرى وافتتح الناس الطلب، قيل لهم: «إن الذي أخذتموه هو عن السنة القابلة، وقد قبضتموها معجلة»، وعزل شريف أفندي الدفتردار في أثرها، ووصل خليل أفندي الرجائي، واضطربت الأحوال، ولم ينفع القيل والقال كما يأتي.

وأما من مات في هذه السنة[1]

فمات، الشيخ العمدة الإمام، خاتمة العلماء الأعلام، ومسك ختام الجهابذة ذوي الافهام، ومن افتخر به عصره على الأعصار، وصاح بلبل فصاحته في الأمصار يتيمة الدهر، وشامة وجه أهل العصر، العالم المحقق والنحرير المدقق، بديع الزمان، والتاج المرصع على رؤوس الأقران، الناظم الناثر، الفصيح الباهر، الشيخ مصطفى بن أحمد المعروف بالصاوي، والده كان من أعيان التجار بمصر، وأصل مرباهم بالسويس بساحل القلزم، وصاوى نسبة إلى بلدة بشرقية بلبيس تسمى الصوة[2] وهي على غير القياس، وهي بلدة والده، ثم انتقل منها إلى السويس، وكان يبيع بها الماء، وولد له بها المترجم، فارتحل به إلى مصر وسكن بحارة الحسينية مدة، وأتى بولده المترجم إلى الجامع الأزهر، واشتغل بالقراءة، فحفظ القرآن والمتون، واشتغل بالعلم، وحضر دروس الأشياخ، ولازم الشيخ عيسى البراوي، وتخرج به، ومهروانجب وأقرأ الدروس وختم الختوم وشهد له الفضلاء، وكان لطيف الذات، مليح الصفات، رقيق حواشي الطبع، مشار إليه في الإفراد والجمع، مهذب الأخلاق، جميل الأعراق، اللطف حشو إهابه، والفضل لا يلبس غير جلبابه.

---

(١) كتب أمام هذه الفقرة بهامش ص ٢١٢ طبعة بولاق، « ذكر من مات في هذه السنة ».

(٢) الصوة: من القرى القديمة، كان اسمها القديم «سوق الشتاء»، وردت باسمها الحالي في تاريخ ١٢٢٨ هـ / ١٨١٣ م، وهي إحدى قرى مركز أبو حماد، محافظة الشرقية. رمزي، محمد: المرجع السابق، ق ٢، جـ ١، ص ٦٨.

لَوْ مُثِّلَ اللُّطفُ جِسْمًا   لكَانَ لِلُّطفُ رُوحَا

إذا نزل بناد ارتحلت الهموم، وارتضع من أخلاف أخلاقه بنت الكروم، تقاريره عذبة رائقة، وتحاريره فائقة، ذهنه وقاد، ونظمه مستجاد، فمن نظمه قوله :

أَقْبلَ الأنسُ يجتَلى بِسُرُورٍ   وتولَّى الحزْنُ الذى نَحْنُ فيه
وتناءت هُمُومُنَا بَعدَ قُربٍ   وتناهَتْ لَذاتُ مَاتَرتَجيه
واجتَمعنَا بلَيْلَة هى تُزْرِى   بالضُّحى إذْ صَحَا وَمَا قَدْ يَلِيه
ودَّت الشمسُ أنْ يكُونَ لها مثْـ   ـلُ ضيَا حُسْنها فما ترتضيه
واجتَلَوْنَا المدامَ أشْهَى مُدامٍ   مَعْ نَديمٍ يَاحُسْنَ ما نجتَليه
حَيثُ كانَتْ أكوابُنا كنُجُومٍ   كلَّما قَدْ شَرِبتَها قلْتَ إيه
واحتَسَيْنَا كاسَاتِها فَطرِبْنَا   بشَذَاهَا وراقَ ما نحتَسيه
واجْتنَيْنا من نَظْمِ دُرِّ حَبيبٍ   نثْرُه رائقٌ كخَمْرة فيه
فَرعَى اللهُ ليلةً قد تقضَّتْ   بالهَنَا والمنَا وعزٍّ وتيه
وسقَى اللهُ عَهْدَنا قطرَ سُحْبٍ   رائقاتٍ تجلُو المرابعَ تيه
مُذْ صفَا وُدنا برغم حَسُودٍ   معَ كَيْدِ العَذُول ذى التشْويه
يالَها لَيلَة حكَتْ جَنةَ الخلْـ   ـد وفيها مَا نَفْسُنا تشتَهيه
ليليةَ الأنسِ هَلْ تَعُودى لصَبٍّ   صَبَّهُ الوجْد دائمًا تعتَريه
تَجمَعى شملَهُ بأحمدَ مَنْ قَد   حَمدَ اللَّهُ فعلَ مَا يصطَفيه
هاكَ تُجلَى إليكَ خودٌ عَرُوسٌ   ثَوبُها العزُّ والبَها ترْتَديه
وهى تَتلُو عليكَ ياخَيْر مَوْلَى   ليسَ مَهْرى سِوَى الرضَا فاعطِنيه

وله :

نَزلْنا بهذا القَصرِ والنيلُ تحتَه   فلِلَّه قَصرٌ قدْ تعَاظَم بالمدِّ
معَ العالمِ النحريرِ أكرمِ مَاجِدٍ   إمامٍ هُمَامٍ جامِعٍ عَلَمٍ فَرْدِ
فأينَ ابنُ هَانى من فصَاحَة نُطقه   وأين أُويسٌ لا يُضَاهيه فى الزهْدِ
تأمَّلْ فما أثرٌ كعينٍ مُشَاهَدٍ   وأبصِرْ فما قُربٌ لديه كما البُعْدِ
وما هُوَ إلا البحْرُ لكنَّهُ حَلاً   وما هُو إلا البرُّ بالدينِ والعَهْدِ
وأعْنى به شَيخىَ البراوى مَنْ به   تحلَّى زمانُ العزِّ فى الجيد بالعقْدِ
أقولُ لِمن رامَ الوصُولَ لقَدْرِه   تمنيتَ أمرًا مستَحيلاً بلاَ حَدِّ
فهذا مقَامٌ ليس يُعطَى لغَيْرِه   وحاشَاهُ أنْ يُحْصَى بسَرد ولا عَدِّ
فيا أيها المُلْتاذُ إنْ رُمْتَ عِلْمَه   تحدَّثْ عن البحرِ المحيطِ عن الجهْدِ

ومَن لى وقد قصَّرتُ فى مَدْحِ سَيدى ومُعظمُ أسْنادى وذى الحلِّ والعَقْد
كـذلـك مَولانـا الشّريـفُ مُحمـد هو العلوىّ الأصْلِ قَد فاز بالسَّعْد
ويُنْسَبُ لِلمخْتَـارِ أشرفِ مُرسَلٍ عليه صَلاةُ الله طابَتْ كما النَّدّ

وله :

لَحاظُكَ تُزرى بالحُسَامِ بالمهنَّد وريقُك لايُرويه غير المبرّدِ
وطرفُك ذا السَّفَّاكُ قد سَفَكَ الدِّمَا وقَدكَ ذا السَّفاحُ فى الصَّبِّ معتدى
فَيا وجْههُ كمْ قد هَدَيتَ لحسنه ويـاشَعْرَه كَمْ قد أضَلَّيتَ مُهتَدى
ومَالىَ لاَ أصبُو بِضوْءِ جَبِينه وثغرٍ شَهِىٍ بالَّلآلى مُنَضَّد
ولامُ عذَاريه تَدُور بِخَدِّه كنَمَّام آسٍ مَعْ بَنفْسَجه النَّدى
وخُضْرَةُ ريْحَانٍ بِعارِضِه الذى يعَارِضُ قَلْبى فى هَواهُ وأكْبُدى
يُريك ربيعًا بالبهاء بَنَانه على وردِ خَدَّيه الزَّهِى المورّدِ
أرومُ حيَاةً وهو يَطْلبُ قَتْلتى بسَيفٍ مُعَدٍّ للقتّال ومُرصَد
فَيَا حَسَنٌ لَولاكَ مَا كانَ مُحْسَنٌ فأحْسِنْ لمضْنًى سَاهرِ الجفْنِ مُسْهَدِ
يبيتُ يُعانى أعظَمَ السُّقْمِ دائمًا سَلُوا لَيلَهُ واسْتَشْهِدُوا الشُّهبَ تشْهَد
ويسْنِدُ إرسَالُ السَّحاب لِدَمْعه مُسَلْسَلَ أحْزان بوَجْد مُجَدَّد
يقولُ العذولُ ارجِعْ فإنِّى ناصحٌ ورأيِىَ لايُروى سِوى عَن مُسَدَّد
فقلْتُ له دعنى فرأيك فاسِدٌ وقَولُك بُهتَانٌ بزُورٍ مُفَنَّد

وله :

مَنْ لمُضْنَى أحْشَاؤهُ تَتَلاَهَبْ مَا الغَضَا مِثْلُها ولايَتَقَارَبْ
جَفْنُه سَاهِرٌ وحُزْنُ جَفَاهُ مُسْتَمِرٌ ودمعُه يتَسَاكَبْ
يـا خَلِيلَيْه مِن حوادث دهرٍ حَارَبَتْهُ فصَارَ يُدْعى المحَارَبْ
لو رآه المتيَّمُونَ لَصَاحُوا مَا لهذَا الصُّدود وُدٌ يعَاقَبْ
فَرعَاهُ الإلهُ مِن مُسْتَهَامٍ مَا أرادَ الوِصَال إلا يراقَبْ
وحَبِيبٌ مُمَنَّعٍ ذُو جَمَالٍ وطَبِيبٌ لمهجة الصَّبِّ مَا طَبّْ
حَسَنٌ مُحْسِنٌ بِذات وفعلٍ كُلُّ حُسْنٍ لِذَاتِه يتَناسَبْ
حَيثُما وجْهُه لَهُ حَسَنَاتٌ إنْ جَنَى الذَّنبَ فهوَ لَيس يُحَاسَبْ
يَا غَزالا رِفْقًا بِصَبٍّ كَئيبٍ قَدْ نَآهُ الزَّمَانُ مِمَّنْ يُحَابَبْ
وخَفِ اللهَ فى مُحِبيك وارْحَمْ مَن تلظى وغير شكلك ما حَبّْ

ولما عمر الفقير جامع هذه الشوارد داره التى بالصنادقية ، بالقرب من الأزهر ،

فى سنة إحدى وتسعين ومائة وألف[1] عمل المترجم أبياتاً وتاريخاً رقمت بطراز مجلس العقد الداخل وهى :

خَلِيلَىَّ هذا الروضُ فاحَتْ زُهُورُه ... ولاحَ على الأكوانِ حقًا ظُهُورُه
وزاد ثَنَاءً عبَّقَ الجوَّ طيبُه ... فمنهُ عبيرُ المسْكَ طابَ عُبُورُه
سَمَا فى سَماء الكون فابتهجَ العُلاَ ... برفعَته وازدَادَ سِرًّا سُرُورُه
ألم تَرَ أجْسَامَ الوجُود تَرَاقصَتْ ... وجاءَ التَّهانِى باسمَاتٍ ثُغُورُه
مكانٌ على التقوى تأسسَ مَجدُهُ ... ومنْ سُوَر التوفيق والهَدْىَ سُورُه
وفِردَوسُ عَدْنٍ فاحَ فَوحُ نَسِيمه ... وحَفَّتْه وِلْدانُ النَّعيم وحُوره
ومَجلسُ أنْسٍ كُل مَا فيه مُشْرِقٌ ... ومقعَدُ صدق قد تَسَامَى حُبُورُه
بِنَاءٌ يرُوقُ العَينَ حُسْنُ جمَاله ... ورَونَقُه يَشْفِى الصُّدورَ صُدُورُه
ومِنْ مَجْد بَانِيه تَزايَدَ بَهجَةً ... وقُلِّدَ من دُرِّ المَعَالى نُحُورُه
عزيزٌ بَنَى بيتَ المكَارمِ فانثنَتْ ... تُغَنِّى به حَمْدًا ومدْحًا طُيُورُه
وأحيا رسُومَ المجد والفخرِ والتقَى ... وزَانَتْ بأعلامِ الكمَال سُطُورُه
فلا زالَ فيه الفَضْلُ تسمُو شُمُوسُهُ ... وتَنْمُو علَى كُلِّ البُدُورِ بُدُورُه
ودَامَ به سَعْدُ السُّعُود مُؤرّخًا ... حَمَى العزُّ بالمولَى الجبرتى نُورُه

وله فى صيوان :

وصيوانٌ حَوى عزاً وفَخْراً ... عليه منَ البهَا حُسْنٌ متَمّم
كَروضِ الأنسِ فيه الوُرْقُ غَنَّتْ ... وبلبَالُ السُّرورِ لَهَا تَرَنَّم
علَى الإيوانِ يزْهُو بارْتفَاعٍ ... ويهْزُو بالخيامِ وبالمخَيَّم
فتحسَبُه وذا الإشراق فِيه ... سَمَاءُ الجودِ قد ظَلّتْ مُكَرّم
يقولُ السَّعدُ فى تاريخِه بِى ... عَلَى مَجْدِ الوزيرِ العِزُّ خيَّم

ومن نثره ، ما كتبه تقريظاً على المؤلف الذى ألفه العلامة الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى الذى ضاها به عنوان الشرف ، للعلامة السيوطى، قوله : «حمدا لمولى يضيق نطاق المنطق عن شكره، ويعجز لسان اللسن عن الإفصاح بذكره، يدنى لب الموحد إلى فهم مقامات التوحيد ، ويعرفه سبل التهجد والتحميد، ويسعده بنهاية الوصول، إلى مقاصد فقه الأصول، وصلاة وسلاماً على المحمود بأكمل ثناء ، الممدوح بأجمل ضياء وسناء ، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأحبابه ما ألف كتاب، وكللت تيجان الربى بلآلئ السحاب، أما بعد فقد سرحت طرفى فى رياض هذا

---

(1) ١١٩١ هـ / ٩ فبراير ١٧٧٧ - ٢٩ يناير ١٧٧٨ م .

كتب أمامها بهامش ص ٢١٥ ، طبعة بولاق « قوله إحدى وتسعين ، لعَلّ ابتداء العمارة كان فى أواخر تلك السنة وانتهاءها فى سنة اثنتين وتسعين ، بدليل جمل التاريخ الآتى » .

التأليف الرائق، وفسحت بصرى بالمشاهدة لمحاسن هذا التصنيف الفائق، واقتطفت بيدى ثمرات أوراقه، واستضأت بأنوار إشراقه، وحليت سمعى بدرر فوائده، وفكرى بغرر عوائده، وعرضت على فهمى لآلئ جواهره، فلاحت لعينى بدور زواهره، فإذا هو عقد نظم من درر العلوم، وتحلت به غوانى الفهوم، رشيق الألفاظ والمعانى، رقيق التراكيب والمبانى، لم ينسج ناسج على منواله، ولم يأت بليغ بمثاله، قد أفحم فصحاء الرجال، وألقت له البلغاء العصِىَّ والحبال، وأعجز الفصحاء كبيراً وصغيراً، فلا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً، يفوق بحسنه كل مؤلف، ويروق بروقه على كل مصنف، جمع فيه من العلوم أشرفها وأشرقها، ومن المعارف أرقها وأروقها، فهو مجموع جامع مانع وروض يافع يانع، فلا شك أنه صنعة قادر، وصبغة لبيب ماهر، وكيف لا، وهو العلامة الإمام الفهامة الهمام، المحقق الفاضل، المدقق الكامل، جامع شَمْل المعارف، حائز أنواع اللطائف، وحيد الكمالات اللدنية، ومزيد المحاسن الخلقية والخلقية، مولانا الشيخ محمد عبد اللطيف الطحلاوى، قابل الله صنيعه بحسن القبول، وبلغه من خير الدارين كل مأمول، وأدام الكريم النفع بوجوده، وأقام لديه جزيل إحسانه وجوده، ماكرت الليالى ومرت الأيام، وقطر غيث الغمام، والحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على من لا نبى بعده» .

ومن نثره أيضاً هذه المراسلة، «بسم الله الرحمن الرحيم، نحمدك يامن أجريت المقادير على وفق الإرادة، وجعلت المطالب سبباً للإفادة والاستفادة، ونشكرك على ما أوليتنا من سوابغ الإحسان، ومنحتنا من سوابق الفضل والامتنان، ونصلى ونسلم على نبيك سيد ولد عدنان . . . إلى آخره» .

وأيضاً : «إن أحلى ما تحلت به تيجان الرسائل، وأعلى ما جلت به مظاهر المقاصد والوسائل، وأبهى ما رقمه البنان من بديع المعانى والبيان، وأشهر ما فاهت به الأقلام، وفاحت به نوافح مسك الختام، إهداء تسليم تفوح فوائح المسك من طيب نشره، وتلوح لوائح الإقبال من وجوه بشره، وتبتسم ثغور الأمانى من شمائل شموله، وتتنسم نسمات التهانى من إقباله وقبوله، وإسداء تحيات يعبق شذاها، ويشرق نورها وضياها، تفوق الشموس نورا، وتروق الخواطر منها سروراً، نقدم ذلك ونهديه، ونظهره ونبديه لحضرة ذوى المهابة والفخار، والعلو والاقتدار، الجامعين بين المتاجر والمفاخر، الحائزين لجمال الأول والآخر، القاطنين بخير البلاد، القائمين بمصالح العباد، مصابيح الدنيا وبهجتها، وكواكب البلاد وتحفتها، حماة حرم يجبى إليه الثمرات، وزينة محل تقضى به الحاجات، عين أعيان المكاسب والتجارة، وزين

أبناء المطالب والإشارة، نعنى بذلك فلاناً وفلاناً أسبغ الله عليهم سوابغ الإنعام، وأسبل عليهم حلل الجود والإكرام، وأصلح لهم الأحوال وبلغهم الأماني والآمال، وبسط لهم الأرزاق وحباهم بلطفه الخلاق .

أما بعد، بسط كف الرجاء ، ومد سواعد القصد والالتجاء بدعوات مقرونة بالإنابة، ليس لها حاجب عن أبواب الإجابة، فمما يعرض عليكم، وينهى بعد السلام إليكم، أنه قد وصل إلينا رقيمكم المكنون المحتوى على الدر المصون، فشممنا منه نفحات مكية حرمية ، ونُسَيمات سحرية بهية، فتعطرنا بطيب مسكها الأذفر، وتطيبنا بعبير عنبرها الأزهر ، وذكرتم أنكم بذلتم المجهود فى طلب المقصود . . . إلى آخره»، وله غير ذلك كثير وحاله وفضله شهير ، ولم يزل يملى ويفيد، ويقرر ويعيد حتى قطفت يد الأجلْ ثْمواره، وأطفأت رياح المنية أنواره ، وذلك يوم الإثنين رابع عشرين شهر القعدة من السنة[1] ، ورثاه الشيخ إسماعيل الزرقانى بقوله :

تَدَاوَلَت الأيامَ بالعُسْرِ واليُسْرِ ... وتلكَ شئُونُ الحقِّ فى مُطلقِ الدهْرِ
فكيفَ أرَى قَلْبِى علَى فقْد إلفه ... حَزِينًا ودَمْعُ العين من فَيضه يجرِى
فقالَ لَنا فى سَيدَ الخلْقِ أُسْوَةٌ ... فقد دمعَتْ عيناهُ حُزْنًا كَمَا تَدْرِى
وهذا الذى أمسَى حليفَ ضَرِيحه ... إلى فَضْله تصبُو الأنامُ مَدَى العمْرِ
إمامٌ له فُضلُ الروَايَة والحجَا ... فمنْ نقْله يُملى ومنْ عَقْله يُقْرِى
قُوى فهمه صَارتْ بنُور مُعِيدهَا ... تَرَى منْ مَبَادى الحالَ عَاقبَةَ الأمْرِ
عتبتُ علَى الأيامِ فى نَثْرِ عقْدها ... وقد غَابَ منْ أثنائه مَعْدنُ الدُّرِّ
فقالتْ ومَالِي ذاكَ حَبْرٌ موفَّقٌ ... أحَبَّ لقاءَ الله أسْرعَ للأجْرِ
تَلَقتهُ أملاكُ النَّعيم تَحفُّهُ ... وتنقُلُهُ من وِرد نَهرٍ إلى قَصرِ
إلى أنْ يرى وجْهَ العزيز مكانَهُ ... ويبقَى حَميداً فى الترقِّى مع البشْرِ
بمقعد صدْقٍ صارَ عندَ مَليكه ... فيا مُصْطَفاه فُزتَ مُرتفِعَ القَدْرِ

ومات، الأمير عثمان بيك الأشقر الإبراهيمى وهو من مماليك إبراهيم بيك الكبير الموجود الآن ، إشتراه ورباه وأعتقه وجعله خازنداره مدة، ثم قلده الإمارة والصنجقية فى سنة اثنتين وتسعين ومائة وألف[2] وعُرف بالأشقر لشقرته، ولما انتقل أستاذه إلى بيت سيده محمد بيك بعطفة قوصون ، سكن مكانه بدرب الجماميز ، وصار له مماليك وأتباع ، وانتظم فى عداد الأمراء، وخرج مع سيده فى الحوادث، وتغرب معه فى البلاد القبلية ، وطلع أميراً بالحج فى سنة عشر ومائتين وألف[1] ، وعاد فى

---

(١) ٢٤ ذى القعدة ١٢١٦ هـ / ٢٨ مارس ١٨٠٢ م . (٢) ١١٩٢ هـ / ٣٠ يناير ١٧٧٨ - ١٨ يناير ١٧٧٩ م .

أمن وأمان، ولما حصلت حادثة الفرنسيس كان هو مع من كان بالبر الغربى وذهب إلى الصعيد، ثم مر من خلف الجبل ، ولحق بأستاذه ببر الشام ، ولم يزل حتى رجع مع إستاذه والأمراء بصحبة عرضى الوزير فى المرة الثانية، ثم سافر مع حسين باشا القبودان ، فقتل مع من قتل بأبى قير ، ودفن بالإسكندرية، وكان ذا حشمة وسكون وحسن عشرة ، مع ما فيه من الشح .

ومات، الأمير عثمان بيك الجوخدار ، المعروف بالطنبرجى المرادى ، وهو من مماليك مراد بيك ، اشتراه ورباه ورقاه، وقلده الإمارة والصنجقية فى سنة سبع وتسعين ومائة ألف[2] ، ولما وصل حسن باشا الجزايرلى إلى مصر ، وخرج مع سيده وباقى الأمراء من مصر على الصورة المتقدمة، ووقع بينهم ما وقع من الحروب والمهادنة حضر هو وحسين بيك المعروف بشفت، وعبد الرحمن بيك الإبراهيمى إلى مصر رهائن، ولما سافر حسن باشا إلى الروم أخذهم صحبته بإغراء إسماعيل بيك فأقاموا هناك، ثم نفوهم إلى ليميا، فاستمروا بها ، ومات بها حسين بيك خشداشه المذكور، ثم رجع المترجم، وعبد الرحمن بيك - بعد وقوع الطاعون، وموت إسماعيل بيك - وأتباعهما إلى مصر ، فلم يزالوا حتى حصل ما حصل من ورود الفرنسيس، وموت مراد بيك فى أخريات أيامهم ، فوقع اختيار المرادية على تأميره عوضاً عن سيده بإشارة خشداشه محمد بيك الألفى، وانتقل بعشيرته إلى الجهة البحرية، وانضموا إلى عرضى الوزير، ووصلوا إلى مصر ، فكان هو وإبراهيم بيك الألفى ثانى اثنين يركبان معاً وينزلان معاً، ولم يزل حتى سافر القبودان بعد مامكر مكره مع الوزير سراً على خيانة المصريين ، فأرسل يستدعيه هو وعثمان بيك البرديسى، فسافرا امتثالاً للأمر، فأوقع بهما ما تقدم ، وقتل المترجم ونجى البرديسى ، ودفن بالإسكندرية ، وكان أميراً لا بأس به وجيه الشكل عظيم اللحية ساكن الجاش فيه تؤدة وعقل ، وسبب تلقبه بالطنبرجى أنه كان فى عنفوان أمره مولعاً بسماع الآلات وضرب الطنبور، وربما باشر ضربه بيديه مع الإتقان لذلك، فغلبت عليه الشهرة بذلك .

ومات، الأمير مراد بيك المعروف بالصغير، وهو من مماليك محمد بيك أبى الذهب، وانتمى إلى سليمان بيك الأغا ، واستمر ملازماً له ومنسوباً إليه مدة أعوام، وكان يعرف بمراد كاشف ، وله إيراد واسع ومماليك، ثم تقلد الإمارة والصنجقية فى

---

(١) ١٢١٠ هـ / ١٨ يولية ١٧٩٥ - ٦ يوليه ١٧٩٦ م .

(٢) ١١٩٧ هـ / ٧ ديسمبر ١٧٨٢ - ٢٥ نوفمبر ١٧٨٣ م .

سنة ست ومائتين وألف[1] ، فزادت وجاهته ، ولم يزل كذلك حتى سافر مع عثمان بيك الأشقر، وأحمد بيك الحسينى مع القبودان ، وقتل كذلك بأبى قير ، ودفن بالإسكندرية .

ومات، الأمير قاسم بيك أبو سيف، وهو مملوك عثمان بيك أبى سيف الذى سافر بالخزينة ، ومات بالروم ، وذلك سنة ثمانين ومائة وألف[2] ، وهى آخر خزينة رأيناها سافرت إلى إسلامبول على الوضع القديم ، وعثمان بيك هذا مملوك عثمان بيك أبى سيف الذى كان من جملة القاتلين لعلى بيك الدمياطى، وخليل بيك قطامش، ومحمد بيك قطامش فى ولاية راغب باشا كما تقدم، وخدم المترجم مراد بيك، وكان يعرف بقاسم كاشف أبى سيف، وكان له إقطاع والتزام وإيراد، واشتهر ذكره فى أيام مراد بيك، وبنى داره التى بالناصرية، وأنفق عليها أموالاً جمة، وكان له ملكة وفكرة فى هندسة البناء ، وأستأجر قطعة عظيمة من أراضى البركة الناصرية تجاه داره من وقف المولوية، وسورها بالبناء ، وبنى فى داخلها قصراً مزخرفاً برحبة متسعة، وقسم تلك الأرض بتقاسيم المزارع وحولها طرق ممهدة مستطيلة، ومجارى للمياه التى تصل إليها أيام النيل، ومجار أخرى عالية مبنية بالمؤن ، والخافقى من داخلها تجرى فيها المياه من السواقى، ويحيط بذلك جميعه أشجار الصفصاف المتدانية القطاف، ويداخل تلك البركة المنقسمة النخيل والأشجار، ومزارع المقاثئ والبرسيم والغلة، وغيرها يسرح فيها النظر من سائر جهاتها، وتنشرح النفوس فى أرجائها وساحاتها، وجعل السواقى فى ناحية تجتمع مياهها فى حوض ، وبأسفله أنابيب تتدفق منها المياه إلى حوض أسفل منه، وعنده مجلس ومساطب للجلوس ، وتجرى منه المياه إلى المجارى المخفقة المرتفعة ، ومنها تنصب من مصبات من حجر إلى أحواض أسفل منها صغار ، وتجرى إلى مساقى المزارع ، وعند كل مصب منها محل للجلوس، وعليه أشجار تظله ، وبوسطه أيضاً ساقية بفوهتين تجرى منها المياه أيضاً ، والقصر يشرف على ذلك كله ، وحول رحبة القصر وطرق المشاة كروم العنب والتكاعيب ، وأباح للناس الدخول إليها والتنزه فى رياضها، والتفسح فى غياضها، والسروح فى خلالها، والتفيؤ فى ظلالها، وسماها حديقة الصفصاف والآس لمن يريد الحظ والانتشاس ، ونقش ذلك فى لوح من الرخام وسمره فى أصل شجرة يقرؤها الداخلون إليها ، فأقبل الناس على الذهاب إليها للنزاهة ووردوا عليها من كل جهة، وعملوا فيها قهاوى ومساقى ومفارش، وأنخاخاً يفرشها القهوجية للعامة، وقللاً

(١) ١٢٠٦ هـ / ٣١ أغسطس ١٧٩١ - ١٨ أغسطس ١٧٩٢ م .

(٢) ١١٨٠ هـ / ٩ يونيه ١٧٦٦ - ٢٩ مايو ١٧٦٧ م .

وأباريق ، واجتمع بها الخاص والعام، وصار بها مغان وآلات ، وغواني ومطربات ، والكل يرى بعضهم بعضاً ، وجعل بها كراسي للجلوس ، وكنيفات لقضاء الحاجة، وجعل للقصر فرشاً ، ومساند ولوازم ومخادع لنفسه، ولمن يأتي إليه بقصد النزاهة من أعيان الأمراء والأكابر ، فيبيتون به الليالي ولا يحتاجون لسوى الطعام فيأتي إليهم من دورهم ، وزاد بها الحال حتى امتنع من الدخول إليها أهل الحياء والحشمة ، وأنشأ تجاهها أيضاً على يسار السالك إلى طريق الخلاء بستاناً آخر على خلاف وضعها ، وأخبرني المترجم أيضاً من لفظه : « أنه أنشأ بستاناً بناحية قبلي أعجب وأغرب من ذلك » ، ولما حضر حسن باشا الجزايرلي إلى مصر، وخرج منها أمراؤها تخلف المترجم عن مخدومه ، واستقر بمصر ، فقلدوه الإمارة والصنجقية في سنة إحدى ومائتين وألف[1] ، فعظمت إمرته وزادت شهرته، وتقلد إمارة الحج مرتين، ولما أوقع العثمانية بالأمراء المصرلية ما أوقعوه، وانفصلوا من حبس الوزير وانضموا إلى الإنكليز بالجيزة، ثم انتقلوا إلى جزيرة الذهب وارتحلوا منها إلى قبلي ، تخلف منهم المترجم لمرض اعتراه ، وحضر إلى مصر ولازم الفراش ، ولم يزل حتى مات في يوم الخميس سادس القعدة من السنة[2]، وكان يخضب لحيته بالسواد مدة سنين رحمه الله .

ومات، إبراهيم كتخدا السناري الأسود ، وأصله من برابرة دنقلة، وكان بواباً في مدينة المنصورة ، وفيه نباهة فتداخل في الغز القاطنين هناك مثل الشابوري وغيره بكتابة الرقى ، وضرب الرمل ونحو ذلك، ولبس ثياباً بيضا، ثم تعاشر مع بعضهم وركب فرساً، وانتقل إلى الصعيد مع من اختلط بهم، وتداخل في أتباع مصطفى بيك الكبير ، ولم يزل حتى اعتشر بالأمير المذكور ، وتعلم اللغة التركية ، فاستعمله في مراسلاته وقضاياه ، فنقل فتنة ونميمة بين الأمراء ، فأراد مراد بيك قتله فالتجأ إلى حسين بيك وخدمه مدة، ثم تحيل والتجأ إلى مراد بيك وعاشره وأحبه ولازمه في الغربة والأسفار ، واشتهر ذكره وكثر ماله، وصار له التزام وإيراد ، وبنى داره التي بالناصرية، وصرف عليها أموالاً ، واشترى المماليك الحسان والسراري البيض، وتداخل في القضايا والمهمات العظيمة ، والأمور الجسيمة ، وصار من أعظم الأعيان المشار إليهم بمصر ، ونمى ذكره، وعظم شأنه، وباشر بنفسه الأمور من غير مشورة الأمراء، فكان يحل ما يعقده الكبار، ولما تحجب مخدومه بقصر الجيزة كان المترجم لسان حاله في الأمر والنهي، وبيده مقاليد الأشياء الكلية والجزئية، ولا يحتجب عن ملاقاة مخدومه في أي وقت شاء فينهي إليه ما يريد تنفيذه بحسب غرضه ، وأخذ له أتباعاً وخدماً يقضون القضايا ويسعون في المهمات، ويتوسطون لأرباب الحاجات ، ويصانعهم الناس حتى الأكابر، ويسعون إلى دورهم ، وصاروا من أرباب الوجاهات

---

(١) ١٢٠١ هـ / ٢٤ أكتوبر ١٧٨٦ - ١٢ أكتوبر ١٧٨٧ م . (٢) ٦ ذي القعدة ١٢١٦ هـ / ١٠ مارس ١٨٠٢ م .

والثروات، ولم يزل ظاهر الأمر نامى الذكر حتى وقعت الحوادث ، وسافر الفرنساوية ودخل العثمانية ، ورجع قبودان باشا إلى أبى قير ، فأرسل يطلبه فى جملة من استدعاهم إليه، وقتل مع من قتل ، ودفن بالإسكندرية .

محرم الحرام[1] ابتداء سنة الف ومائتين وسبعة عشر هجرية[2]

استهل بيوم الإثنين[3] ، فيه تواترت الأخبار بحصول الصلح العمومى بين القرانات جميعاً، ورفع الحروب فيما بينهم .

وفيه[4] ، ترادفت الأخبار بأمر عبد الوهاب[5] ، وظهور شأنه من مدة ثلاث سنوات من ناحية نجد[6] ، ودخل فى عقيدته قبائل من العرب كثيرة ، وبث دعاته فى أقاليم الأرض ، ويزعم أنه يدعو إلى كتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله، ويأمر بترك البدع التى ارتكبها الناس ، ومشنوا عليها إلى غير ذلك .

وفيه[6] ، سافر عثمان كتخدا الدولة إلى الديار الرومية ، ونزل إلى بولاق وضربوا له عدة مدافع ، وأخذ صحبته الخزينة، وسافر معه مختار أفندى ابن شريف أفندى دفتردار مصر .

وفى هذه الأيام، حصلت أمطار متتابعة وغيام ورعود وبروق عدة أيام ، وذلك فى أواسط نيسيان[7] الرومى .

وفى ذلك اليوم ، نبهوا على الوجاقات والعساكر بالحضور من الغد إلى الديوان لقبض الجامكية فلما كان فى صبحها يوم الثلاثاء[8] ، نصبوا صيواناً كبيراً ببركة الأزبكية، وحضر العساكر والوجاقلية بترتيبهم ، ونزل الباشا بموكبه إلى ذلك الصيوان وهو لابس على رأسه الطلخان والقفطان الأطلس، وهو شعار الوزارة ووضعوا الأكياس وخطفوها على العادة القديمة فكان وقتاً مشهوداً .

وفى يوم الثلاثاء تاسعه[9] ، حضر كبير الإنكليز من الإسكندرية ، ونصبوا وطاقهم ببر إنبابة، فلما كان يوم الأربعاء[10] ، يوم عاشوراء ، عدى كبير الإنكليز

---

(1) محرم ١٢١٧ هـ / ٤ مايو - ١ يونيه ١٨٠٢ م . (2) ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ - ٢٢ ابريل ١٨٠٣ م .
(3) ١ محرم ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ م . (4) ١ محرم ١٢١٧ هـ / ٤ مايو ١٨٠٢ م .
(5) محمد بن عبد الوهاب : هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان ، صاحب الدعوة السلفية التى عرفت بالوهابية خطأ .
(6) نجد : إقليم نجد مسمى جغرافى يطلق على إقليم قلب شبه الجزيرة العربية .
(7) ١٥ أبريل ١٨٠٣ م - ٢٢ ذى الحجة ١٢١٧ هـ . (8) ٢ محرم ١٢١٧ هـ / ٥ مايو ١٨٠٢ م .
(9) ٩ محرم ١٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م . (10) ١٠ محرم ١٢١٧ هـ / ١٣ مايو ١٨٠٢ م .

ومعه عدة من أكابـرهم ، فتهيأ لملاقـاته الباشا واصطفت الـعساكر عند بيـت الباشا، ووصل الإنكليز إلى الأزبكـية ، وطلعوا إلى عند الباشا، وقابلوه فـخلع عليهم وقدم لهم خيلاً وهـدية ، ثـم نزلوا وركبوا ورجـعوا إلى وطاقهم ، وعند ركـوبهم ضربوا لهم عـدة مدافع، فلم يـعجب الباشـا ضربها ، فأمر بـحبس الطبـجية لكونـهم لم يضربوها على نسق واحد .

وفيه[١] ، وردت الأخبار بأن الإنكليز أخلوا القلاع بالإسكندرية وسلموها لأحمد بيك خورشيد ، وذلك يوم الإثنين ثامنه[٢] ، وأبطلوا الكرنتيلة أيضاً ، وحصل الفرج للناس وانطلق سبيـل المسافرين براً وبحراً، وأخذ الباشا فى الاهتمام بتشهيل الإنكليز المسافرين إلى السويس والقصير، وما يحتاجون إليه من الجمال والأدوات ، وجميع ما يلزم ، ولما حضر الإنكليز إلى عند الباشا ، فدعوه إلى الحضور إلى عندهم، فوعدهم على يوم الجمعة.

فلما كان يوم الجمعة ثالث عشره[٣] ، ركب الباشا وصحبتـه طاهر باشا فى نحو الخمسين ، وعدى إلى الجيزة بـعد الظهر، ووقـفت عساكر الإنـكليز صفـوفاً رجالاً وركباناً ، وبأيديهم الـبنادق والسيوف ، وأظهروا زينتهم وأبهتـهم، وذلك عندهم من التعظيم للقادم ، فـنزل الباشا ودخل القصر فوجدهم كذلك صفوفـاً بدهليز القصر، ومحل الجلوس فجلس عندهم ساعة زمانـية ، وأهدوا له هدايا وتقادم ، وعند قيامه ورجوعه ، ضربـوا له عدة مدافع على قدر مـا ضرب لهم هو عند حضـورهم إليه، فلقد أخبرنى بعض خواصهم أن الباشا ضرب لهم سبعة عشر مدفعاً ، ولقد عددت ما ضربه الانكليز للباشا فكان كذلك.

وأخبرنى حـسين بيك وكيل قبـطان باشا ، وكان بصـحبة الباشا عنـد ذهابه إلى الإنكليز ، قال : «كنا فى نحو الخمسين والإنكليز فى نحو الخمسة آلاف ، فلو قبضوا علينا فى ذلك الوقـت لملكوا الإقليم من غير ممانع ، فسبحـان المنجى من المهالك » ، وإذا تأمـل العاقل فـى هذه القضـية ، يرى فيهـا أعظم الاعتـبارات والكرامـة لدين الإسلام ، حيـث سخر الطـائفة الذيـن هم أعداء للمـلة هذه لدفـع تلك الطـائفة ، ومساعدة المسلمين عليهم، وذلـك مصداق الحديث الشريـف، وقوله ﷺ : «إنّ اللهَ يؤيدُ هـذا الدينَ بالرجلِ الـفَاجِرِ» فسبحان الـقادر الفعال ، واسـتمرت طائفة كـبيرة بالإسكندرية من الإنكليز حتى يريد الله.

وفى ذلك اليوم[٤] ، سافرت الملاقاة للحجاج بالوش[٥] .

---

(١) ٩ محرم ١٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م .

(٢) ٨ محرم ١٢١٧ هـ / ١١ مايو ١٨٠٢ م .

(٣) ١٣ محرم ١٢١٧ هـ / ١٦ مايو ١٨٠٢ م

(٤) ٩ محرم ١٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م .

(٥) الوش : ميناء سعودى على البحر الاحمر

وفيه[1] ، وصلت مكاتبات من أهل القدس[2] ويافا[3] والخليل[4] ، يشكون ظلم محمد باشا أبي مرق ، وأنه أحدث عليهم مظالم وتفاريد ويستغيثون برجال الدولة، وكذلك عرضوا أمرهم لأحمد باشا الجزار، وحضر الكثير من أهل غزة ويافا والخليل والرملة[5] هروباً من المذكور، وفي ضمن المكاتبات أنه حفر قبور المسلمين والأشراف والشهداء بيافا، ونبشهم ورمى عظامهم، وشرع يبنى فى تلك الجبانة سوراً يتحصن به، وأذن للنصارى ببناء دير عظيم لهم، ومكنهم أيضاً من مغارة السيدة مريم بالقدس، وأخذ منهم مالا عظيماً على ذلك، وفعل من أمثال هذه الفعال أشياء كثيرة.

وفيه[6] ، حضر جماعة من العسكر القبالي وصحبتهم أربعة رؤوس من المصرلية ، وفيهم رأس على كاشف أبى دياب ، وتواترت الأخبار بوقوع معركة بين العثمانية والمصرلية، وكانت الغلبة على العثمانية، وقتل منهم الكثير ، وذلك عند أرمنت[7] ، ورأس عصبة المصرلية طمعاً في بذلهم، وأن عثمان بيك حسن انفرد عنهم ، وأرسل يطلب أماناً ليحضر ، فأرسلوا له أماناً ، فحضر إلى باشة الصعيد ، وخلع عليه فروة سمور، وقدم له خيلاً وهدية .

وفيه[8] ، ورد الخبر بموت محمد باشا توسون والى جدة وكذلك خازنداره .

وفى يوم السبت رابع عشره[9] شرع الإنكليز المتوجهون إلى جهة السويس فى تعدية البر الشرقى ، ونصبوا وطاقهم عند جزيرة بدران، وبعضهم جهة العادلية، وذهبت طائفة منهم جهة البر الغربى متوجهين إلى القصير، واستمروا يعدون عدة أيام، ويحضر أكابرهم عند الباشا ، ويركبون فيرمون لهم مدافع حال ركوبهم إلى أماكنهم .

وفى يوم الإثنين ثانى عشرينه[10] ، عدى حسين بيك وكيل القبطان إلى الجيزة وتسلمها من الإنكليز ، وأقام بها وسكن بالقصر .

وفى خامس عشرينه[11] ، وصل إلى ساحل بولاق أغا ، وعلى يده مثالات[12] ، وأوامر ، وحضر أيضاً عساكر رومية ، فأرسلوا عدة منهم إلى الجيزة ، فركب ذلك الأغا في موكب من بولاق إلى بيت الباشا ، فخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع .

---

(١) ٩ محرم ١٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م . (٢) القدس : مدينة إسلامية بفلسطين بها المسجد الأقصى .

(٣) يافا : مدينة فلسطينية . (٤) الخليل : مدينة فلسطينية بها قبر إبراهيم الخليل .

(٥) الرملة : مدينة فلسطينية . (٦) ٩ محرم ١٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م .

(٧) ارمنت : من أقدم المدن المصرية ، اسمها المصرى المقدس (Per Montou) ، والقبطى (Arment) ، ومنه اسمها العربي ، إحدى مدن مركز الأقصر ، محافظة قنا .

رمزى ، محمد : المرجع السابق ، ق ٢ ، جـ ٤ ، ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٨) ٩ محرم ٢٢١٧ هـ / ١٢ مايو ١٨٠٢ م .

(٩) ١٤ محرم ١٢١٧ هـ / ١٧ مايو ١٨٠٢ م . (١٠) ٢٢ محرم ١٢١٧ هـ / ٢٥ مايو ١٨٠٢ م .

(١١) ٢٥ محرم ١٢١٧ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠٢ م . (١٢) مثالات : رسائل .

وفيه[1] ، حضر ططرى[2] ، من ناحية قبلى بالأخبار بما حصل بين العثمانية والمصرلية، وطلب جبخانه[3] ولوازمها .

وفيه[4] ، وصلت الأخبار بأن أحمد باشا أرسل عسكراً إلى أبى مرق من البر والبحر، فأحاطوا بيافا ، وقطعوا عنها الجالب، واستمروا على حصاره .

وفيه[5] ، اتخذ الباشا عسكراً من طائفة التكرور الذين يأتون إلى مصر بقصد الحج فعرضهم واختار منهم جملة، وطلبوا الخياطين ففصلوا لهم قناطيش[6] قصارا من جوخ أحمر ، وألبسة من جوخ أزرق وصدريات وجميعها ضيقة مقمطة مثل ملابس الفرنسيس، وعلى رؤوسهم طراطير حمر، وأعطوهم سلاحاً وبنادق ، وأسكنوهم بقلعة الجامع الظاهرى خارج الحسينية ، وجعلوا عليهم كبيراً يركب فرساً ويلبس فروة سمور، وجمع الباشا أيضاً العبيد السود وأخذهم من أسيادهم بالقهر ، وجعلهم طائفة مستقلة وألبسهم شبه ما تقدم ، وأركبهم خيلاً ، وجعلهم فرقتين صغارا ، وكباراً واختارهم للركوب إذا خرج إلى الخلاء ، وعليهم كبير يعلمهم هيئة اصطفاف الفرنسيس ، وكيفية أوضاعهم والإشارات بمرش وأردبوش، وكذلك طلب المماليك وغصب ما وجده منهم من أسيادهم، واختص بهم ، وألبسهم شبه لبس المماليك المصرلية، وعمائم شبه عمائم البحرية الأروام ، ويلكات وشراويل ، وأدخل فيهم ما وجده من الفرنسيس، وجعل لهم كبيراً أيضاً من الفرنسيس ، يعلمهم الكر والفر ، والرمى بالبنادق ، وفى بعض الأحيان يلبسون زرديات وخوذا ، وبأيديهم السيوف المسلولة ، وسموا ذلك كله النظام الجديد .

واستهل شهر صفر الخير بيوم الأربعاء سنة ١٢١٧[7]

فى ثانيه[8] ، وصل سعيد أغا وكيل دار السعادة ، وهو فحل أسمر ، فحضر عند الباشا فقابله وخلع عليه وقدم له تقدمة ، وضربوا له عدة مدافع أيضاً .

وفى يوم الخميس تاسعه[9]، عمل الباشا ديواناً وحضر القاضى والعلماء والأعيان، وقرءوا خطاً شريفاً حضر بصحبة وكيل دار السعادة ، بأنه ناظر أوقاف الحرمين .

وفى يوم الإثنين ثالث عشره[10]، قتل الباشا ثلاثة أشخاص من النصارى المشاهير،

(١) ٢٥ محرم ١٢١٧ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠٢ م . (٢) ططرى : تعنى رسول أو حامل البريد .

(٣) جبخانة : فى التركية تعنى المكان الذى تحفظ فيه الأسلحة والذخائر ، والجبرتى يستعملها هنا بمعنى الأسلحة.

(٤) ٢٥ محرم ١٢١٧ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠٢ م . (٥) ٢٥ محرم ١٢١٧ هـ / ٢٨ مايو ١٨٠٢ م .

(٦) قناطيش : جمع قنطش ، اسم لكرك خاص من الجوخ أو السمور أو السنجاب أو القاقم ضيق الأكمام ، مطرز الحواشى ، يلبسه كبار رجال الدولة .

سليمان ، أحمد السعيد : المرجع السابق ، ص ١٧٣ - ١٧٤ .

(٧) صفر ١٢١٧ هـ / ٣ يونيه - ١ يوليه ١٨٠٢ م . (٨) ٢ صفر ١٢١٧ هـ / ٤ يونيه ١٨٠٢ م .

(٩) ٩ صفر ١٢١٧ هـ / ١١ يونيه ١٨٠٢ م . (١٠) ١٣ صفر ١٢١٧ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٢ م .

وهم : ألطون أبو طاقية ، وإبراهيم زيدان ، وبركات معلم الديوان سابقاً، وفى الحال أرسل الدفتردار، فختم على دورهم وأملاكهم وشرعوا فى نقل ذلك إلى بيت الدفتردار على الجمال ، ليباع فى المزاد فبدءوا بإحضار تركة ألطون أبى طاقية ، فوُجِد له موجود كثير من ثياب وأمتعة ومصاغ وجواهر وغيرها ، وجوارى سود وحبوش ، وساعات ، واستمر سوق المزاد فى ذلك عدة أيام .

وفيه[1] ، تواترت الأخبار بأن بونابارته خرج بعمارة كبيرة ليحارب الجزائر ، وأنه انضم إلى طائفة الفرنسيس الأسبانيول والتامرطان ، وتفرقوا فى البحر، وكثر اللغط بسبب ذلك ، وامتنع سفر المراكب ، ورجع الإنكليز إلى قلاع الإسكندرية ، واستمرت هذه الإشاعة مدة أيام، ثم ظهر عدم صحة هذه الأخبار ، وأن ذلك من اختلاقات الإنكليز .

وفى يوم الخميس سابع عشره[2] ، حضر جاويش الحاج وصحبته مكاتبات الحجاج من العقبة ، وضربوا لحضوره مدافع ، وأخبروا بالأمن والرخاء والراحة ذهاباً وإياباً ومشوا من الطريق السلطانى ، وتلقتهم العربان ، وفرحوا بهم فلما كان يوم الإثنين[3] ، وصل الحجاج ودخلوا إلى مصر .

وفى صبحها ، دخل أمير الحاج وصحبته المحمل .

وفى يوم الخميس ثالث عشرينه[4] سافر حسين أغا شنن ، وزين الفقار كتخدا ، وصحبتهما على كاشف ، لملاقاة عثمان بيك حسن ، وأخلوا له دار عبد الرحمن كتخدا بحارة عابدين .

وفى يوم الثلاثاء ثامن عشرينه[5] ، حضر عثمان بيك حسن ، فأرسل إليه الباشا أعيان أتباعه من الأغوات وغيرهم والجنائب، فحضر بصحبتهم، وقابل حضرة الباشا وخلع عليه خلعة ، وقدم له تقدمة ، وذهب إلى الدار التى أعدت له ، وحضر صحبته صالح بيك غيطاس وخلافه من الأمراء البطالين ، ومعهم نحو المائتين من الغز والمماليك ، سكن كل من الأمراء والكشاف فى مساكن أزواجهم ، فكانوا يركبون فى كل يوم إلى بيت عثمان بيك ، ويذهبون صحبته إلى ديوان الباشا ، ورتب له خمسة وعشرين كيساً فى كل شهر .

---

(١) ١٣ صفر ١٢١٧ هـ / ١٥ يونيه ١٨٠٢ م . (٢) ١٧ صفر ١٢١٧ هـ / ١٩ يونيه ١٨٠٢ م .
(٣) ٢١ صفر ١٢١٧ هـ / ٢٣ يونيه ١٨٠٢ م . (٤) ٢٣ صفر ١٢١٧ هـ / ٢٥ يونيه ١٨٠٢ م .
(٥) ٢٨ صفر ١٢١٧ هـ / ٣٠ يونيه ١٨٠٢ م .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٣١٥٢ / ٢٠٠٣

I.S.B.N 977 - 01 - 8650 - 3



وبعد أكثر من عشرة أعوام من عمر مكتبة الأسرة نستطيع أن نؤكد أن جيلاً كاملاً من شباب مصر نشأ على إصدارات هذه المكتبة التى قدمت خلال الأعوام الماضية ذخائر الإبداع والمعرفة المصرية والعربية والإنسانية النادرة وتقدم فى عامها الحادى عشر المزيد من الموسوعات الهامة إلى جانب روافد الإبداع والفكر زاداً معرفياً للأسرة المصرية وعلامة فارقة فى مسيرتها الحضارية .

سوزان مبارك


Bibliotheca Alexandrina
0659475



التنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

٢٠٠ قرش